المفتی شمس الدین خان بن ضیاء الدین خان بن ایسان باباخان

المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري

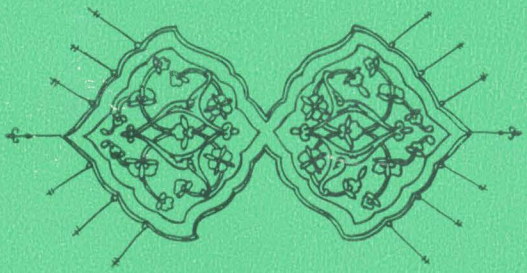

المؤلف فى سطور

ولد المؤلف شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى سنة ١٩٣٧ فى مدينة طشقنـــد ، وهو سليل اسرة اسلامية عريقة عرفت بتمسكهـــا بالتقاليـــد الاسلامية . وقد انجبت العديد من ائمة الاسلام ، ومنهـــم المغفور له ايشان باباخان مفتى الديار الاسلامية فى آسيـــا الوسطى وقازاخستان ومؤسس الادارة الدينيـــة فى تلـــك الربوع . وكان والده المرحوم ضياء الدين خان قد اكمل رسالة ابيه على خير وجه . واعتنى بتربيـــة ابنه شمس الدين منذ نعومة اظفاره على خيرة التقاليد الاسلامية ، وغرس فيه حب العلم والسعـــى نحو الحقيقـــة وخدمـــة الاسلام والمسلمين .

وحين بلغ سن الرشد اخذ عن ابيه العلوم الاسلامية ، وفى سنة ١٩٥٥ انتسب الى معهد اللغات الاجنبية فى طشقند ، وبعد ذلك انضم الى معهد البحوث العلمية لشعوب آسيا لدى اكاديمية العلوم السوفيتية . وفى سنى ١٩٦٢-١٩٦٦ واصل دراسته فى جامعة الازهر بالقاهرة لاستكمال علومه الدينية واللغوية . وحين عاد الى وطنه انجز اطروحته الداكتوراه فى فقه اللغة العربية . وبعدها عمل مسئولا فى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان . وقد اظهر مقدرة تنظيمية فائقة واكتسب خبرة واسعة ، وتكشفت مواهبه فى تنظيم العلاقات مع المؤسسات الاسلامية فى العالمين العربى والاسلامى . وقد لعب دورا كبيرا فى تنظيم العديـــد مـــن المؤتمرات الاسلامية الدولية فى الاتحاد السوفيتى . وعمل فى سنوات (١٩٧٥-١٩٨٢) مديرا لمعهد الامام البخارى الاسلامى

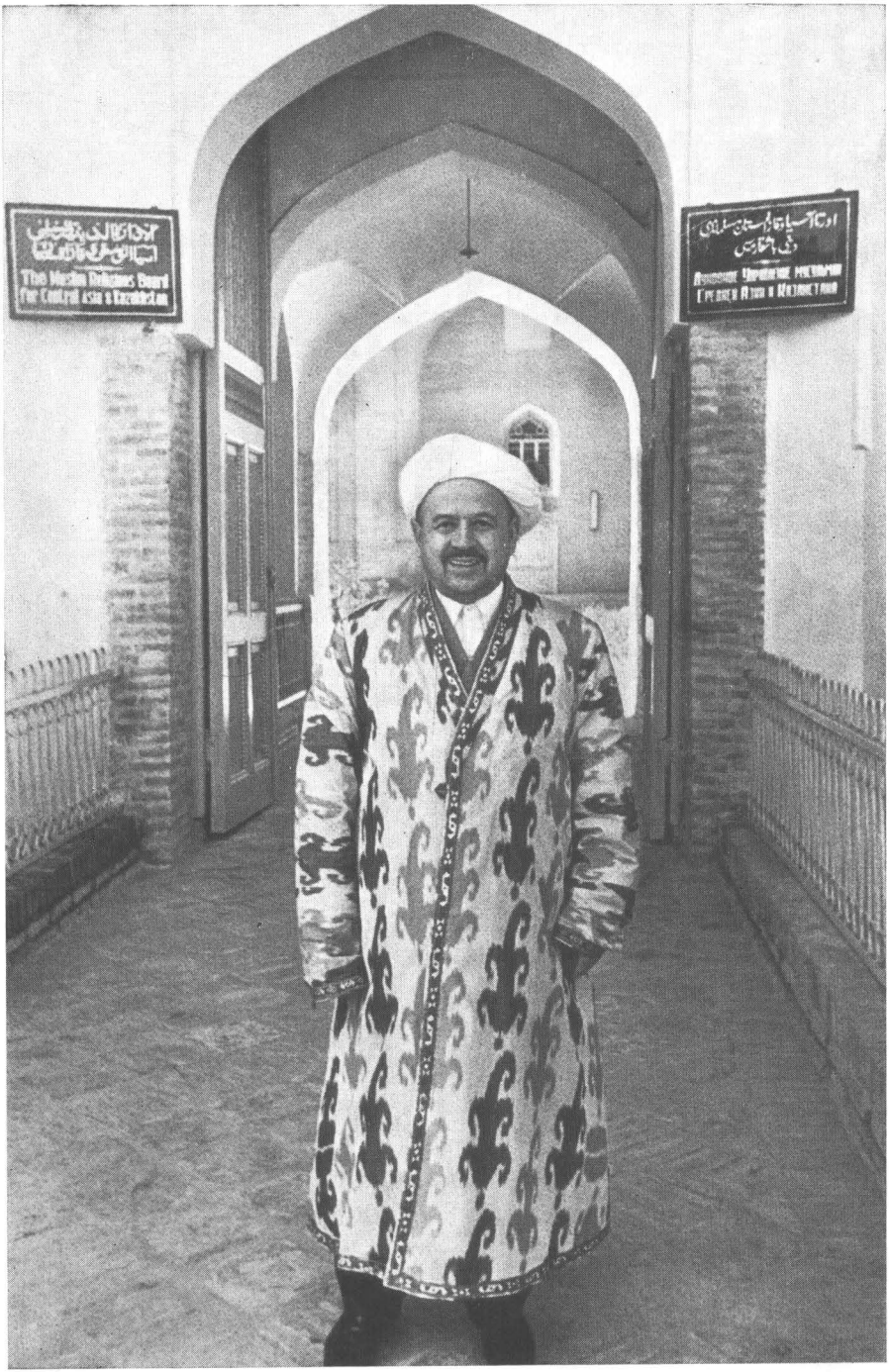

المفتی ضیاء الدین خان بن ایشان باباخان

المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن
ايشان باباخان

المفتى ضياء الدين خان
وتراثـــــه الفكـــــرى

الاتحاد السوفيتى ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعتبر المغفور له المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، من عداد النجوم الساطعة على أفق عصرنا . وقد تركت نشاطاته المتنوعة ، أثرا لا يمحى فى قلوب العديد والعديد من ذوى الارادة الخيرة ، فى مختلف الاقطار الاسلامية وغير الاسلامية ، الذين قدر لهم الالتقاء به والاستماع الى كلمته المتحمسة ، والى دعوته الملتهبة الى السلام والتفاهم والصداقة بين الشعوب ، مهما كانت أجناسها او انتسابها الدينى او معتقداتها السياسية .

كان المفتى ضياء الدين خان ، واحدا من الذين أسسوا الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وقام بتسيير نشاطاتها على امتداد ربع قرن بلا انقطاع . لقد كان دائما فى عداد المبادرين الى عقد اكبر المؤتمرات العالمية المعاصرة ، سواء أكانت اسلامية او شملت الديانات الاخرى ، التى عقدت فى الاتحاد السوفيتى او البلاد الاخرى من أقطار الكرة الارضية . وكان صوته مسموعا فى كبريات الندوات واللقاءات الاقليمية والعالمية ، التى استهدفت الدفاع عن السلام . وقد كان يدعو بالحاح الى وحدة صفوف المسلمين وجميع أناس الارادة الخيرة ، فى مكافحتهم الاستعمار والصهيونية ، وفى سبيل السلام والتقدم الاجتماعى .

وبطبيعة الحال ، كان المفتى ضياء الدين خان ، رجل دين اسلامى معاصر معترف به من قبل الكل . ولربما لعبت هذه الميزة بالذات دور الشرط الحاسم ، الذى أتاح لمواهبه وقدراته العديدة التى وهبه الله اياها بالتفتح والازدهار . وطوال حياته المليئة بالشهادة والعبرة ،

والمكرسة لخدمة البشر ، كان يتبع دعوة القرآن الكريم العظيمة القائلة ، «**يا ايها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**» (سورة ٤٩ ، الحجرات ، آية ١٣) .

يا ترى ماذا يفوق جاذبية هذه الفكرة الانسانية ، التى كانت على امتداد كل التاريخ الاسلامى ، البالغ من العمر ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة ، وما زالت تمارس تأثيرها الطيب والخالد فى عقول وقلوب الملايين والملايين من أهل المعمورة . ان هذه الافكار ، هى التى جعلت الاسلام ، ليس عقيدة دينية وحسب ، بل نمط حياة يتبعه الملايين من سكان الكرة الارضية . وهذا امر طبيعى ومفهوم ، فأمثال هذه الفكرة النيرة ، التى تقوم عليها تعاليم الدين الاسلامى ، خالدة وليست موضع شك او تصحيح اطلاقا . انها خيط تتمسك به جميع اجيال المؤمنين على درب حياتهم . وهى غير خاضعة لتأثير الزمان . وتساعد على ايجاد حلول صائبة ، لأمس المشاكل وأشدها حساسية ، وعلى ايجاد الاجوبة عن أصعب الاسئلة .

اما فيما يخص الاتحاد السوفيتى ، فيعتنق الدين الاسلامى فيه الملايين العديدة من السكان ، ممثلى عشرات الامم والشعوب . ويعيش أغلبية المسلمين فى أوزبكستان وقازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزيا واتركمانيا واذربيجان وتتريا وبشكيريا وداغستان وتشيتشينو انغوشيتيا وكابردينو بالكاريا وفى بعض الجمهوريات والاقاليم الاخرى من بلادنا المترامية الاطراف والمتعددة القوميات .

يعتنق أغلبية المسلمين فى الاتحاد السوفيتى المذهب الاسلامى الحنفى ، اى الفرع السنى من فروع الدين الاسلامى . فيقطن شمال القفقاس شافعيون ، وفى جبال البامير اسماعيليون . وينتمى المسلمون فى القفقاس الى الشيعة والسنة ، مما لم يمنعهم مع ذلك ، من اقامة ادارة دينية مشتركة ، ومن اداء الصلوات فى جوامع مشتركة ، مطبقين بسلوكهم المبدأ الاسلامى الاول الذى يقول : «**انما المؤمنون اخوة**» . ان المسلمين السوفييت يمارسون كل يوم فرائض دينهم الحنيف ، ويساهمون بعملهم اليومى مساهمة ملحوظة فى مجمل انجازات الشعب السوفيتى ، الذى يحققها فى طريق بناء مجتمع يوفر الحرية والمساواة ، والرفاهية الاقتصادية والروحية للجميع .

حين أنزل الله تعالى القرآن الكريم على عباده ، وباشر رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مواعظه ، كان هذا حدثا

عظيما فى تاريخ البشرية قلب رأسا على عقب نظرات وتفكير الملايين من ابناء البشر ، وأثر تأثيرا قويا فى مسيرة تاريخ العالم بأسره .

لقد حمل الاسلام لهم ، بصفته دينا يستجيب وأبسط الاحتياجات الطبيعية الانسانية ، شريعة متقنة من قواعد الحياة ، وساعدهم منذ غابر الازمان ، على ايجاد أنظمة اجتماعية أشد ملائمة وتناسبا لروح الانسان الطبيعية . وانتشر هذا الدين بسرعة خارقة على وجه البسيطة ، وغطى بجناحيه مسافات شاسعة من بلادنا . ان الوف الكيلومترات تبعد الجزيرة العربية ، مهد الاسلام ، عن آسيا الوسطى وقازاخستان والقفقاس ومنطقة نهر الفولغا . ومع ذلك ، فان كلمة الله قد سمعها وتبناها أجدادنا المباركون فى القرن الاول ، بعد نزول الآيات القرانية الاولى ، على نبينا المختار محمد صلى الله عليه وسلم .

واول منطقة وصل الاسلام اليها ، سبيلا فى ربوع بلادنا كانت آذربيجان وداغستان . وحدث ذلك فى منتصف القرن السابع ، فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم انتشر الاسلام فى منطقة ما وراء النهر ، اى الى آسيا الوسطى ، التى ضمت المدن المشهورة الآتية : سمرقند وبخارى وشاش (طشقند حاليا) وترمذ ونسف (قارشى حاليا) وكيش (شهرسبز حاليا) وخوارزم ومرو وخجند (لينين آباد حاليا) ، وبالاساغون واوزكندونسا وغيرها . وارتبطت حضارة هذه المدن الغنية على امتداد القرون بانتشار الاسلام ، وجاء الاسلام الى هذه الاصقاع فى عصر الخليفة معاوية بن ابى سفيان ، فى النصف الثانى من القرن السابع . كما ان ترسيخ جذور الاسلام فى منطقتنا ، ارتبط ارتباطا عضويا بأسماء الشخصيات البارزة الآتية : سعيد بن عثمان ، وقثم بن العباس ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم يزيد بن حسيب ، والقيس بن عاصم رضى الله عنهما .

وفى عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، بعث الى بلاد ما وراء النهر قتيبة بن مسلم ، وبفضله انتشر الاسلام على طول وعرض هذه المنطقة الشاسعة كلها .

وفى مطلع القرن الرابع للهجرة ، وصل الاسلام الى منطقة نهرى الفولجا والكاما ، وسفوح جبال الاورال ، وهى المنطقة التى تقع فيها اليوم الجمهوريتان السوفيتيان الاشتراكيتان ذات الحكم الذاتى تاتاريا وبشكيريا .

كان لانتشار الاسلام السريع أثر كبير ، فهـــو بدأ يغير حياة الشعوب التى اعتنقته ، واتاح لها الفرصة للانضمام الى تطور الحضارة العالمية . فالمساحات الشاسعة التى دخلت تحت الخلافة العربية ، قـد شهدت على امتداد حقب زمنية تاريخية وجيزة نسبيا ، ازدهار العلوم المتصلة بالدين الاسلامى ، وكذلك التطور العاصف لكل فروع المعرفة الانسانية ، سواء أكانت علوما أدبية ام علوما طبيعية من التى تميزت بها تلك العصور القديمة ، ألا وهى المنطق والنحو والصرف وعلم الكلام والشعر والفلسفة والطب وعلم الفلك والجغرافيا والتاريخ .

لقد غدت الحضارة الاسلامية جزءا لا يتجزأ عن الحضارة البشريـة العامة ، وساهم فى تطويرها جميع الشعوب التى اعتنقت الاسلام دينا . وتحتل المكانة المرموقة فيها شعوب آسيا الوسطى وقازاخستـــان والقفقاس ومنطقة حوض نهر الفولجا . ونحن نشكر الله تعالى لكـــون تاريخ المعرفة والحضارة الانسانية مملؤا بالاحرف الذهبية لاسماء كثير من الافذاذ من منطقة ما وراء النهر ، وابرزهم : الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخـــارى (١٩٤–٢٥٦ هـ) ، وابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى (٢٠٩–٢٧٩ هـ) ، وابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (١٨١–٢٥٥ هـ) ، وابو على بن سينا (٩٨٠–١٠٣٧ م) ، وابـو نصر الفارابى (المولـــود سنة ٢٥٦ هـ) ، وابو ريحـان البيرونـى (٩٧٣–١٠٤٨ م) ، وابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى (٧٨٣–٨٥٣ م) ، وعبد الله بن مبارك المروزى (١١٨–١٨١ هـ) ، وبهاء الدين النقشبندى (١٣١٨–١٣٨٤ م) ، واسحق بن راهويه المروزى (١٦٣–٢٣٨ هـ) ، وابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشرى (المولود سنة ٤٦٧ هـ) ، وابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) ، ونجم الدين ابو حفص عمر بن محمد النسفـى الماتريدى السمرقندى (١٠٦٨/٤٦٠–١١٤٢/٥٣٧) ، وابـو الليث السمرقندى (المتوفى سنة ١٠٠٣ م) ، والهيثم بن كليب الشاشى (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) ، وبرهان الدين على بن ابى بكر المرغيلانـــى (٥١١–٥٩٣ هـ) ، وابو بكر محمد بن اسماعيل القفال الشاشى (٢٩١–٣٦٦ هـ) ، ومحمد طرغاى ميرزا ألوغ بك (١٣٩٤/٧٩٦–١٤٤٩/٨٥٣) ، وعلاء الدين على بن محمد قوشجى السمرقندى (١٤٠٤–١٤٧٤ م) ، واحمد يسوى (المتوفى سنة ١١٦٦ م) ، واحمد بن حنبل المروزى (١٦٤–٢٤١ هـ) ، وابو البركات عبد الله بن احمد النسفى (المتوفى سنة ٧٠١ هـ) ،

والقاضى زاده رومى (١٣٦٠–١٤٣٧ م) ، واحمد ابو العباس بن محمد بن كثير الفرغانى (المتوفى سنة ٨٦١ م) ، ويوسف بن محمد بن ابى يعقوب الخوارزمى السكاكى (١١٦٠–١٢٢٩ م) وابوعبد الله محمد بن يوسف الخوارزمى ، وسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (٧٢٢/١٣٢٢–٧٩٢/١٣٩٠) ، وألمعى مير جلال أغلى ملا فضل الله (١٨٥٠–١٨٩٥ م) ، وعبد الخالق بن عبد الجميل غجدوانى (المتوفى سنة ١١٧٩ م) ، وابو عبد الله محمد بن على الترمذى (المتوفى سنة ٨٦٨ هـ) ، وحافظ كوهكى (١٣٩٤–١٤٤٤ م) ، وابو العباس مستغفرى السمرقندى (المتوفى سنة ٤٣٢ هـ) .

ان كل هؤلاء العلماء الكرام والحكماء العظام ، كانوا من كبار من يجيدون معرفة القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبدأوا ارتقاء سلالم دراساتهم من هذا الينبوع الاسلامى الاساسى . وما خلفوه من تراث حضارى وروحى عظيم لم يفقد قيمته حتى ايامنا هذه .

كان الاسلام فى روسيا القيصرية دينا للشعوب المظلومة . فكانت تقطن تلك البلاد الشاسعة والمترامية الاطراف ، الامم والشعوب والقوميات المتعددة التى اعتنقت كل الديانات السماوية المنتشرة فى العالم ، ومع ذلك ، كانت فيها ديانة واحدة اعترفت بها الدولة كديانة رسمية ، هى المسيحية الارثوذكسية ، التى حرصت الدولة على رعايتها ودعمها ماليا . اما الديانات الاخرى بما فى ذلك الاسلام ، فكانت تلقى فى احسن الاحوال بعض التسامح . وفى حقيقة الامر ، كانت البلاد تشهد تسلط التمييز الدينى . فالرجل المسلم ، مثلا ، لم يكن فى وسعه حتى ان يحلم بان يتولى هو شخصيا ، او احد ابنائه منصب رئاسة معهد عال ، او مدير مصنع او معمل ، ناهيك عن مناصب الدولة .

والدولة السوفيتية قد ألغت هذا الوضع فور قيامها فى سنة ١٩١٧ . انها رأت فى كادحى الاطراف القومية ، وفى عشرات الملايين من المسلمين ، حلفاء لها فى كفاحها ضد استغلال الانسان للانسان ، وضد الامبريالية والاستعمار . وفى ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ ، اى بأقل من شهر بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، أعلنت الحكومة السوفيتية الاولى بزعامة لينين ، النداء الموجه خصيصا الى «كافة المسلمين الكادحين فى روسيا والشرق» . ان هذه الحكومة وقفت دون اى قيد او شرط الى جانب المسلمين الكادحين قائلة لهم : «ان اعتقاداتكم الدينية وعاداتكم ، ودوائركم القومية والثقافية تعلن من الآن فصاعدا

حرة وذات حرمة وسيادة . فدبروا حياتكم القومية بأنفسكم دون اية عواقب . فلكم الحق فى ذلك» .

واتخذت السلطة السوفيتية فى بدء نشاطاتها ، بعد ان قضت على استبداد القيصرية واستغلال الشعوب والديانات ، خطوات فعالة لتساوى حقوق جميع الاديان الموجودة فى بلادنا المتعددة القوميات . وفى ٢٣ يناير ١٩١٨ ، تم اتخاذ المرسوم المصيرى حول «فصل الكنيسة عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة» . وبذلك قضى على احتكار الدين الرسمى فى الدولة قضاء تاما .

وقد وفر والمرسوم الجديد لجميع المواطنين فى الدولة الجديدة المتعددة القوميات ، القدر الكامل من حرية الضمير . انه قد ألغى ومنع منعا قاطعا كل نوع من التمييز والتحريم فى الحقوق بسبب الدين . وعندما حلت سنة ١٩٢٢ ، ونشأ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، أصبحت المبادئ المصاغة فى المراسم المذكورة للسلطة السوفيتية ، أساسا للتشريع السوفيتى الخاص بالديانات والعبادات الدينية . فقد نصت المادة ٣٤ من الدستور السوفيتى ، ضمن ما نصت عليه ، على ما يلى : «ان المواطنين فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، متساوون امام القانون بغض النظر عن أصلهم ووضعهم الاجتماعى او الملكية وانتماءاتهم العرقية او القومية وجنسهم وتحصيلهم ولغتهم وموقفهم من الدين . . ومساواة المواطنين فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية مضمونة فى كافة مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية» . وعلى هذا النحو ، منع القانون مس مشاعر المؤمنين واذلالهم او اهانتهم . فقد وضع بجلاء ووضوح المساواة لجميع الديانات والمعتقدات الدينية .

ان عناية السلطة السوفيتية بالمسلمين تنعكس ، على سبيل المثال ، فى قصة مصحف عثمان . فبعد انتصار ثورة اكتوبر أسس فى مدينة بتروغراد مجلس المسلمين المحليين الذى بعث لزعيم الثورة لينين بطلب رسمى ، يتضمن رجاء بمساعدة المسلمين على استرجاع احدى مقدساتهم ، وهى نسخة من مصاحف الخليفة عثمان ، حرمهم منها النظام القيصرى وقتذاك . وفى ديسمبر عام ١٩١٧ أصدر فلاديمير ايليتش لينين فورا ، أمرا بأخذ هذه النسخة من مكتبة بتروغراد ونقلها الى الادارة الدينية للمسلمين فى مدينة أوفا ، حيث بقى حتى سنة ١٩٢٣ .

والى جانب ذلك أمر لينين ، بان يوضع تحت تصرف المسلمين ، أقدم الآثار المعمارية فى مدينة قازان ، المأذنة «سويومبكى» ، ومبنى جامع كروان سراى المشهور فى مدينة أوفا .

وبعد انتصار الثورة ، أسست فى مدينة طشقند جمعية للمسلمين . وتوجه أعضاؤها الى هيئات الدولة برجاء نقل مصحف عثمان اليهم ، اى الى آسيا الوسطى مكانه الاصلى . وفى يوم ٢٥ يوليو عام ١٩٢٣ ، صدر قرار من اللجنة التنفيذية المركزية العليا ، باعادة المصحف الى تركستان . وقد أوفدت «جمعية المسلمين» الى الادارة الدينية فى أوفا ، وفدا خاصا يضم سماحة المفتى ذاكر الدين أعلم ، رئيس الجمعية ، وعضو الجمعية محمد حاجى ، ورئيس لجنة الهندسة المعمارية قاسم خواجه . وقد خصصت لهم حافلة قطار خاصة ، لنقل النسخة المقدسة الى طشقند . ورافق الوفد فى طريق عودته ، العلماء الفقهاء التتر : القاضى رضا ، وعبد الله سليمان ، وعبد الرحمن زاده .

ولما وصل القرآن الكريم من أوفا ، عم الفرح المسلمين ، وتقدم شخص من أولئك الذين يحيطه الشعب بأعظم دلالات الاحترام والاكرام ، ودخل القاطرة ، ووضع النسخة على رأسه وحملها من القاطرة للجمهور الذى أقام اجتماعا حافلا مبتهجا .

وفى ١٨ اغسطس عام ١٩٢٣ ، أحيلت النسخة الشريفة الى مسجد «خواجه أحرار ، «حيث بقيت حتى سنة ١٩٤١ ، حتى اتخذ قرار بوضع هذا الكتاب المقدس فى متحف تاريخ شعوب أوزبكستان فى مدينة طشقند . وقد خصصت له خزانة من الفولاذ ، توفر أجود الظروف لحفظه سليما .

ان التشريع السوفيتى المتعلق بالعبادة وأداء الطقوس الدينية ضمن ، لاول مرة فى تاريخ بلاد متعددة القوميات مثل روسيا ، حق المؤمنين الحقيقى ، فى التلبية المشتركة لاحتياجاتهم الدينية ، وضمن لهم امكان الانتساب الطوعى الحر الى الفئات والطوائف الدينية . واتحادات المؤمنين التى نشأت على أساس مشروع ، تمنح حقا فى الممارسة الجماعية للطقوس الدينية ، واقامة الاجتماعات والمراسم لاداء الصلوات معا ، واستخدام وادارة دور العبادة والممتلكات اللازمة ، وجمع الصدقات الطوعية للانفاق عليها ، وانفاق اعتمادات مختلفة لتلبية المقتضيات المرتبطة باحتياجات المؤمنين الدينية . ان هذه الحقوق تتمتع بها حاليا بشكل واسع ، كافة الطوائف الدينية الاسلامية فى

بلادنا . ورجال الدين لا يلقون اية عقبات لممارسة كل الطقوس الدينية التى تفرضها الشريعة الاسلامية .

اما فيما يخص الاشراف على الحياة الدينية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، فتتولاه الادارات الدينية الاسلامية الاربع وهى : الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ومركزها فى مدينة طشقند ، والادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى للاتحاد السوفيتى وسيبيريا ومركزها فى مدينة أوفا ، والادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ومركزها فى مدينة محچقلعة ، والادارة الدينية لمسلمى القفقاس ومركزها فى مدينة باكو .

وتقوم الادارات الدينية الاسلامية بانتظام ، باصدار مايلزم لاشباع الاحتياجات الدينية من كتب ، ومن ضمنها القرآن الكريم (وهنا لابد من الاشارة الى ان هناك تقليدا نشأ وتطور فى بلادنا ، وهو ان تختلف كل طبعة للقرآن الكريم عن اختها شكلا) ، وكذلك التقاويم القمرية الاسلامية ، والمجلة الدورية الاسلامية «المسلمون فى الشرق السوفيتى» المنقولة الى ست لغات ، وغير ذلك من المطبوعات الدينية .

ويوجد فى طشقند حاليا المعهد الاسلامى ، الذى يحمل اسم الامام البخارى ، وفى مدينة بخارى توجد مدرسة «ميرعرب» . لقد اسست المدرسة فى سنة ١٩٤٥ ، ونشأ المعهد فى سنة ١٩٧٠ . ويقوم المعهد والمدرسة باعداد رجال الدين ذوى الكفاءة العالية والمتوسطة . وتشرف على اعمالهما وتسيير أمورهما ، الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان التى تأسست فى سنة ١٩٤٣ ، حين كانت الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الشعب السوفيتى ضد الغزاة النازيين ، قد بلغت أوجها .

وكان قد أسس وتولى رئاسة أكبر المراكز الدينية هذا فى بلادنا المرحوم المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان . وبعد وفاته فى سنة ١٩٥٧ اتفق مسلمو هذه المنطقة على تسليم زمام هذا المنصب العالى لابنه ومساعده الامين وتلميذه الوفى ، المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وقد بين الواقع ان الابن كان خير خلف لخير سلف ، وغدا باعماله من عداد رجال الدين والمجتمع المعاصرين البارزين .

ان الكتاب الذى يجده القارئ الكريم بين يديه ، يتحدث عن حياة هذا المجاهد المجيد فى سبيل الاسلام ، والمناضل الاصيل من اجل السلام والصداقة والعلاقات العادلة بين الشعوب . لقد اتخذ

القرار باصدار هذا الكتاب فى جلسة خاصة لمجلس الادارة الدينية . وقد عقدت الجلسة المذكورة بعد وفاة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى ديسمبر عام ١٩٨٢ ، واتخذت قرارا بتخليد ذكرى المفتى الراحل . وبموجب هذا القرار ، أطلق اسمه المجيد على احد الجوامع الجديدة المبنية فى عاصمة جمهورية اوزبكيستان مدينة طشقند ، وتمت اعمال التصليح والترميم فى الضريح الذى دفن فيه الى جانب ابيه . وهذا الضريح البهى يقع فى احد احياء طشقند القديمة المسمى «بمحل حضرة امام» ، بجوار ضريح القفال الشاشى العظيم .

وينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة فصول ، يتطرق الاول منها الىاهم نواحى حياة واعمال المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، ويتضمن الفصلان الثانى والثالث بعض كلماته وخطبه . فلسوف يتيح ذلك للذين كانوا يعرفون المفتى الراحل وسمعوا صوته الحى ، انعاش صورة شخصيته اللامعة فى ذاكرتهم . اما الذين لم يتسن لهم رؤية المفتى قيد الحياة ولابناء الاجيال الناشئة من المسلمين وذوى الارادة الطيبة ، فسوف يتيح لهم هذا الكتاب ، الاطلاع على التراث الفكرى الغنى الذى تركه بعد رحيله .

المؤلف

الفصـــــل الاول
حياة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخـــــان وأعماله
المدخل

لو حاولنا ان نميز ابرز الصفات ، التى تتحلى بها الشخصية ذات الطابع الغنى ، والتى وهبها الخالق الكريم للمفتى ضياء الدين خان بـن ايشان باباخان ، لبدأنا دون أدنى شك من السمات البديعة ، التى تتمثل فى الانسجام المدهش بين عقله وقلبه ، والتناســق العضوى بين كلماته واعماله . ان هذه السمات هى التى ساقته الى صف كبـــار الرجال المعاصرين له ، ووفرت له السمعة الطيبة كعلامة فى علوم الدين وكشخصية اجتماعية بارزة .

وقد تميز المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بمعرفتـــه العميقة لمراجع الاسلام ، وبآفاقه العلمية الواسعة . فقد درس بدقـة وعمق أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ونتاج كـــل المحدثين والفقهاء العظام . وكان طفلا حين حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، فاشتهر بمهارته فى التجويد ، ثم اكتسب المعرفة فى التفسير .

كانت ثقته غير محدودة فى مدى حكمة القرآن الكريم والسنـــة النبوية ، وفى عظمة القوة المبدعة والتجربة التى جمعها الاسلام على امتداد تاريخه ، الذى تجاوز ١٤٠٠ سنة . وكان يعتقد ان الاسلام قد برهن ، ومازال يبرهن انه دين لا يقوى عليه الزمن . بل أكثر من ذلك ، فان الزمن الذى يتطور فى حدوده وعلى امتداده التاريخ العالمى ، الذى تلقى حافزا جبارا منذ نزول القرآن الكريم على البشر ، ان هذا الزمن جـــاء شرطا رئيسيا ليدرك الناس أكثر وأعمق الابعاد اللامتناهية لأركانـــه الالهية .

ان القرآن الكريم والسنة النبوية ينبوعان رئيسيان يربيان المؤمنين ويدلانهم ، وفى طياتهما يمكن العثور على الردود الدالة لحل كل موقف او مشكلة تعترض سبيل الحياة وكل انسان مهما كان لون بشرته وقوميته ، واية كانت لغته ، او وضعه الاجتماعى ، او مهنتـــه ، او

عمره ، او جنسه . وليس المقصود هنا محاولات البحث فى المراجع الاسلامية الرئيسية ، عن اوصاف جاهزة تجد بشكل قاطع ومعنى واحد حلا آليا لهذه المشكلة او تلك . فحتى لو دققنا الارشادات الطبية والمراجع العامة ، لوجدنا انها لا تعطى اوصافا محددة وكاملة ، بقدر ما ترسم الاتجاهات التى لابد من السير عليها لتخطى هذه الصعوبة او تلك ، وللتغلب على هذا الداء او ذاك ، وعدم السماح لعودته ثانية . ولكن ، اذا كان هذا المبدأ قاعدة تقوم عليها كل المراجع الارشادية سواء أكانت طبية او حقوقية او اعلامية عامة متعلقة بهذا اللون او ذاك من نشاطات الانسان ذات حدود واضحة من حيث مواضيعها ومشاكلها ، فترى ماذا يمكن القول عن الارشادات الخالدة واللامتناهية الحدود ، ونقصد بها القرآن الكريم والسنة النبوية ، تلك الارشادات التى تضم كافة نواحى الوجود ، وتنير للانسان بنورها الوضاء درب حياته كلها ، وعلى الانسان ان يصحب هذا النور معه ، ويراقب كل أفكاره واعماله وتصرفاته . ولكن ، بقدر ما لا تستطيع العين المجردة ان تكشف انواعا عديدة من الاشعاعات الموجودة فى الطبيعة بشكل موضوعى ، يبقى النور الالهى بعيد المنال عن من لم يتسلح بمعرفة الحقيقة ، ولا يتطلع نحو اصولها العظيمة .

وسبق للمفتى ضياء الدين خان ، ان أشار غير مرة الى ان اعظم مهمة ناجمة عن هذا الواقع ، ومنتصبة امام المرشدين الروحيين الاسلاميين ، تكمن فى مساعدتهم على كسب معرفة الحق ، وتوجيههم توجيها سليما فى حياتهم الشخصية والاجتماعية ، عاملين على الوصول الى الاتباع السليم لنص القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن المعلوم ان الدور الكبير فى مجال هذا النشاط التثقيفى الاسلامى بين اوساط الجماهير الشعبية ، يعود اليوم كما كان فيما مضى للفتاوى ، اى الاستنتاجات التحليلية التى يستخلصها المفتى ، كالسمعة الدينية العليا ، حول تطابق او عدم تطابق هذه الاعمال او تلك ، وهذه الظواهر او تلك ، لتعاليم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية . وكان المفتى ضياء الدين خان يلجأ الى هذه الوسيلة الفعالة ، لمحاربة رواسب الماضى الضارة ، والخرافات والآراء الباطلة ، التى كان المسلمون الحقيقيون يدينونها دوما .

ان فتاوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، تأتى قدوة

للذود عن نقاوة تعاليم الدين الاسلامى ، من كل التشويهات او ادنى الانحرافات . اذ انه كان يعتقد ، ان ليس فى تعاليم الاسلام ما هو ثانوى ، فتجربة الاسلام على امتداد القرون تشهد ان انحرافا ما ضئيلا كان او بسيطا ، اذا لم يصحح فى وقته ، فانه قد يتحول الى مرض اجتماعى عضال .

اما الفصل الثالث فيتضمن عددا من فتاوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وتلاميذه * الهادفة الى محاربة بعض العادات الباقية فى مختلف اقاليم بلادنا منذ العهود القديمة جدا ، قبل الاسلامية والوثنية . وهنا لا بد من ملاحظة ان هذه الرواسب الوثنية ، التى ورثناها عن الماضى البعيد ، لاتدل بذاتها اطلاقا على ضعف نسبى لرسوخ الاسلام فى أرضنا . وانما هذه الرواسب تشبه الزؤان العنيد والصامد ، الذى لا يجوز الاستراحة عن محاربته ولو يوما واحدا . وهذه الطريقة وحدها ، قادرة على المحافظة على معظم الحقل المزروع من الآفات .

ان الموهبة الفقهية التى تحلى بها المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، قد انكشفت بشكل رائع ، فيما ألقاه على المؤمنين فى المساجد وفى مختلف المؤتمرات والندوات من مواعظ وكلمات وتقارير . وجميع من أتيح له الانصات الى كلمته الملتهبة ، أجمعوا على الرأى بانه كان يجذب الجمهور بنضارة وأصالة الفكرة ، والاستنتاجات الخالية عن انصاف الحلول ، وتغطية الموضوع بشكل كامل لا يترك مكانا للبس ، والاستشهاد الدقيق والمناسب بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال مشاهير اعلام الاسلام .

لقد كان يرد الى الادارة الدينية عدد كبير من الرسائل ، يطلب فيها مرسلوها من المؤمنين شرح مختلف المسائل . وكان المفتى ضياء الدين خان ، كرئيس للادارة ، يجد دائما متسعا من الوقت للاطلاع على هذه الرسائل ، والرد على ما فيها من أسئلة ، اما برسالة يكتبها بنفسه ،

---

* ان القادة المعاصرين للمسلمين فى كل المناطق السوفيتية الاربع تلقوا علومهم على المفتى ضياء الدين بن ايشان باباخان ، وهذه اسماؤهم : المفتى طلعت تاج الدين ، رئيس الادارة الدينية للمسلمين فى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، والمفتى محمود حقى ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ، وشيخ الاسلام الله شكر باشا زاده ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى القفقاس ، وكذلك كاتب هذه السطور .

واما على صفحات مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» ، اذا كان يعتقد ان الموضوع يهم كل الشعب . وهكذا خصصت المجلة ركنا عنوانه «أسئلة وأجوبة» أحبه جمهور القراء كثيرا . وكان رحمه الله ، يعالج المسائل التى يتطرق اليها المسلمون ، معالجة عميقة وموجزة .

ان أحكام واستنتاجات المفتى ، كانت قائمة على الاسنادات الامينة ، والوثائق المحمدية ، وعلى المعرفة الجيدة بحياة اخوته فى الدين ، ولذلك كانت تغنى عالم جميع المسلمين روحيا .

وجميع الذين عرفوا المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، وتقابلوا معه ، علقوا فى ذاكرتهم صورة شخصيته كخطيب مفوه ، وداعية عظيم للاسلام . لم يبق احد ممن لم يتأثر بكلامه الممتلىء حياة وصورا وروعة . ولما كان يخطب من على المنابر ، ويتحدث مع الناس ، كان ماهرا ومتقنا فى الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والامثال الشعبية ، والحكايات ، وكثيرا ما كان يلون كلامه باقوال هذا او ذاك من الفقهاء والعلماء والادباء والشعراء . كانت كلمة المفتى ضياء الدين خان الملتهبة ، تنطلق من قرارة نفسه العظيمة ، وتجد طريقها بلا شك الى قلوب من يخاطبهم . وفى اثناء القاء الكلمة حتى فى اكبر المؤتمرات العالمية واشدها مسؤولية واهمية ، كان المفتى يلجأ الى مذكرات موجزة ، او موضوعات مفردة ، ويرتجل كثيرا ، مما كان يؤثر فى الجمهور المنصت اليه اشد تأثير . وكانت كل كلمة من كلماته مبررة دوما ادق التبرير ، وتتضمن معلومات تبين الموضوع المناقش اجود تبيين . وقد اعترف من أنصتوا اليه بان خطابه كان يتوغل فى قلوبم ويجعلهم يتفاعلون معه بحيوية .

اما الفصل الثانى والفصل الثالث ، فيتضمنان النماذج الحسنة لفن البلاغة ، التى كان يمتلكها المفتى ضياء الدين خان . وهذه النماذج عبارة عن مواعظ ألقاها على المسلمين ، وخطب وكلمات خاطب بها الجمهور فى مختلف المناسبات ، وعالج فيها مختلف مشاكل عصره . وهنا نجد مناسبا ان نذكر القارئ الكريم ، بان تسجيل الكلمة التى ألقيت مهما كان دقيقا ورفيعا ، لايستطيع أبدا ، ان ينقل مدى غنى النبرات التى تتموج بها ، والتى تحمل فى كثير من الاحيان المعنى التأثيرى الحاسم فى الذين وجهت اليهم هذه الكلمة . ان المستمعين فى آسيا الوسطى وقازاخستان وحوض نهر الفولجا والقفقاس ، قد سمعوا المفتى يكلمهم بلغات سكان هذه المناطق الاصليين ، اذ انه كان يجيد هذه

اللغات . وفى اللقاءات الدولية ، كانت كلمته الملتهبة تدوى باللغة العربية ، التى أصبحت لغة عمل فى هيئة الامم المتحدة ، والعديد من الهيئات الدولية الاجتماعية ، امثال منظمة تضامن بلدان آسيا وافريقيا ومجلس السلام العالمى وغيرهما .

ان مشاركة المفتى ضياء الدين خان فى هذه الهيئات كانت تتحقق انطلاقا من موقفه كمسلم وكمواطن سوفيتى حيث رفعت العمل من اجل السلام الى مستوى السياسة الحكومية ، التى تحظى بدعم غير محدود من قبل كافة ابناء الشعب السوفيتى . ويعمل المسلمون السوفييت بنشاط وفعالية ، من اجل انتصار السلم الوطيد ، ومن اجل نزع السلاح ، وفى سبيل اقامة العلاقات العادلة بين الشعوب . ومساهمة المفتى ضياء الدين خان الشخصية ، فى حركة انصار السلام العامة ، وفى حركة التضامن مع الشعوب التى تكافح الاستعمار والامبريالية ، قد كوفئت بانتخابه الى عضوية الهيئات القيادية لمجلس السلام العالمى ، ومنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ، وغيرهما من الهيئات الاجتماعية ، كما انه منح الكثير من اوسمة وميداليات الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان .

كان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رجلا مثقفا ثقافة واسعة ، يحب المطالعة والشعر . وبجوار المؤلفات فى الفقه الاسلامى كانت على مكتبه الداوين الشعراء امثال بابر ونوائى وحافظ وجامى . وفى لحظات الاستراحة من العمل الدائم ، كان يمسك بيده القلم ، واذا بالرباعيات والغزليات المتميزة بالذوق الرفيع والتفكير الفلسفى الشعرى العميق ، ترتسم على الورق . إلا ان هذه الهواية ، لم يكن على علم بها إلا أقرباء المفتى . والارشيف الذى يتضمن مؤلفاته فى الفقه الاسلامى ، والمقالات ونصوص الخطابات ، يحتوى ايضا على عدد من دفاتر شعره . وحين تتصفحها تشعر وكأنك تسمع صوت هذا الرجل المتفائل ، وتحس بفرح يفاجئك ، وانت تكشف جوانب جديدة جذابة من شخصية غنية الروح غنى مدهشا .

وظل المفتى ضياء الدين خان طوال حياته ، يجمع الكتب ويكرس اوقات فراغه للمطالعة . كما انه كان يقضى اوقاته فى الترجمة من اللغة العربية ، المؤلفات العلمية والادبية للعلماء والفقهاء المعروفين فى آسيا الوسطى .

وهكذا فان المفتى ضياء الدين خان قد انشغل فى السنوات الاخيرة من حياته ، بترجمة مؤلفات ابى على بن سينا العلامة العظيم ذى

الافق المعجمى . وقد سمع أهل المفتى واقرباؤه أنه كان يقول ان هذا النوع من العمل يحمل له متعة روحية كبرى ، ويغنى عقله وروحه لاقصى حد . كان المرحوم يترجم مؤلفات ابن سينا الى اللغتين ، الاوزبكية والروسية فى آن ، حاسبا بذلك ان يشرك فى معرفة تراث هذا المفكر العظيم لكل الازمان والشعوب ، عددا أكبر من معاصريه ، سواء أكانوا مسلمين ام مواطنين ، يستخدمون اللغة الروسية وسيلة عامة للتخاطب بين الامم والشعوب . وللاسف الكبير لم يستطع ان ينجز من الترجمة إلاجزاء قليلا وهو كتاب «دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية» لابن سينا ، وقد صدر فى شكل كتاب خاص وغدا كتابا محببا بالنسبة للعديد من الناس ، الراغبين فى الاطلاع الملموس على تراثه العلمى . وترجمة كتاب آخر لابن سينا بقيت غير مكملة على مكتب المفتى الفقيد .

ان صورة هذا الرجل ، الذى جمع فى شخصيته صفات العلامة البحاثة ورجل الدين والمجتمع والخطيب والشاعر ، بقيت منقوشة فى سجل ذاكرتى . هكذا كان أبى . وصورته هذه بقيت كذلك فى ذاكرة كل من عرفه حق المعرفة ، واختلط به كثيرا ، وظل على اواصر الصداقة المتينة معه . هنا تدعونى الضرورة الى القول ان فكرة تأليف هذا الكتاب ، الذى بين يديك الآن ايها القارئ العزيز ، انطلقت من زملاء وأصدقاء المفتى ضياء الدين خان فى الاتحاد السوفيتى وخارجه ، وألحوا على ضرورة تخليد ذكراه .

ويتضمن الباب العاشر من هذا الكتاب ، شهادات بعض هؤلاء الناس عن هذا المجاهد العظيم فى سبيل الاسلام والمناضل البارز من اجل السلام والصداقة والعلاقات العادلة بين الشعوب . وكل من يعتز بذكراه نكن له شكر الابن وامتنانه .

البـــــاب الاول

النشأة

محلة «حضرة الامام» . منزل الاجداد المصونين . الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان . ولادة ابنه ضياء الدين خان . سنوات الطفولة والاساتذة الاوائل . «شامى داملا» . الفقيه الشاب .

محلة «حضرة الامام» فى طشقند ، أطلق الناس هذا الاسم على احدى اقدم الاماكن فى العاصمة الاوزبكية منذ قديم الزمان ، اى منذ ان عاد بعد اسفار طويلة على طول وعرض البلاد العربية الى بلدة الشاش ، الامام القفال الشاشى ، العلامة والفقيه الاسلامى المشهور الذى منح لقب الكبير وهو فى قيد الحياة . وهنا فى هذه البلدة ، كان قد أنهى درب حياته المجيدة ودفن هنا ، وأقيم فوق قبره ضريـــح أطلق عليـــه المواطنون وعلى المنطقة كلها اسم هذا الامام الكبير . ومع مرور الزمن نشأ حول الضريح حى سكنى كبير اسمه محلة «حضرة الامام» فقد أراد الناس ان يسكنوا بالقرب من مكان ذكراه الخالدة ، حريصين بذلك على التيمن بجواره ، والتماس رحمة الله وبركاته . *

وفى القرون الوسطى ، كان ضريح القفال الشاشى الكبير ، يشهد عددا غير قليل من العلماء الكبار ، يقيمون منازلهم بجواره ، ولا سيما اتباع الصوفـــى المشهور بهاء الدين النقشبندى البخارى (١٣١٤–١٣٨٩ م) امثال نظام الدين خاموش ، وتلميـــذه خواجه احرار ولى وغيرهما . وذاع صيت محلة «حضرة الامام» لما فيها من قراء القرآن

---

* اقرأ التفاصيل عن سيرة وتراث الامام القفال الشاشى الكبير فى الفصل الثالث ، فى «موعظة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول مولد وقصة الامام القفال الشاشى وسورة الفيل «ألقاها فى معهد الامام البخارى الاسلامـــى بطشقند ، سنة ١٩٧٨ .

الكريم ، والمفسرين والمحدثين والفقهاء . وكان يتدفق الى تلك الاماكن المباركة ، سيل غير متناه ممن رغبوا فى الشرب من ينبوع المعرفة والحكمة ، معلقين آمالا طيبة ومكنونـــة فى الادراك الاعمق والاصح لمضمون القرآن الكريم ، ومعنى سنة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وروح التقاليد الاسلامية البديعة الممتدة عبر القرون مازالت باقية هنا حتى أيامنا هذه .

وبجوار مقبرة القفال الكبير ، فى آخر احد الشوارع ، يوجد بيت سكن فيه فى يوم من الايام الاسلاف الاماجد للمفتى ضياء الدين خان ابن ايشان باباخان . وقد ولد فى هذا البيت . وكان جميـــــع سكان طشقند ، ولاسيما اولئك الذين تطلعوا نحو تعميق معارفهم الدينية ، وتقوية قواهم الروحية ، كانوا يعرفون جيدا هذا البيت المبارك وأمثاله من البيوت الموجودة فى محلة «حضرة الامام» . وأبواب هذا البيت كانت دوما تنفتح امام الضيف ، الذى كان يدعى فى بادئ الامر ، حسب العادة ، الى الدخول ثم يقدم له الشاى والماكولات ، وبعد ذلك يسأل من هو ولأى غرض وصل ؟ وكان يسود هذا البيت دائما وباستقامة نمط الحياة التى أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعند حلول امسيات الشتاء الطويلة ، عندما كانت اعمال الحصاد قد طواها الزمن ، كان أهالى المحلـــــة يؤمون هذا البيت سعيا وراء الاستزادة من نور المعرفة ، او لتلبيـــــة حاجتهم الى الكلمة الطيبـــــة المخلصة ، او الى نصيحة حكيمة . وبالامور الصالحة التقية كانوا يملأون اوقات فراغهم بعد العمل والجهد الجهيد من اجل كسب قوت يومهم ، واما أصحاب البيت المضيافون فلم يكن حسابهم الا ان ينالوا رضى الله سبحانه وتعالى .

بيت الاسلاف الامجاد
الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان

ان والد ضياء الدين خان المبارك الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، كان ينسب نفسه الى اتباع الطريقة النقشبندية الصوفية ، حيث نشأ فى اوساط الحنفيين فى آسيا الوسطى ، وكان له أثر كبير فى العديد من أقطار الشرق . كان أتباع تعاليم بهاء الدين النقشبندى

البخارى ، مؤسس هذه الطريقة ، الكثير من الرجال البارزين فى منطقة آسيا الوسطى ، ينسبون أنفسهم اليها ، ونذكر منهم على سبيل المثال الشاعر الفارسى الطاجيكى الجامى(١٤١٤-١٤٩٢ م) ، والشاعر الاوزبكى العظيم على شير نوائى (١٤٤١-١٥٠١ م) ، وكان مذهب بهاء الدين النقشبندى يسرى ضمن مجرى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكان يجذب الاتباع الكثيرين بالدعوة الى الحياة الدنيوية المتدفقة ، والى الاجتهاد الاخلاص فى كافة مجالات نشاط الانسان الاجتماعى المفيد سواء أكان فى الزراعة ام فى الحرف ام فى التجارة ام فى خدمة الدولة .

كان الشيخ ايشان باباخان يجيد معرفة القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكان قلبه يخفق أملا بان يكون بين اولاده من سيكرس نفسه لقضية الدين ، ويغدو داعيا للاسلام من اجل المستقبل . ولم يكن هذا الامل من باب الصدفة ، فأسلاف ايشان باباخان ايضا كانوا شخصيات دينية معروفة . فجده أيوب خان بن يونس خان ، كان فقيها معروفا ذا سمعة ونفوذ ، وظل مدة طويلة يعطى الدروس فى مدرسة «موى مبارك» ومنح لقب شيخ الاسلام الفخرى . ووالده عبد الله بن برهان ايشان كان ايضا يعطى الدروس فى ذات المدرسة ، بعد ان أنهى دراساته فى مدينة بخارى ، وتلقى العلوم على أيدى مشاهير العلماء أمثال الامام بعثى ، والامام سعيد المدنى .

اما فيما يخص الشيخ ايشان باباخان فقد تلقى تحصيلا عاليا . وكان تلميذا فى مدرسة «ميرعرب» بمدينة بخارى ، يتلقى العلوم على يد العلامة المشهور الاستاذ داملا اكرامجه وغيره . وكان صاحب عقل نادر الوجود يدفعه الى ما فى باله من علوم أينما كان وحيثما وجد ، ولا يرى أى ذل أو ما دون مقامه ، اذا بحث عن رد على ما يهمه من سؤال عند الشباب ، او حتى عند الاشخاص الذين كانت معارفهم الدينية وتجربتهم فى الحياة أدنى مما لديه . وكان مثلا ، اذا بلغه ان فلانا لديه كتاب نادر فى الدين ، ترك الشيخ ايشان باباخان كل أموره الدنيوية ، وهرع اليه ليطالع الكتاب ، ويستخرج منه الأجوبة عن الأسئلة الناجمة عن المواضيع المعقدة التى تضمها التعاليم الاسلامية ، او الفقة ، او التفسير ، او الحديث ، او النحو ، او التجويد وغيرها الكثير من مختلف فروع العلوم الاسلامية . وهذا ما يفسر مدى النفوذ الذى كان يحيط ببيته هو ، فكان منزلا يسكنه عالم يؤم اليه ويلتف حوله السائرون وراء المعرفة والتجربة الحياتية .

وفى الفترة ما بين سنة ١٩٤٣ و١٩٥٧ كان المفتى الشيخ ايشان باباخان يدعو خيرة العلماء الفقهاء من كل انحاء آسيا الوسطى لزيارة طشقند ، حتى يتسنى له مناقشتهم فى مختلف المسائل الدينية ، سواء أكانت على قدر كبير او صغير من الاهمية . وكان هو بدوره يحب الاسفار ، ويسافر كثيرا . فذات يوم قام برحلة مطولة الى مدن وادى فرغانة المشهورة بعلمائها من المفسرين والمحدثين والفقهاء والخبراء فى الفروع العلمية الاسلامية الاخرى منذ القدم . وأينما حل وحيثما أقام كان سخيا فى اغناء كنوزه الروحية والعلمية ، وتبادل الحكمة مع من يجتمع اليهم ، ومن كان يكن له أعظم احترام وأوفى محبة لما يتحلى به من معارف معجمية ، ومجاهدة دينية لامتناهية وتقوى نادرة الوجود . هذه هى صورة شخصية لايشان باباخان رحمة الله عليه .

وقد شاءت الاقدار ان تنجب اسرته الورعة ولدا دعى بضياء الدين . وقد كتب له ان يتحقق فيه حلم ابيه ، فيصبح كبار علماء الدين الاسلامى فى عصره .

كان الشيخ ايشان باباخان قبل انتخابه مفتيا لمنطقة آسيا الوسطى وقازاخستان اماما خطيبا فى مسجد «موى مبارك» بطشقند ، مما أتاح للصغير ضياء الدين فرصا عديدة يشاهد فيها والده يعطى الدروس فى تلاوة القرآن الكريم ، ويرى تلاميذه يكررون من بعده ما حفظوه من آيات القرآن الكريم . وكان ذلك قد ساهم كثيرا فى ايقاظه حب الدين فى نفسه مبكرا . وبطبيعة الحال كان قد تلقى من والده الآيات القرآنية الاولى والسور القصيرة وحفظها غيبا . وكذلك والدته السيدة سلامة خان التقية الورعة ، فقد كانت تربى ولدها بحب القرآن الكريم .

وكان الشيخ ايشان باباخان ، لما شاهد تدين ولده المخلص ، واقتنع برغبته الخالصة الصادقة فى تطوير معارفه الدينية ، أرسله للدراسة الى الاستاذ حكيم قارئ داملا ، الذى ذاع صيته كقارئ بارع للقرآن الكريم لا مثيل له . وتلقى منه الصغير ضياء الدين دروسه الاولى فى التجويد ، اى فى القواعد الدقيقة لتلاوة القرآن الكريم .

كان الاستاذ حكيم قارئ رجلا ذا نفس جميلة وطبيعة ناعمة أنيسة . وهذه المزايا كانت تجذب الاطفال اليه . وبطبيعة الحال تعلق الصغير ضياء الدين بهذا الاستاذ الحنون الطيب وكان يتلو صباح كل يوم الآيات القرآنية التى وجب عليه حفظها ، ثم يقيم صلاة الفجر ،

فيذهب الى أستاذه المفضل الى مسجد «طلا شيخ» . ان الجزء الاكبر من القرآن الكريم قد درسه الشاب ضياء الدين على يديه .

كان الاستاذ يقتات بما قدمه له والده وتلاميذه . وفى كل يوم خميس كان يتلقى الطعام من الاسر الشاكرة له على عمله وجهوده المضنية المباركة . كما ان الوالدين المبتهجين كانوا يكافئونه كلما أنجز اولادهم حفظ جزء من اجزاء القرآن الكريم . وسرعان ما حفظ ضياء الدين ، الجزء الاكبر من القرآن الكريم ، فقد تميز عن أنداده بالغيرة الدينية الخاصة ، والقدرات التى أكسبته عطفا كبيرا من قبل معلمه وكل من حوله .

كما ان الشيخ ضياء الدين خان ، مدين بمعارفه الاولى فى الدين بقدر كبير ، لغياث قارئ بن المعلم حكيم قارئ . وكان غياث قارئ أكثر شدة مع تلاميذه من والده ويطلب منهم أكثر . ولربما مرد ذلك الى كونه يعلم ويربى اطفالا أكبر سنا من والده الكريم . وكانت شدة طلباته تزداد لا سيما فى ايام الجمعة ، اى فى يوم العطلة الاسلامى التقليدى . وبانتباه وحرص يفوقان العادة ، كان يتفحص تلاميذه بنظرته ، ليعرف ما اذا كانت ملابسهم نظيفة ، ووجوههم مغسولة واحذيتهم نظيفة . وكان الاطفال يحترمون جدا هذا الانسان الفاضل ، ويحتفظون فى قلوبهم بالشكر والامتنان نحوه مدى حياتهم لجهوده الكريمة النزيهة من اجل تربية الاجيال الناشئة من المسلمين ، كى يكونوا صالحين لخدمة دينهم الحنيف .

ان الشيخ ضياء الدين خان مدين كذلك بالثقافة الروحية التى تلقاها فى طفولته للعالم الفقيه المعروف بهادرخان مخدوم الذى كان وقتذاك استاذا لوالده ايضا .

وحين أكمل ضياء الدين خان سن الثانية عشرة ، أنهى حفظ القرآن الكريم غيبا . وكانت تلك اللحظة من ابهج اللحظات فى حياته وفى حياة والديه المحبين .

وحلت فترة مسؤولة ، هى فترة الانتقال الى مرحلة جديدة لامتلاك حكم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .. وفى سنة ١٩٢٠ ، ينتسب الشاب ضياء الدين خان الى مدرسة «كوكالداش» بطشقند ، وفى نفس الوقت يأخذ الدروس من استاذ مدرسة «برق خان» الشيخ علاء الدين خان مخدوم . كان برنامج الدراسة الابتدائية فى مدرسة كوكالداش ، يضم فى تلك السنوات بالدرجة الاولى ، دراسة الكتب

المتعلقة بالحديث مثل كتاب «مشكاة المصابيح» للخطيب الطبريزى المحبوب جدا فى آسيا الوسطى ، والكتب المتعلقة بالتفسير مثل «الجلالين» لجلال الدين بن احمد المحلى وجلال الدين محمد عبد الرحمن ابن ابى بكر السيوطى ، وهما من اشهر المفسرين .

وفى العشرينات وصل الى طشقند قادما من الشام ، العلامة البارز فى الفقه الاسلامى الشيخ محمد بن سعيد بن عبد الواحد العسلى الشامى الطرابلسى ، الذى عرف فى منطقتنا آسيا الوسطى بلقب شامى داملا (اى المعلم من الشام) . وتحت اشرافه بدأ ينبعث عندنا تقليد الدراسات العميقة للتراث الواسع الذى خلفه مواطننا العظيم ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، ولاسيما «الجامع الصحيح» الذى دأب على تأليفه حياته كلها .

ولقد استطاع المعلم شامى داملا ، الممتلئ بمحبة غير محدودة بشخصية الامام البخارى الكريمة واعماله النفيسة ، ان ينقل بأكمل قدر احساساته هذه لتلاميذه الكثار ، الذين كان يميز من بينهم الشاب ضياء الدين خان ، لتطلعه الحار فى التوغل الى أعماق علم الحديث ، وكان هذا الشاب نتيجة تعلمه الممتاز على ايدى والده ومرشديه الاوائل ، يتميز عن بقية التلامذة فى تبنى المعانى العميقة للاحاديث التى جمعها العلامة البارز الامام البخارى .

ولا بد هنا ان نعترف بملئ الاسف بان الحكام الرجعيين فى امارة بخارى ، قد بذلوا قصارى جهدهم لجعل التراث الروحى القيم الذى خلفه مواطننا العظيم البخارى طى النسيان . فقد استخدموا كل الطرق والاساليب لمحو صورة هذه الشخصية – البارزة الصافية النزيهة فى خدمتها للحق والمعرفة ، من ذاكرة الاجيال المتعاقبة . لم يكونوا يريدون ان يغفروا له رفضه القاطع ان ينزل مكانة العلم امام امير بخارى خالد بن احمد الذهلى . وكانوا بمساعدة حاسديه من بيئة الفقهاء يلوثون اسمه الكريم ، ويخفضون مستوى منزلته العلمية . ونتيجة لتلك الجهود المنافقة ، وصل الامر الى خلو بخارى والاماكن الكثيرة الاخرى من منطقتنا بآسيا الوسطى الا القلائل من الفقهاء المحليين ، ناهيك عن المؤمنين من الجماهير الشعبية الواسعة ، ممن كانوا يفهمون المعانى العميقة التى يتضمنها كتاب «صحيح البخارى» العظيم ، الذى جمع على صفحاته اصدق سيرة حياة وأحاديث وأعمال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ووجد وتقذاك فى اوساط فقهائنا ، من كانوا

يعتبرون هذا الكتاب الاسلامى الثانى من حيث اهميته بعد القرآن الكريم خراوجا على الدين .

هكذا كانت الاوضاع التى بدأ فى جوها المعلم «شامى داملا» جهاده النبيل ، وهو يكشف لأتباعه المعنى الحقيقى الخالد للمأثرة التى سجلها الامام البخارى ، كعالم وكمواطن لما جمع وحافظ من اجل الاجيال القادمة على أكمل واصدق وجه لاحاديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وقد وجد المعلم «شامى داملا» فى شخصية تلاميذه أمثال الشاب ضياء الدين خان ، اتباعا أوفياء يواصلون قضية حياته التى رأى المعنى الاسمى لها ، فى رفع شأن الامام البخارى العظيم ، ليخدم تراثه القيم الدين الاسلامى فى عصرنا .

الفقيه الشاب

كان ضياء الدين خان فى اثناء دراسة مؤلفات الامام البخارى يبذل جهدا والحاحا من نوع خاص ، مما أدى به الى نتائج مذهلة بالنسبة لسنه . وبهذه المناسبة اذكر هنا قصـــة رواها لى احد المدرسين الافاضل فى اوزبكستان ، شاه اكرام قارئ بن الفقيـــه المعروف والخطاط المشهور شاه اسلام آخوند بن شاه محمد داملا ، الذى شاهد ذات يوم حدثا طريفا :

كان الشيخ ايشان باباخان والد ضياء الدين خان ، صديقـــا للمعلم شامى داملا ، يزوره فى بيته ويدعوه لزيارة بيته هو . وكانت لقاءات الصديقين تتحول فى اغلب الاحيان الى مجادلات جدية فى شؤون الدين ، يشترك فيهـــا أصدقاؤهما المقربين والانصار . وقد ساقت الاقدار بالشاب ضياء الدين خان ، لحضور احد هذه اللقاءات وقد أبقاه المعلم شامى داملا عنده فى البيت بعد انتهاء الدروس . ولما اجتمع الفقهاء ، وقدم لهم الشاى ذو النكهة الطيبة بدأ الحوار ، واذا بالمعلم شامى داملا يهمس باذن الشاب ضياء الدين خان قائلا : «إئتنـــا من فضلك بـ«صحيح البخارى» و ارجو ان تقرأه لنـــا وتفسر ما ستقرأ» فارتبك الشاب وألقى الى والده نظرة تردد . فالموقف لم يكن هينا ، اذ ان مشاركة الفقيه الشاب فى حديث العلماء الكرام ذوى السمعة والشأن ، فى دور مستمـــع بسيط كانت وحدها حدثا كبيرا ، واذا

بالمعلم شامى داملا يطلب منه ان يقرأ بصوت عال ويفسر مؤلف الامام البخارى العظيم . ووجه الحاضرون نظرات الفضول والانفعال الى الوالد والابن . لكن الشيخ ايشان باباخان لم يظهر ارتباكه مما حدث ، وانما نظر الى ولده فى هدوء وقال له بصوت لا يبدو عليه تأثير الانفعال : «افعل ما يقوله لك المعلم» . وانطلق ضياء الدين خان يتلو الكتاب ، وقد زال ارتباكه . فسرعان ما خيم الاهتمام والمتعة على الحفل الكريم ، وبدأ الجميع ينصت الى الفقيه الشاب ، الذى هزهم بتلاوته الرائعة ، وتفسيره العميق العاقل لما تلاه . ولما انتهى ، كان اول من قام نحوه هو الشيخ ايشان باباخان ، وقد ترقرقت الدموع فى عينيه ، فهرع الى المعلم شامى داملا الذى اندفع هو ايضا نحو صديقه . وقال الشيخ ايشان باباخان بصوت مرتجف : «الحمد لله تعالى ، لقد عشت ورأيت هذا اليوم السعيد . لقد جعلت من ولدى يا معلم شامى داملا ، فقيها اصيلا . وانا ارجو الله ان يحيطكم ببركاته . «فتعانق الصديقان بحرارة . وكل من حضر هذا المشهد تأثر ودممت عيناه فرحا وانفعالا .

كما ان الشاب ضياء الدين خان ، كان يتلقى العلوم على أيدى الفقهاء الآخرين امثال : جمال خواجه داملا ، وحسن حضرة . والاول منهما اعطاه دروسا فى الحديث الشريف ، والثانى علّمه التفسير . لكن المحبة والامتنان بشعور خاصة ، ظلا فى قلب ضياء الدين خان مدى عمره يهفو نحو المعلم الشيخ الطرابلسى شامى داملا ، الذى اعتبره استاذه الاول ومرشده الاول . فبفضل اخلاص رجل الاسلام هذا ، الحريص على امره ، وبفضل معرفته الممتازة للمراجع الدينية والمؤلفات العلمية ، وبفضل موهبته التربوية كذلك ، تفتحت كما يتفتح برعم وردة ، قدرات ضياء الدين خان الخارقة ، فاستطاع هذا المعلم الحكيم والبعيد النظر ، ان يحس بالشأن الرفيع الذى كتب لتلميذه . وكان الشيخ ضياء الدين خان يعتز بالشهادة التى كتبها المعلم الشيخ شامى داملا بيده اكثر من اية شهادة اخرى تلقاها طول حياته الطويلة المتعددة المواهب (انظر ملحق الصور الفوتوغرافية) .

لم يمض اكثر من بضع سنوات على اللقاء المذكور فى بيت المعلم شامى داملا ، حتى صار العديد من العلماء والشيوخ يذكرون بنبرة من الاعجاب اسم القارئ الشاب ، مشيرين الى معرفته الرفيعة بالقرآن الكريم ، وقدرته على التعليق على آياته . الا ان النجاح لم يدوخ الشاب ، بل بقى يتطلع نحو ترقية مستوى علومه ، ووضع نصب

عينيه مهمة بعث المعرفة السابقة لاحاديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فى منطقة آسيا الوسطى وقازاخستان . وجاهد من اجل ذلك فى ان يوسّع متاعه العلمى ، ويطالع كثيرا ولم يتضايق من التشاور حول ما يهمه من المسائل مع اشخاص مختصين . وكان يتحدث اينما وجد وحيثما حل ، عن الاهمية الخالدة لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومما لا شك فيه ان هذا العمل الدؤوب كان قد ضاعف من قدرات وصفات هذا الشاب ، الذى فطر عليها والتى جعلته بحاثة ومنظما فى آن واحد ، وقد اسفر ذلك عن نتائج باهرة . فبدأ رأى العلامة الشاب ضياء الدين خان يزداد وزنا وشأنـــا ، وبدأ زملاؤه الانداد يلتفون حوله ، واذا به يبادر بالدعوة الى عقد اجتماعات العلماء الشبان مرتين فى كل شهر ، ثم المرة الثالثة فى بيته هو . والموضوع الاساسى الذى دارت حوله كل المناقشات والمحادثات كان تفسير الحديث النبوى الشريف ، مما جعل الناس يطلقون عليهم وقتذاك تسمية تناسبهم جدا وهى «اهل الحديث» . ثم بدأ ينتسب ليس الى الفقهاء الشبان فحسب ، وانما الى الفقهاء الكبار والمعروفين امثال : عبد الغفور مخدوم ، ويعقوب جان مخدوم ، وغنى قارى ، والملا عثمان وغيرهم . وهؤلاء المشاركون فى الاجتماعات ، التى عقدت فى بيت ضياء الدين خان ابن ايشان باباخان ، يتذكرون جو الحماس والانفعال ، الذى كان يسود محافل «اهل الحديث» ، التى لعبت دورا غير قليل فى انبعاث تقاليد الاهتمام العميق ، نحو احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كل ارجاء منطقتنا . وكان محور هذه الاجتماعات وروحها ومنظمها الماهر ، ممثل الجيل الجديد للاسرة المجيدة العريقة ، الفقيه الشاب ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وكلمته المسموعة المتزايدة نفوذا وتأثيرا لم يكن يسندها نبـــل المنشأ وحده ، وانما العمل والاصرار للوصول الى الهدف ، والاخلاص والتفانى للمثل الاسلامية العليا ، وكذلك البحث المضنى عن الحقيقة بلا كلل ولا ملل .

ومعرفة آيات القرآن الكريم غيبا قد ساعدت ضياء الدين خان بن ايشان باباخان على دراسة اصول التفسير ، اى شرح وتعليق معانى القرآن الكريم . وفى المستقبل حملت له هذه المعرفة المجد والشرف بين اوساط علماء الفقه الاسلامى فى بلادنا وخارجها وفى العالـــم الاسلامى .

وبعد ان حظى الشيخ ضياء الدين خان ببركة المعلمين : الشيخ

الطرابلسى ، وجمال خواجه داملا ، وحسن حضرة ، فى السير على دربه المستقل ، شغل منصب الامام الخطيب فى عدد من مساجد طشقند خلال العديد من السنوات الاولى . واصبحت هذه الاعوام فترة اعمال تطبيقية ملموسة ، وكذلك حقبة تفكيره الغنى المثمر فى الابحاث المبدعة فى مسائل نظرية الفقه الاسلامى . وفى تلك السنين تبلور التفكير الدينى للشيخ ضياء الدين خان ليصير اساسا متينا لكل انواع نشاطاتـــه الفقهية والاجتماعية فى المستقبل . والاتجاه الرئيسى لهذه النشاطات ، كان دوما العمل الحاسم من اجل نقاوة الاسلام ، ونشر افكاره السلمية واقرارها فى كل مكان وبلا تردد ، وكذلك تطهير الدين من التحريفات وغيره من الانحرافات . وقد ساعدته القدرة المباركة على التنظيم ، التى توارثها الشيخ ضياء الدين خان عن والده ، على انجاح هذه المهام العظيمة ، الى درجة كبيرة . واصبح والده مساعده الاول فى ميدان تحقيق فكرته الرائعة ، الداعية الى جمع شمل جميع المسلمين ، القاطنين فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية وقازاخستان فى تنظيم واحد .

البـــاب الثانـــــى

الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان . مشاركـــــة المسلمين فى الحرب الوطنيـــــة العظمى . الحرب الوطنية العظمى للشعب السوفيتى ومسلمى الاتحاد السوفيتى . العمل التحضيرى لتأسيس المركز الدينـــى لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . تأسيس الادارة الدينية . مشاركة المسلمين السوفيت فى الحرب الوطنية العظمى ، كل شىء من اجل الجبهة ، ومن أجل النصر . المآثر العظمى للسوفيتيين .

تأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان

كان المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، والد الشيخ ضياء الدين خان ، يبيت منذ أمد بعيد فكرة تأسيس المركز الدينى الروحى ، الذى من شأنه ان يجمع شمل المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان ، ولكن لم يقدر لهذه الفكرة ان تتحقق ، سوى فى اعوام السلطـــــة السوفيتية التى اطاحت بالقيصرية البغيضة . وكما هو معروف ، فقد كانت القيصرية تعمل كل شىء ، فى سعيها الاجرامى الى الحؤول دون تطور الشعوب الاسلامية بحرية ، من اجل سلبهم القيادة الدينية العليا ، وبهذا لا تفقر حياتهم الروحية فحسب ، بل وتؤمن اكثر الظروف الملاءمة لتطبيق سياستها الاندماجية . وكانت الادارة الدينية الوحيدة لمسلمى روسيا ، التى اضطرت الحكومة القيصرية الى الصبر عليها ، موجودة فى مكان بعيد جدا فى مدينـــــة أوفا ، التى تبعد الالوف العديدة مـــن الكيلومترات ليس عن آسيا الوسطى او قازاخستان فقط ، بل وعن المناطق الاخرى مثـــل القوقاز ، حيث تقطن جماهير وفيرة من السكان المسلمين يبلغ تعدادهم الملايين . وواضح مدى صعوبة ممارسة قيادتهم الدينية فى ظروف البعد الجغرافى والانقسام .

كما وجدت اسباب اخرى ، حالت دون موافقة القيصرية على وجود مركز اسلامى دينى بآسيا الوسطى ، لخوفها من انبعاث المجد العظيم لذلك الصقع ، بصفته وطن المفكرين الاسلاميين المشهورين فى العالم اجمع . وكان مثل هذه الآفاق تنطوى على خطر شديد بالنسبة لمجمل السياسة الاستعمارية للقيصرية ، حيث كان يسيرا ومقنعا نزع الهالة عن الخرافة التى روجتها ، حول تخلف وبؤس شعوب الاطراف الاسلامية التابعة لروسيا ، وسلبها اية تبريرات ومسوغات لطموحها الى اداء «الرسالة الحضارية» والاضطلاع بدور «محفز التقدم» وهلم جرا . وكانت سياسة القيصرية موجهة فى نهاية المطاف نحو نسيان التراث الدينى الغنى جدا الذى جمعته اجيال كثيرة من العلماء المسلمين البارزين من ابناء آسيا الوسطى ، والذى يعتبر بحق ملكا للحضارة الانسانية جمعاء . وبدون المركز التنظيمى الموحد ، الذى يحتل مكانة القلب من هذا الصقع الواسع الارجاء ، فان الكنوز التى لا تقدر بثمن من المعارف الانسانية ما كانت ستنسى فحسب ، بل وحتى تؤول الى الضياع المباشر .

وقد أيد فكرة المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، حول تأسيس مركز دينى لمسلمى منطقة آسيا الوسطى وقازاخستان تأييدا حارا ، ابنه ضياء الدين ، الذى اصبح منذ سنى فتوته نصيرا مخلصا فى الرأى ، ومساعدا امينا ومستشارا ورفيقا لوالده . وقدر لحلمهما المشترك ان يتحقق فى الايام العصيبة للحرب الوطنية العظمى * اعوام ١٩٤١–١٩٤٥ ، التى خاضها الشعب السوفيتى المتعدد القوميات كله بلا هوادة ضد الغزاة الهتلريين ، دفاعا عن شرفه وحريته .

قال المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فيما بعد «لقد كانت هذه الحرب اختبارا جديا لصلابة الصداقة والاخوة بين شعوب وطننا المتعدد القوميات والفسيح الارجاء ، التى هبت كمعسكر موحد دفاعا عن مكتسباته التأريخية . وفى السنوات القاسية للمحن العصيبة التى ابتلى بها السوفيتيون ، اظهروا مرة اخرى بالنار والسيف امام العالم اجمع ، اخلاصهم اللامتناهى الى تلك الاهداف والمهام التى قامت

---

* بدأت الحرب الوطنية العظمى بعد الهجوم الغادر لالمانيا الهتلرية على الاتحاد السوفيتى فى ٢٢ يونيو/حزيران عام ١٩٤١ ، وانتهت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية .

من اجلها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى عام ١٩١٧ .

ان المسلمين السوفيت الذين وقفوا بحزم الى جانب هذه الثورة ، انخرطوا بنشاط مع كافة الشعوب المتخلفة ، فى اول دولة اشتراكية متعددة القوميات فى العالم ، لبناء الحياة الجديدة الجديرة بالانسان ، ووقفوا فى فترة الحرب الوطنية العظمى فى صفوف المدافعين الابطال عن وطننا المقدس ، واراقوا دماءهم معهم فى حقول اوكرانيا وبيلوروسيا وروسيا والقفقاس والبلطيق . وحاز مئات المسلمين لقاء بطولتهم اللامتناهية على اللقب الرفيع ، لقب بطل الاتحاد السوفيتى ، واوسمة وميداليات الاتحاد السوفيتى» .

كما اسهمنا نحن ، الدعاة المسلمين ، بقسطنا فى تقريب النصر العظيم ، برفع المعنويات الروحية لمسلمينا ، وبتعبئة كل قواهم من اجل هزيمة المعتدين النازيين . وكنا فى المساجد والاجتماعات ومؤتمرات المسلمين نبارك باسم العلى القدير نضالهم المتفانى من اجل شرف وكرامة وحرية وطننا العظيم . وكان يقف فى طليعة علماء الدين المسلمين هؤلاء ، الشيخ ايشان باباخان وابنه ضياء الدين . وقد وجها كل قواهما ومكانتهما وموهبتهما نحو تعبئة مسلمى منطقة آسيا الوسطى وقازاخستان لتقريب النصر العظيم بكل السبل ، ذلك النصر الذى لم يشك اى وطنى سوفيتى فى انه آت ، بالرغم من المصاعب المؤقتة ، واخفاقات الفترة الاولى من الحرب .

كان الشيخ ايشان باباخان وابنه ضياء الدين ، يدركان بان التشتت البالغ والرابطة الضعيفة بين الطوائف الاسلامية الصغيرة والقليلة القدرة فى المنطقة ، يضعفان بشكل خطير تحقيق التعبئة الفعالة الى اقصى حد لكافة قوى المسلمين للنضال المقدس ضد العدو الفاشستى البغيض ، فكانا بين المبادرين الرئيسيين لعملية استحثاث توحيد جميع مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، تحت ادارة مركز دينى مشترك واحد . وقد استحسنت حكومة جمهورية اوزبكستان السوفيتية هذه المبادرة ، واقترحت تشكيل لجنة تحضيرية من اجل بحث التدابير التطبيقية لتأسيس مثل هذا المركز .

وضمت اللجنة دعاة بارزين فى اوزبكستان وعلى رأسهم الشيخ ايشان باباخان ، وفى قازاخستان برئاسة الشيخ عبد الغفار شمس الدين ، وفى طاجكستان ، برئاسة الشيخ صالح باباكلان ، وفى قيرغيزيا برئاسة الشيخ عالم خان تورا شاكر ، وفى تركمانيا ، برئاسة الشيخ

آتا ايشان . كما وجهت الدعوة للمشاركة فى اعمال اللجنة الى الشيخ عبد الرحمن رسولى ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، وخطيب مسجد موسكو الشيخ خليل الرحمن ، وخطيب مسجد قازان الشيخ قيام الدين القادرى وغيرهم من كبار الدعاة واعضاء الادارة الدينية المذكورة آنفا .

وقامت اللجنة بتشكيل لجنة تأسيسية ، عين امينا مسئولا لها الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وبعد اعمال تحضيرية مكثفة ، قررت اللجنة ان يعقد فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٣ مؤتمر العلماء المسلمين فى آسيا الوسطى قازاخستان . ووجهت رسائل الدعوة الى جميع الدعاة البارزين فى المنطقة ، وافتتح المؤتمر فى موعده المقرر ، يوم ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٣ . وشارك فيه اكثر من ١٦٠ مندوبا من كافة الجمهوريات المتحدة الخمس ، التى تضمها المنطقة وهى : اوزبكستان وقازاخستان وطاجكستان وقيرغيزيا وتركمانيا . وحضر المؤتمر كضيوف ، دعاة الاسلام من المناطق الاسلامية الاخرى فى بلادنا الشاسعة الاطراف .

استغرق المؤتمر ثلاثة ايام ، واختتم باصدار قرار يقضى بتأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وانتخبت هيئة رئاسة لها تضم ١١ شخصا ، ولجنة رقابة من خمسة اشخاص . وانتخب رئيسا للادارة الدينية بالاجماع ، الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيدخان ، مع منحه المرتبة السامية اى مفتى الجمهوريات المتحدة الخمس بالمنطقة . وانتخب الشيخ مراد خواجه صالحى ، نائبا لرئيس الادارة الدينية ، والشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان امينا مسئولا ، وكان آنذاك قد بلغ الخامسة والثلاثين من العمر .

واصدر المؤتمر قرارا بتأسيس ممثلية للادارة الدينية فى كل من الجمهوريات الخمس فى المنطقة ، يتولى رئاستها احد القضاة الشرعيين . وكانوا كالآتى : الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان – لجمهورية اوزبكستان السوفيتية ، والشيخ عبد الغفار شمس الدين – لجمهورية قازاخستان السوفيتية ، والشيخ صالح باباكلان – لجمهورية طاجكستان السوفيتية ، والشيخ عالم خان تورا شاكر – لجمهورية قيرغيزيا السوفيتية ، والشيخ آتا ايشان – لجمهورية تركمانيا السوفيتية .

واعلن المشتركون فى المؤتمر ، باجماع الآراء الكامل وعلى رؤوس

الاشهاد ، أنهم سيسترشدون فى عملهم فى الادارة الدينية اساسا بالقرآن الكريم وسنّة النبى صلى الله عليه وسلم .

كما صادق المؤتمر على النظام الداخلى للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، الذى سجلت فيه الطائفة الرئيسية من حقوقها وواجباتها بصفتها اعلى هيئة دينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وحددت وظائف فروعها فى المركز والاطراف ، وكذلك اقرت عدد العاملين وواجباتهم الرسمية .

كان من الطبيعى ان تركز الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، التى تأسست فى معمعمان الحرب الوطنية العظمى ، كافة جهودها الاساسية ، على النضال العام للشعب السوفيتى المتعدد القوميات ضد المحتلين الهتلريين ، الذين كانوا يعتزمون محو شعوب باكملها من على وجه الارض ، ومنها الشعوب الاسلامية . اذ كانت وفقا لنظريات النازية الحاقدة على البشر ، تدرج فى مصاف الشعوب «المنحطة» ، ولهذا ليس لها ، حسب زعمهم ، الحق فى الوجود .

لقد رفع تأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى بشكل ملحوظ مستوى تعبئة النشاط الدينى فى اوساط مسلمى آسيا الوسطى قازاخستان . وساعدت اعمالها التوضيحية التى لم تعرف الكلل ، على ان يدركوا بدقة اكبر الخطر الرهيب الذى تحمله النازية اليهم والى اطفالهم واوطنهم وكل ما كان يرتبط لديهم باكثر الامور قدسية وحصانة . فهبوا مع الشعب السوفيتى اجمع ، ومع جميع الشعوب المحبة للحرية فى الارض ، للنضال بتفان ضد «الطاعون البنى» — اى النازية — مزدرين الخوف والموت نفسه . وألهمهم شعور الواجب العظيم حيال وطنهم ، لشن النضال البطولى ، وكان بالنسبة لهم مصدرا لا ينضب ، لكسب قوى جديدة وجديدة ، والارادة الراسخة فى النصر . وحارب المسلمون الى جانب الشعب السوفيتى كله ببطولة ، فى كافة جبهات الحرب الوطنية العظمى ، وعملوا بجدارة فى المؤخرة .

كل شىء من اجل الجبهة ، كل شىء من اجل النصر

كان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يبدى كل الاحترام الى مأثرة العمل ، التى كان يجترحها كل من بقى فى المؤخرة ، ولم يكف أبدا عن تأكيد اهميتها العظمى بالنسبة لتحقيق النصر العظيم

على الهتلرية : «ان نساءنا ويافعينا وشيوخنا الاماجد ، الذين بقوا فى المؤخرة ، لم ينسوا ايضا واجبهم حيال الوطن ، فحلوا فى المصانع والفبارك والحقول فى المزارع التعاونية والمزارع الحكومية محل الازواج والاباء والاشقاء والابناء الذين توجهوا الى الجبهة ، وعملوا ليلا ونهارا ببطولة من أجل النصر . وبفضل صمودهم وتضحيتهم بشكل ليس له نظير ، تم الى حد كبير تأمين كل ما يلزم من اجل الجبهة» .

لقد كان المسلمون فى الاتحاد السوفيتى يدركون كل الادراك ان الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يأمران بالاخلاص للوطن والدفاع عنه . فقال العلى القدير «**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**» (سورة التوبة ، الاية ٤١) . وحينما كانوا يحاربون النازية انما كانوا يدافعون عن شرف الوطن ومجده ، وعن شرفهم ذاته ، وعن مبادئهم الدينية .

واقتنع السوفيتيون ، ومنهم المسلمون ، بمرأى العين كيف كان السفاحون الهتلريون ينتقصون فى الاراضى التى احتلوها ، حرية العقيدة بوقاحة وبقسوة ، وكيف كان ازلام الفاشست يزدرون بشكل سافر ويشمئزون بصراحة من المشاعر الدينية للمؤمنين ، وينهبون بجشع نفائس دور العبادة ويدنسون المساجد والكنائس ، وينكلون بلا رحمة برجال الدين الذين يرفضون خدمة الهتلريين .

اصدر قادة الدين للمسلمين السوفيت فى فترة الحرب ، العديد من النداءات المفعمة بالروح الوطنية الغيورة . وعلى سبيل المثال ، جاء فى احد النداءات الموجه الى المسلمين السوفيت ما يلى : «لقد اغرق النازيون بالدماء حقولنا الآمنة . انهم يسومون صنوف العذاب النساء والشيوخ والاطفال . وقرر هتلر القضاء على الثقافة والعلوم ، واقامة مملكة الهمجية وطرد الاسلام . ان الادارة الاسلامية المركزية فى الاتحاد السوفيتى تدعو جميع المؤمنين الى ان يهبوا دفاعا عن الوطن ، وان يبتهلوا من اجل انتصار الجيش الاحمر ، وان يباركوا ابناءهم للنضال من اجل القضية العادلة . . . وواجب المؤمنين ان يحبوا بلدهم» .

كما صادق مؤتمر ممثلى المسلمين الذى عقد بمدينة أوفا فى عام ١٩٤٢ العصيب ، على نداء تلى فى كافة مساجد البلاد واجتماعات المؤمنين .

وفى عام ١٩٤٣ صادقت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، التى تأسست لتوه ، على نداء الى جميع المسلمين السوفيت

جاء فيه : «نحن الدعاة وممثلى المؤمنين المسلمين فى اوزبكستان وطاجكستان وتركمانيا وقيرغيزيا وقازاخستان نتوجه اليكم ايها الابناء والاخوة الاعزاء باسم المسلمين كافة ؛ حاربوا كتفا الى كتف مع شعب بلادكم اجمع كالاسود المغاوير ضد الغزاة النازيين ، اقضوا على النازيين البغيضين ، كى لا يبقى احد منهم فى كوكبنا .

دافعوا عن كل شبر من الارض السوفيتية ، وعززوا صفوفكم بالانضباط الحديدى . وندعو المؤمنين كافة الى الابتهال الى الله داعين اياه الى مساعدة جنودنا ، ومنحنا النصر العاجل على العدو» .

وفى السنوات الرهيبة للحرب الوطنية العظمى ، اصبح الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى كان يشغل منصبى قاضى اوزبكستان والامين المسؤل للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، اقرب مساعدة المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، فى تقديم شتى انواع المساعدات الى الجبهة . فكان ينظم اعمال جمع الملابس الدافئة للجنود المقاتلين ، والاموال لانتاج السلاح ، وكان احد المبادرين بتشكيل اللجنة الدائمة لتقديم المساعدة المادية ، والدعم المعنوى الى عائلات المقاتلين فى الجبهة ، واقارب الشهداء والمفقودين منهم .

وكان الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان يدعو المسلمين ، فى خطبه الكثيرة امام المؤمنين وفى عظاته المفعمة ، بروح الوطنية العالية ، الى ان يعززوا الوحدة فى النضال المشترك ضد العدو البغيض ، وان يكرسوا انفسهم الى هذا النضال المقدس ، وان احتاج الامر ، فالتضحية بحياتهم من اجل طرده بسرعة من ارض الوطن .

«كل شىء من اجل الجبهة ، وكل شىء من أجل النصر .» — ان نداء الوطن الجبار هذا ، الذى انطلق منذ الايام الاولى للحرب فى عام ١٩٤١ ، وبقى حتى انتهائها فى عام ١٩٤٥ البعيد ، كان الشعار الرئيسى للسوفيتيين ، ومن بينهم المسلمين . واليوم لا يمكن التفكير بلا تأثر عميق ، باى حماس وباى تفان شارك المسلمون فى تقريب يوم النصر ، الذى طال انتظاره . فاليكم ، مثلا ، نص الرسالة التى تفصح عن نفسها بنفسها ، ولذا فهى لا تحتاج الى ايضاحات مفصلة ، والتى ارسلها فى عام ١٩٤٤ المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان الى رئيس لجنة الدولة للدفاع:

«موسكو ، الكرملين» .
ى . ف . ستالين ، مارشال الاتحاد السوفيتى
القائد الاعلى للجيش الاحمر .

ان الادارة الاسلامية والمسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان يدعون الله عز وجل ان يطيل عمركم وان يجلب للجيش الاحمر الانتصار الكامل على العدو . ونبعث اليكم ، ايها المحترم يوسف فيساريونوفيتش بالتحية ، ونهنئكم بالذكرى السابعة والعشرين لثورة اكتوبر العظمى ، واضعين نصب أعيننا وصية النبى صلى الله عليه وسلم : بأن واجب كل انسان يحب وطنه ، ان يحارب العدو ويسحقه .

جمع الدعاة والمؤمنون فى عام ١٩٤٤ فى آسيا الوسطى وقازاخستان من مدخراتهم وتبرعاتهم الى صندوق الدفاع عن وطننا مبلغا قدره ١,٢٨٠,٠٠٠ روبل نقدا ، و١١٧,٠٠٠ روبل على شكل سندات قرض ، و٦٣ طنا من الحبوب ، و٩٠,٠٠٠ رأس ماشية . وقد خصص ٧٩٠,٠٠٠ روبل من هذه المبالغ لانشاء رتل من الدبابات ، كما جمع مبلغ ١,٢٨٠,٠٠٠ روبل نقدا ، و١١٧,٠٠٠ روبل على شكل سندات قرض ، التبرعات للصندوق ، وندعو الله مخلصين ، ان يمنح مقاتلينا الاشاوس النصر ، ولكم ، يا يوسف فيساريونوفيتش ، الفلاح والنجاح فى عملكم لخير وطننا العظيم» .

وسرعان ما ورد من موسكو الجواب الآتى :

«طشقند ،
رئيس الادارة الدينية لمسلمى
آسيا الوسطى وقازاخستان ،
المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان .

ارجو ان تبلغوا تحياتى وامتنان الجيش الاحمر الى الادارة الاسلامية والمؤمنين فى آسيا الوسطى وقازاخستان الذين جمعوا ١,٢٨٠,٠٠٠ روبل نقدا و١١٧,٠٠٠ روبل على شكل سندات قرض ، وكذلك الحبوب والماشية من اجل صندوق الدفاع فى الاتحاد السوفيتى .
ى . ف . ستالين
موسكو ، الكرملين ، عام ١٩٤٤» .

لقد كانت السلطة السوفيتية تبدى الشكل والامتنان الكبيرين دوما الى مثل هذه المظاهر ، التى تعكس المشاعر والتطلعات الوطنية للمسلمين . ومما له دلالة بالغة ، ان الحكومة السوفيتية وافقت حتى

فى ايام الحرب العصيبة ، على بناء مساجد جديدة وترميم المساجد القديمة ، كما وساعدت على فتح مؤسسات تعليمية دينية فى بخارى وطشقند وضمنت ، منذ عام ١٩٤٤ ، الفرصة للمسلمين السوفيت ، لاداء فريضة الحج فى مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة .

واظهرت الحرب الوطنية العظمى للشعب السوفيتى الى العالم اجمع ، معنى الديمقراطية الحقة والصداقة بين الشعوب ، ومعنى توفير حرية الضمير والمعتقد للشعوب عملا وليس قولا . وفى الحرب الماضية ، ابدى السوفيتيون جميعا ، سواء فى الجبهة ام فى المؤخرة ، آيات البطولة والتضحية والحماس فى العمل بشكل لا نظير له ، فاستحقوا ثناء جميع الشعوب المحبة للحرية ، والمكافأة العظمى للعلى القدير الذى منحهم النصر ، وانزل عقابه الصارم بالمجرمين الفاشست ، الذين تحدوا بوقاحة ارادة الله ، فدنسوا الشرف المقدس واخلاقيات وكرامة الانسان الذى ائتمنه الخالق على صيانة كل ما هو خير فى هذه الارض الجميلة .

يدل سفر الحرب البطولى ، على ان المأثرة غدت من قواعد سلوك المقاتلين من ابناء تركستان فى المعارك ، دفاعا عن الوطن . فقد كشف الاوزبكى قيوم رحيموف الذى استشهد دفاعا عن لينيغنراد ، فى رسالته الاخيرة ، بكل بساطة وقناعة ، المنابع العظيمة لهذه المأثرة والبطولة الجماعية للسوفيتيين : «ان الوطن هو عائلتى وقريتى وبلادى السوفيتية كلها . وحينما اقتحم النازيون بلادنا قال لنفسه ، كل من كان ينبض فى جوانحه ، قلب وطنى : «هيا الى الامام واوقف العدو» ، وها اناذا قدمت الى لينينغراد . وبدون روسيا السوفيتية لا وجود لاوزبكستان الحرة» .

وفى خريف عام ١٩٤٣ اجترح المقاتل الاوزبكى تويتشى ايرجيغيتوف ، مأثرة خالدة فى اثناء هجوم وحدات جبهة فولخوف ، حيث سد بصدره كوة دشمة محصنة للعدو ، فساعد رفاقه فى القتال على تنفيذ المهمة المقررة .

لقد اسر الفاشست آى دوغدى طاهروف ، ابن الشعب التركمانى بعد اصابته بجروح بليغة . وحاول الجلادون الالمان استمالته لخيانة الوطن ، لكن المقاتل الجريئ ، بقى وفيا لواجبه حتى الرمق الاخير .

وجلب الجندى المستطلع الاوزبكى دهقان فيضييف ، وسامين من الوطن ، لكن المقاتل الجرىء ، بقى وفيا لواجبه حتى الرمق الاخير .

ولا تنسى مأثرة الام فى الشرق السوفيتى ، التى استقبلت الوفا مؤلفة من الاطفال اليتامى ، من الاقاليم الغربية لبلادنا ، وكأنهم من

الابناء المقربين لها . وذاع فى العالم اجمع صيت الزوجين شامحمودوف ، اللذين قدما المأوى فى عائلتهما الى ١٨ طفلا من شتى القوميات ، وتوليا تربيتهم .

ويفتخر وطننا الجبار الواسع الارجاء كله ، بالابن البار للشعب الاوزبكى ، الجنرال صابر رحيموف . وقد اطلق اسمه على مناطق وشوارع ومزارع تعاونية ومدارس ومحطة لمترو الانفاق بطشقند . لقد استشهد الجنرال رحيموف تنفيذا لواجبه الاممى ، فى المعارك من اجل تحرير مدينة جدانسك البولونية .

سيبقى يوم ٩ ايار (مايو) عام ١٩٤٥ فى تأريخ البشرية الى الابد بصفته يوم الانتصار العظيم ، الذى حققه الشعب السوفيتى على النازية . وكانت الحرب الوطنية العظمى من اصعب الحروب واكثرها اراقة للدماء من بين جميع الحروب التحررية ، التى خاضها شعبنا فى اى زمان كان . ويعتبر النصر فيها من حيث اهميته ونتائجه حدثا بارزا فى تأريخ العالم كله ، وحدد مصير الاجيال التالية من شعوب ارضنا باجمعها .

الباب الثالث

العودة الى الحياة السلميـــــة

الشيخ ضياء الدين خان – قاضى اوزبكستان . التغلب على تفرق المسلمين فى المنطقة . تأسيس هيئات القضاة الشرعيين – ممثليات الادارة الدينية فى طاجيكستان وقازاخستان وقرغيزيايا وتركمانيا . رسالة المساجد واستكمال نشاطها . اصدار القرآن الكريم . اعداد رجال الدين الاسلامى .

من المعروف ، ان عام ١٩٤٣ ، كان عام الانعطاف النهائى فى الحرب العالمية الثانية ، لصالح حلفاء الائتلاف المعادى لهتلر . وكانت المعارك الضارية تدوىّ فى كافة جبهاتها التى لا حصر لها ، بيد انه لم تكن تخامر احد الشكوك فى ان مصير المعركة قد تقرر مسبقا ، وانه بات من المنتظر فى الواقع آنذاك . الاجهاز على الوحش النازى ، الذى كان يحاول يائسا أبعاد يوم هزيمته المحتومة ، والقصاص العادل لقاء ما ارتكبه من جرائم بحق البشريـــة . وكان الشعب السوفيتى يهب كالسابق قواه الى سحق العدو البغيض ، وفى الوقت نفسه كان يتطلع بكل كيانه الى يوم السلام المقبل . وكانت المصانع والفبارك تنتـــج السلاح والعتاد الحربى كالسابق ، ولكن فى الوقت ذاته كانت ترسم على الورق فى مكاتب التصميم التابعة لها ، مشاريع الصناعات السلمية . وكان اتجاه التفكير هذا يسود كافة ميادين حياة شعبنا . وصار كافة السوفيتيين يستعدون للعمل السلمى البناء . ولم يشذّ عن ذلك نشاط الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . اذ لم تقلـــل جهودها الاساسية المتركزة على مهام تحقيق النصر ، لكنها رأت فى الوقت نفسه ضرورة وامكانية توجيه المزيد من الاهتمام الى جوانب نشاطها ، التى تعتبر الاساسية بالنسبة لها فى ظروف حياة البناء السلمية . وقد

تجلى هذا فى نشاطهـــا المتعلق بالدعوة والارشاد ، وفى تحسين العمل التطبيقى فى الاطراف عن طريق القضاة الشرعيين ، واجراء اتصالات واقامة علاقات مع الاخوة فى العقيدة خارج البلاد .

الشيخ ضياء الدين خان – قاضى اوزبكستان

قام الشيخ ضياء الدين خان بعمل كبير فى كافة هذه الميادين الحيوية من نشاط الادارة الدينيـــة لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، بالتعاون الوثيق والمثمر مع والده المفتى ايشان باباخان . وكان الشيخ ضياء الدين خان يشغل فى آن واحد منصبى الامين المسؤل للادارة الدينية ، وقاضى اوزبكستان الشرعى .

وقد ابرز بصفته قاضيا شرعيا ، قابليات تنظيمية ممتازة ، حيث استطاع توجيه شتى التيارات الدينية فى طريق واحد . وبعد التغلب على الانقسام الفكرى الملحوظ بين المسلمين فى المنطقة ، والموروث عن الماضى الصعب ، استطاع ان يلاحمهم على اساس المثل العليا الاسلامية ، وان يوجه طاقاتهم الابداعية فى المجرى الموحد لخدمة هذه المثل العليا باخلاص .

وتطلبت مهمة كبيرة كهذه من كل المشاركين فى معالجتها ، ممن جذبتهم القدوة الشخصية الرائدة للقاضى الشرعى ، ان يهبوا قواهم كلها كاملة ، اذ لم يكن هناك من شىء اصعب من تجاوز الخلافات المتراكمة والمحتدمة على مدى القرون والمتباقية عن بعضها البعض باختلاف الملل والنحل فى الاسلام . حيث كان وراء كل ملة وكل نحلة بشر احياء بكل ما يميز الانسان من مواطن ضعف ، وبكل مفاهيمهم وافكارهم الذاتية ، وبآرائهم ووجهات نظرهم المتميزة . ولهذا كان القاضى ضياء الدين خان ، يولى اهتماما خاصا الى العمل مع ملاكات العبادة الاسلامية ، واضعا امامه مهمة اعدادهم وتربيتهم بروح الوصايا الحقة للدين الاسلامى الحنيف . وقد تسلح بالوصية الحكيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم : «**تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسول الله**» (رواه مالك)» فدعا الى شن نضال دائب وبلا هوادة ، ضد الفتن الطائفية والخرافات والاباطيل وغيرها من مخلفات الماضى . وناضل بالحاح وبصبر من اجل اعادة الضالين الى الطريق السوىّ للاسلام الحنيف . ومن ذلك

اعدت باشرافه مباشرة فتاوى حول بعض اكثر قضايا الشريعة حيوية ، والتى ساعدت بقدر كبير على حل هذه المسألة النبيلة بنجاح ، وساعدت المؤمنين على عدم انحرافهم عن الطريق الذى رسمه القرآن والسنة .

وببدء العمل الكبير والمتنوع على نطاق واسع ، تنامت الادارة الدينية وارتفعت مكانتهـــا فى اعين المسلمين واوساط الرأى العام الواسعة فى اصقاعنا بآسيا الوسطى وقازاخستان وبعد فترة قصيرة جدا بدأ حتى العلماء ، الذين كانوا يبدون فى الامس القريب شيئا من الحذر ازاء تأسيس الادارة ، باظهار الاحترام والتبجيل لها كما ينبغى . وانتعش بصورة ملحوظة النشاط الدينى فى اوزبكستان ، وكذلك فى الجمهوريات المجاورة – قازاخستان وطاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا . وكان ذلك الى حد كبير نتيجة مباشرة لافتتاح ممثليات للادارة الدينية فى هذه الجمهوريات ، وهى مكاتب القاضى الشرعى والتى بدأت بتنفيذ كل العمل المباشر محليا .

تأسيس مكاتب القاضى الشرعى – ممثليات الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى الجمهوريات

بدأ افتتاح مكاتب القاضى الشرعى فى الجمهوريات السوفيتية الآنفة الذكر بالتعاقب ، بعد تأسيس الادارة الدينية فى عام ١٩٤٣ . وانيطت بها مهام متنوعة وكثيرة . فمثلا ، كانت تدير عمل المساجد بتوجيهها النشاط العملى للائمة الخطباء ، وتبلغ المؤمنين بالفتاوى واهم توجيهات الهيئة العليا للادارة الدينية ، وتتابع بحزم وبدقة تنفيذ احكام القرآن الحكيم والشريعة الاسلامية ، وتشرف على ترميم المساجد القائمة وبنـــاء اخرى جديدة . وهذا ما حدث فى الفترة الاولى ، وبعد ذلك ادخلت الحياة نفسها بعض التعديلات فى نشاطها ، ووسعت نطاقها بقدر اكبر بكثير .

افتتح اول مكتب للقاضى الشرعى – ممثلية الادارة الدينية فى عام ١٩٤٣ فى طاجيكستان ، وتولى رئاسته الشخصية الدينية البارزة آنذاك ، الشيخ صالح باباكلان ، الذى وهب الكثير من قواه وجهوده لتوجيه حياة مسلمى طاجيكستان السوفيتية فى الطريق السوى .

وابتداء من عام ١٩٦٢ وحتى الوقت الحاضر يشغل هذا المنصب

الرفيع والمسئول ويعمل فيه بنجاح ، الشيخ ميرزا عبد الله ميرزا كلان . لقد ولد فى عام ١٩٢٤ بمدينة ججند (خالیا – لينين آباد) فى اسرة دينية عريقة . وكان والده ميرزا كلان بن ميرزا هاشم ، من العلماء المسلمين المعروفين ، اما جده فقد عمل لسنوات طويلة ، مدرسا فى احدى المدارس الدينية ببخارى ، واشتهر بسعة اطلاعه فى العلوم الدينية ، وكذلك باتقانه اصول الخط ، وقام باستنساخ القرآن الكريم مرات عديدة .

تلقى ميرزا عبد الله تعليمه الدينى الاولى ، على يد أبيه الذى غرس لديه منذ نعومة اظافره حب الاسلام ، وعلمه القراءة وادراك معانى آيات الذكر الحكيم . والتحق الفتى الورع والموهوب فى عام ١٩٤٥ بمدرسة «مير عرب» الدينية فى مدينة بخارى . فدرس هناك اللغة العربية وقواعد اللغة والتفسير والحديث والفقه الحنفى .

وبعد انتهاء الدراسة فى عام ١٩٥٣ عينته الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى منصب امام مسجد «زودمراد» فى مدينة سمرقند . ثم تولى ميرزا عبد الله الاشراف على عمل عدد من مساجد سمرقند وبخارى . فبرز فى هذا العمل كمنظم ممتاز ، ورجل دين مجتهد ونشيط وغزير المعرفة .

وفى عام ١٩٦٢ اسبغت عليه الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان لقب القاضى الشرعى وارسلته للعمل فى طاجيكستان كممثل دائم لها . وهناك تكشفت موهبة ميرزا عبد الله بشكل ساطع كمفسر ومحدث وفقيه ، وتعالت مكانته بين المؤمنين ، وساعد على هذا بقدر كبير واقع انه اقتدى بمثال رفيقه الاكبر واستاذه الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى كان يشغل آنذاك منصب المفتى ورئيس الادارة الدينية ، فسعى الى عدم الانغلاق ضمن اطار العمل الفقهى فقط . وانخرط الشيخ ميرزا عبد الله ، الى جانب النشاط الدينى ، بالعمل الاجتماعى النشيط ، فاصبح عضوا فى لجنة الدفاع عن السلام فى الجمهورية ، وجمعية الصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية .

وادى القاضى ميرزا عبد الله فريضة الحج غير مرة ، وزار العديد من البلدان الاجنبية ، حيث كسب الكثير من الاصدقاء من الفقهاء والمشايخ البارزين . ويستقبل فى وطنه طاجيكستان باستمرار العديد من وفود اخوتنا فى الدين الاجانب .

وقد قدرت حكومة طاجيكستان السوفيتية كل التقدير الرصيد الكبير الذى يسهم به ميرزا عبد الله ميرزا كلان ، فى التقارب بين الشعوب والنضال من اجل السلام فى العالم اجمع ، فمنحته الشهادة التقديرية لهيئة رئاسة السوفييت الاعلى فى جمهورية طاجيكستان السوفيتية .

وتعمل فى كافة انحاء طاجيكستان ، التى تغير وجه الحياة فيها كليا خلال اعوام السلطة السوفيتية ، مساجد كبيرة وصغيرة ، ويقع اقدمها فى ضواحى دوشنبه عاصمة طاجيكستان .

وتبدو امام جميع زوار هذه المدينة ، احياء البيوت الجديدة الجميلة العديدة الطوابق . وامام خلفية منظر المدينة الحديث هذا ، ينتصب مبنى جبار هو مسجد «مولانا يعقوب» ، الذى شيد قبل ٤٥٠ عاما . وقد جرى تعمير المسجد غير مرة ، ومنذ فترة وجيزة تم بناء قسم جديد فيه ، مما جعله يغدو اكثر بهاءا ورحابة .

يحمل المسجد اسم الصوفى المعروف مولانا يعقوب الجرخى ، الذى ولد فى بلدة جرخ بمحافظة غزنه (بافغانستان) . وعاش يعقوب الجرخى طوال اعوام كثيرة فى مصر حيث اغنى جعبته من المعارف الفقهية . وحينما علم الجرخى بامر المدرسة الصوفية للشيخ بهاء الدين النقشبندى ، وفد على بخارى حيث تلقى بركة الشيخ . وقد ألف مولانا يعقوب اعمالا باللغة الطاجيكية فى تفسير القرآن الكريم والرسالتين الصوفيتين «نى نامه» و«عشق نامه» ويلقى اسم مولانا يعقوب واعماله التكريم الرفيع فى طاجيكستان حتى الوقت الحاضر ، وينعكس ذلك ضمنا فى تسمية المسجد الذى يحمل اسمه الخالد .

كما توجد فى دوشنبه مساجد أخر . ويجتمع فيها المؤمنون فى ايام الجمعة والاعياد لاداء الصلاة الجماعية والشعائر الدينية التى امر بها الاسلام .

وتعمل فى لينين آباد ، وكولاب ، وقورغان تيفه ، وغيرها من المدن والبلدات والقرى ، مساجد رائعة يؤدى فيها المسلمون فريضة الصلاة ، والشعائر الدينية الاخرى ، تمجيدا لاسم العلى القدير . والمساجد كلها فى حالة جيدة ، وجرى ترميم شامل للقديم منها والمتداعى ، واقتنيت المعدات وكافة اللوازم من اجل اداء فروض العبادة فيها بصورة طبيعية . وتوجد فى كافة الجوامع غرف ضيافة يجرى فيها عادة استقبال الضيوف ، الذين ازداد عددهم بشكل ملحوظ فى

الاعوام الاخيرة . وهم من الصحفيين والشخصيات الدينية والاجتماعية والسياح وغيرهم من ممثلى الاوساط الاجتماعية الاجنبية .

لقد اعجب الكثير من الاجانب بمـــا رآوه وسمعوه ، لان وسائل الاعلام الغربية تحاول جهارا اقناع الرأى العام العالمى بان المساجد فى الاتحاد السوفيتى غير عاملة ، وان رجال الدين المسلمين يلاحقون بوحشية .. لكن الاخوة فى العقيدة وجميع الناس ذوى الارادة الطيبة القادمين من الخارج يقتنعون بما يشاهدونه باعينهم فى ان حرية الضمير الحقة موجودة فى الاتحاد السوفيتى بالذات ، وان جميع الظروف متوفرة لاداء الطقوس الدينية وتلبية حاجات المؤمنين .

وتسهم ممثلية الادارة الدينية فى طاجكستان بقسط غير قليل فى تعزيز السلام والصداقة فى الارض ، مما يتجسد بين امور أخرى فى المبالغ الكبيرة التى يرسلها الى صندوق السلام . لقد منح كثير من رجال الدين وبعض المساجد ، شهادات التقدير التى يقدمها فرع صندوق السلام السوفيتى فى طاجيكستان لقاء نشاطهم الفعال فى سبيل السلام .

كما قطعت دربا مماثلا جدا لمكتب القاضى الشرعى فى طاجيكستان منذ يوم تأسيسه فى السنوات البعيدة للحرب الوطنيـــة العظمى ، الممثليات الرسمية للادارة الدينية فى الجمهوريات المتحدة الشقيقـــة الاخرى – فى قازاخستان وقرغيزيا وتركمانيا . وبنتيجة ذلك يعيش جميع المؤمنين فى هذه الجمهوريات حياة دينية حافلة ، مطهرة مـــن البدع والخرافـات ، التى كانت فى زمن مـــا تحول بصورة جديـــة ، دور بلوغ نور ديننا الحنيف قلوب المسلمين .

فمثلا ، ينفذ المسلمون فى قازاخستان اليوم ، جميع وصايا واحكام ديننا الحنيف بحماس روحى عظيم . وكان هذا البلد الشاسع قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى عام ١٩١٧ لا يقترن على الدوام سوى بالسهوب الفسيحة الارجاء ، وسلاســـل الجبال والانهار العظيمـــة والبحيرات . وبقى جلّ ابناء الشعب القازاخى مـــن البدو الذين كانوا يمارسون رعى الماشية بصورة اساسية . اما الزراعة التى ترتبط بفلاحة الارض فكانت ضعيفة التطور ، بينما كانت الصناعة لا تزال فى حالة جنينية . وبعد ثورة اكتوبر تغيرت الحياة بصورة جذرية . ففى الوقت الحاضر تكون زراعة القمح اساس الزراعة فى الجمهورية . ويبلغ محصول الحبوب سنويا ١٦ مليون طن ، بفضل استثمار الاراضى البكر والبور . وقياسا الى عام ١٩١٣ ازدادت مساحة الاراضى الزراعية بمقدار

٣٠ مليون هكتار . ويبلغ عدد رؤوس الماشية الآن حتى ٤٥ مليون رأس .

وتأسست فى قازاخستان صناعة قوية فى نفس الوقت . وتحتل الجمهورية الآن مكانة طليعية فى البلاد فى مجال صناعة الميتالورجيا واستخراج الفحم . ويجرى اكتشاف مكامن نفط جديدة . وتتطور الصناعة الخفيفة اكثر فاكثر . وتصدر المنتجات الصناعية لقازاخستان الحديثة الى ٧٠ بلدا فى العالم . وبفضل عناية الدولة المستمرة ، ازداد بما لا يقاس المستوى الثقافى للشعب القازاخى . ويمارس الجيل الحالى من الناس ، الذين كان آباؤهم واجدادهم من البدو – رعاة الماشية ، الاعمال الزراعية الطليعية ، ويعمل فى مجال الصناعة ، ويتعلم فى المعاهد التعليمية العالية والثانوية ، حيث يجرى اعداد الكوادر العالية التأهيل فى كافة فروع العلم والتكنولوجيا . وشيد فى الجمهورية ما يربو على الالف مدينة كبيرة وصغيرة .

يتمتع المسلمون فى قازاخستان العديدة القوميات بحرية تامة فى الايمان ، ويلتزمون التزاما صارما باحكام القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتعمل فى الجمهورية عشرات الجوامع . ولا يؤدى فيها الصلوات القازاخيون فقط بل والاوزبك والقرغيزيون والتتار والبشكيريون والاويغوريون وممثلو القوميات الاخرى التى تعتنق الاسلام . وتبنى مساجد جديدة وتعمر القديمة ، ويلقى المؤمنون التفهم والدعم لدى الدولة السوفيتية فى هذا العمل الخير . وخلال الاعوام الاخيرة فقط افتتحت جوامع جديدة فى مدن جيزقازغان وقرغنده وتشو وقزيل – اوردا وبانفيلوف وتركستان وبلدات ميركه وآباى ومانكينت ويانغى-قورغان وغيرها ، اما فى مدن جامبول وكازالى وتشيمكنت وآلما – اطا وتالدى –قورغان وكوكتشيتاف واورالسك وغورييف وغيرها فقد جرت اعمال ترميم وتعمير واسعة لاعادة بناء المساجد القديمة التى يعتبر الكثير منها آثارا نادرة لفن العمارة الاسلامى المحلى ، وتفرض الدولة حمايتها لها . وقد وضعت تحت تصرف الطوائف الدينية الى الابد وبلا مقابل .

يجتمع خلق كثير جدا فى المساجد ابان ايام الجمعة حينما يلقى الخطباء فيها المواعظ امام المؤمنين .

ومساجد قازاخستان ، شأنها شأن المناطق الاخرى فى بلادنا ، تفتح ابوابها امام المسلمين السوفيت ، وكذلك امام اخوانهم فى العقيدة

من الاجانب ، الذين يزورون الاتحاد السوفيتى . وانهم حين يطلعون بحرية على حياة المؤمنين عندنا يقتنعون بان الدولة السوفيتية توفر لجميع المؤمنين ، ومنهم المسلمون ، حرية الضمير كاملة .

تلقى الكثير من الأئمة خطباء مساجد قازاخستان التعليم الدينى الاسلامى فى مدرسة «مير عرب» بمدينة بخارى ، وفى معهد الامام البخارى الاسلامى بمدينة طشقند . وحصل بعض رجال الدين على تعليمهم ، وتلقوا التدريب فى المعاهد الاسلامية العليا فى الاقطار العربية .

ويتوجه الحجاج من قازاخستان مع اخوانهم فى العقيدة من المناطق الاخرى للاتحاد السوفيتى الى مكة المكرمة والمدينة المنورة لاداء فريضة الحج .

ويقوم الائمة الخطباء وغيرهم من رجال الدين بنشاط كبير فى اوساط المؤمنين لشرح تعاليم القرآن الكريم ، ومغزى احاديث الرسول ، ومحتوى فتاوى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

ان مسلمى قازاخستان ، وكذلك جميع اخوتهم فى الدين فى الاتحاد السوفيتى ، يكرمون بقدسية جميع وصايا دينهم الحنيف ويعملون كل ما فى وسعهم للحفاظ على نقاوته وطهارته فى قلوبهم .

ويشغل الشيخ راتبيك نيسانباى منصب قاضى قازاخستان . وكان قد ارسل بعد التخرج من مدرسة «مير عرب» فى بخارى مع طلاب آخرين الى كلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية بمدينة البيضاء (ليبيا) . ثم عمل بمنصب الامين المسئول لممثلية الادارة الدينية فى جمهورية قازاخستان السوفيتية ، وفى عام ١٩٧٩ عين بمنصب قاضى الجمهورية الشرعى .

من الواضح ان باستطاعتنا الشروع فى الحديث عن ممثلية الادارة الدينية فى قرغيزيا ، من السيرة الشيقة والمتميزة لرئيسها القاضى تيميرباى اورونباى . ولد تيميرباى فى عام ١٩٣٤ فى اسرة متدينة تهتدى بالقرآن الكريم وسنة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد التخرج من المدرسة سافر بمباركة والديه الى بخارى ، حيث التحق بمدرسة «مير عرب» .

وروى الشيخ تيميرباى ذكرياته فقال : «رأيت مكتوبا عند مدخل المدرسة العبارة التالية «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» . (رواه البيهقى) وهذا القول المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، منحنى

المزيد من القوة والعزم . وحسب القواعد المرعية فى المدرسة ، يبدأ كل درس بتلاوة آيات الذكر الحكيـــم ، وترك فىّ هذا أيضا بالغ الانطباع . وكان يتعلم معى فى المدرسة ، ابناء مختلف شعوب الاتحاد السوفيتى ، بيد ان هذا لم يكن عائقا يحول دون العيش بمودة ، وكأسرة موحدة» .

بعد تخرج تيميربای من مدرسة «مير عرب» ، عمـــل فترة عام واحد ، امينا مسئولا فى مكتب القاضى الشرعى فى قرغيزيا ، حيث برز باجلى صورة كاختصاصى متضلع ، ورجل واسع الاطلاع . وبأخذ هذا بعين الاعتبار ، وجهت الادارة الدينيـــة لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان ، تيميربای اورنبای لمواصلة استكمال معارفه فى جامعة الازهر فى القاهرة . وهو يترأس منذ عام ١٩٨٢ مكتب القاضى الشرعى فى قرغيزيا السوفيتية .

ان القاضى تيميربای اورنبای المفعم بالقوة والنشاط ، الذى يعرف عمله خير معرفـــة ، يبذل جهدا كبيرا فى شرح الآيات الحكيمة للقرآن الكريم ، وسنـــة الرسول صلى الله عليه وسلـــم للناس ، وكذلك فحوى فتاوى الادارة الدينية . وساعد عمله المثمر بقدر كبير على تعزيز الطائفة الاسلامية فى منطقته ، مما تجسد ضمنا فى الاجتماعات الغفيرة التى يحضرها المؤمنون لدى اداء صلاة الجمعة ، حين يلقى الائمة الخطباء مواعظهم ، ويعطون المؤمنين ارشاداتهم الطيبة ، داعين اياهم الى التآخى والسلام والوحدة مع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة من اجل انتصار الخير على الشر .

وينجز فى مكتب القاضى الشرعى القرغيزى عمل مخطط كبير ، فى مجال اصلاح وتعمير المساجد القديمة ، وبنـــاء أخرى جديدة . فمثـــلا شيدت وافتتحت فى الاعوام الاخيرة تلبية لرغبات المسلمين الجوامع فى مدن اوش وبازار – قورغان ، وقيزيل – قيـــا . وتقدم السلطـــات المحلية المساعدة الى مكتب القاضى الشرعى ، حيث تخصص قطع الارض اللازمة من اجل بنـــاء المساجد الجديدة وتؤمن كذلك المعدات والمواد اللازمة والايدى العاملة .

ويعار فى مكتب القاضى الشرعى القرغيزى ، وكذلك فى المناطق الاخرى ، الاهتمام الاولى الى استكمال اعداد الملاكات الدينية . ويتعلم كثير من الطلاب القرغيزيين بنجاح فى مدرسة «مير عرب» ببخارى وفى معهد الامام البخارى الاسلامى الاعلى فى طشقند .

ويفتخر القاضى الشرعى تيميربای اورونبای وكذلك ابناء جلدته بالنجاحات التى حققتها الجمهورية فى ميادين الحياة المختلفة – قرغيزيا التى كانت سابقا من اكثر اقاليم روسيا القيصرية تخلفا ، وعاش شعبها نمط حياة البدو الرحل تقريبا ، وحكم عليه بانعدام الحقوق ومعاناة الفقر والجوع والمرض . كما حقق ابان سنوات السلطة السوفيتية نجاحات لا نظير لها فى مجال التعليم والثقافة والعلوم والزراعة . والآن تعتبر احدى الجمهوريات الاشتراكيـــة ذات السيادة فى الشرق السوفيتى ، وصقعا صناعيا زراعيا يتطور تطورا صاعدا .

يوجد الآن فى قرغيزيا ، البالغ عدد سكانها ٤ ملايين نسمة ، ١٨٠٠ مدرسة عامة ، يتعلم فيها زهاء ١,٥ مليون تلميذ . ويعمل فى الجمهورية الكثير من المعاهد العليـا والمؤسسات التعليمية المتخصصة الثانوية والمعاهد . وازداد عدد الكوادر الوطنية من العلماء والمهندسين والخبراء الزراعيين والاطباء .

وفى الوقت ذاته يتعزز التعاون والصداقة بين مسلمى قرغيزيا واخوتهم فى العقيدة فى البلدان الاخرى . وتفد على الجمهورية وفود من اليمن والمغرب وبلغاريا وغيرها من البلدان . بينمـــا يزور ممثلو المسلمين القرغيزيين بدورهم الاردن وسورية والعربية السعودية ومصر وغير ذلك من البلدان .

تحققت نجاحات كثيرة فى العمل المماثـــل الجارى فى اوساط المسلمين بتركمانيا ، الذى تقوم به ممثلية الادارة الدينية هناك . وتوجه حياة المسلمين فى هذه الجمهورية المشمسة شخصيات دينية ذات مكانة ، كما هى الحال فى الجمهوريات الاشتراكيـــة الشقيقـــة المجاورة . ويتولى رئاستها بدون تغيير على مدى سنوات طويلـــة ، القاضى عطاجان عبد الله ، احد كبار العلماء فى آسيا الوسطى .

تقوم ممثلية الادارة الدينية فى تركمانيا السوفيتيـــة والقاضى عطاجان شخصيا ، بعمل مثمر مستمر فى نشر تعاليم الاسلام الحكيمة والنبيلة ، وشرح فتاوى وارشادات الادارة الدينية ، فى اوساط مسلمى الجمهورية ، واستئصال شتى البدع والخرافات من حياتهم .

رسالة المسجد واستكمال نشاطه

ان غالبيـــة رجال الدين الذين يخدمون فى المساجـــد الكبرى للمنطقة كلها ، هم بالدرجة الاولى من الاشخاص ذوى التعليم العالى .

وقد حصلوا جميعا على تأهيل مهنى ممتاز . ويعتمدون فى عملهم الدينى اليومى بين السكان وباستمرار على فتاوى الادارة الدينية وتوجيهاتها وارشاداتها . وينجز عملا كبيرا الائمة الخطباء فى المساجـــد ، لشرح تعاليم الشريعة الاسلامية والمتعلقة بالطقوس مثل عقد القران والجنائز وغيرها ، والالتزام الصحيح بها . وبنتيجة ذلك ارتفع بشكل ملحوظ المستوى الاخلاقى والاجتماعى لتنظيم واجراء مثل هذه الاعمال الاجتماعية الهامة . ويعرب المؤمنون عن الارتياح الكبير من انخفاض النفقات على هذه الطقوس بشكل ملموس فى الاعوام الاخيرة .

تنحصر القضية فى ان الفئات والطبقات الطفيلية السائدة ، قد افلحت على مدى القرون ، وبسبب جهل وتخلف غالبية السكان ، فى ان تغرس بقدر كبير ، التصورات الانانية الضيقة حول اشكال ونظام اداء اهم الطقوس فى الحياة اليومية . لذا وجب على الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وممثلياتها فى الجمهوريات ، مكاتب القاضى الشرعى ، القيام بعمل مثابر ودؤوب خلال اعوام طويلة ، لايضاح الاثم الذى ينطوى عليه الاسراف فى انفاق المال فى الافراح وكذلك الاتراح بصورة خاصة .

كما يقوم الائمة الخطباء بعمل لا يعرف الكلل فى مجال فضـــح النشاط الخرافي الذى يمارســـه مختلف عناصر المشعوذين . ويساعد على نجاح هذا العمل الى حد كبير ، ما يحفظ بعناية فى المساجد من تسجيلات على الاشرطة لمواعظ المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، من حيث قوة تأثيرها فى السامعين . وقد دافع فيها بثبات ، كشأنه فى الاحاديث واللقاءات المباشرة مع المؤمنين ، عن نقاوة ديننا الحنيف ، وصيانتـــه من خرافات الشرك والكفر . وكان يقـــول ، ان التعويل على المصادفة السعيدة العمياء تعويلا غير مضمون ومهلك ، والتعويل على حدوث معجزة بزعم ان «صانعى المعجزات» قادرون على صنعها ، اولئك الناس الذين يصورون انفسهـم وكأنهـم من الاولياء ايدهم الله برؤية الغيب . ان الايمان الحق والعمل الصالح والاستقامة وحدها ، تجلب الطمأنينة والهدؤ الى روح الانسان ، والامل فى نيل رحمة الله وبركاته .

والمئات من الائمة خطباء الجوامع فى جمهوريات المنطقة ومنهـــم بصورة خاصة القضاة الاجلاء ميرزا عبد الله كلان ، وراتيبك نيسان باى ، وتيمير باى اورونباى ، وعطاجان عبد الله ، يفتخرون عن حق

بكونهم من تلامذة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان يستفيدون فى التطبيق من المعارف العميقة التى اسعدهم الحظ فى الحصول عليها من معلمهم الخالد الذكر مباشرة .

وقد ساعد على النجاح الملموس للنشاط العام الذى يمارسه القضاة الشرعيون الى حد كبير ، تعزيز وظائف المساجد التى تقوم كما هو معروف بدور المبشر الرئيسى بالاسلام وحامية اركانه . واعار المفتى ضياء الدين خان دوما ، اهمية خاصة الى هذه المسألة . ففى عام ١٩٤٥ جرى فى طشقند ، بعد تأسيس مكاتب القضاة الشرعيين فى الجمهوريات المتحدة للمنطقة ، وتراكم خبرة معينة فى تنظيم الادارة لعمل المساجد اليومى ، وانعقاد الاجتماع العام لفقهاء المسلمين بمشاركة اعضاء الادارة الدينية ، الذى تضمن جدول اعماله ، الى جانب مناقشة دون العلماء فى الحياة الروحية للمسلمين بالمنطقة ، الحديث عن ترميم المساجد وغيرها من المبانى المخصصة لاداء الصلوات .

لقد اولى المفتى ضياء الدين خان اهمية اولية خاصة دوما الى نشاط المساجد . ففى الاجتماع الثانى للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان الذى عقد فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٨ ، انيطت به بالذات ، بعد انتخابه توا نائبا لرئيس الادارة الدينية ، مهمة الاشراف على اعمال اعداد نظام خاص حول عمل المساجد . وساعد اقرار هذه الوثيقة الهامة بصورة ملحوظة ، على تنظيم نشاط كافة المساجد ، حيث انه قنن بشكل دقيق وضع المناصب الحيوية ، مثل مناصب الخطباء والائمة لاداء الصلوات الخمس فى المساجد ، وكذلك نواب الائمة والمؤذنين . وكلف الخطباء والائمة ، ضمنا ، بالالتزام بصرامة وبلا حيد ، باحكام الشريعة حول تنظيم الشئون اليومية للمؤسسات الدينية ، والقيام بالنشاطات المتعلقة بشتى الاحداث الهامة . وفيما بعد ، وتطويرا لنظام عمل المساجد ، الذى تم اقراره ، صدرت بمبادرة الشيخ ضياء الدين خان ، وبمشاركته المباشرة ، عدة فتاوى بصدد الاحتفال بالمولد النبوى ، وحول التنظيم الصحيح للجنائز وغير ذلك من الاعمال التى تضطلع المساجد وخدمة الدين بالدور الرئيسى فيها . وبنتيجة ذلك الغيت ، على سبيل المثال ، عادة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لفترة تكاد تعادل سنة كاملة ، وهى عادة غير رشيدة وكثيرة التكاليف الغير المشروعة . وصارت تجرى مراسيم الجنازة بشكل اكثر صرامة ومهابة ، حيث لم تعد مكانا لتحشد الناس البالغ والحافل بصورة

اساسية ولاقامة الولائم الفخمة . والفكرة الرئيسية لكل نشاط الشيخ ضياء الدين خان ، هى التوجه نحو التمسك غير المناسب باحكام الشريعة وقواعدها وهذا ، هو المبدأ الاساسى الذى كان يسترشد به طوال حياته الزاهدة .

واهتمامه الخاص بالمساجد بصفتهـــا المبشر الرئيسى باركان الاسلام وحاميتها ، قد ساعدت على تنامى اشاعة التنظيم والنظام فى كافة الطوائف الدينية بآسيا الوسطى وقازاخستان ، واكتسب عمـــل المساجد طابعا اكثر دقة وتوجها نحو الهدف . وهذا بدوره اتاح فرصا اكبر ، من اجل اصلاح وترميم بيوت الله فى اوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا وقازاخستان .

وبمبادرة الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، خصصت مبالغ كبيرة لتعمير المدرسة الشهيرة «برق خان» ، التى شيدت فى القرن السادس عشر (م) . واستدعى لغرض اجراء اعمال الترميم خيرة الصناع المختصين باشغال البناء بالطوب والنقش والحفر على (الغانتشو) الجص – الذى يعتبر مفخرة الفنون التطبيقية القومية لشعوب آسيـــا الوسطى . واستعادت المدرسة شكلها الاصلى . واتخذت كمقر للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

اصدار المصحف الشريف

يعتبر اصدار القرآن الكريـــم – الكتاب المقدس لدى جميـــع المسلمين فى العالم ، من مبادرات الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الجديرة بآيات الثناء والتقدير . وكان قد جرى اصدار القرآن فى روسيا قبل قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . ويمكن الاشارة مثلا الى طبعات بخارى التى انجزت باسلوب النسخ البخارى . وفى عام ١٩١٣ طبع القرآن فى طشقند بخط الخطاط المعروف ، ميـــرزا هاشم خجندى ، بخط النسخ أيضا . وكانت ترد الينا عادة كمية كبيرة من نسخ القرآن الكريم من شتى البلدان الاسلامية ، وفى مقدمتها الاقطار العربية طبعا . ومع ذلك فان ازدياد عدد السكان كثيرا الناجم عـــن تحسن ظروف المعيشة بآسيا الوسطى وقازاخستان بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى عام ١٩١٧ وقيام السلطة السوفيتية ،

ادى بصورة طبيعية الى تنامى الحاجة باستمرار ، لوجود قيادة رئيسية من اجل المسلمين . وباخذ ذلك بعين الاعتبار ، قامت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى قازاخستان تلبية لدعوة الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، بتنظيم اصدار المصحف الشريف بين فترة واخرى . علما بان الحكومة السوفيتية قد اتاحت الفرصة لها من اجل طبع نصوصه الكريمة باحدث المطابع الموجودة فى بلادنا ، لكى تتجاوب جودة الطبع مع اسمى متطلبات اصدار القرآن الكريم .

وشكلت الادارة الدينية لجنة دائمة ، لانتقاء نماذج طبعات القرآن الكريم ، التى قر قرارها على اختيار طبعة قازان الصادرة فى عام ١٩٠٨ م كاساس معتمد ، للطبعة الجديدة للمصحف الشريف – اقدس مقدسات المسلمين . وفى عام ١٩٥٧ م طبع فى خيرة مطابع طشقند . وبذلك ارسيت عمليا بداية اصدار القرآن الكريم بصورة متواصلة فى بلادنا . لقد استقبل جميع المسلمين هذا الحدث المشهود بارتياح بالغ . وجرى توزيع النسخ الجديدة من القرآن المطبوعة لتوه عن طريق المساجد بصورة اساسية ، وفى جو من الحماس الحافل والجذل الكبير دوما . واهديت نسخ كثيرة من الكتاب العزيز على قلب كل مسلم الى الضيوف الاجانب الكثيرين القادمين من البلدان الاسلامية . والجدير بالذكر انه تركت ابلغ الانطباع لديهم ، جودة الطبع الممتاز ، وكونه يمثل بداية الاصدار المتسلسل للمصحف الشريف .

وفى عام ١٩٦٠ اعتمدت الادارة الدينية طبعة جديدة للقرآن الكريم ، واتخذت كاساس لها الطبعة القاهرية لعام ١٩٢٤ م ، وتجسد فى هذا ايضا اتساع وتعمق علاقات التعاون آنذاك بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، التى كان يترأسها صديقنا الكبير والوفى الرئيس الخالد جمال عبد الناصر . وتشارك فى اعداد الطبعة الجديدة للقرآن مشاركة مباشرة ، علماء ومشايخ جامعة الازهر الشهيرة ، باركهم الله على هذا العمل الكريم . وكان يجرى توزيع النسخ الجديدة للمصحف الشريف على المؤمنين فى المساجد ، كالسابق ، فى جو احتفالى وحماسى دائما .

واعقب ذلك اعداد الطبعات اللاحقة ، واستطاع العالم اجمع ان يقتنع بأم عينه مدى عدم نزاهة الدعاية الغربية التى تسول اخوتنا فى الدين فى البلدان الاخرى ، بشتى الاباطيل عن وضع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، وموقف الدولة السوفيتية من المصحف الشريف . وبدا ان كل شىء واضح . لكن مصيبة كل رأى متحيّز ، انه برغم المتمسكين به

على رؤية «المعانى الخفية» الخاصة و«المغزى» الخاص ، حتى فى الوقائع التى لا جدال فيها بتاتا ، ويجرى تأويلها وفقا لذلك .

مثلا ، رسخ فى ذاكرتى لفترة طويلة ، اللقاء المفعم بالعبر ، الذى جرى بين والدى واحد الصحفيين الغربيين ، حيث اتيحت له فرصة طيبة للاطلاع ميدانيا على حياة المسلمين فى منطقتنا الفسيحة الارجاء . قال الصحفى آنذاك : نعم ، لفهم بلادكم يجب زيارتها ، لان النظر من بعيد يشوه ، كما يظهر ، الكثير من وجهها الحقيقى . نعم ، اننى سافرت بطائراتكم الحديثة ، التى يقودها مسلمون ، ورأيت المساجد تغصّ بالمؤمنين ، وشاهدت الطقوس الدينية الاحتفالية فيها . . . ومع ذلك ، لماذا لا يمكن شراء المصحف الشريف عندكم فى المكتبات ؟

وبدا لى وقتذاك ان الرد على هذا السؤال الساذج للوهلة الاولى بسيط وواضح تماما : فكل مؤمن يعرف ان مفهوم «البيع» والقرآن — شيئان لا يتفقان على الاطلاق . اما والدى فاجاب بخلاف ذلك ، ربما رحمة بعزة نفس محدثه — بالاخص وان ذاك عبر عموما عن شعور الارتياح الكبير مما رآه خلال حلوله ضيفا علينا . فقال والدى : يجب الذكر ان اية نسخة من المصحف الشريف اينما جرى طبعه ، يسرى عليه تحذير العلى القدير بقولـــه : «**لا يمسه الا المطهرون**» . فاين ان لم يكن فى بيت الله ، يمكن تأمين هذا الشرط بافضل شكل واستبعاد خطر وقوع المصحف الشريف بين يدى كل من هب ودب ، او مجرد الخبثاء مـــن الناس ؟ اضف الى ذلك ان المسلمين عندنا يتبرعون بسخاء ، لتغطية حاجات الطائفة ، وبفضل ذلك تسنح لنا الفرصة السعيدة لعدم ربط توزيع القرآن الكريم بالزام الحصول مقابل ذلك على تعويضات نقدية لتسديد نفقاتنا للطباعة والنشر . ان القرآن كتابنا التعليمى فى الحياة ، ويتحقق الوضع الامثل ، حينما تتوفر الفرصة لتوزيع كتب التعليم مجانا ، وذلك ليس كيفما اتفق ، بل فى مراكز التعليم بالذات . والطريف ان الكتب المدرسية فى الاتحاد السوفيتى لا تباع ايضا فى محلات بيـــع الكتب منذ الثمانينات ، فهى توزع الآن على التلاميذ مجانا وعن طريق المدارس فقط . ولكن من المستبعد ان يصل البعض على اساس ذلك ، اى اختفاء الكتب المدرسية من محلات البيع ، الى استنتاج بوجود مصاعب أو مشكلات «خفية» فى التعليم العام المدرسى فى بلادنا .

وفى عام ١٩٦٨ احتفل المسلمون فى العالم اجمعين ، بذكرى مرور ١٤٠٠ عام على نزول القرآن الكريم على رسولنا محمد صلى الله عليه

وسلم . وبمناسبة هذا الحدث التاريخى المشهود ، صدرت فى بلدان اسلامية كثيرة طبعات جديدة للقرآن . واعتمدت فى بلادنا كأصل لذلك نسخة القرآن السالفة الذكر ، التى طبعت بطشقند فى عام ١٩١٣ .

وتحولت ذكرى نزول القرآن على الناس ، الى عيد حقيقى لاخلاص المسلمين لدينهم .

ولتأمين نقل المصحف الشريف بشكل صائب الى أقصى حد ، وازالة ما فيه من عدم الدقة وحتى بعض الاخطاء ، تشكلت لجنة تحرير خاصة ضمت علماءنا ذوى المكانة الجليلة والقارئين البارزين من طشقند وقوقند واندیجان (وتشتهر الاخيرة على الاخص بقارئيها) . وعملت اللجنة خلال عدة شهور فى تمحيص النص بامعان ، وبعد ذلك فقط ، اصدرت هيئة رئاسة الادارة الدينية قرارا باصداره . وتقرر آنذاك اصدار القرآن بحجمين – كبير وصغير . والطبعة الاخيرة ، والسابقة ، من القرآن فى بلادنا صدرت بمدينة قازان فى عام ١٩٨٥ .

اعداد خدمة الدين الاسلامى

اتسم نشر القرآن الكريم بين اوساط المؤمنين فى كافة الازمان باهمية اولية بالنسبة لتربيتهم بصورة صحيحة ، ولغرس الاسلام الحق فى قلوبهم . وكان الشرط اللازم من اجل ادراك كتاب الله الحكيم بشكل صائب – وبالاخص لدى المسلمين من غير العرب – وجود عدد كبير من الائمة والعلماء ، القادرين على شرح مغزاه للمؤمنين البسطاء . ولهذا السبب ، اعار الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان منذ بداية نشاطه الدينى – وهذا شأن والده رحمه الله ايضا – اهتماما كبيرا الى قضايا تربية الملاكات الدينية واعدادها . وبفضل مبادراتهما وسعيهما ، استعادت نشاطها فى بخارى عام ١٩٤٥ م اقدم مؤسسة تعليمية دينية ، ليس فى آسيا الوسطى فقط ، بل وفى العالم الاسلامى كله ، وهى مدرسة «مير عرب» التى شيدت فى عام ١٥٠٣ م وسميت بهذا الاسم تكريما للامير العربى الشيخ سعيد عبد الله اليمنى ، التابع المخلص لسلوك بهاء الدين النقشبندى (توفى فى عام ١٣٧٠ م) ، عالم بخارى البارز ومؤسس الطريقة النقشبندية ، التى نالت الشهرة فى شتى الاقطار الاسلامية ، ومنها العربية .

وسعيد عبد الله اليمنى ، المنحدر من اسرة حكام اليمن ، قد تبحر منذ شبابه فى بواطن تعاليم بهاء الدين النقشبندى ، الى حد انه زهد فى الحياة الدنيا ، وتوجه فى سن ٢٢ الى ما وراء النهر ، الى موطن معلمه الروحى . وبعد اسفار طويلة ، بلغ سعيد عبد الله اليمنى فى نهاية المطاف بخارى ، حيث ربطته بسرعة اواصر متينة بمواصل رسالة النقشبندى – الشيخ خواجه احرار الولى . وبعد وفاة الشيخ ، قام ابنه محمد باقر ، بتقديم سعيد عبد الله اليمنى الى عبيد الله خان ، حاكم دولة بخارى آنذاك ، وسرعان ما اصبح اليمنى من علماء بخارى ذوى المكانة المرموقة ، وبالاستماع الى نصائحه وارشاداته الحكيمة حقق عبيد الله العديد من الانتصارات فى حملاته . فاجزل العطاء لمعلمه الروحى وصديقه مقابل ذلك ، مما اتاح له انجاز بناء مدرسة «مير عرب» فى عام ١٥٠٣ م .

وطوال فترة كيان مدرسة «مير عرب» كان يتعلم فيها كثير من الرجال البارزين الذين تركوا تأثيرا ملموسا فى الحياة الدينية فى آسيا الوسطى ، وكذلك فى الدول الاسلامية المجاورة .

فمثلا ، تلقى العلم فى مدرسة «مير عرب» الشيخ القاضى اصغر الفقيه البارز الذى عاش فى القرن التاسع عشر واحد كبار زعماء الفئة الجويبارية لدى الطريقة النقشبندية . كما تعلم وعمل فيها المفسر والمحدث البارز ، ميان مالك ، الذى عاش فى القرن التاسع عشر ، وكان معلم المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان . وتلقى العلم بهذه المدرسة ايضا صدر الدين عينى احد مؤسسى الادب الاوزبكى والطاجيكى السوفيتى والكاتب والعالم البارز .

كان يحلم بالدراسة فى مدرسة «مير عرب» الكثير من المسلمين ، حتى فى أنأى مناطق العالم الاسلامى ، فقد طبقت شهرتها الآفاق . وتعتبر مدرسة «مير عرب» فى ايامنا هذه ايضا ، من مراكز التعليم الاسلامية الكبرى . ويفد عليها المسلمون من كافة جمهوريات آسيا الوسطى ، وكذلك من مناطق الفولغا ومنطقة القفقاس وتشكل المدرسة رمزا للاخوة والصداقة الوثقى بين كافة معتنقى الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، بغض النظر عن انتمائهم القومى . ويتعلم هناك فى أسرة واحدة الاوزبيك والتتار والقازاخ والطاجيك والتركمان والقرغيز والآذربيجانيون والافاريون . ورغم اختلاف اللغات واللهجات ، فلا يجد احد منهم صعوبة فى دراسة العلوم الاسلامية . ومجمل القول فان الطلاب

يأتون الى المدرسة بعد تلقى المعارف الاولية فى اللغة العربية ، واصول العلوم الاسلامية . علاوة على ذلك ، فان حبهـــم لمعانى القرآن والسنة النبوية عظيم ، كما ان سعيهم الى مساعدة بعضهـــم البعض فى اتقانها شديد جدا ، الى حد ان حواجز اللغة يتم تجاوزها بسرعة نسبيا .

يدرس الطلاب العديد من مواد الفقه التقليدية . وتشمل تلاوة آيات الذكر الحكيم ، وتفسيره ، وسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، والحديث والفقه وتاريخ الاسلام . وطبيعى ان يعار اهتمام كبير الى دراسة اللغة العربية ، وكذلك تجويد القرآن الكريم . وتقام بانتظام مسابقات للمقرئين ، مما يخدم استكمال المهارة العامة فى تلاوة الآيات الكريمة .

كما يعار اهتمام كبير فى المدرسة ، الى دراسة الموضوعات العلمانية ، كالجغرافيا والتاريخ واللغتين الاوزبكية والفارسية ، وكذلك اطلاع الطلاب على منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثين . وهذا ، لان المسلمين عندنا من الناس ذوى الاعداد والتعليم الجيدين جدا ، ويجب على خدمة الدين ان يكونوا – من اجل كسب احترامهم لدى مخالطتهم – من ذوى الاطلاع والتبحر الواسع فى كافة مجالات المعارف الحديثة – الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وفى فترة الدراسة ، لا يتخلف طلاب المدرسة عن الحياة العامة ومنجزات البلاد ، بل بالعكس تتشكل شخصياتهم كعلماء فى الدين يعايشون اهتمامات الشعب ، ومبشرين متحمسين للافكار الاسلاميـــة والمنجزات الحديثة فى العلم والتكنولوجيا ، ويؤثرون تأثيرا حميدا فى عملية تطوير الاقتصاد والثقافة فى جمهوريات الشرق السوفيتى . وهذه الصفات النبيلة لخريجى المدرسة ، قد اكسبتهم المكانة والاحترام لدى المؤمنين . ولا عجب فى ان يتولى كافة خريجى مدرسة «مير عرب» امامة او خطابة الجوامع ، او يعملون فى أجهزة الادارات الدينية لمسلمى شتى مناطق الاتحاد السوفيتى .

يستمر العام الدراسى فى المدرسة من ايلول (سبتمبر) الى أيار (مايو) . وبعد ذلك يقضى الطلبة فترة اربعة أشهر تقريبا فى العطلة . وخلال هذه الفترة يمكن ان تجدهـــم فى عدد من المساجـــد وبيوت المسلمين ، حيث يتعرفون على حياة المؤمنين ، كما ينقلون اليهم مـــا اكتسبوه من معارف . ويكتسب طلاب المدرسة خبرة تطبيقية جيدة ،

لدى مساعدتهم خدمة الدين فى اداء مختلف الشعائر الاسلامية ، وتنظيم امور العبادة والصلوات .

ويقوم طلاب الصفوف العليا فى المدرسة ، بادارة امور العبادة والصلوات فى المسجد الملحق بالمدرسة بانفسهم ، كما يتعلمون القاء المواعظ . وحينما يلقى طلاب المدرسة المواعظ فى الحضور فى المسجد يشعر المؤمنون بارتياح لامرين : لرؤيتهم حاضر ديننا الحنيف اليوم ، ولثقتهم بيوم الغد .

وبفضل العناية المستمرة التى تبديها الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان والرعاية الابوية للمفتى ضياء الدين خان شخصيا خلال سنوات طويلة ، باتت مدرسة «مير عرب» تضطلع فى زمننا ايضا ، بدور تنويرى فى نشر المعارف الاسلامية . ويحمل خريجو المدرسة افكار الاسلام الى اوسع جماهير المسلمين . ومما يساعد على نجاحهم بقدر كبير ، انهم نظرا لكونهم مسلحين جيدا بالمعارف الدينية ، يحسنون تفسيرها ببساطة وبنباهة ، وايصالها الى ازهان المؤمنين .

وبمبادرة المفتى ضياء الدين خان ، قررت الادارة الدينية ، التى شعرت بحاجة المساجد الماسة الى أئمـــة شبان ، ان تدرج الدروس التطبيقية فى مناهج التعليم فى المدرسة ، بالاضافة الى تدريس المواد النظرية البحتة (ومثال الدروس التطبيقية ، قيام الطلاب باداء صلوات الجمعة وغير ذلك من الشعائر) . وقد ادى هذا الى ان اصبح الدعاة الشبان فور التخرج ، مستعدين تماما لاداء الرسالة الرفيعة كخدمة للدين الاسلامى لوحدهم .

كما ان فضل المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان كبير فى تنظيم مؤسسة تعليمية اخرى ، هى معهد الامام البخارى الاسلامى العالى ، الذى افتتح بطشقند فى عام ١٩٧١ . وكان سماحته يعرف جيدا ان الاسلام يدعو المسلمين الى كسب المعارف العميقة – الدينيـــة والدنيوية . وبدونها يصعب ادراك مغزى الحياة ، واستكناه العمليات المعقدة الجارية فى المجتمع والطبيعة . لهذا السبب ، فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو المؤمنين بالحاح وبلا كلل الى امتلاك ناصية المعرفة : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» (رواه البيهقى) ، و«**من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله ، حتى يرجع**» (رواه الترمذى) . وهذان الحديثان الحكيمان ، فى اعقاب الكثير من آيات القرآن الكريم ، يفرضان على المؤمنين ، الاستزادة من العلم ، وكسب المعرفة باستمرار ،

من اجل ان يكونوا جديرين بالرسالة التى اناطها العلى القدير بالانسان .

ولكى نتصور بشكل اوضح ، كل عملية التعليم فى معهد الامام البخارى الاسلامى العالى ، وظروف حياة الطلبة ، فمن الشيق كما يبدو الاستماع الى خريجيه . فاليكم ما رواه مثلا الشقيقان محمود وعبد القادر وليد ، اللذان التحقا بالمعهد فى سنة ١٩٧٥ : «تتوفر كافة الظروف اللازمة من اجل ضمان ممارسة الدراسة بصورة طبيعية ، فهناك الضمان المادى والمعيشى ، وتوفر الكتب اللازمة ، وملاكات الاساتذة . ويعد المعهد التابع للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان الملاكات من اجل جمهوريات آسيا الوسطى ، وكذلك والمناطق الاخرى فى البلاد ، التى يقطنها المسلمون .

ونحن من ابناء موسكو ، ووالدانا يعيشان هناك . وهما — والحمد لله — مسلمان يؤديان كافة الشعائر الدينية طبقا لاحكام القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وابونا وامنا — متقاعدان . واسرتنا تتألف من سبعة اشقاء وشقيقات . وكلهم من البالغين وتلقوا التعليم حسب رغباتهم . وقد علمنا ابونا وامنا ان نكون شرفاء وعادلين ، ونحترم ونبجل من هو اكبر منا سنا . وعلمنا ابونا الصلاة والكتابة العربية وتلاوة القرآن . وكنا نسمع سوية مع ابينا فى جامع موسكو مواعظ الامام الخطيب ، مما زاد بلاريب من مداركنا الدينية . وكان مسجد موسكو يغصّ برواده دائما ، اما الامام الخطيب فكان يحظى بفضل معارفه العميقة ، بمكانة كبيرة لدى المؤمنين .

وبعد التخرج من المدرسة الثانوية ، اخترنا بلا تردد تخصص الواعظ الدينى . فالتحقنا بمدرسة «مير عرب» فى مدينة بخارى ، بعد ان باركنا ابونا وامنا ومعلمونا من جامع موسكو . وهناك استكملنا معارفنا الدينية ، وحفظنا القرآن ، واتقنا اللغة العربية ، وشرعنا بدراسة تفسير القرآن الكريم .

وقررنا بعد التخرج من المدرسة ، مواصلة الدراسة الدينية ، فالتحقنا بالمعهد الاسلامى العالى ، الذى يحمل اسم العلامة العظيم امام المحدثين الامام البخارى . ويتلقى العلم فى القاعات الفسيحة لهذا المعهد العالى ، كابناء اسرة واحدة ، ابناء مختلف شعوب بلادنا . والقاعات والاقسام الداخلية التى يقطنها الطلاب ، مزودة باثاث حديث ، والارضية مفروشة بالسجاد المحلى الجميل . وبوسع الطلاب فى اوقات الفراغ ، مشاهدة برامج التلفزيون الملون والاستماع الى الراديو . لهذا كنا دوما

نطلع على انجازات بلادنا ، وكذلك انجازات العالم أجمع .

كان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان يبدى رعاية دائمة بكافة الطلاب ، وبذل كل ما فى وسعه ، من اجل ان يكون تعليمنا مثمرا . وتوجد تحت تصرف طلاب المعهد الاسلامى ، مكتبة كبيرة غنية ، تضم شتى طبعات القرآن ، القديمة منها والحديثة ، وعدد كبير من كتب التفسير ، والحديث ، وقواعد اللغة العربية ، والبلاغة ، وتجويد القرآن ، والفلسفة ، وتاريخ الاسلام وبلدان الشرق العريق . وتقدم مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» الصادرة بمدينة طشقند ، وكذلك الكثير من الجرائد والمجلات باللغة العربية ، الواردة من مختلف الاقطار الاسلامية ، تقدم مساعدة كبيرة الى الطلاب فى اتقان التحدث باللغة العربية ، واغناء معارفهم فى المفردات ، ودراسة القضايا الاساسية للاسلام .

تجرى الدراسة فى المعهد الاسلامى اساسا باللغتين الاوزبكية والعربية ، اللتين يعرفهما جميع الطلاب . ويمتلك جميع الاساتذة خبرة تربوية كبيرة ، وهم مسلحون جيدا بالمعارف الاساسية . لقد درس كثير منهم ، بعد التخرج من المعاهد التعليمية الاسلامية السوفيتية ، فى المراكز الدينية فى الاقطار العربية ، واشتهروا كفقهاء بارزين فى العالم الاسلامى أجمع . انهم اذ ينقلون معارفهم وخبرتهم الى تلاميذهم ، يربون الجيل الجديد اللائق .

كان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يعير اهتماما خاصا الى تحسين معيشة الطلاب . وكنا نتقاضى منحا شهرية . وتدفع الادارة الدينية الى الطلاب ، نفقات السفر فى فترات العطلة الصيفية والشتوية .

وفى نهاية كل عام دراسى ، يتوجه الطلاب الى شتى المراكز الاسلامية والمساجد ، لاكتساب المهارات التطبيقية فى اداء الشعائر الاسلامية ، تحت اشراف خدمة الدين المحنكين . ويشارك طلاب المعهد بنشاط ، فى مختلف المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى البلاد بصفة مرافقين ومترجمين . وهذا يلعب دورا كبيرا ايضا فى اتقان التحدث باللغة العربية ، ويساعد على التقارب مع ابناء العقيدة الواحدة فى الخارج .

لقد كنا سعداء ايام الدراسة فى أعلى معهد دينى . ورغم ان مسقط رأسنا كان بعيدا عن طشقند ، فلم نشعر هذا الكدر فى نفوسنا .

فالنبى صلى الله عليه وسلم اوصانا بقوله : «**اطلبوا العلم ولو بالصين**» (رواه البيهقى) .

توجد فى عاصمة اوزبكستان جوامع كبيرة كثيرة ، يعيش فيها ابرز العلماء المتبحرين فى الشئون الاسلامية ، حيث يجد المرء لديهم الكثير مما يتعلمه . وسنتذكر طوال حياتنا كلها بالحب والامتنان ، مدينة الدفء والشمس والخبز والاثمار هذه ، واهلها الذين يتصفون بالحفاوة والكرم ، ومعهدنا المحبوب وتربوييننا ومعلمنا الاول المفتى الخالد الذكر ضياء الدين خان بن ايشان باباخان» .

غالبا ما يزور المعهد اخوتنا فى الدين من شتى الاقطار الاسلامية ، الذين تتوفر لديهم دائما ، فرصة طيبة للاطلاع مباشرة على حياة الطلاب ودراستهم ، وللتعرف على المدرسين والمسئولين فى الادارة الدينية . وهم يتحدثون دوما باحترام بالغ عن الشخصيات الدينية الاسلامية السوفيتية . فمثلا كتب الاستاذ علاء الدين الازهرى رئيس رابطة المساجد فى بنغلاديش فى سجل الزوار فى المعهد الاسلامى العبارات التالية : «لقد اتيح لنا الشرف خلال جولتنا فى الاتحاد السوفيتى ، لزيارة معهد الامام البخارى الاسلامى بطشقند . ونحن سعداء للغاية ، بلقاء المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان والعلماء والطلبة . ونأمل ان تخدم زيارتنا قضية تعزيز الصلات العلمية والثقافية بين بلدينا ، الاتحاد السوفيتى وجمهورية بنغلاديش» .

وقد تحدث سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، فى مراسيم الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من طلاب المعهد الاسلامى فاعلن قائلا : «نحن المسئولين فى الادارة الدينية» نشكر الله تعالى على اتاحته الفرصة لنا ، لمشاهدة هذا الاحتفال اليوم . والحمد لله القدير ، الذى بعونه تصبحون اليوم ، بعد انهاء الدراسة الاسلامية ، من خدمة الدين اصحاب الشهادات ، وتنتظرون الآن بفارغ الصبر تعيينكم فى منصب الخدمة . والبركة فيكم اذا كان نفاد الصبر هذا سعيا الى خدمة الله ، وقضية بث تعاليم الاسلام الكريمة فى نفوس البشر .

عما قريب ستتلقون التعيينات وستسافرون الى اماكن عملكم . وستتذكرون هناك بشرف وبنبل ، واجبكم ازاء ابناء عقيدتكم ، ومسئوليتكم الجسيمة كعلماء فى الاسلام امام الله سبحانه وتعالى ، وستهبون حتى آخر ايام حياتكم كل معارفكم وجهودكم الى خدمة الدين الحنيف ، بالالتزام التزاما صارما باحكام الشريعة والسنّة . اعانكم الله

العلى القدير فى اداء رسالتكم القادمة النبيلـــة وفى ابلاغ المعارف التى اكتسبتموها فى مدرسة «مير عرب» ببخارى والمعهد فى طشقند ، المنفعة الى الرعية والى وطننا العظيم واليكم انفسكم . وبودى الاعراب عن الثقة ، بانكم سترفعون عاليا اللقب الشريف لخريج معهد الامـــام البخارى الاسلامى بطشقند» .

ان خريجى المعهد الامناء لوصايا معلمهم الاول ، يبررون بشرف الثقة التى منحها لهم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان – معلمنا ومربينا جميعا ، الذى لم يبخل بوقته وجهده فى سبيل ان يغدو طلاب معاهدنا التعليمية الاسلامية بشكل حتمى شخصيات دينية مؤهلة واسعة الاطلاع ومخلصة للاسلام والمسلمين .

الباب الرابـــــع

تطور العلاقات مع الاخوة فى الدين خارج الاتحاد السوفييتى

* حج المسلمين من الاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٤٥ الظافرة * اللقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود * سنتا ١٩٤٧ و١٩٤٨ يتدرّب خلالهما الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى البلدان العربية * الشيخ ضياء الدين خان نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان * حج سنة ١٩٥٣ * الموقف فى القاهرة * حج سنـــة ١٩٧٨ * المفتى ضياء الدين خان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان * اتساع علاقات مسلمى الاتحاد السوفييتى مع الاخوة فى الدين خارج البلاد * تشكيل مكتب العلاقات الخارجية للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان * ضيوف مسلمى الاتحاد السوفييتى من البلدان العربية بآسيا وافريقيا وغيرهما *

المسلمون السوفيت يستأنفون اداء فريضة الحج

لقد تميزت سنـــة ١٩٤٥ (وهى سنة الانتصار العظيـــم للشعب السوفييتى على المتعدين النازيين) بحدث بارز آخر لمسلمى الاتحـــاد السوفييتى اى باستئناف اداء فريضة الحج السنوى الى الاماكن المقدسة – مكة المكرمة والمدينة المنورة . وفى بداية سنة ١٩٤٥ ، لما تحررت ارض وطننا المقدسة تحريرا كاملا من المحتلين الهتلريين ، انتقلت الحرب كلها الى ارض المعتدى ، وسافرت الى الحج من الاتحاد السوفييتى جماعة

من المسلمين السوفييت برئاسة المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيدخان ، وكان يصاحبه ابنه ومساعده الوفى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان .

ان الحج فريضة من فرائض الاسلام الخمس قال الله تعالى : «**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**» (سورة ٣ آل عمران ، آية ٩٧) . ويقدّم الحج للمسلمين امكانية ممتازة للقاءاتهم المنتظمة ، ويعتبر بموجب القاعدة مؤتمرهم الدولى السنوى الاكبر الذى نشأت وتوطدت اثناءه علاقات الودّ بين الاخوة فى الدين . ويجتمع المسلمون فى مكه المكرمة من كافة اطراف الكرة الارضية تلبية لنداء الله عز وجل : «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا**» (سورة ٣ آل عمران ، آية ١٠٣) كانت هذه الآية قد اصبحت شعارا لوفد الحجاج السوفييت الذين سافروا لاداء فريضة الحج فى سنة ١٩٤٥ .

سلك الحجاج المسلمون من الاتحاد السوفييتى الى مقاصد الاسلام العزيزة ، وكانوا يحاطون بعناية خاصة واهتمام دائم من الذين التقوا بهم ، ولاغرابة فى ذلك ، لان تلك اللقاءات كانت تقدم لكل مسلم ولكافة ذوى الارادة الطيبة ، امكانية رائعة للاستئناس المباشر مع ممثلى الشعب السوفييتى الباسل ، الذى حمل على عاتقه معظم اعباء الحرب العالمية الثانية . ولم يتسن الوقت لاحد حينذاك لكى يقدر الثمن الذى دفعه كل شعب شارك فى الحرب العالمية الثانية ، غير ان العالم كله اصبح على علم بان ابناء الشعب السوفييتى ، يدرجون فى الحساب آلاف المدن والقرى المدمرة والملايين العديدة من الضحايا . وهذا ما جعل كل انسان شريف يتصور ان ليس هناك ما يفوق رفعة وشأنا من سمعة الوطن والحرية والاستقلال ، ويقف موقف احترام واجلال لكل السوفييتيين سواء اكان يشاطر ام لا يشاطر المبادئ التى يقوم عليها المجتمع السوفييتى الاشتراكى ودولته الجبارة الموحدة التى لا تقهر .

اللقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود

ان الحفاوة التى وجدها حجاجنا على الدوام فى بلدان العرب ، اصبحت دليلا بديعا على الاحترام الشامل لممثلى الشعب السوفييتى

الظافر . وترك اللقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود فى نفوسهم ، اثراعميقـــا ، وهكذا كماكان الامر قبل الحرب العالمية الثانية ، اصبح ابعد الساسة العرب تفكيرا ، بين اول من سعـوا الى الاستفادة من كل فرصة ملائمة ، لاقامة صلات مباشرة مع بلادنا ومندوبيها .

والحق يقال ، يجب الاعتراف بانه حتى الحرب العالمية الثانية التى بيّنت للعالم بأسره عظمة الشعب السوفييتى وكرامته التى لا حدود لها ، لم تتمكن من خرق ستار الافتراءات والاكاذيب التى كانت تحاط بها بلاد السوفييت من كل الجوانب منذ نشأتها الاولى سنة ١٩١٧ . ان الجزء الكبير ان لم يكن الجزء الاكبر من الرأى العام العالمى ، كانت لـــه تصورات مشوهة مزيفة عن بلادنا ، ولم يكن اخواننا فى العقيدة استثناءا من ذلك . فكان الكثير منهم متأثرا بالدعايـة الغربية التى كانت تتحلى بملابس المدافع عن الاسلام ، وكانت تكذب امام العالم اجمع وبسفاهة ، عن ان المسلمين فى الاتحاد السوفييتى مضطرون الى اخفاء عقيدتهـــم الدينية ، بسبب الملاحقات القاسية وان المساجد تدمر او فى احسن الاحوال تبقى بعيدة عن المؤمنين . واما اولئك الذين يحاولون ممارسـة الطقوس الدينية والصلوات فهم مهددون بما يشبه بزجهم فى السجن . وكان هذا الضباب من الكذب يحجب اذهان الكثير من اخواننا الاجانب فى العقيدة بغشاوة كثيفة وهو يشكل حاجزا صعبا للتفاهم .

اننى اذكر كيف كان والدى يتكلم بابتسامة حزينة ، بعدما عاد من الحج ، فقد كانت اكثر الاسئلة طرحا على حجاجنا من قبل المسلمين من البلدان الاخرى ، هى : هل يلاحقون المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ؟ وهل لديهم حرية فى العقيدة بصفة عامة فى بلادنا ؟ وهل حرية العقيدة عندنا مضمونة بالقانون ؟ وهل المساجد تعمل بصورة طبيعيـــة ؟ وهل يصلى المسلمون خمس صلوات ويستمعون الى خطب الائمة ؟ وكان امرا غير سهل ان يبدد المرء هذا الضباب الكثيف والارتياب والشك العميقين . وكان على رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ضياء الدين خان بن ايشان باباخان شخصيا ان يبذل مجهودات وطاقة ضخمة من اجل القضاء على هذه الاحكام الافترائية غير المقصودة منهـــا والمقصودة ازاء بلادنا . واتضح ان اكثر الطرق فعالية من اجل ذلك ، هو اقامة العلاقات الشخصية المباشرة مع الشخصيات الدينية والاجتماعية والحكومية فى مختلف البلدان الاسلامية . هذا ما اجمع عليه كل اعضاء وفد الحجاج المسلمين السوفييت سنة ١٩٤٥ .

وعلى اساس تقريرهم لاجتماع الفقهاء المسلمين فى اسيا الوسطى وقازاخستان الذى انعقد فى نفس سنة ١٩٤٥ ، بعد انتهاء موسم الحج ، تم اتخاذ قرار حول انشاء علاقات واتصلات واسعة مع الاخوان الاجانب فى العقيدة فى جميع بلدان العالم وبالدرجة الاولى فى البلدان العربية . وقد لعب الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان دورا بارزا فى ادراك هذا الهدف الشريف .

ففى سنة ١٩٤٧ انطلق برحلة طويلة الى البلدان العربية ، من اجل اقامة علاقات التعاون العملى مع اقطاب العالم العربى . ففى بداية الامر اقام فى مصر حيث كان ينال المعارف من شيوخ الازهر امثال عبد الله الفقاعى ، وحافظ التيجانى ويحصل على سندهما . ثم انتقل لمدة معينة الى مكة والمدينة حيث راح يعمق معارفه فى علم الحديث .

لقد احتفظ الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بذكريات طيبة عن معلميه ومرشديه المصريين والسعوديين الاوائل ، اللذين صاروا بالنسبة له قدوة فى العلوم الاسلامية والكرم الوحدانى النادر . ومع ذلك كان الشيخ ضياء الدين خان يشير بحزن فى احاديث صادقة يجريها مع ذوى القربى والاصدقاء الى ان المسلمين فى الخارج ، بالرغم من ان اذهانهم الذكية كانت تسعى الى اكتشاف الحقيقة ، فانهم يتمكنون فى نهاية المطاف من تجاوز موقف الحذر من بلادنا ، الذى كان يفرض على الرأى العام باستمرار ، وعلى مدى سنين عديدة على البلدان العربية وغيرها . وكما قال لى يوما وهو يتذكر اساتذته ، انهم كانوا يعتبروننى استثناءا او اعجوبة تقريبا ، وكانوا يستوعبون حكاياتى عن حياة مسلمينا بصعوبة ، واحيانا كان يبدو لى انهم يشكون فيما اذا كنت حقا من الاتحاد السوفييتى . فبالنسبة لهم كانت بلادنا العظيمة المتعددة القوميات تبدو مع الاسف لغزا ، وحتى مخيفة يؤمم فيها كل شىء بما فى ذلك العائلة ، واضحى الاسلام فيها مجرد اسطورة . واضاف ابى قائلا : «يبدو ان الاجيال الجديدة فقط من المسلمين الاجانب ، سوف يتحررون من مثل هذه التصورات الخيالية عن بلادنا ، ولكن ذلك لن يحدث تلقائيا ، فعلينا ان نجتهد بلا كلل فى سبيل تجاوز تلك الحواجز غير المعقولة ، التى قد وضعها عدونا المشترك فى الطريق المؤدى الى تقاربنا . وكان النبى محمد صلى الله عليه وسلم يقول : «**كان على الطريق غصن شجرة يؤذى الناس فاماطها رجل فادخل الجنة**» (رواه ابن ماجه) وهناك اشواك كثيرة على الطريق المؤدى الى تقارب المسلمين ،

لست على ثقة باننى سوف ادرك ذلك الزمن السعيد عندما سنتمكن من تنظيف ذلك الطريق تماما . وسوف تدرك الاجيال القادمة هذه الحقيقة كاملة . اما انافارجو الله جل ذكره ان ينزل عليهم رحمته الواسعة .

الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسياالوسطى
وقازاخستان

عاد الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى عام ١٩٤٨ الى الوطن يحمل رصيدا غنيا من المعارف ، التى تلقاها فى القاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة . وكانت سمعته بين كبار علماء الدين عندنا كبيرة لدرجة انه انتخب بالاجماع نائبا لرئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، فى الاجتماع الثانى للادارة الذى عقد فى ديسمبر عام ١٩٤٨ . وتكشفت فى هذا المنصب المسؤول اكثر مواهبه التنظيمية ، زائدا المعارف النظرية العميقة والخبرة الفنية لمدرسة الحياة التى كان يبقى مرشدها الرئيسى دائما والده الحكيم ايشان باباخان ابن عبد المجيد خان .

وفى عام ١٩٥٣ ترأس الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان مجموعة من المسلمين السوفييت الذين توجهوا الى اداء فريضة الحج . واثناء اقامتهم فى الارض الشريفة بمكة المكرمة والمدينة المنوّرة ، كانوا يقيمون علاقات الصداقة الجديدة مع كبار الفقهاء وأعلام الدين الذين جاؤا لتأدية فريضة الحج من الجزائر وافغانستان والسودان واليمن وسوريا والاردن .

واستقبل مجموعة المسلمين السوفييت باشراف الشيخ ضياء الدين خان ، جلالة الملك عبد العزيز بن سعود عاهل المملكة العربية السعودية الذى كان يتذكر جيدا لقاءه الاول مع الحجاج السوفييت ، الذى جرى فى السنة الاخيرة للحرب العالمية الثانية . كان الوضع الدولى فى سنة ١٩٥٣ يختلف تماما عما كان عليه فى سنة ١٩٤٥ ، وهى سنة الانتصار العظيم للشعوب على العدو النازى المشترك ، فقد تفككت اسرة دول الحلفاء المناهضة للنازية وكانت «الحرب الباردة» فى اوجها ، وفى بعض مناطق الكرة الارضية كانت بوادر «الحرب الساخنة» تظهر

مهددة بخطر حرب عالمية جديدة . وانشق العالم الى المعسكرين من جديد ، حيث بقى فى المعسكر الاول كما فى السابق الاتحاد السوفييتى وحلفاؤه الجدد ، وهم بلدان الديموقراطية الشعبية ، التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية . اما المعسكر الثانى ، فقد تكون من حلفاء الاتحاد السوفييتى سابقا برئاسة الولايات المتحدة الاميركية والكثير من الدول الاوربية التى تحررت من نير النازية بفضل الانتصار الحاسم للاتحاد السوفييتى على المانيا الهتلرية . ويطرح هذا المعسكر نفس المهام التى كانت تطرحها المانيا النازية وهى القضاء على الاتحاد السوفييتى كدولة ، وعلى النظام الاجتماعى السياسى الذى اكتسبته شعوبه العديدة فى عام ١٩١٧ . وفى مثل هذه الاوضاع ، ادرك المسلمون السوفييت ان اللقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود ، هو خير دليل على ان رجال الدولة الحكماء فعلا ، لاينجرون ابدا الى استفزازات القوى الشريرة ، ولا يسمحون بتسييرهم فى مجرى سياسة الغير الخبيثة ، التى تعتمد على المبدأ القديم قدم العالم ، وهو «فرق تسد» لقد انذر الله بقوله : «**اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب**» . فنسيان هذه الحقيقة يؤدى الى عواقب خطيرة : «**وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفكم وما كان لى عليكم من السلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم**» (سورة ابراهيم — ٣٣) .

بعد ان عاد الحجاج السوفييت من السعودية سنة ١٩٥٣ ، مكثوا مدة من الزمن فى القاهرة عاصمة مصر . وزاروا جامعة الازهر . واكراما للاخوان فى العقيدة من الاتحاد السوفييتى ، اقام عميد الازهر الشيخ عبد الرحمن تاج مأدبة استقبال . وكان قد عمل الكثير من اجل ان يكون بوسع المسلمين السوفييت ان يدرسوا فى هذه الجامعة الاسلامية الشهيرة . ويمكن القول بلا مبالغة ، ان الصداقة الشخصية بين الشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ ضياء الدين خان قد لعبت دورا كبيرا فى ذلك .

لا شك فى ان مهابة الشيخ ضياء الدين خان ، ونفوذه فى العالم الاسلامى المعاصر بأسره كانا عظيمين . فاذكر مثلا اثناء حج عام ١٩٧٨ الذى تكرمت بالاشتراك فيه قال لنا الشيخ محمد على الحركان الامين

العام لرابطة العالم الاسلامى ، انه طالما يبرز المسلمـــــون السوفييت من بين صفوفهم امثال هؤلاء القادة والمنظمين البارزين ، فان الطريق الى الحج لن يسد امامهم ابدا . واليوم لا بد من ان نتذكر مرة اخرى العمل الجليل الذى قام به الشيخ محمد الحركانى نفسه ، والذى بذل مجهودات غير قليلة من اجل رص صفوف مسلمى العالم كله ، وساعد ايضا على اقامة اوسع العلاقات والاتصالات بينهم بكافة الوسائل . وبفضله تسنت لاعضاء وفدنا فى موسم الحج المذكور ، وبالنسبة لى ، فرصة اجراء لقاءات مع قادة المنظمات الاسلامية الكثيرة ، وكبار العلماء وايضا قادة بعض فئات الحجاج . ان لقاءات الصداقة التى دارت فى اثناء الحج مع قادة العالم الاسلامى ، منهم الشيخ حسن خالد المفتى السامى للبنان والدكتور انعام الله خان الامين العام للمؤتمر الاسلامى العالمى ، والشيخ مصطفى كمال التارزى رئيس ادارة شؤون الاديان فى تونس والشيخ موسى ابراهيم كبير ائمة جمهورية تشاد والشيخ كامل الشريف وزير الاوقاف والمقدسات الاسلامية فى الاردن ، والشيخ محمـد الامين كبير ائمة غامبيا وغيرهـــم ، قد ساعدت على تطوير العلاقات المثمرة وتعزيزها بشكل واسع مع المسلمين السوفييت .

وكان الحجاج من مختلف البلدان عند مقابلتهم اعضاء الوفـد السوفييتى ، يهتمون اهتماما حيّا بوضع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، وكانوا يحاولون معرفة الحقيقة عن حياتهم بتفاصيل اكثر . وقد اهتـم مراسلا اذاعة المملكة العربية السعودية ومصر ، بعدد المسلمين فـى الاتحاد السوفييتى ، ووجـــود المساجد ، ونشاط الائمـــة الخطباء ، ومواضيع خطبهم ، والمنهج الدراسى فى المعاهد الدراسية الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى ، ومسائل تربية الجيل الناشىء . واذيعت الاجوبـة المفصلة عن هذه الاسئلة التى رد عليها اعضاء الوفد باذاعة العربيـة السعودية .

وكانت كل لحظة من اقامتنا فى مكة المكرمة تذكر الحجاج بجلالة الاسلام ومكانته البارزة فى تاريخ البشرية ، وكانت حلقة اخرى لتقوية الايمان فى قلوب المؤمنين . ان اداء الصلوات فى جمع يصل تعداده الى مليونى مسلم تقريبا ، والوقوف بجبل عرفات ، والذهاب الى مزدلفة ومنى ، كل ذلك يجسد تجسيدا تاما وجود الوحدة العظيمة لبنى البشر ، ويبرهن على بطلان تقسيمهم الى سفلاء ونبلاء ، وبيض وسود . ان الله عز وجل الذى امر الناس ان يحضروا امامه ، فقط فى مثل هذه الملابس

المتشابهة مؤكدا بذلك على مساواتهم جميعا ، وانه سبحانه وتعالى يجازيهم بالخير اذا سادت المساواة فيما بينهم .

حين يمر الحاج بشوارع مكة المكرمة ، يقابل اخوانه فى العقيدة ممن يتكلمون بمختلف اللغات ، يشعر بالابتهاج لان الاسلام قد وحد الجميع فى عقيدة واحدة ، وهو ذلك الابتهاج الذى كان نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته يحلمون به وهم اول من حمل راية الاسلام .

وبعد تأدية فريضة الحج ، فان الحجاج يشرعون فى الدعاء ، ويشكرون الله العلى العظيم على تيسيره فرصة زيارة هذه الاماكن المقدسة . واثناء اقامتهم فى المدينة ، يؤدى المسلمون السوفييت الصلوات الخمس فى مسجد النبى ، حيث كانوا يتلون القرآن الكريم بجوار ضريحه . وحين غادروا الاماكن المقدسة توجهوا الى الله تعالى كى يساعدهم على عودتهم مرة اخرى . وكان المسلمون السوفييت يتجهون نحو القبلة سائلين الله الفلاح لجميع الاخوان المؤمنين وان يهبهم السعادة والازدهار .

كانت كل زيارة للشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى الخارج ، مصحوبة دائما باقامة المزيد من العلاقات الشخصية مع الفقهاء الاجانب والعلماء ائمة الدين . فمثلا ، فى سنة ١٩٥٥ عندما اشترك فى مؤتمر دلهى لرجال المجتمع الاسيويين ، حول تخفيف حدة التوتر الدولى ، بصفته عضوا فى مجلس السلام العالمى ، قد اقام اتصلات وثيقة مع علماء الهند وشخصياتها المعروفة من امثال مولانا ميان ، ومولانا عتيق الرحمن ، والقاضى سجاد حسين والشيخ ابى الحسن الندوى وغيرهم . وكان يلقى العديد من الخطب فى الاجتماعات واللقاءات التى نظمتها الحكومة الهندية آنذاك مع المؤمنين .

كان الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يقيم علاقات الصداقة مع كبار الائمة والمفتين فى مختلف البلدان ومن بينهم احمد زبارة مفتى الجمهورية العربية اليمنية ، ومفتى لبنان حسن خالد ، ومفتى سوريا احمد كفتارو ، والمدير العام لادارة شؤون الاسلام لدى الرئيس التونس الشيخ مصطفى كمال التارزى ومفتى بلغاريا محمد توبتشييف ، وقائد مسلمى فرنسا الشيخ ابى بكر حمزة ، وقادة المنظمات الاسلامية الدولية من امثال المؤتمر الاسلامى العالمى ورابطة العالم الاسلامى ورابطات العلماء فى كل من باكستان والمغرب وليبيا وموريتانيا ومصر والعراق وغيرها من البلدان .

لا يتسع المجال هنـــا لذكر كل الذين كان يعرفهم ويقيم علاقات الاخوة والمراسلة معهم ، الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، اذ كان فى نشاطه العملى يسترشد باستمرار بالآية الكريمة : «**انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكـــم ترحمون**» (سورة الحجرات – ١٠) .

كان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بطاقاته المعهودة ، يقوم بعمل كبير فى سبيل توطيد الصداقة والتعاون بين الشعوب .

الشيخ ضياء الدين خان مفتى ورئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان

بعد انتخاب الشيخ ضياء الدين خان رئيسا للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان عام ١٩٥٧ ، أصبح المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان يشارك بصورة انشط فى المحافل الدولية المختلفة ، المكرسة لقضايا العصر الدينية ومسائل السلام وغيرها . فمثلا ، شارك فى عام ١٩٥٨ فى المؤتمر العالمى لممثلى جميع الاديان ، الذى عقد فى الهند ، وفى عام ١٩٦١ ساهم فى مؤتمر رجال الدين المنعقد فى اليابان ، وفى عام ١٩٦٢ شارك فى عمل المؤتمر الاسلامى العالمى فى بغداد .

ومن منصة هذه المحافل الدولية الرفيعة وغيرها ، وفى أثنـــاء أحاديثه مع قادة التيارات الدينية والاجتماعية المختلفة ورجال الدين الكبار ، وفى اثناء مخاطبة الرأى العام الأجنبى ، نشر المفتى ضياء الدين خان بلا كلل ، الحقيقة عن وطنه الحبيب والغالى جدا ، ورد بحزم وبشكل لا يقبل التأويل على كل من حاول الافتراء على وطنه العظيم . ان كلمة الحق التى كان يقولها ، والتى تميزت بالبساطة وسهولة الفهم والاقناع والمنطق الواسع ، وغناها بمادة عملية ومحددة ، تركـــت اثرا كبيرا فى كل من سمعها ومن كل قاعة قيلت فيها . وبفضل خطب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الجلية والحماسية ، فى المؤتمرات الدولية وندوات البحث العلمى والاذاعة والتلفزيون ومقالاته فى الصحـــف والمجلات ، وكذلك لقاءاته العديدة مع أوساط الرأى العام العالمـــى الاجنبى الواسعة ، تدعرف العالم بشكل أفضل وأفضل الحقيقة عن حياة المسلمين فى الاتحاد السوفييتى .

تأسيس قسم العلاقات الخارجية فى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان

كانت سمعة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان تتعاظم من عام لآخر وتتوطد . وأصبح لهـــا أصدقاء متعاطفون كثيرون فى دول اجنبية كثيرة . والآن أصبح ممثلو هذه الادارة ، يستقبلون أصدقائهم الأجانب فى الاتحاد السوفييتى اضافة لزياراتهم الى الخارج . وبلغت علاقات الصداقة هذه بالتدريج ، حجما دعا لتأسيس قسم خاص للعلاقات الخارجية فى الادارة الدينية . ان هذا القسم الذى اسس فى عام ١٩٦١ ، وأخذ على عاتقه وظائف ذات مسئولية عديدة ، مثل تنظيم الحج السنوى الى الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة ، وتشكيل الوفود الدينية الاسلامية التى تقوم بزيارات اخوتها فـى الديـن فى البلدان الاجنبية ، واستقبال الوفود الدينية وغيرها ، التى تزور الاتحـــاد السوفييتى ، وكذلك القيام بالمراسلات المستمرة مع المنظمـــات الاسلامية فى آسيا وافريقيا واوروبا وأمريكا .

لقد بذلت الدعاية الامبريالية والرجعية دائما ، جهودا جمة بهدف التشهير بالاتحاد السوفييتى ، أول دولة اشتراكية شعبية فى العالـم بشتى السبل . ان جميع من وضع نفسه فى خدمة المستثمرين ، وخانقى حرية واستقلال الشعوب الأخرى ، كانوا دائما يوجهون أقلامهم القذرة واصواتهم الدنيئة ضد الاتحاد السوفييتى بالذات .

وكان المستثمرون بمختلف أجناسهم ، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية ، يرون فى دولتنا الاشتراكية خطرا مميتا على وجودهم الجائر ، الذى يعتاش على حساب اضطهاد الجماهير الشعبية الواسعة وقمعهـا . اذ تم فى بلدنا الواسع المتعدد القوميات ولأول مرة فى التاريخ ، القضاء عمليا على استثمار الانسان للانسان ، الذى يكرهه الله العلى وكذلك على التفرقة القومية والدينية التى استمرت قرونا ، وكفل لكل عضو فـى المجتمع ، بصرف النظر عن أصله وانتمائه العرقى والقومى والدينى ، حياة متكافئة مع جميع أعضاء المجتمع الآخرين ، حياة تليق بالمهمـــة العظيمة التى حمل بها الله الانسان ورسوله الى هذه الأرض . ومـن المعروف أنه جرت محاولات كثيرة للقضاء على بلدنا العظيم بالحديـد والنار ، وجرت محاولات لخنق بلدنا عن طريق فرض الحصار الاقتصادى والتجارى وغيره . ان هذه الاعتداءات المباشرة على وطننا الحبيـــب

لتنتظرها الفشل الذريع . وفى مثل هذه الظروف يعول أعداء الحرية والسلام والاشتراكية على الكذب الوقح للتشهير بدولتنا الشعبية العظيمة ، والاسرة الاشتراكية التى يسير الاتحاد السوفييتى فى طليعتها . ومع مرور الزمن تصبح هذه المهمة القذرة أصعب وأصعب . والآن قل من يصدق فى الخارج ، الحكايات الشريرة للدعاية المأجورة ، حول العمل المكره فى الاتحاد السوفييتى والزوجات الجماعيات والأطفال الذين يربون على حد زعمهم ، بعيدا عن أهلهم . واليوم تستخدم اساليب كذب أكثر دهاء . لكن الهدف يبقى هو نفسه — التشهير بوطننا الحبيب بجميع الأساليب واقناع الناس غير المطلعين بالخطر الوهمى الذى يشكله وطننا على سلامتهم وشرفهم ومكانتهم على حد زعمهم .

ان الدعاية الامبريالية تحب ، كما هو معروف ، التحدث عن مسألة وضع الأديان فى الاتحاد السوفييتى . وجرت فى الماضى محاولات التشهير بمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة ، وما نجم عن ذلك فى الغاء العلوم الدينية من البرامج المدرسية . فى هذه الحالة جرى تجاهل فى واقع أنه لم ينفذ تطبيق المبدأ المذكور لأول مرة ، فى دولتنا الاشتراكية اطلاقا ، وانما قبل فترة طويلة من وجودها — فى اوروبا البرجوازية بالذات ، فى بلاد ذات خصائص قومية أسهل بكثير مما فى الاتحاد السوفييتى ، حيث يعيش فيه مايزيد عن ١٠٠ شعب صغير وكبير ، وحيث تتعايش معا جميع اديان المعمورة تقريبا .

وفى الوقت الراهن ، قل من يلجأ الى هذه الحجة العتيقة ، وبدلا من ذلك ، يطرحون فى المقام الأول وبصورة ملحوظة أكثر ، ذريعة أخرى حيث يزعمون ويتحدثون عن الوضع غير المتساوى للمسلمين وحتى اضطهاد الدين الحنيف بالمقارنة مع الأديان الأخرى فى الاتحاد السوفييتى . ان الخوض فى نقاش كلامى مع اؤلئك الذين ينشرون أمثال هذه الأكاذيب ، هو عمل عديم الجدوى والفائدة بل يشبه حوارا مع اناس يعلنون الأبيض أسود والأسود أبيض . ومن الأفضل فى هذه الحالات ، اتباع الحكمة الشعبية العامة التى توصلت اليها معظم شعوب الأرض : «ان ترى مرة خير من ان تسمع مائة مرة» .

عندما نقيم علاقات جديدة وجديدة مع أبناء الدين الحنيف فى البلدان الأجنبية ، ومع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، نقول لهم كل مرة : «زوروا بلادنا ، وتعرفوا على حياتنا عن كثب وليس من مصادر دعائية متحاملة ومشوهة لا تريد لنا الخير . ولتكن الانطباعات المباشرة

لما ترونه وتسمعونه خلال جولاتكم فى بلادنـــا واللقاءات المباشرة والصريحة مع شعبنا ، المصدر الأول والرئيسى لمعلوماتكم الصحيحة !» .

الحمد لله . فمن عام لآخر يزداد عدد الوفود الدينية الاسلامية المتنوعة جدا ، التى تصل الاتحاد السوفييتى بدعوة منا . وفى كل مرة تكون النتيجة تقارب قلوبنا اعمق ، ويصبح التفاهم المتبادل والتعاون بيننا أكثر سعة وغنى . وبغية توضيح ذلك ، يمكن الحديث عن اللقاءات العديدة والرائعة مع اخوتنا فى الدين من الخارج ، التى جرت فى الأرض السوفييتية . ونخص منها بالذكر ، تلك التى شارك فيها مشاركة مباشرة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان .

ضيوف مسلمى الاتحاد السوفييتى من البلدان العربية والدول الأخرى

كانت الشخصيات الاسلامية المعروفة أمثال المفتى العام للجمهورية العربية السورية المرحوم الشيخ أبو يسر العابدين ، ورئيس جمعية «جماعة الاسلام» فى باكستان الشيخ مولانا البدايونى من اوائل من زاروا الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

زار بلدنا فى عام ١٩٦١ لمدة شهر تقريبا ، وفد كبير من المغرب برئاسة وزير الاوقاف الدكتور علال الفاسى . وقد صرح عند مغادرته قائلا : «اننا نفارقكم والحزن يغمرنا ، فقد اعتدنا خلال اقامتنا فى بلدكم ، اوزبكستان وطاجيكستان على أناس فى منتهى الروعة بمقتضى القدر ، وتعرفنا اليهم على أرضكم الرائعة . ففى العهود الغابرة جمعتنا الحضارة الاسلامية . واليوم تجذبنا اليكم المنجزات العظيمة التى حققتها شعوب آسيا الوسطى . وهذه النجاحات هى عبرة لنا . كما شاهدنا بام أعيننا العاملين فى المصانع وحقول القطن وزرنا اسرهم . وتوفرت لنا فرصة جيدة للتعرف على الحياة الدينية لاخوتنا فى الدين ، وتأكدنا أنها تتجاوب تماما وتعاليم الشريعة» .

وأضاف السيد رشيد الدرقاوى ، القاضى الشرعى وأحد أعضاء الوفد قائلا : «اننا شاهدنا فى الاتحاد السوفييتى ما لم نتوقع مشاهدته قبل زيارتنا لبلادكم . فالشعب السوفييتى حقق المعجزات خلال فترة تاريخية قصيرة . ومن الصعب تقدير أعمالكم ومنجزاتكم العظيمة» .

وقد زار الاتحاد السوفييتي أيضا ، وفد آخر يضم رجال الدين المسلمين البارزين ، والشخصيات الاجتماعية في المغرب برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد أحمد برکش . ضم الوفد عبد القادر الفاسي ، السفير الاسبق للمغرب في موسكو ، والسيد عبد الرحمن الدكالي الامين العام لوزارة الأوقاف والسيد عبد الله كنون رئيس جمعية العلماء في المغرب ، والسيد محمد بن عبد الله المدير العام لمجلة «دعوة الحق» .

هذا وقد وفرت للضيوف المغاربة امكانية واسعة جدا للتعرف على الحياة الدينية لمسلمي الاتحاد السوفييتي ، وأيضا التعرف على منجزات شعوب آسيا الوسطى الصناعية والزراعية والثقافية .

وصرح السيد أحمد برکش في حفل التكريم ، الذي اقيم على شرف الوفد المغربي في مجلس الشؤون الدينية لدى مجلس الوزراء السوفييتي في موسكو ، أنه التقى مع المفتي ضياء الدين خان بن ايشان باباخان سابقا خلال زيارته للمغرب . والآن تتوفر له فرصة رائعة ليتأكد بشكل مطلق ، من صحة أقوال المفتي حول وضع المسلمين السوفييت . واشار الضيوف المغاربة الى أن مسلمي اوزبكستان ، مثلا ، يقومون الى جانب ممارستهم شعائرهم الدينية بحرية ، بالعمل عن طيبة خاطر في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما يجد تعبيرا عنه في ازدهار الصناعة والزراعة في الجمهورية بصورة لا مثيل لها .

وزار الضيوف خلال وجودهم في الاتحاد السوفييتي مراكز الحضارة الاسلامية في طشقند وبخارى وسمرقند ودوشنبه وباكو وموسكو ولينينغراد ، وزاروا أيضا الادارات الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان والقفقاس . وتأكدوا من خلال مشاهداتهم أن المكتبات الاسلامية ، تحفظ بعناية ودقة النسخ الفريدة للكتب والمخطوطات الدينية القديمة والكثيرة . وقد قدمت صور بعضها هدايا لأعضاء الوفد .

وكان الضيوف يؤدون فريضة الصلاة يوميا في الجوامع الكبيرة وفي الجوامع الريفية الصغيرة على السواء ، وفي أثناء تأديتهم هذه الشعائر الدينية ، كانوا يلقون الخطب وكلمات التحية . وفي جامع لينينغراد صلى اماما ، عضو الوفد ورئيس جمعية العلماء في المغرب الشيخ عبد الله كنون . أما كلمة التحية ، فقد القاها الأمين العام لوزارة الأوقاف السيد عبد الله الدكالي . وقد القى السيد أحمد برکش وزير

الأقاف والشؤون الاسلامية كلمة التحية فى جامع «خواجه احرار» فى سمرقند ، و«خواجه زين الدين» فى بخارى ، والقى الخطب فى المسجد المركزى بدوشنبه الشيخ الدكالى وعبد الله كنون .

وتركت اثرا عميقا فى الضيوف الأجانب ، زيارة ضريح الامام البخارى . وقد أدى أعضاء الوفد المغربى ، الصلاة فى الجامع القريب من الضريح . وفى حضور أعداد كبيرة من المسلمين ، أهدى الوفد للمسجد سجادة كبيرة صنعتها أيدى العمال المغاربة المهرة ، وثريا لا تزالان تزينان بهو المسجد . وحسب أقوال الضيوف المغاربة ، فان يوم زيارة ضريح الامام البخارى كان أسعد أيامهم .

هذا وجرت فى عدد من المؤسسات ، لقاءات رسمية ، بمناسبة وصول رجال الدين المغاربة . وفى موسكو ، استقبل الوفد بحرارة ، نائب رئيس هيئة رئاسة السوفييت الأعلى دزوتسينيدزه . أما فى طشقند ، فاستقبله عظيموف نائب رئيس مجلس الوزراء فى اوزبكستان ووزير الخارجية فى الجمهورية وأشار الطرفان بسرور الى تعزيز علاقات الصداقة بين الاتحاد السوفييتى والمغرب ، وعبروا عن رغبتهم فى تقارب الشعبين السوفييتى والمغربى أكثر فاكثر .

ورافق الوفد اثناء جولاته فى ارجاء البلاد صحفيون غطوا اقامة الضيوف المغاربة فى الصحافة والاذاعة . وقد تأثر أعضاء الوفد كثيرا ، عندما سلمت اليهم قبيل اقلاع الطائرة الى الوطن ، مجموعات من الصور والأفلام السينمائية التى تعكس زيارتهم للاتحاد السوفييتى .

وفى الفترة الواقعة بين ٣٠ آذار (مارس) و٦ نيسان (ابريل) عام ١٩٦٤ زار الاتحاد السوفييتى بدعوة من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وفد دينى اسلامى تونسى برئاسة مدير مدرسة «ابن خلدون» فى مدينة تونس العاصمة الشيخ محمد بن عرب النبى . وقال الشيخ : «اننا شاهدنا بأم أعيننا كيف تحافظ فى الاتحاد السوفييتى بعناية على الأبنية التاريخية ، ويعاد ترميمها ، وكذلك المخطوطات الثمينة من العهد الغابر . وقد تركت فينا اثرا عميقا عناية حكومتكم بها . وتأكدنا بأم أعيننا من تطور شعبكم فى جميع المجالات» .

لقد زار الشيخ مصطفى كمال التارزى الاتحاد السوفييتى غير مرة ، بوصفه مديرا للادارة العامة للشؤون الاسلامية لدى رئاسة الجمهورية . وقال فى احدى زياراته ، عندما أجرى معه مراسل مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» مقابلة صحفية : «لقد زرت الاتحاد السوفييتى مرات

عديدة . وفى كل مرة تصبح معارفى عن المؤسسات الدينيـة والحياة الاجتماعية فى بلدكم وخاصة فى اوزبكستان اعمق فاعمق . فى كل زيارة أعرف أشياء جديدة ، تخص حياة شعوب هذه المنطقة . ان النزاهة وحب الصداقة والموقف الجدى من القضية المبدئية التى يتسم بها المسلمون ، هزت مشاعرى .

اعتقد أن نشاط الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان تنسجم وتيار الحياة المعاصرة العامرة . وقد التف خريجـو مدرسة بخارى والمعهد الاسلامى فى طشقند حول المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وتعطى التربية الدينيـــة الاسلاميـة فى الاتحاد السوفييتى ثمارها الرائعة . طبعا ، لا يمكن الآن الحديث عن وصول الذروة . لكن الحياة قلبت التصورات الخادعة عن أن الاسلام يضطهد فى الاتحاد السوفييتى .

ان اللقاءات مع المفتى وتنظيم مؤتمرات وندوات بحث اسلامية فى طشقند ، وسمرقند ، ودوشنبه ، وغيرها من المدن السوفيتية ، كل ذلك يساعد الضيوف الأجانب المشاركين فيها على التعرف عن كثب ، الى حياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى . واليوم يعرف العالم أجمع ، الوضع الحقيقى عن الدين الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى» .

ان العبارة الاخيرة مبالغ فيها قليلا . لكنها تبقى كلمات صديق يتصور طبعا أن مشاعره عن اصدقائه ، يجب أن تنطبق على جميع الناس الطيبين . اننا بالذات ، نعرف تماما أنه وللاسف لا زالت الأمور بعيدة عن هذا المستوى ، اذ توجد افكار شريرة ومتحاملة لا يستهان بها عن بلدنا العظيم ووضع الاسلام فيه . ولا يزال عدد غير قليل من الناس فى الخارج يعتقد بحكايات الرعب والخزعبلات عن وطننا وتعطشه للدماء ، ونواياه العدوانية ، وسعيه بأى ثمن ، لاجبار كل البلدان والشعوب على العيش حسب نمطه وهواه ، والتخلى عن خصائصها القومية والعرقية والروحية والثقافية الاصيلة ، التى تكونت خلال قرون من تطورها ، وبالتالى اسدال الستار على اصالتها التاريخية ومعها المساهمة التى لا تقدر بثمن والتى قدمها كل شعب وأمة للحضارة الانسانيـــة العامة . يخيل أن الازدهار الروحى والمادى غير القابل للجدل ، والذى بلغته عشرات الشعوب القاطنة فى السهول الرحبة لوطننا الواســـع المتعدد القوميات ، يجب أن يكون حاجزا أمام مثـــل هذه الدعايات الكاذبة . أما الواقع فهو أعقد من ذلك بكثير لأن الدعاية الامبريالية التى

كانت تسيطر لسنوات عديدة ، على المجال الاعلامى ، استطاعت نشر الكثير من الأكاذيب والتلفيقات . ولا يوجد طريق أفضل للقضاء على الحمل الثقيل ، الناتج عن تراكم التصورات المشوهة عن بلدنا ، مثل اقامة جسور صداقة جديدة وجديدة معها ، واقامة علاقات مباشرة مع السوفيت ، والتعرف مباشرة وبشكل واقعى الى حياتهم وطموحاتهم وهواجسهم . لهذا السبب تعير الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان أهمية كبيرة مثلها مثل الادارات الدينية الثلاث لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، لاقامة علاقات واسعة قدر الامكان ، مع أبناء الدين الاسلامى فى الخارج ، ومع كل الناس ذوى الارادة الطيبة .

زار اوزبكستان فى الفترة الواقعة بين ١٧ و٢٥ آب (اغسطس) عام ١٩٦٣ ، بدعوة من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وفد اسلامى من الهند برئاسة مفتى عموم الهند ورئيس «جمعية العلماء» الشيخ عتيق الرحمن عثمانى .

لقد زار الوفد طشقند وسمرقند وبخارى ودوشنبه ، حيث تعرف فى الواقع الى حياة المسلمين فى آسيا الوسطى . وقد صرح عضو الوفد الشيخ سعيد عبد الله بخارى ، امام الجامع المركزى «شاه جهان» فى مدينة نيو دلهى ، بعد انتهاء الزيارة وفى معرض شكره على الدعوة لزيارة الاتحاد السوفيتى قائلا : «لقد استطعنا خلال زيارتنا ، التعرف الى ماضى وحاضر الشعب السوفيتى وهو ما يعتبر هدفنا الرئيسى . واستطيع الآن القول بثقة ، أن الكثير جدا مما سمعناه سابقا عن بلدكم العظيم ، ليس أكثر من تلفيق يتناقض تماما مع ما شاهدناه بأم اعيننا . ان اللقاءات مع المسلمين ، أظهرت بجلاء تام ، أن حياتهم الدينية لا تتعرض لأية مضايقات من جانب السلطة السوفيتية ولا يمنعهم أحد فى الاتحاد السوفيتى من الايمان بالله» .

من ٧ وحتى ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٦٣ زار الاتحاد السوفيتى بدعوة من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وفد اسلامى من اتحاد توغو ، برئاسة السيد محمد حسين (ماما فسينى) ، الوزير لدى رئاسة الجمهورية .

قام الوفد بجولة فى الاتحاد السوفيتى ، زار خلالها موسكو ولينينغراد وطشقند وسمرقند ودوشنبه . وصرح رئيس الوفد قائلا : «لقد تركت زيارتنا لبلدكم العظيم انطباعا لا يمحى . ان ما شاهدناه فاق كل توقعاتنا . وشاهدنا بأعيننا كيف تعيش فى الواقع بصداقة وتعاون

وثيق شعوب وقوميات مختلفة جدا ، رغم الاختلافات فى العادات واللباس واللغات والاعتقادات ولون البشرة . ان السوفيت يعيشون ويكدحون كأعضاء أسرة واحدة كبيرة . وأود أن يكون ذلك مثالا للأفارقة .

فى بلدنا ، سمعنا الكثير طبعا ، عن بلدكم ، ونقول بصراحة سمعنا أشياء مختلفة . وهنا تعرفنا بصورة مباشرة على حياة السوفيت ، وخاصة ، المسلمين منهم ولم يبق من التصورات التى بثتها لنا الدعاية الامبريالية أى اثر . ان الحقائق أقوى بكثير من جميع الأباطيل . وتأكدنا فى اثناء زيارتنا لمدن آسيا الوسطى ، أن السلطة السوفيتية وفرت للمسلمين امكانية اعتناق دينهم فى جو من حرية الاعتقاد الكاملة ، واقامة علاقات مباشرة مع ابناء الدين الاسلامى فى الخارج . وهذا يملأ صدورنا بشعور الامتنان الصادق والاحترام .» .

زار من ٣–١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٦٣ ، الاتحاد السوفيتى بدعوة من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازخستان وفد افريقى آخر ، من مالى ، ضم العاملين القياديين فى المدارس الدينية فى مدينتى باماكو وتيمبوكتو .

زار الضيوف طشقند وسمرقند ودوشنبه ، حيث اجروا لقاءات عديدة من المسلمين وتعرفوا ميدانيا الى حياتهم وعملهم وظروف معيشتهم . وقال رئيس الوفد الشيخ سعدو توری (سعد بن عمر) فى أحد خطبه : «لقد تعرفنا أثناء زيارتنا لبلدكم الى الجوانب المختلفة فى حياة المسلمين السوفيت ، وتعرفنا أيضا على منجزاتهم فى تطوير أكثر فروع العلم والتكنولوجيا المعاصرين طليعية . وهذا ذو أهمية كبيرة لنا شخصيا نحن ممثلى شعوب مالى . وحصلنا أيضا على معلومات قيمة جدا لم نكن فى الماضى نعرف عنها أى شىء . قبل زيارتنا لبلدكم سمعنا الكثير من هذا القبيل ، وتبين بعد تعرفنا المباشر اليكم أن هذا كذب وهراء . فلتكن زيارتنا احدى منارات الصداقة بين شعبى بلدينا ، وبين المسلمين فى العالم أجمع .» .

ان زيارة وفد رجال الدين من لبنان الى بلادنا فى عام ١٩٦٧ ، برئاسة سماحة الشيخ حسن خالد ، المفتى العام للبنان ، كان حدثا خاصا فى حياة المسلمين السوفيت . فخطب المفتى حسن خالد بعد صلاة الجمعة مع المسلمين ، واستشهد فى خطبته بالكثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، التى تخص الأخوة والتعاون بين الناس .

كما زار الضيوف والمرافقون لهم سمرقند . وفى الطريق اليها

زاروا الزرعة التعاونية التى يرأسها همراقل تورسونقولوف الحائز على لقب بطل العمل الاشتراكى ثلاث مرات ، ومعهد آسيا الوسطى لمكنة وكهربة الزراعة . وقد القى المفتى حسن خالد كلمة أمام المؤمنين فى جامع بلدة سرداريا . واطلع الضيوف فور وصولهم الى سمرقند العريقة على آثارها التاريخية ، وزاروا جامعة سمرقند الحكومية .

واحتلت زيارة ضريح الامام البخارى الأعظم ، مكانا خاصـــا فى برنامج زيارة ضيوفنا .

وبعد اطلاع الضيوف على معالم بخارى ، التقوا بطلبة مدرسة «مير عرب» وتفقدوا الفصول وأبنية السكن فيها . وحضر رئيس الوفد المفتى حسن خالد بعض الدروس فى هذه المدرسة .

وفى طشقند أقام المجلس الأعلى فى جمهورية اوزبكستان ، حفل استقبال للوفد ، تحدث فيه المفتى حسن خالد الذى قال : أن أعضاء الوفد تأثروا جدا بحفاوة اخوتهم فى الدين السوفيت وحبهم للصداقة وضيافتهم وعنايتهم . وفكروا عند سفرهم من لبنان أنهم سيصلون بلدا يعيش فيه الملحدون فقط ، حيث تنعدم حرية العقيدة والاديان . لكنهم تأكدوا بعد وصولهم أن الاسلام فى الشرق السوفيتى ، لم يحافظ على نفسه وحسب ، بل ويتطور أيضا .

ان هذه ليست المرة الأولى التى يزور فيها المفتى حسن خالد الاتحاد السوفيتى ، وكان يعود من كل زيارة باسمى الانطباعات عـــن بلدنا .

لقد كان لزيارة وفد رجال الدين المصريين فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠ برئاسة شيخ جامع الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام ، التى نظمها المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى الأرض السوفيتية صدى عالميا . وضم الوفد ، الشيخ محمود خليل الحصرى – أشهر قراء القرآن الكريم فى العالم ، ورئيس رابطة قراء القرآن الكريم العالمية ، وعبد السلام الشبراوى مسؤول ادارة العمل مع الطلبة الأجانب فى جامعة الأزهر وغيرهم من العلماء المشهورين .

وتعرف الضيوف الى عمل الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وزاروا مكتبة ، وضريح علامة القرن التاسع الامام القفال الشاشى ، ومعهد الاستشراق ، ومتحف على شير نوائى للآداب ، ومعالم طشقند الأخرى .

والقى الشيخ محمد سرور عضو الوفد وأحد العاملين البارزين فى

جامعة الأزهر ، خطبة مكرسة لقضايا الأخلاق الاسلامية والصداقة بين جميع المسلمين ، وبعد ذلك سلم المفتى ضياء الدين خان قسما من ستار الكعبة ، كما حضر الضيوف عددا من الصلوات فى مساجد طشقند وسمرقند وموسكو وغيرها من المدن . وقد تعجبوا ودهشوا لما شاهدوه فى الاتحاد السوفيتى . وترك انطباعا خاصا لديهم مدى تفهم المؤمنين العميق عند سماعهم تلاوة القرآن الرائعة للشيخ محمود الحصرى الذائع الصيت . وصرح الضيوف أنهم للمرة الأولى فى حياتهم يصادفون مثل هذا الاندفاع الروحى .

وأكد المفتى ضياء الدين خان فى كلمته التى القاها لمناسبة توزيع هدايا تذكارية على الضيوف فى بيته ، على ان الاسلام لم يشجع العدوان أبدا ، وأنه دين السلام والصداقة . وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**تزاوروا تحابوا**» . وانطلاقا من ذلك فان فكرة السلام هى أهم شعارات الاسلام .

وقد عبر فضيلة الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الازهر فى احد لقاءاته الكثيرة التى حضرها أيضا الأئمة والخطباء فى جوامع طشقند ، والعاملون فى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، عبر عن رضاه الكامل عما شاهده فى الاتحاد السوفيتى قائلا : «لقد سبق لى ان زرت بلدانا كثيرة فى العالم ، لكنى لم أشعر أبدا بمثل هذه السعادة الروحية العظيمة التى أشعر بها فى هذه الايام وأنا قائم بينكم . اننى سعيد جدا بمشاهدة اخوتى فى الدين وهم مخلصون كثيرا لدينهم دين الاسلام وينشرونه بحرية تامة . اننى أقول هذا كانسان مقتنع بذلك جدا» .

ان زيارة ضريح الامام البخارى تركت أثرا لا يمحى فى الضيوف العرب ، الذين اشاروا الى أن العالم الاسلامى بأجمعه يقدر عاليا خدمات العلامة البارز هذا ، فى الحفاظ على معظم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وأشار الشيخ الفحام باعجاب الى أن آسيا الوسطى اعطت العالم الكثير من العلماء ورجال الدين البارزين حيث يعتبر نتاجهم مراجع أساسية لكل مسلم ، وكل من يقدر عاليا التفسير والحديث . ومن هؤلاء محمود الزمخشرى ، وأبو البركات النسفى ، وأبو موسى الخوارزمى ، وأبو ريحان البيرونى ، وسعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وأبو على بن سينا وغيرهم . وقال الشيخ محمد الفحام بخصوص البخارى : «ان اسعد يوم فى حياتى ، الذى لن أنساه

أبدا ، هو يوم زيارة ضريح ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى . وشعرت ، عندما وقفت بجانب ضريحه ، وكأنى اقف بجانب ضريح رسولنا محمد بالذات» .

وعبر المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان مرة أخرى فى كلمته التى القاها فى اثناء مأدبة العشاء ، التى أقامها بمناسبة عودة الضيوف الى وطنهم ، عن رغبة فى تعزيز الصداقة والتفاهم المتبادل بين مسلمى البلدان المختلفة ومعرفة بعضهم البعض بصورة اعمق .

وفى المقابل ، عبر الدكتور محمد الفحام عن شكره القلبى على الاستقبال الحار وقال : «اننا لا نشعر ونحن بينكم أننا غرباء ، بل على العكس ، تأثرنا كثيرا ونحن مأخوذون بالانتباه والرعاية اللذين ابديتموهما اتجاه وفدنا . انكم ترحبون من خلالنا بجامعة الأزهر بأسرها ، والشعب العربى كله والاسلام عموما» .

كان فضيلة الشيخ عبد الله محمد حاتم مدير مكتب الشؤون الدينية ومفتى اليمن الجنوبى وخطيب المسجد المركزى فى عدن ، غير مرة فى ضيافة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وقد تعرف بشكل جيد على حياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى خلال رحلاته فى بلادنا . ففى عام ١٩٧٧ اكد خلال مشاركته فى مؤتمر موسكو العالمى للأديان ، الذى عقد تحت شعار «رجال الاديان فى سبيل السلم الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب» أن زيارته للاتحاد السوفيتى ، تثبت له مرة بعد أخرى ، مدى كذب الدعاية الغربية ، التى تزعم أن حرية العقيدة معدومة فى هذا البلد ، وان مسلميه يعانون الاضطهاد . وأضاف المفتى «يجب أن يخرج بهذا الانطباع كل من يزور الاتحاد السوفيتى دون آراء متحاملة ، وبارادة صادقة لمعرفة الحقيقة عن هذا البلد العظيم» .

وقد عبر الضيف الكبير عن تقديره العميق للاستقبال الحميم الذى لقيه كل مرة زار فيها الأرض السوفيتية» .

وقال : «كنت اشعر فى الاتحاد السوفيتى وكأننى فى وطنى ، وذلك بفضل الود المخلص وحفاوة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وجميع العاملين فى الادارة الدينية التى يرأسها» . وأشار الضيف بارتياح الى أن زيارته – كما كان متوقعا – ساعدت على توطيد علاقات الصداقة فى المستقبل بين مسلمى البلدين ، وفى نفس الوقت ، تعبر هذه العلاقات عن المستوى الرفيع للعلاقات الحكومية بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والاتحاد السوفيتى .

وأشار الشيخ عبد الله حاتم قائلا : «يعرف العالم بأسره أن اوزبكستان تملك صناعة راقية وزراعة عالية التطور . ويمكن التأكد من ذلك بسهولة . ومن البساطة أيضا الاقتناع من حقيقة ساطعة أخرى وهى أنه يعمل فى الاتحاد السوفيتى الكثير من الجوامع . وشاهدت بأم عينى ، المساجد فى موسكو ولينينغراد وطشقند وباكو ودوشنبه وسمرقند وبخارى ، وفى مدن أخرى ، والقيت أمام جمهور المسلمين خطبا ، وتأثرت بصدق من اهتمامهم الحقيقى ازاء جميع مسائل الاسلام التى تطرقت اليها» .

وفى عام ١٩٦٨ زار الاتحاد السوفيتى بدعوة من المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، وفد من علماء الدين السوريين برئاسة سماحة مفتى الجمهورية العربية السورية والعلامة البارز الشيخ أحمد كفتارو . لقد ضم الوفد شخصيات اجتماعية ودينية سورية بارزة : الشيخ محمد الحكيم مفتى حلب وخطيب جامع بنى أمية ، والشيخ حفيظ الدين حسنى رئيس قسم الفتاوى ، والشيخ بشير الخطيب خطيب أحد الجوامع فى دمشق ، والشيخ محمد المراد مفتى السلمية وحماه ، والشيخ أبو الطيب الأتاسى مفتى حمص ، وابن مفتى سوريا محمد زاهر كفتارو وخطيب أحد الجوامع الكبرى فى دمشق .

واستقبل الوفد فى موسكو مجلس الشؤون الدينية ، وزار الجامع المركزى . ومن ثم غادر أعضاء الوفد موسكو الى طشقند ، حيث قاموا بزيارة رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى اطلع ضيوفه بايضاح على نشاط وبنية الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وكنوز المكتبة الاسلامية . وفى أثناء اجتماعية بالمؤمنين ، القى المفتى أحمد كفتارو فى جامع طلاشيخ ، خطبة مطولة مكرسة لدور الاسلام فى تطوير العلم ، وقد أكد فيها أنه من وجهة النظر الاسلامية ، لا تقل دراسة العلوم الانسانية والطبيعية وغيرها أهمية عن الصلوات الخمس المفروضة فى اليوم . ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته كانت العلوم الطبيعية تدرس بشكل واسع فى المساجد الى جانب العلوم الدينية . لذلك قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : «**ليس منى إلا عالم او متعلم**» (ابن النجار) .

واشار المفتى أحمد كفتارو الى أن مسلمى الاتحاد السوفيتى يعيشون فى بلاد السعادة ، حيث استحدثت جميع الظروف لاستخدام

منجزات العلم والتكنولوجيا بصورة حيوية وفعالة . انما يستطيع اظهار القيم الروحية الراقية التى يتحلى بها الاسلام والمسلمون المزودون بالمعرفة . بهذا الاسلوب فقط يمكنهم أن يجلبوا الخير للعالم أجمع .

وفى حفلة الغداء ، التى اقيمت على شرف الضيوف الأكارم ، رحب رئيس الادارة الدينية المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان باسمه شخصيا واسم جميع مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان بالضيوف ، شاكرا لهم قبولهم دعوة الادارة الدينية ، وعبر عن أمله فى أن تساعد زيارتهم على توطيد العلاقات السوفيتية السورية توطيدا اعمق . وأشار المفتى الى دور الاسلام كدين السلام ، الذى يخدم فى سبيل توطيد الصداقة بين الشعوب .

وقال مفتى حلب وخطيب جامع بنى أمية الشيخ محمد الحكيم فى كلمته الجوابية : أن الوفد السورى يقوم بزيارة الاتحاد السوفيتى تلبية لدعوة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان والمفتى المبجل ضياء الدين خان بن ايشان باباخان شخصيا الذى يتسم باخلاصه ووفاءه للاسلام وحرصه على السلام .

ان العلماء السوريين مثلهم مثل الشعب السورى بأسره ، يؤيدون بحرارة سياسة الدولة السوفيتية بخصوص قضية الشرق الأوسط . وقد شعر العرب بهذه السياسة العادلة خاصة فى أثناء الاعتداءات الاسرائيلية . وهنا فى الاتحاد السوفيتى ، شعر أعضاء الوفد السورى بأنفسهم ، وكأنهم فى وطنهم لأنهم كانوا يقابلون فى كل مكان ، وجوها سعيدة لأنه تزدهر فى الاتحاد السوفيتى الحرية فعلا وليس قولا ، وهنا لا يوجد مكان للكره الدينى .

الاسلام هو دين الصداقة والتسامح ، والمسلم الحقيقى هو الذى لا يلحق الأذى بغيره . بينما الامبرياليون يخنقون حريات الشعوب . لهذا السبب بالذات ينظر العرب بأمل الى الاتحاد السوفيتى ، الذى يناضل دوما فى سبيل الحقيقة والعدالة .

وزار الوفد فى أثناء وجوده فى طشقند ، عددا من المنظمات والمؤسسات ومعرض منجزات الاقتصاد الوطنى ، وادى فريضة الصلاة فى جامع «خواجه علم بردار» و«ركعت» و«بيت قورغان» وفى كل بيت من بيوت الله ، شاهد الضيوف بأم اعينهم أعداد المسلمين الغفيرة ، التى تمارس واجبات الشريعة الغراء بدقة .

وقال المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى حفل مأدبة

العشاء التى أقيمت بمناسبة توديع الضيوف الكبار : «يسعدنى أن اشكر مرة أخرى ضيوفنا المحترمين ، على زيارتهم لنا وأتمنى لهم حياة مديدة فى سبيل خير الاسلام والمسلمين فى العالم أجمع» . ثم تحدث مسهبا عن العلاقات التقليدية القائمة منذ قرون بين آسيا الوسطى وسوريا . وباسم مسلمى الشرق السوفيتى وصم بالعار الاعتداءات الاسرائيلية ضد البلدان العربية ، وسياسة الأوساط الامبريالية التى تحمى المحتلين .

وفى كلمته الجوابية ، أشار مفتى سوريا أيضا أن جميع أعضاء الوفد كانوا سعداء بزيارة الاتحاد السوفيتى ، ولقاء اخوانهم فى الدين . ان التقارب المتبادل بين الشعوب العربية وشعوب آسيا الوسطى ، يعود بجذوره الى قرون عديدة خلت ويوحد هذه الشعوب روح الاسلام المشترك . والصداقة بين الشعبين السورى والسوفيتى ، يجب أن تصبح أكثر متانة وصلابة من اجل اقرار السلام الوطيد على وجه الأرض . وقد عبر المفتى كفتارو عن ارتياحه التام لوضع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، وعبر مرة أخرى باسم شعبه عن تقديره الصادق ، لموقف الحكومة السوفيتية المشرف فى دعم النضال العادل الذى تخوضه الشعوب العربية ضد دسائس الامبريالية واعتداءات الصهاينة الاسرائيليين .

وبعد ذلك ، اطلع الوفد السورى على الآثار الاسلامية العريقة فى سمرقند وزار مدرسة «مير – عرب» فى بخارى ، حيث ابدى اهتماما كبيرا بمنهاج اعداد رجال الدين . ومن ثم زار الوفد ضريح بهاء الدين النقشبندى العظيم . وقد دعا له المفتى كفتارو الذى هو أحد اتباعه الراسخين على قبره المبارك .

وقد زار الضيوف دوشنبه عاصمة جمهورية طاجيكستان السوفيتية ومدينة لينين آباد ، واطلعوا على منجزات الجمهورية ، والتقوا بالمؤمنين وخصوصا فى جامع «الشيخ مصلح الدين» حيث لاحظوا برضى ايضا ، الروح الدينية الراقية لاخوانهم فى الدين . ان هذه الزيارة تركت انطباعا لا يمحى فى قلوب مسلمى بلدنا ، وتعتبر مساهمة جديدة وهامة فى توطيد علاقات الصداقة السوفيتية السورية عموما .

وفى عام ١٩٧٨ زار بلادنا اول وفد دينى تركى برئاسة وزير الدولة التركى السيد لطفى دوغان . وقد زار الوفد خلال وجوده فى الاتحاد السوفيتى موسكو وطشقند وبخارى وسمرقند وباكو .

وأدى الضيوف صلاة الجمعة فى جامع العاصمة السوفيتية . وهنا القى السيد لطفى دوغان كلمة ترحيبية . وعبر السيد لطفى فى معرض

تحدثه مع الجمهور المؤمن ، عن أمله بان تخدم زيارة وفد رجال الدين الأتراك للاتحاد السوفيتى للمرة الأولى ، عملية الاغناء الروحى المتبادل لمسلمى البلدين ، وأن تصبح مساهمة جديدة وكبيرة فى تطوير علاقات طيبة ومثمرة بينهما .

وبعد ذلك قام المسلمون الأتراك بجولة اطلاعية كبيرة فى بلدنا الشاسع . ومن الطبيعى أنهم زاروا بالدرجة الأولى أماكن انتشار الاسلام التقليدية . وقد صلى الضيوف الأتراك مع اخوانهم المؤمنين السوفيت فى المساجد القديمة والحديثة فى طشقند وسمرقند وبخارى وباكو شاكرين الله على أنه يؤلف بين قلوب المسلمين .

وفى المؤتمر الصحفى ، الذى شارك فيه الصحفيون السوفيت صرح رئيس الوفد التركى الدينى السيد لطفى دوغان قائلا : «ان زيارتنا شعبا قريبا منا بايمانه وعاداته ولغته وتبادل الآراء معه حول قضايا كثيرة ، وبالتالى زيادة معارفنا غنى ، كل ذلك يعنى تدعيم علاقات الصداقة بيننا – بين الشعبين التركى والسوفيتى . ويساعد هذا أيضا على توطيد العلاقات فى مجالات التكنولوجيا والعلم والتجارة والثقافة ، وان الصداقة والثقة المتبادلة والاحترام ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للطرف الآخر ، كل ذلك كان دوما الأساس المتين لهذه العلاقات . اننا نأمل أن تصبح زيارتنا للاتحاد السوفيتى جسرا مضمونا آخر لتطوير وتوطيد علاقات حسن الجوار والصداقة والتعاون العملى بين الجمهورية التركية والدولة السوفيتية فى المستقبل ، وهذا من شأنه أن يساهم بقسط كبير فى تعزيز الاستقرار والأمن فى الكرة الأرضية بأسرها . وعبر السيد لطفى دوغان عن امتنانه الخاص للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ومساعديه وجميع العاملين فى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان على الضيافة الكريمة والاستقبال الحار ، اللذين استقبلا بهما الوفد التركى الذى يرأسه . وأضاف السيد لطفى دوغان قائلا : «نحن نعرف جيدا أن آسيا الوسطى ، أعطت العالم الاسلامى علماء وفقهاء اجلاء ، ويحتل الامام البخارى بدون جدل ، مكانة خاصة بينهم حيث تتميز أعماله بالدقة البالغة . وانجبت آسيا الوسطى اضافة لأعلام الدين الاسلامى ، أجيالا كاملة من الحكماء الأمجاد أمثال أبى على بن سينا ، والفارابى ، واولوغبك وغيرهم . ويبعث السرور فى نفوسنا حاضر هذه المنطقة الرائعة . وشاهدنا عددا كبيرا من المساجد العاملة ، التى تشرف عليها الادارة الدينية لمسلمى

آسيا الوسطى وقازاخستان . والمسلمون يترددون على هذه المساجد التى يذكر فيها اسم الله . وهنا يزدهر العلم والثقافة معا» .

واعرب آراء قريبة من اقوال السيد لطفى دوغان ، مرافقه الاستاذ محمد طلعت مراد جزمالى ، استاذ كلية الشريعة فى تركيا ، الذى شارك فى الندوة العالمية التى اقيمت عام ١٩٧٩ فى دوشنبه ، عاصمة طاجيكستان ، بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى اذ قال : «ان مسلمى الاتحاد السوفيتى ينشطون دوما فى سبيل توطيد السلام ، وعلاقات الصداقة بين أبناء الدين الواحد ، الى جانب نضالهم من أجل تحسين مستوى حياتهم الثقافى والاجتماعى . ولا أخفيكم سرا أننى ذهلت حقا من الحريات الواسعة ، التى يتمتع بها اتباع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى بما فيها حرية العقيدة . اننى سعيد جدا بكل ما اتيح لى ان اشاهده فى بلدكم . أشكر سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى وفر لنا فرصة ، لنشاهد بأم أعيننا التقدم الرائع للمسلمين السوفيت» .

وقال الدكتور أحمد محمد هليل مدير قسم الدعوة والارشاد لدى وزارة الأوقاف والآثار الاسلامية فى الاردن ، والذى ساهم أيضا فى ندوة دوشنبه «أنه تأثر كثيرا عندما زار المساجد والتقى بالمسلمين ، الذين كانت وجوههم تبتهج من السعادة الصادقة واخلاصهم العميق للاسلام . لقد كنا سعداء بلقاءاتنا وتحدثنا بسعادة طويلا مع بعضنا البعض ، وناقشنا بصراحة تامة القضايا التى تشغل اليوم بال جميع المسلمين .

ان أكبر شرف لنا جميعا هو الاستقبال الأخوى الحار والحفاوة اللذين استقبلتنا بهما الادارة الدينية وخاصة رئيسها المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . اننا ندعو الله تعالى أن يطيل عمره ويثبته على الصراط المستقيم .

اننى اتوجه الى مسلمى الاتحاد السوفيتى ، واذكرهم بما جاء فى القرآن الكريم : «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون**» .

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا !
. . . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر وأولئك هم المفلحون» (سورة آل عمران ، الآيات ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤) .

وبخصوص نشاط الادارات الدينية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى فاننى اعتبر عملها موفقا وناجحا» .

وقد عبر زين المنالى ، المستشار فى وزارة العدل الأفغانية ، شارك فى ندوة دوشنبه ، عن أمله فى أن يصبح القرن الخامس عشر الهجرى قرن السلام والوئام . وقال : «يجب على مسلمى العالم بأسره ، أن يوطدوا علاقات متينة مع المسلمين السوفيت فى سبيل تحقيق التفاهم المتبادل فى جميع المجالات ، ومن الضرورى أن يعرف الجميع الحقيقة عن الاتحاد السوفيتى ، وحياة أتباع الاسلام هنا . لقد كنت سعيدا جدا للقائى بمسلمى آسيا الوسطى ، واقتنعت باخلاصهم للدين . ورأيت كيف يعيشون فى بحبوحة وهدوء وثقة فى بلدهم الرائع .

ان الاخوة والتعاون والوحدة الدينية والدنيوية للأخوة السوفيت فى الدين تثير الاعجاب . فعلى مسلمى العالم أن يحلموا بمثل هذا التفاهم فى أوطانهم . هذا وتسود بين مواطنى الاتحاد السوفيتى الأخوة القوية ، والعلاقات الطيبة فى جميع مجالات الحياة بما فيها النشاط الدينى .

ان مسلمى أفغانستان بحاجة الى مساعدة تقنية ومادية فى بناء الحياة الجديدة . وهذه المساعدة ضرورية بالدرجة الأولى لتربية الشباب الأفغانى ، واطلاعه على أحدث منجزات العصر . لقد قدم الاتحاد السوفيتى دائما المساعدة الأخوية لأفغانستان ، ونأمل من الله أن تستمر هذه المساعدة فى المستقبل أيضا .

ان الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان برئاسة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، تقوم بعمل كبير ومبارك ، وذلك عن طريق تسليط الأضواء على حياة اخواننا فى الدين فى الاتحاد السوفيتى فى صفحات مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» . انهم يكشفون أمام العالم أجمع وبشكل مقنع حقيقة واضحة ، وهى أن ايديولوجية الطبقات غير المستثمرة عموما والطبقة العاملة خصوصا لا تتعارض اطلاقا مع الدين الاسلامى ، وانما على العكس ، فهى قريبة ومنسجمة منه كثيرا» .

وقد صرح الشيخ أحمد عبد اللطيف عصفور مدير دائرة دراسة القرآن الكريم ومعهد البحث العلمى فى وزارة الأوقاف الكويتية ، الذى

كان مدعوا الى ندوة دوشنبه ؛ بانه كان سعيدا لاطلاعه على حياة الجمهوريات الشرقية فى الاتحاد السوفيتى . واضاف قائلا : «ان لقاءاتنا ضرورية جدا لأنها توحد المسلمين . ولقد شعرنا فى بلدكم العظيم وكأننا فى وطننا بين اخوة حقيقيين ، كأننا انتقلنا من وطننا الكويت الى وطننا الآخر دوشنبه ، ذلك أن رابطة المسلمين أقوى من علاقات القرابة . اننا اخوة فى الدين . لقد فتحتم لنا روحكم وقلبكم وضمنتم لنا كل وسائل الراحة واطلعتمونا على معالمكم . فجولتنا فى ارجاء بلادكم العامرة ذكرتنى بهجرة الرسول وصحابته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة حيث تآخوا مع أهلها . ولقاءاتنا معكم جعلتنا نتآخى أيضا ، وفتحت قلوب بعضنا للبعض . لقد اطلعتمونا على كل ما كان يهمنا الاطلاع عليه عندكم» .

وصرح الاستاذ عبد الله رفيده ، استاذ جامعة «الفاتح» وعضو سكرتارية «جمعية الدعوة الاسلامية» فى الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية الذى زار الاتحاد السوفيتى ، أنه استقبل فى كل مكان بحفاوة لا نظير لها . وان تمسك المسلمين السوفيت بثبات وصدق بتعاليم الشريعة وطهارة مكنوناتهم الروحية وهواجسهم وتمسكهم بصدق بالأخوة والتقاليد الاسلامية واحترام العلماء بصورة قوية ، كل ذلك ترك أثرا خاصا وقويا فيه . ان الآثار الاسلامية العريقة يحافظ عليها فى الاتحاد السوفيتى بحالة ممتازة ، وهذا دليل ساطع على عناية الدولة السوفيتية بمنجزات الثقافة الاسلامية ، واهتمامها الكبير بقيمتها الأولية فى مجمل الحضارة الانسانية . كل ذلك يبعث فى النفس السعادة ، ويقوى من الثقة فى الاسلام ورسالته .

ان المصانع والفبارك والمؤسسات الزراعية التى تعمل فى الجمهوريات الاسلامية تشهد على التطور الهائل فيها وفى الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

ان نشاط المنظمات الاسلامية السوفيتية ، الرامى لتعزيز علاقات الصداقة مع الاخوة فى الدين فى الخارج ، هو رسالة نبيلة . وهذا العمل يتفق تماما مع مبادئ الاسلام ، ويعتبر برهانا على ايمانكم الراسخ بالله ، وعلى فهمكم الكامل لروح العصر ومهامه» .

وتوصل الشيخ زكريا حسن ، نائب الأمين العام للجنة الفتاوى الاسلامية فى جمهورية تشاد بعد زيارته للاتحاد السوفيتى الى استنتاج وحيد مفاده ، أن «وضع معتنقى الاسلام المحليين يدحض الدعايات

الغربية حول انعدام حرية الأديان فى الاتحاد السوفيتى . اننى أتمنى لشعب السوفيتى التماسك والتضامن والتقدم والازدهار . لقد تأثرت كثيرا بحسن ضيافة المسلمين السوفيت ، ودهشت جدا لصفاء أخلاقهم وعطائهم الروحى» .

وقد عبر سماحة مفتى اليمن الشمالى أحمد زباره عن ارتياحه الخاص ، بمدى ضغف الشباب السوفيتى المسلم بدراسة العلوم الدينية ، والسلوك القويمة التى يتميزون بها فى الاسرة والمجتمع ، وكيف يحاولون تطبيق الطقوس الدينية الاسلامية بحذافيرها . وأضاف : «وللأسف لا يتميز الشباب المسلم فى جميع البلدان بهذه السمات . ان الشباب المسلم فى الاتحاد السوفيتى ، ينتظرهم مستقبل رائع . واننى لن امل من تكرار ذلك على كل من لديه تصور خاطئ ، حول وضع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى . ان المنظمات الاسلامية السوفيتية تبذل جهودا جمة لتوطيد علاقات الأخوة مع اناس الأديان الأخرى . وتعتبر أعمال المؤتمرات والندوات العديدة التى تعقد بدعوة من هذه المنظمات ، وجولات الوفود الدينية السوفيتية الى الخارج ، والزيارات الجوابية لأبناء العقيدة الواحدة الى الاتحاد السوفيتى ، كل هذا هو برهان على ذلك . وهذا يؤكد مرة أخرى أن المنظمات الاسلامية السوفيتية هى أنشط المنظمات فى العالم .

ان مسلمى الاتحاد السوفيتى يعيشون فى سلام وسعادة بفضل السياسة التى تنتهجها الحكومة السوفيتية . لذا ، ليس من المستغرب أن يتمتع المسلمون فى الدولة السوفيتية التى بلغت مثل هذا التقدم والازدهار ، بكل الحقوق وبدورهم يساهمون فى تطوير وتعزيز جبروت وطنهم . ومن عام لآخر تتحسن حياة شعبكم بما فيهم المسلمين . ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك .

ويبعث السرور أن المساجد والمدارس الدينية تعمل فى الاتحاد السوفيتى ، كما يسافر الطلبة المسلمون من بلدكم الى الخارج لهدف متابعة الدراسة او رفع مها رتهم فى الجامعات الاسلامية فى البلدان المختلفة . وكما ذكرت سابقا يجرى تبادل الوفود الاسلامية وبصورة مستمرة ، بفضل مبادرتكم الطيبة ، وتعقد فى بلادكم اجتماعات اسلامية دولية هامة ، تحقق – اضافة الى ما ورد – فائدة عظيمة للشعوب العربية ، وشعوب الدول الاسلامية الأخرى ، وبالدرجة الاولى للشعب الفلسطينى المحروم من حقوقه بسبب العدو الصهيونى المشترك . اننا

ندعو الله أن ينعم ببركاته على هذه الدولة المباركة ، التى بلغت فيها العلوم الدينية والدنيوية والصناعة والزراعة هذا المستوى الرائع من الازدهار» .

قال تادى دراما المسؤول فى وزارة الرياضة والفن والثقافة فى جمهورية مالى ، فى حديثه عن انطباعاته من زيارة الاتحاد السوفيتى : ان وضع المسلمين هنا يدهش ويبعث السعادة فى النفس ، فالجميع هنا يحترمون مشاعرهم الدينية ، واننى أشكر جدا اخوانى فى الدين على حفاوتهم وحسن ضيافتهم . ان كل الناس الشرفاء سواء فى الشرق او الغرب ، يمكنهم التأكد من أن مسلمى الاتحاد السوفيتى لن يتخلوا عن عقيدة أجدادهم وتراثهم الاسلامى لا اليوم ، ولا فى المستقبل ايضا . وقد أسعدنى أكثر من أى شىء آخر الاهتمام براحة الناس . ففى الاتحاد السوفيتى الكثير من المصحات والمصايف ودور الاستجمام . والدراسة مجانية فى المدارس والعلاج الطبى أيضا بالمجان . وفى الدولة الاشتراكية كالاتحاد السوفيتى يمارس اخواننا فى الدين حقوقهم الكاملة فى ممارسة الشعائر الدينية .

وقد اعجبت كثيرا بتنظيم مسلمى الاتحاد السوفيتى وبتلاحمهم الراسخ حول قائدهم الدينى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . ان هدف الادارات الدينية الاسلامية السوفيتية الأربع هو هدف نبيل وكريم ، وهو الحفاظ على المؤمنين من الضلال والانحراف ومساعدتهم فى بلوغ النقاء الروحى الكامل وتربيتهم بالأخلاق الاسلامية ، وحفز جميع المسلمين على النشاط العملى الخيّر لما فيه خير الوطن .

وأود أن اعبر عن شكرى للحكومة السوفيتية وجميع المواطنين السوفيت ، على مساعدتها لكل الشعوب المناضلة فى سبيل العدالة الاجتماعية والحرية ، وعلى حرية العقيدة التى يتمتع بها المسلمون ، وعلى تربيتهم بروح الحب للوطن والعمل من أجل غد افضل .

اخوتى سأكون سفيركم فى بلدى وسوف أتحدث عن كل ما شاهدته فى بلدكم عندما أعود الى وطنى مالى .

قل من يعرف فى بلدنا أن المسلمين السوفيت يتمتعون بكامل حقوقهم ، وان لديهم مساجد ومنظمات دينية . لذلك أتوجه الى ادارتكم الدينية بطلب تنظيم لقاء للشبيبة المسلمة فى الاتحاد السوفيتى ومالى ، وذلك بهدف فضح ادعاءات الغرب الموجهة ضد أول دولة اشتراكية فى العالم ،

حررت شعبها من الجمود والتأخر ، وعلمته تقدير شرف العمل ، وسموه وهو ما أمر به الخالق القدير» .

وقد صرح السيد الوزير سعيد ادريس هوريو من نيجيريا عندما زار الاتحاد السوفيتى : «قبل زيارتنا الى الاتحاد السوفيتى لم نكن نتصور أن المسلمين يعيشون فى بلدكم العظيم فى مناطق شاسعة . اننا نفخر بذلك جدا ، لأن الانسان قوى بصديقه ومسلمو الاتحاد السوفيتى هم أصدقاء اعزاء لنا . ومن المؤكد أن لقاءاتنا معهم ، سوف تساعد على تعزيز ايماننا وازدهار الدين الاسلامى» .

وقال أبو البركات ملا شمس الدولة رئيس تحرير مجلة «الاسلام والعصر الحديث» (بنغلاديش) «أن شعب بنغلاديش يعتبر نفسه مدينونا الى الأبد امام شعب وحكومة الاتحاد السوفيتى ، للتأييد المادى والمعنوى الذى قدمته لحكومتنا . اذ استشهد خلال الحرب التحريرية عندنا نحو ثلاثة ملايين انسان . وبالتالى يمكن بسهولة تصور حجم الدمار والخسائر الأخرى . وقد عانينا بعد تحقيق النصر من قضية مكافحة الجوع . وفى هذه المرة أيضا مد الاتحاد السوفيتى يد المساعدة الينا . ولم يعرف التاريخ أن حصل المسلمون على مساعدة بهذه الحجم مثلما حصل ٨٠ مليون مسلم فى بنغلاديش على مساعدة الاتحاد السوفيتى . اننا سنذكر دوما طيبتكم وكرمكم وصداقتكم النزيهة .

لقد اعتادت بعض الاجهزة الدعائية الغربية تكرار المزاعم القائلة : أن معتنقى الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، يتعرضون للاضطهاد والملاحقة الشديدة . لكنى شخصيا اقنعت أن مسلمى الاتحاد السوفيتى يتمتعون بجميع خيرات الحضارة المعاصرة . فأطفال بلدكم يحصلون على تعليم رائع ، وتطبيب مجانى ولا تهدد البطالة المواطنين السوفيت بما فيهم اخواننا فى العقيدة . ويسعدنى أن الحضارة الحديثة غزت المناطق الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى التى كانت قبل بضعة عقود خلت مناطق متخلفة .

من الواضح أن الحكومة السوفيتية ليست حكومة اسلامية ، ولكن لا يمكن لأحد أن ينكر أن هذه الحكومة وفرت لسكانها المسلمين امكانيات كثيرة غير متوفرة حتى عند شعوب البلدان الاسلامية الأخرى» .

وفى الوقت الراهن ، اتقيم الادارة الدينية علاقات صداقة مع الاخوة فى الدين من كل البلاد الاسلامية تقريبا . وقد حققت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان شهرة عالمية راسخة بفضل نشاطها

السلمى والدينى والاجتماعى الرامى لتعزيز علاقات الصداقة المتبادلة ، والصداقة والتعاون بين جميع الناس فى المعمورة . اننا اذ نستعرض هذه الوقائع الطيبة ، نتوجه بانظارنا النبيلة الى ذكرى الذى لا ينسى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، أحد أعلام الاسلام والذى كان فى طليعة الحركة العظيمة من أجل أن يتخلص المسلمون من الحواجز الاصطناعية ، التى أقامتها بينهم قوى الامبريالية الدولية العمياء قوى الشر والرجعية .

الباب الخامس

التضامن مع نضال الشعوب العربية ضد العدوان الامبريالى والصهيونى

العدوان الامبريالى والصهيونى ضد الشعوب العربية . حملة تضامن مسلمى الاتحاد السوفيتى مع نضال الشعب المصرى ضـــد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ .

تصريح المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . الدورة الطارئة لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا فى القاهرة . مؤتمر طشقند عام ١٩٧٠ «فى سبيل وحدة المسلمين وتضامنهم فى النضال من اجـل السلام وضد العدوان الامبريالى» . مؤتمر طشقند لمسلمى الاتحـاد السوفيتى «من اجل تأييد نضال شعوب البلدان العربية العادل فى سبيل تحرير اراضيها والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى» . جريمة حرق المسجد الاقصى وحملة احتجاج المسلمين السوفيت . مصير القدس الشرقية . اقتراحات الاتحاد السوفيتى حول تسوية أزمة الشرق الاوسط .

تأييد نضال الشعب المصرى ضد العدوان الاسرائيلى

ان الاسلام يعلم ان واجب المسلمين يكمن فى التضامن مع بعضهم البعض وفى التقوى والاعمال الصالحة سواء أكانت فى ايام الحياة السلمية أم عندما يهدد وجودها الخطر الظاهر او المستور حين تتعرض للعدوان المباشر من قبل القوى المعادية . والاسلام الاصيل يقف ضد كل عدوان ، مهما كانت الحجة وايّا كان المعتدى والمعتدى عليه ، كما يطلب دائمـا الوقوف الى جانب ضحايا العدوان بشكل حاسم .

وعلى امتداد عشرات السنين لم تذق شعوب المشرق العربى طعم السلام .

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تضطر على مكافحة القوى

الامبريالية والصهيونية العدوانية المتحالفة ، التى رأت فى نهضة حركة التحرر الوطنى العربية القوية ، خطرا رئيسيا على مصالحها الانانية فى هذه المنطقة من العالم .

والصهيونية منذ سنة ١٩٥٦ بتحريض من الامبريالية العالمية ، وبمساعدة مباشرة واشتراك بريطانيا وفرنسا الواضح ، شنت هجوما غادرا على مصر . فقد اثار العدوان الثلاثى على منطقة قناة السويس عاصفة من الغضب والسخط من قبل البشرية المحبة للسلام جمعاء . وكان الاتحاد السوفيتى وقتذاك ، قد صار فى طليعة الدول التى ايدت نضال المصريين العادل ، الذين كانوا يدافعون ببسالة عن وطنهم .

وبمبادرة المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان بدأت بين المسلمين حملة التضامن الواسعة مع المصريين المقاتلين ، فجمعوا لاخوانهم فى الدين ، مئات الوف الروبلات من تبرعات طوعية . وبفضل تلاحم كافة القوى المحبة للسلام ، والدعم الحاسم من قبل الدولة السوفيتية لنضال الشعب المصرى ، فشل العدوان الثلاثى للامبريالية العالمية فشلا ذريعا .

ومع ذلك فان الغزاة الاسرائيليين اعادوا فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ الهجوم على حرية العرب واستقلالهم . ونشبت فى منطقة الشرق الاوسط ، من أفظع الحروب التى شهدها القرن المعاصر ، اتت بويلات وفواجع ومصائب وخسائر لا تحصى للملايين من الناس . فأدان مسلمو الاتحاد السوفيتى والشعب السوفيتى اجمع ادانة شديدة اللهجة خرق السلام فى الشرق الاوسط . وفى هذا الصدد ، ألقى سماحة المفتى ضياء الدين خان ابن ايشان باباخان خطابا من اذاعة طشقند عبر فيه نيابة عن مسلمى الاتحاد السوفيتى عن احتجاجه الشديد ضد العدوان الاسرائيلى الجديد . جاء فى القرآن الكريم : «**واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين**» (سورة البقرة ، آية ٨٢) . ولكنهم لا يهتمون بهذه الآيات البينات . فالادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، اتخذت بالاجماع قرارا اثناء الجلسة الموسعة الخاصة ، عبرت فيه عن سخط المسلمين الشديد من العدوان الاسرائيلى . وارسل القرار الى مختلف البلدان الاسلامية حيث وجد صدى عميقا واسعا ، وتأييدا شاملا من الاخوان فى الدين ، واصدرت المجلة الاسبوعية «العالم العربى» ، لسان حال المؤتمر الاسلامى العالمى ، النص الكامل لهذا القرار . وبعد مضى بضعة ايام على هجوم

اسرائيل الغادر ، شارك المفتى ضياء الدين خان والوفد السوفيتى فى اعمال الندوة الطارئة لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا المنعقدة فى القاهرة . وفى اثناء هذا الاجتماع الجليل لمندوبى المنظمات الاجتماعية العالمية التقدمية ، عبّر من جديد عن سخط المسلمين السوفيت وغيظهم اللامتناهى من العدوان الاسرائيلى .. وقد اثبتت ان مشاعر الشعب السوفيتى الاخوية مع العرب ، اجتماعات الاحتجاج المتعددة ضد الغزاة الاسرائيليين ، التى تم عقدها فى كل انحاء وطننا المترامى الاطراف . وفى سنة ١٩٦٧ عبر المسلمون السوفيت عن تضامنهم المطلق مع العرب المناضلين ضد العدوان ، كما نظموا مثل ما كان سابقا اثناء العدوان الثلاثى ضد مصر ، جمع الاموال لتدعيم نضال العرب العادل . وفى سنة ١٩٦٧ وحدها تم جمع ٧٧٨٠٠ روبل من تبرعات المسلمين السوفيت الطوعية من اجل هذه الاهداف . كما تم فى سنة ١٩٦٨ جمع ١٦٩٠٠٠ روبل . وفى السنوات التالية جمعت مبالغ طائلة . ومما لا شك فيه ان الحكام الاسرائيليين ، ماكانوا يجرأون على مثل هذا التصرف وبتلك الطريقة الوقحة لو لا شعورهم بالدعم الواضح من قبل الاوساط الامبريالية فى الدول الغربية ، وبالدرجة الاولى الولايات المتحدة الامريكية . وان هذا الدعم هو الذى يزيد وقاحة وتحديا تصرفات المعتدى الغازى بالمقدسات الاسلامية . يكفى ان نذكر كيف دنست حرمات المقدسات مثلا فى مدينتى غزة والقدس . ومسجد عمر ومسجد ابراهيم الخليل ، والمقدسات العديدة الاخرى التى حولها الغزاة الى ثكنات ، وحرموا المؤمنين من التردد اليها واقامة الصلوات فيها . لقد عبر المفتى ضياء الدين خان عن احتجاجه الشديد اللهجة . وذات مرة ذكر حكاية مفيدة تحكى قصة ما قام به الخليفة عمر من خطوات صائبة عندما وصل الى فلسطين . ان المسيحيين الذين كانوا يسكنون تلك المناطق ، طلبوا منه ان يترك لهم كنيسة . فاحتراما لمشاعرهم الدينية ، قام الخليفة بزيارة لتلك الكنيسة واعلن استعداده لاقامة الصلاة فيها . يا للنموذج الطيب للموقف الاسلامى الحق من الديانات الاخرى !

مؤتمرات طشقند للتضامن

عقد فى شهر تشرين الاول عام ١٩٧٠ فى مدينة طشقند بمبادرة

المفتى ضياء الدين خان ، مؤتمر مسلمى الاتحاد السوفيتى تحت شعار «من اجل الوحدة وتضامن المسلمين فى النضال فى سبيل السلام وضد العدوان الامبريالى» . وشارك فى اعماله مندوبو كافة الطوائف الاسلامية فى وطننا المترامى الاطراف ، وكذلك مبعوثو خمسة وعشرين بلدا من بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ونص النداء الذى اتخذته هذه الندوة الى جميع المسلمين والناس ذوى الارادة الطيبة : «لقد حضرنا نحن المسلمين الى هذا المكان ، لشعورنا بالواجب والسير فى طريق السلام والعدالة ، ولقيام مبادىء التفاهم والمحبة والحق فى حياة الانسان دون عبث ، ولحماية حياة الشعوب السلمية ، ولمساعدة تطور التعاون بين الشعوب من اجل التقدم العام .

ان شعوب الشرق العربى ، لا تعرف السلام على مدى عشرات السنين ، وقد اضطرت الى خوض النضال المسلح من اجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . ان كل هذه المنطقة تتعرض مرارا للهزات العسكرية . والسبب هو : السياسة المجرمة للامبريالية التى تطمح الى ضرب حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية ، والى اسقاط النظم التقدمية ، والى ابقاء مواقعها الاستراتيجية والاقتصادية فى المنطقة ، ولاسيما امكانية استغلال ثرواتها النفطية .

. . . نتوجه اليكم ايها الاخوان وذوى الارادة الطيبة بدعوة حارة الى النضال من اجل السلام العادل والمتين ، وان نقرّب عهد السلام العام وهناء البشرية بفضل نشاطنا الهادف الى صنع السلام» .

وقد اتسم باهمية كبيرة بالنسبة الى قضية حركة القوى التقدمية العالمية من اجل التسوية العادلة للنزاع فى الشرق الاوسط ، مؤتمر المسلمين لعموم الاتحاد السوفيتى الذى عقد فى طشقند بمبادرة المفتى ضياء الدين خان فى عام ١٩٧٣ تحت شعار «من اجل تدعيم النضال العادل لشعوب البلدان العربية فى سبيل تحرير اراضيها ومن اجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى» .

وقد شاركت فى اعمال المؤتمر الى جانب مندوبى المسلمين السوفيت ، وفود ابرز العلماء ورجال الدين من جمهورية مصر العربية والعراق وليبيا وجمهورية العربية اليمنية والكويت وبعض البلدان العربية والاسلامية الاخرى .

ودوى وقتذاك فى كل انحاء العالم ، صوت المسلمين السوفيت الغاضب ، وصوت اخوانهم فى الدين من الخارج المحتجيّن على سلسلة

الحروب المستمرة التى تشنها الامبريالية العالمية والصهيونية فى الشرق الاوسط . فاكتشف المؤتمر جوهر العدوان الاسرائيلى ضد البلدان العربية ، كما اعلن دعمه الحاسم والمطلق لنضال العرب من اجل تحرير اراضيهم المحتلة . واكد مندوبو المؤتمر ان واجبهم الدينى والانسانى ، يحفزهم على النضال فى سبيل اقامة السلام المتين فى الشرق الاوسط باعتباره ارضا مقدّسة لثلاثة ديانات عالمية .

لقد اتخذ المؤتمر نداء الى «جميع المسلمين وذوى الارادة الطيبة» حيث وضع مسودتّه المفتى ضياء الدين خان شخصيا . فنصّت هذه الوثيقة المثيرة ما يلى : «نحن مسلمى الاتحاد السوفيتى ، نعبّر عن تضامننا المطلق مع شعوب البلدان العربية الشقيقة ، التى تخوض النضال من اجل الوحدة والحرية والاستقلال والسيادة . واستنادا الى مسؤوليتنا الدينية نطالب بالحاح اقامة السلام العادل والمتين فى الشرق الاوسط والمناطق المقدسة التى يحترمها معتنقو الديانات المختلفة» .

جريمة حرق المسجد الاقصى

برز تضامن المسلمين السوفيت مع اخوانهم فى العقيدة الاجانب فى الايام المأسوية لحرق المسجد الاقصى فى القدس . لقد ملأ خبر المحاولة الخبيثة للصهاينة الغزاة لحرق هذا المكان المقدس للعالم الاسلامى كله ، قلوب الملايين والملايين من المسلمين بالالم والغضب . وكان صوت المسلمين السوفيت قد سمع عن طريق بيان الاحتجاج العام على هذه الجريمة النكراء . وتحت قيادة ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وبمبادرته ، نشر المسلمون السوفيات حملة الاحتجاج الواسعة ، ضد تصرفات المحتلين الاسرائيلين فى الاراضى العربية المحتلة . وقد القى الائمة الخطباء فى مساجد كل من طشقند وآلماآطا ودوشنبه وغيرها من المدن خطبا وكلمات وسموا فيها بالعار الصهيونية وارابها فيما وراء المحيط .

وجرت اجتماعات احتجاج المسلمين السوفيت فى كافة مساجد آسيا الوسطى وقازاخستان بلا استثناء . هذا وقد بينت هذه الاجتماعات تضامن المسلمين السوفيت الحار مع اخوانهم فى العقيدة من العرب ، ووجه المفتى ضياء الدين خان برقية الى جلالة الملك حسين ووزير

الاوقاف والاماكن المقدسة وغيرهما من الشخصيات الاسلامية والمنظمات الاسلامية فى الاردن ، وقد عبر نصها عن قلق مسلمى الاتحاد السوفيتى وحزنهم . وقد ادلت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ببيان رسمى ذكرت فيه من بين ما ذكرت : «شهد العالم حملة مشؤومة اخرى للمعتدين الاسرائيليين ، وهى حرق المسجد الاقصى المقدس منذ ظهور الاسلام ، هذا المسجد الاقصى الذى اسرى فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم .

امتلأ المسجد الاقصى على مدى قرون ، بالآثار العديدة المتعلقة بمختلف عهود الاسلام . وكانت هذه الآثار تصان صيانة مقدسة باعتبارها تراثا للماضى لا يقدر بثمن . اما الآن فقد اتت النار عليها ، وهذا تحد سافر للمسلمين وكافة اصحاب الارادة الحرة فى المعمورة .

ويثير هذا العمل المشين سخط مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، ويدل على نذالة الصهاينة الاسرائيليين ازاء الاماكن المقدسة للشعوب الاخرى ، واننا لعلى ثقة بان تحرير الاراضى المحتلة ، هو وحده الذى يضمن الاحتفاظ بالآثار المقدسة فى بيت المقدس وغيره من مدن فلسطين .

ان مسلمى بلادنا يعربون بحزم عن تضامنهم مع كفاح الشعوب العربية ، المناضلة فى سبيل تحرير اراضيها والمسجد الاقصى . وان المسلمين يدمغون بالعار الاسرائيليين الاوغاد واربابهم ، ويسئلون الله تعالى بأن يعاقب الغزاة الاسرائيليين» .

فقد اتضح من خلال حرق المسجد الاقصى ، الجوهر العام للسياسة الصهيونية ، الرامية الى طرد العرب من وطنهم ، بما فى ذلك بيت المقدس ، وذلك بواسطة اعمال العنف والارهاب . وان الغزاة الاسرائيليين ، كانوا ينوون من اول يوم احتلالهم لهذه المدينة المقدسة للديانات الثلاث ، وبصورة مكشوفة الحاق هذه المدينة بدولتهم ، حيث دمروا عددا من الازقة فى القدس الشرقية وان هذه الازقة عبارة عن قيمة تاريخية بالنسبة للبشرية بأسرها . فقد بنوا فى مكانها دورا لليهود ، كما انهم غيروا اسماء الكثير من الشوارع والساحات .

وفى نفس الوقت تم اتخاذ الخطوات الرامية الى تثبيت احتلال الجزء العربى للمدينة ايضا . ففى ٢٦ تموز (يوليو) اى بعد مرور ثلاثة اسابيع فقط ، على دخول الجنود الاسرائيليين القدس الشرقية ، اتخذ الكنيست قانونا ينص على الحاقها بدولة اسرائيل . وفى ٣٠ تموز

(يوليو) ١٩٨٠ اتخذت اسرائيل خطوة كبيرة اخرى فى طريق تخليد احتلال هذه المدينة ، اذ ان الكنيست قد استحسن ما يسمى «بالقانون الاساسى» الذى اكد على الحاق القدس الشرقية بدولة اسرائيل ، واعلن ان «القدس عاصمة «خالدة» لاسرائيل غير قابلة للتجزئة» . ان هذا القرار الذى يشكل خرقا سافرا للقانون الدولى قد اثار فى العالم اجمع وبالدرجة الاولى فى الاوساط الاسلامية ، غضبا واسعا وادانة شديدة . وكما هو معروف ، اتخذ مجلس الامن الدولى قرارا خاصا يعلن ان «القانون الاساسى» غير صالح ودعا الى ابطاله . وان هذا القرار الذى يعكس الرأى الجماعى للاسرة الدولية ، شأنه شأن القرارات الاخرى الخاصة بالقدس ، لم ينفذ حتى الآن . ان المعتدى الاسرائيلى يتجاهل الرأى العام العالمى بصفاقة . وان اسباب هذا التصرف للغازى واضحة تماما ، اذ تقف وراء ظهره الولايات المتحدة الامريكية وهى تؤيد فى واقع الامر احتلال القدس الشرقية من قبل اسرائيل . ومن المعروف ان ما تم من خطة امريكية لحل ازمة الشرق الاوسط ، بما فى ذلك ما يسمى «بخطة ريغان» ، تعنى بذكر مصير القسم العربى للمدينة .

ان مصير القدس الشرقية التى تدنس بلاطها اقدام المحتلين الصهاينة ، يثير قلق الملايين من المؤمنين فى مختلف بلدان العالم بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى . فهناك بالذات تقع الاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة . ان الطلب بايقاف عربدة اسرائيل التى تحتل القدس الشرقية ، وبالتالى سحب قوات الاحتلال من هناك ، يلقى تأييدا دوليا واسعا ، بما فى ذلك من قبل الاتحاد السوفيتى . وكما اشير فى اقتراحات الاتحاد السوفيتى حول الشرق الاوسط «فان القسم الشرقى من القدس ، لا بد من ان يسترجعه العرب ، ولا بد ان يكون جزءا لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية» . وبهذا الاسلوب فقط يمكن اعادة العدالة والسلام الى الشرق الاوسط بأسره . ويسمع مدويا ، صوت المفتى ضياء الدين خان ، الذى كان قد ادلى به فى سنة ١٩٧٣ فى كلمته التى القاها فى مؤتمر طشقند لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، تأييدا للنضال العادل لشعوب البلدان العربية ، من اجل تحرير اراضيها والاستقلال القومى والتقدم : ان عدم وجود السلام فى الشرق الاوسط ، ناتج عن الاحتلال الاسرائيلى غير الشرعى للاراضى العربية ، وعن رفض اسرائيل فى الخضوع لقرارات مجلس الامن للامم المتحدة ، فيما يخص الشرق الاوسط ، فعلينا وبكل عزيمة وحزم ، ان ندين مثل هذه السياسة التى

تمارسها حكومة اسرائيل ، وان نناشد جميع ذوى الارادة الطيبة وانصار كافة الاديان ، بأن يشتركوا اشتراكا نشيطا فى حملات الاحتجاج على السياسة العدوانيـــة ، التى يمارسها القادة الاسرائيليون والاوساط الامبريالية الامريكية المؤيدة لهم ، وعلينا ان نناقش سبل ووسائل تشديد تأييدنا للقضية العادلة لاخواننا العرب ، المناضلين فى سبيل الاستقلال الوطنى وحرمة اراضى بلدانهم والتقدم الاجتماعى . وينبغى توسيع التضامن الدولى مع البلدان العربية وتشديد تأييدنا للشعب العربى الفلسطينى ، المناضل من اجل تحقيق حقه الطبيعى فى تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى انشاء دولته المستقلة .

القضية الفلسطينية ومسألة ازالة الازمة فى الشرق الاوسط

نعم ، ان القضية الفلسطينية كانت ولا تزال وسوف تبقى قضية جوهرية لازمة للشرق الاوسط بأسرها . فالمعتدى الاسرائيلى لن يتمكن ابدا من «تغطيتها» كما يشاء . هذا ما لن يسمح به العرب ، ولا اوساط الرأى العام العالمى التقدمى ، كما لن يرضى به المسلمون فى العالم ، بما فى ذلك مسلمو الاتحاد السوفيتى . فالمسألة هى مصير اربعة ملايين من اخواننا الفلسطينيين المعروفين فى العالم اجمع بتقاليدهم التاريخية والثقافية المجيدة والمستوى العالى للوجدان القومى . مصير شعب اخوى باسل يسعى الى احراز حقوق متساوية مع الشعوب الاخرى فى الشرق الاوسط ، ويريد ان تكون له دولته المستقلة . وهو لن يتوقف عن النضال من اجل هذا الهدف السامى ابدا .

فقد ابتدأ هذا النضال منذ زمن بعيد فى تلك الفترة بالذات عندما نشأت دولة اسرائيل ، وظهرت «القضية الفلسطينية» . ويكمن جوهرها فى ان اسرائيل احتلت جميع الاراضى الفلسطينية ، ولا تسمح للفلسطينيين بالعودة الى الوطن ، ولا تريد ان تعوض عن الخسائر المادية التى لحقت بالفلسطينيين ، وهى تعتمد على استخدام العنف والارهاب . وقد طرد الصهاينة جزءا كبيرا من الشعب الفلسطينـــى المعـــذب من اراضيه ، وحولهم الى لاجئين وهائمين على وجوههم ، فـــى حين يطلق المعتدون الصهاينة المتجبرون واسيادهم على افضل ابناء وبنات الشعب الفلسطينى ، الذين نهضوا مدافعين عن كرامتهم وسيادتهم

القومية كلمة «ارهابيين» . ويرى القادة الاسرائيليون سبيلا وحيدا فقط لايجاد حلول القضية الفلسطينية ، الا وهو السبيل الحربى وهم يرفضون ان يعترفوا حتى بوجود المناضين الفلسطينيين ، كما انهم ينكرون فكرة انشاء دولة فلسطينية مستقلة ، متجاهلين كون القضية الفلسطينية جوهر الاوضاع فى الشرق الاوسط بأسره . وعلى مدى كل تاريخ وجود دولة اسرائيل ، لايزال قادتها يقتدون بشعار المتطرفين الصهاينة «بأن التحدث مع الفلسطينيين ، فى ميدان القتال فقط «اى بلغة المدافع . واكد المفتى ضياء الدين خان قائلا : «من البديهى انه لو لا التأييد العسكرى والاقتصادى والسياسى والديبلوماسى الامبريالى ، لما تجرأت اسرائيل على مثل هذا التدنيس السافر لقواعد تعايش الشعوب وعلى ابادة لانسانية لشعب باكمله ومحوه والغاء ثقافته حتى يصير نسيا منسيا .

ناضل المفتى ضياء الدين خان حتى آخر ايامه بلا كلل ، تأييدا للقضية العادلة للشعب الفلسطينى ، وهو يعبئ جماهير المسلمين السوفيت المتعددة الملايين ، للاشتراك فى الحركة العامة من اجل تأييد نضاله المقدس ، فى سبيل استرجاع حقوقه المدنسة ، واستعادة الوطن السليب الذى اغتصبه المعتدى الصهيونى .

ان ممثلى جيل المسلمين هم انصار اوفياء لاعمال امامهم الدينى الكبير وافكاره ، ولا يسمحون باضعاف وتيرة النضال الذى كان يخوضه مدافعا عن الحق المقدس ، لكل شعب فى الوجود اللائق ، الذى امر به البارى عز وجل . وفى ذلك تأكيد على ان الفلسطينين ، شأنهم شأن اخواننا العرب الآخرين ، لن يبقوا ابدا بدون تأييد قوى من قبل اصدقائهم الاوفياء والمخلصين ، وان القضية العادلة للشعوب المناضلة ضد الامبريالية والعنصرية والصهيونية سوف تنتصر فى نهاية المطاف ، مهما بلغت الصعوبات والنكسات المؤقتة ، وحتى التراجعات فى الطريق المؤدى الى الحياة الحرة والمستقلة . وذلك مرهون اولا بثقة المسلمين الكبيرة بايمانهم العميق وبأن الله تعالى لا يخيب من يبحث باخلاص عن ارشاده وتوجيهه ، ومن يسعى الى ان يضيئ سبيله بنور القرآن الكريم وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ـ منظمو المؤتمرات واللقاءات الاسلامية والمشتركون فيها

مؤتمرات ولقاءات المسلمين على الصعيد الوطنى والاقليمى والعالمى واهميتها بالنسبة لتطوير الفكر الاسلامى . المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان – المبادر لعقد المحافل الاسلامية . مؤتمر سمرقند فى عام ١٩٧٤ المكرس لذكرى مرور ١٢٠٠ عام على مولد الامام البخارى . مؤتمر طشقند عام ١٩٧٦ «تطبيق تعاليم القرآن والسنة فى الظروف الراهنة» . مشاركة المسلمين السوفيت فى المؤتمرات والمحافل الاجنبية . المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، عضو المجلس الاعلى العالمى للمساجد . المؤتمر الاسلامى الآسيوى الاول المنعقد بكراتشى فى عام ١٩٧٨ . اللقاءات العلمية السنوية «الفكر الاسلامى» التى تجرى فى الجزائر .

درس المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بعزم لا يفتر القرآن الكريم وسنّة النبى صلى الله عليه وسلم ، متعمقا بلا كلل فى الحكمة الازلية لهذه الوصايا العظيمة الى البشر . ونظرا لثقته العميقة باهميتها الراسخة بالنسبة لكل الازمان والشعوب ، فقد اعتبر اهم مسألة لكل جيل جديد من المسلمين ، تآويلها بشكل جديد بغية ان تبقى كمؤشرات مضمونة ومفهومة ، بالقدر نفسه ، فى حياة الفرد والمجتمع ، كما كان شأنها بالنسبة لجميع الاجيال الاسلامية الصالحة . وكان يدعو عندئذ الى ان يسعى المسلمون من الجيل نفسه ، بغض النظر عن الخصائص المميزة لتطورهم الاثنى والقومى والاجتماعى

والسياسي ، الى ابداء ادراك وتفهم موحد الى اقصى حد لمنابع الاسلام الاساسية ، وكذلك للتراث الديني الغني جدا ، الذى تركه لنا الخدمة العظام لديننا الحنيف . وقد اعتبر ان من السبل الاكثر فعالية لمعالجة هذه المسألة بنجاح ، عقد اجتماعات منتظمة للمسلمين على الاصعدة القومية والاقليمية والعالمية ، من اجل اجراء مناقشة مشتركة للقضايا المعنية ، واعداد وجهات النظر الموحدة والمتفق عليها الى اقصى حد او القريبة من بعضهما البعض .

وثمة مؤتمرات عديدة دعا اليها المفتى ضياء الدين خان باباخان نفسه تعد من المحافل الاسلامية البارزة من هذا النوع . ومنها مؤتمر سمرقند لعام ١٩٧٤ المكرس لذكرى مرور ١٢٠٠ عام على مولد الامام البخارى ، ومؤتمر طشقند لعام ١٩٧٦ وموضوعه «تطبيق تعاليم القرآن والسنة فى الظروف الراهنة «ومؤتمر عام ١٩٨٠ المكرس لحلول القرن الخامس عشر الهجرى ، وكذلك العديد من اللقاءات والاجتماعات العلمية والاسلامية التى عقدت فى بلادنا .

مؤتمر «الامام البخارى والعصر الحديث»

كان الاحتفال بذكرى مرور ١٢٠٠ عام على مولد الامام ابى عبد الله بن محمد اسماعيل البخارى ، حدثا ذا أهمية دولية حقا ، تخطت بعيدا اطر العالم الاسلامى . وكان ذروة هذه الاحتفالات فى الاتحاد السوفيتى ، عقد المؤتمر العلمى «الامام البخارى والعصر الحديث» فى فترة ٢٠ -٢٣ آب (اغسطس) عام ١٩٧٤ بمدينة سمرقند . وشارك فى اعماله بنشاط ممثلون عن جميع الادارات الدينية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، وحوالى مائة مسجد كبير فى الاتحاد السوفيتى . كما وشارك فى المؤتمر الى جانب الشخصيات الدينية البارزة فى بلادنا قرابة ٦٠ مجتهدا وشخصية دينية كبيرة من ٢٧ دولة بآسيا وافريقيا واوربا وكذلك مندوبو رابطة العالم الاسلامى .

وسبق انعقاد المؤتمر ، قيام اللجنة التحضيرية برئاسة المفتى ضياء الدين خان بعمل علمى وتنظيمى كبير . وباقتراح منه اصدرت الادارة الدينية عشية افتتاح المؤتمر المؤلف الخالد للمحدث العظيم كتاب «صحيح البخارى» - الذى يعتبر المصدر الثانى للاسلام بعد القرآن

الكريم . وذلك بنسخ عديدة . وكما هو معروف فان تأليف هذا الكتاب ، الذى يعتبر مأثرة حقيقية لحياة البخارى كلها ، قد ساعد على انتصار مبادئ الاسلام الحق نهائيا ، على الدعاوى الباطلـــة للخرافات وظلام الجهل . ووجد مسلمو الكرة الارضية كلها فى مطالعته دوما ، وما برحوا يجدون فيها المرشد الامين فى حياتهم اليومية .. ونشرت فى مجلـــة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» سلسلة كبيرة من المقالات والمواد حول الامام العظيم وعصره . ونفذت اعمال ترميم كبيرة فى مسجد «الامام البخارى» وبضمن ذلك ضريحه فى بلدة خرتنك القريبة من سمرقند .

بدأ المؤتمر اعماله بتلاوة آيات من الذكر الحكيم . ثم ألقى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان كلمة تحيـــة قال فيها بين أمور اخرى : «كرست المؤتمرات السابقة الى شتى جوانب الحياة الاسلامية — الدينية والاجتماعية والسياسة . وهذا المؤتمر يعقد تكريما لذكرى الامام العظيم البخارى الذى وهب حياته الصالحة الى جمع احاديث نبينـــا وترتيبها .

وتساورنا آمال كبيرة فى ان يرسخ هذا المؤتمر بقدر اكبر ، التزام جميع المسلمين التزاما عميقا بدينهم الحنيف ، وان يعزز اكثر تفهمهم لضرورة توسيع التعاون بينهم بكل السبل ، وتوحيد اواصر وعرى الاخوة مع بعضهم البعض ، ومع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة» .

كما القى كلمة تحية الشيخ عبد الله غوشا القاضى الاكبر فى الاردن ، والشيخ زاهر القاسمى رئيس جمعية العلماء المسلمين والامين العام لرابطة المقرئين فى العالم الاسلامى ، والدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى وزير الدولة ورئيس رابطة الشباب المسلم بمصر ، والدكتور محمد سعيد الافغانى رئيس مجلس العلماء بافغانستان . كمـــا تليت رسالة التحية التى بعث بها مفتى ليبيا الشيخ طاهر الزاوى .

وألقى المفتى ضياء الدين خان التقرير الرئيسى للمؤتمر والمكرس لحياة ونشاط الامام البخارى .

وقد تطرق المفتى ضياء الدين خان الى المراحل الاساسية لطريق حياة العالم ، الذى اصبح بارادة الله امام الائمة والمحدثين ، واشار الى ان المسلمين بآسيا الوسطى وعبر اجيال كثيرة ، كانوا يفتخرون دوما وما زالوا يفتخرون بكونه ولد فى بخارى ، التى هى من اشهر مدن المنطقة ، فى اسرة تقية مؤمنة وصالحة . وكان ابوه اسماعيل احد الرجال الواسعى الثقافة والاطلاع فى زمانه ، وشديد التعلق بالعلم ، فدعا

كبار العلماء ومشاهير المحدثين كمعلمين لابنه . وكان اول معلم للامام هو حفيد اليمان واسمه عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر .

استطاع البخارى منذ ان كان فى الحادية عشرة من العمر ، اجراء مناقشة علمية مع معلم جليل من معلميه وحتى صحح بعض الاخطاء التى ارتكبها هذا تحريريا او شفهيا .

ولدى دراسة الاحاديث ، التزم الامام البخارى بنهج معين يقضى بالتحقق الوافى من صحة كل حديث ، ومطابقته للقرآن والسنـــة ، وكذلك بدراسة سيرة ناقليه . وفى سن ١٦ كان الامام البخارى قد حفظ كتب مشاهير المحدثين مثل ابن المبارك ووكيع .

وبعد ان اتقن الامام البخارى المعارف الدينية فى وطنه توجه الى مكة ، مهد الاسلام برفقة امه واخيه احمد اللذين عادا الى بلدهما بعد اداء كافة مناسك فريضـة الحج . اما هو فقد بقى لمواصلة دراســة الاحاديث بشكل اعمق . وتعلم البخارى فى مكة على يد علماء مسلمين بارزين مثل ابى الوليد احمد بن محمد الازرقى ، واسماعيل بن سالـم الصايغ . ومن ثم توجه الامام البخارى الى المدينة المنورة ، لزيـارة ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم . وبدأ البخارى عند ضريـح الرسول بكتابة اول اعماله وهو كتاب حول الصحابة ، وبعد ذلك كتب مؤلفه الشهير «التأريـخ» الذى يورد فيه اسماء الكثير مـن رواة الاحاديث .

ان هذين الكتابين يعطيان تصورا كافيا عما اتسم به البخارى من سعة الافق والمعارف ، وكذلك عن انه كان يعرف حق المعرفة سيرة ناقلى الاحاديث . فمثلا يقول ابو سعيد محمود الشافعى : «لقد تسنى لى سماع اكثر من ٣٠ عالما مصريا يقولون بان كتاب «التأريخ» ينبغى ان يعرفه كل مسلم فى الدنيا» .

عاش البخارى فترة عام فى المدينة ثم شدّ الرحال وجاب الامصار بهدف دراسة وجمـع الاحاديث . فامضى خمس سنوات من عمره فى البصرة ، وزار مكة غير مرة ، وكان يلتقى فى كل مرة مع الكثير من المحدثين والعلماء . وزار سورية ومصر وقطر مرتين ، وامضى فى الحجاز ستة اعوام ، وزار الكوفة وبغداد غير مرة . وغالبا ما كان الامام العظيم يقوم برحلات بعيدة ومضنية وذلك من اجل لقاء احد المحدثين فقط . واثمرت ابحاثه العميقة ابان سنوات كثيرة ، عن تأليف كتاب يتضمن

اخبار سيرة ١٠٨٠ من الرواة الذين تلقى الامام البخارى منهم الاحاديث مباشرة .

كان هذا العالم الذى ذاع صيته فى حياته ، يستقبل بالحفاوة والتكريم اينما حل ورحل . وكانت تقام على شرفه محافل العلماء . كتب ابو سهل محمود بن النصر يقول : «لقد زرت البصرة والشام والحجاز والكوفة . والتقيت بالعلماء فى هذه المدن . فلم ألتق هناك برجل يعتبر نفسه ارفع مقاما من الامام البخارى» . لقد عزى الكثير من النجاحات المذهلة للامام البخارى كجامع احاديث الى جدة وكمال طريقته فى البحث العلمى . وقال «اننى لم اكتب كما فعل المؤلفون الذين سبقونى . وكنت بادئ ذى بدء اسأل عن اسم ناقل الحديث ، واعرف الى اى اسرة ينتمى ، وفيما اذا كان شريفا ، وما هى قدراته» . فان كانت هذه او تلك من الحقائق تثير لدى الشكوك ، فاننى لا ادرج اسم المحدث المذكور فى قائمة رواة الاحاديث . وقال محمد بن نبى فى معرض ذكرياته : «سألوا البخارى مرة عن الطريقة التى اعتمد عليها فى جمع الاحاديث . فاجاب : «لقد حذفت عشرة الآف حديث لناقل غير ثقة ، وتركت مثله لمالى فيه نظر» .

لابد وان تثير الاعجاب البالغ سعة اطلاع البخارى ونظرته العلمية . فمثلا ، تكفى الاشارة الى انه حفظ عن ظهر قلب كافة الاحاديث التى ثبتها كبار المحدثين ، وآراءهم بهذا الشأن . ووهب البارى عزّ وجل الامام البخارى مواهب فطرية فذة ، وذاكرة خارقة للعادة . وكان يدافع عن الحقيقة دوما ويعارض من يشوه الأمر الحق .

وبدا امام المحدثين العظيم ، من كلام المفتى ضياء الدين خان المتألق والملهم امام المشتركين فى اللقاء ، كرجل نحيف القوام أسمر السحنة متوسط القامة وسيم الطلعة . وكان متواضعا ولم يصبو ابدا الى الشهرة المصطنعة . وكان تلهفه الوحيد وهدفه الوحيد فى الحياة خدمة الله واظهار الحقيقة . ولم يتهافت على الخيرات الزائلة لهذه الدنيا ، وجنى الثروة ، وابدى الدعم المعنوى والمادى السخى الى جميع الذين كانوا يتوجهون فعلا نحو طلب المعرفة ، واكتشاف الحقيقة . ودافع طوال حياته كلها عن مكانة العلم ، وعنى بالا يحنى العالم رأسه امام الحاكمين . حينما عاد الامام الى وطنه بخارى ، التف حوله كثير من الناس من انصار العلم والمعرفة الحقيقيين . وكان ينشر بلا كلل فى المسجد والبيت سنة نبينا الكريم . واعترف الجميع بلا جدال بانه حجّة

فى القضايا المتعلقة بالحديث الشريف .

بعث امير بخارى خالد بن احمد الزهلى مرة فى طلب الامام البخارى ، وامر بان يأتى الى القصر مع مؤلفاته . فاجاب البخارى رسول الامير بقوله : «قل للامير باننى لن أذل العلم ولن احمله الى ابواب السلاطين» . وحينما سمع الامير هذا الجواب الجسور ، استشاط غضبا وأمر الامام بمغادرة بخارى . من الجلى انه من الصعب ذكر مثال أخر لجرأة عالم كهذا لم يكن يخاف احدا غير الله . وكان مستعدا كغيره من العلماء الحقيقيين ، للتضحية بكل شىء فى سبيل العلم والحقيقة .

وبعد ان ترك الامام البخارى مدينته توجه نحو سمرقند . وحينما بلغ خرتنك نزل عند اقاربه . وبلغته هناك الاقاويل بخصوص التردد والجدال الناشب بين اهالى سمرقند ، بصدد امكانية السماح له بدخول هذه المدينة . فاصاب ذلك نفس العالم المرهفة بجرح عميق ، وسبب له الآلام الدفينة ، وبعد مرور ثلاثة ايام فارق الحياة . تغمده الله برحمته .

ترك الامام العظيم تراثا علميا هائلا . واهمية اعماله الموسوعية خالدة بالنسبة للمسلمين . وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن امثال هؤلاء الرجال : «**اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له**» (رواه البخارى ومسلم) . وكان الامام البخارى نفسه يحب ذكر هذا الحديث الشريف .

يعترف المجتهدون بالاجماع فى العالم باسره ، بان كتاب الامام البخارى «صحيح البخارى» – هو الكتاب الثانى من حيث الاهمية بعد القرآن الكريم . وبفضله دون اسم البخارى بحروف من ذهب فى تأريخ الاسلام الى الابد .

وبعد ان القى المفتى ضياء الدين خان خطابه الذى استمع اليه كافة الحاضرين باهتمام كبير ، تحدث علماء الدين من بلادنا وكبار الضيوف الاجانب . وقد قدروا تقديرا عاليا ما تضمنه التقرير ، واعرب عن رأى اجماعى بان مؤلفات الامام البخارى تعرض القوانين الموثوق بها والاساسية للشرعية .

واشار المفتى حاجى اسماعيل احمد نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى القوقاز ، ضمنا ، الى موضوعة الامام الجليل التى يرد فيها «ان مستقبل البشر الوضاء ، يتوقف على تطور العلم والثقافة» واكد توافقها العميق مع الآية ٢٠ من سورة الملائكة : «**وما يستوى الاعمى والبصير**

ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور» . وتكمن حكمة كبيرة فى هذه الآية الكريمة . اذ يشبه العلم والمعرفة بالنور ، والجهل بالظلام ، ويعتبر العالم مبصرا ، والجاهل أعمى .

يجب ان يخدم العلم للانسان ، وان يخلق الرخاء فى الارض . ويتحقق ذلك فى بلادنا وفى غيرها من الدول الحرة حقا . وهذا ما كان يحلم به الامام البخارى . اذ كان يدرك كل الادراك بان كل شىء فى الدنيا ، انما خلق من اجل الانسان ، كما ان ما يصنعه الانسان نفسه ، يعتبر ثروة عامة ايضا . وهذا ما رسمه الله عز وجل . ويرى الامام البخارى بان انجازات الفكر البشرى المتركزة فى العلم والثقافة ، يجب ان تستخدم لخير ورخاء الناس اجمعين .

واعتبر البخارى ان اثمن ما فى الانسان هو اخلاقه الرفيعة وضميره النقى . وجاء فى الحديث تحت الرقم ٢٧٠ من كتاب «الادب المفرد» ما يلى : «**ما من شىء فى الميزان اثقل من حسن الخلق**» . والاسلام يطالب المسلمين دائما ، وبالاخص علماء الدين ، بان يلتزموا كل الالتزام بالاخلاق الحميدة ، وبصيانة النقاء الروحى والبدنى . ويرد فى الحديث ٢٨٨ من «الادب المفرد» : «**اربع خلال اذا اعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا : حسن الخليقة وعفاف طعمة وصدق حديث وحفظ امانة**» . (رواه البخارى فى الادب المفرد) .

وقال المفتى حاجى اسماعيل احمد ان الحقيقة والعدالة – وهما من المثل العليا العظيمة للامام البخارى – تتجسدان فى العائلة السوفيتية ، وفى ارض وطنه . ومسلمو الاتحاد السوفيتى الذين يرون توافق السياسة العادلة للدولة مع احكام القرآن الكريم والحديث الشريف ، يؤيدون من اعماق قلوبهم الاعمال النبيلة للدولة السوفيتية وسياستها العادلة .

اشير فى خطاب الشيخ شمس الدين عبد الله نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القوقاز ، الى انه رغم كون البخارى قد ولد ودفن فى اوزبكستان ، فان تراثه الدينى عزيز على قلوب المسلمين فى العالم اجمع . وليس عبثا ان قال ابو بكر بن على شبيات : «اننا لم نعرف من رجل قريب الى محمد مثل البخارى» .

ومضى الخطيب يقول ان اوزبكستان كانت معروفة منذ قديم الزمان بعلمائها الموهوبين . فمثلا حظى بالشهرة فى العالم الامام البخارى وعدد من كبار رجال العلم والحكمة كالزمخشرى وابن سينا والفارابى

والتفتازانى والجرجانى والبيرونى واولغ بك وغيرهم ممن ارست مؤلفاتهم اساس العلم والثقافة العالميتين .

لقد لفت الامام البخارى الانتباه فى كتابه «الجامع الصحيح» الى ضرورة تطوير العلم ، مسترشدا قبل كل شىء باحكام القرآن الكريم التى يرد فيها : «**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير**» (السورة ٥٨ ، المجادلة ، الآية ١١) . ومن المهم الاشارة الى ان مفهوم «المعرفة» يشمل هنا كافة مجالات العلـــم والثقافة . واعتبر البخارى انه كما لا يوجد طريق لادراك الخالق العظيم ، كذلك لا توجد للعلم حدود ، ففوق كل ذى علم عليم .

واكد الشيخ شمس الدين عبد الله قائلا : ان اسم البخارى يلقى فى داغستان التبجيل ذاته ، الذى يلقاه فى موطن الامام . ان الاحلام عن تطوير العلم والمعارف تتحقق فى بلادنا كلها بشكل عام وفى كل جمهورية على حدة .

جاء فى الحديث الشريف : «**لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه**» (رواه البخارى ومسلم) . ففى عام ١٩٧٠ حينما حدثت زلازل شديدة فى داغستان ، كان شغيلة اوزبكستان اول من هب لتقديم يد المساعدة . وبنوا خلال عامين للمصابين ما يربو على ٢٠ الف متر مربع من المساكن فى محج‌قلعة عاصمة داغستان .

يتبع الاتحاد السوفيتى العظيم سياسة محبة للسلام ، ويسعى الى السلام الوطيد فى الكوكب اجمع . وهذا يتفق تماما مع افكار الاسلام الواردة فى اعمال الامام العظيم البخارى .

واكد الملا بلبل ماميف نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى القوقاز فى خطابه ، على ان التراث الابداعى للامام البخارى ، كان دوما ينبوعا للحكمة لا ينضب بالنسبة الى علماء العالم قاطبة ، ومنهم علماء الغرب . وتعكس احاديث الرسول الاكرم ، التى جمعها البخارى كافة جوانب حياة الانسان ، وتدعو الى الاخلاق السامية وحب الوطن والصدق والعدالة ، وتدعو الى محاربة الجهل واجتثاث الشرّ كله من الارض . وليس بوسع احد الوقوف بلا مبالاة ازاء الحديث الوارد فى كتاب «الادب المفرد» ، الذى يقضى بان يكون الانسان دوما متسامحا وطيبا مع جاره ، غير مؤذ له . والاقوال الكريمة التى قالها النبى صلى الله عليه وسلم بصدد الاهتمام بالناس والصداقة بين الشعوب ورعاية الشباب والشيوخ معمول بها وعزيزة على المسلمين السوفيتيين .

ومابرحت اعمال الامام العظيم فى زمننـــا ايضا مصدرا للاثراء الروحى بالنسبة لكل مسلم .

واعرب الشيخ داود غومبادزه امام مسجد مدينة باطومى (جمهورية جورجيا السوفيتية) فى خطابـــه ، عن الامتنان الى مسلمى القوقاز ، والمفتى الجليل ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، على المبادرة والعمل التنظيمى الكبير فى اقامة هذا المحفل العلمى لرجال الدين ، تكريمـــا لذكرى الامام البخارى المجبل والمحبوب للجميع ، والذى كانت حياته بمثابة اسطورة . وكان هذا المجتهد العظيم والباحث الدؤوب ، وجامع الاحاديث النبوية الكريمة التى لا تقدر بثمن ، يعجب الناس بروعتـــه وافادته حكما بالغة . فكان يحلم بتخليص البشر فى الارض مـن الآلام المتأتية عن الشر والظلم والجهل . والعلم بالنسبة الى الامام البخارى ، ثروة تعتبر اثمن من اية جواهر . وكان يعتبر اكثر الناس ثروة ، ذلك الذى يكثر من الاسفار ويتعلم ويعرف اكثر من الآخرين . فالنقود لا تجلب الخير لمالكها الا حينما تستخدم فى الامور الصالحة ، اما المعارف فتغنى الناس دائما ، وتزيد من ثقافتهم . ويدل على هذا ما اورده الامام البخارى فى باب «كتاب العلم» من «الجامع الصحيح» : «**لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله المال فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتـاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها**» (رواه البخارى) .

واختتم الشيخ غومبادزه خطابه بالقول : ان مسلمى القوقاز ، شأنهم شأن مسلمى الاتحاد السوفيتى اجمع ، يسعون الى تطبيق وصايا النبى محمد والامام الجليل البخارى بشرف ، فى مضمار امتلاك ناصية المعارف العلمية .

واعلن الشيخ فايز الرحمن من بشكيريا ، ان الدعاة فى العالم قاطبة قد اجتمعوا بارادة الله فى وطن الامام البخارى ، من اجل المساعدة على مواصلة دراسة ونشر التراث الاسلامى العظيم ، فى ضوء مستلزمات العصر الهامة جدا . لقد توفى الامام البخارى قبل ١٢٠٠ سنة خلت ، لكن اسمه الخالد وافكاره مافتئت تعيش حتى يومنا هذا .

لقد تحول الاتحاد السوفيتى الى اكثر بلدان العالم طليعية وتعليما وثقافة . واغنى العلماء السوفيت العلم العالمى باهم الاكتشافات . وما كان بالمستطاع تحقيق هذا التقدم فى بلادنا لولا السياسة القومية الحكيمة التى تتبعها الدولة ، مما ادت الى تكريس علاقات المساواة والصداقـــة والتعاون بين الامم والشعوب . وتوفر فى الاتحاد السوفيتى افضـــل

الظروف من اجل تحقيق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» (رواه البيهقى) . وترد الفكرة ذاتها فى الكثير من الاحاديث التى جمعها الامام العظيم : «**من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة**» (رواه البخارى) وهذه وغيرها من وصايا النبى تنفذ منذ أمد بعيد فى البلاد التى ولد وشب فيها الامام البخارى .

وقبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى كان من النادر فى بشكيريا ، حيث يوجد مقر الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، ان ترى شخصا يجيد القراءة والكتابة . اما اليوم ، فتحتل بشكيريا المرتبة الاولى من حيث عدد المدارس ، والمرتبة الثانية من حيث التلاميذ والطلاب بين جمهوريات ومقاطعات روسيا الاتحادية . وبارادة الله ، اصبح الشعب الذى حكم عليه بالانقراض ، عضوا متساويا فى الحقوق فى اسرة البلاد العظيمة المتعددة القوميات ، التى تعيش فى جو الالفة والمودة .

واشار الملا على كرم اغايف امام مسجد يريفان فى خطابه الى ان المؤمنين المخلصين ، يجب ان يسترشدوا فى حياتهم اليومية بالمبادئ الاخلاقية الواردة فى كتاب «الجامع الصحيح» . وباستئصال الجهل والغطرسة والتعالى والغلاظة واللامبالاة تجاه مصائب الآخرين ، ينبغى على المرء ان يربى فى نفسه ونفس المحيطين به الصفات الاخلاقية النبيلة : كالسعى لطلب المعرفة ، واحترام الوالدين ، والاقربين ، والاكبر سنا ، والدماثة والمودة . لقد روى الامام البخارى فى كتاب «الجامع الصحيح» الاحاديث الكريمة التالية مثل : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» (رواه البخارى) وروى ايضا : «**كان النبى جالسا اذ جاء رجل يسأل او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء**» (رواه البخارى) . ان التعاون والصداقة الحقة باسم السلام وسيادة الاخلاق الرفيعة والعدالة هى المبادئ التى تقوم عليها العلاقات بين الناس دائما .

ويعلمنا الاسلام بان الله خلق هذا العالم من اجل انتصار المساواة والاخوة ، ومن خير الشعوب كافة فى جميع الازمان . وتدعونا وصايا النبى صلى الله عليه وسلم ، الى العيش فى سلام ومساعدة احدنا الآخر وعدم محاربة او قتل بعضنا البعض .

ولكن من المعروف انه يوجد فى الدنيا الشر الى جانب الخير .

فحينما احتل الغزاة الاسرائيليون مدينة القدس المقدسة ، وقسما من الاراضى العربية ، ادان المسلمون السوفيت افعال المعتدين ادانة حازمة . فالمسلمون السوفيت امناء لتعاليم القرآن والسنة حول الاخوة بين ابناء العقيدة الواحدة . والمبادئ الاساسية للاسلام ، الدفاع عن الخير ومحاربة الشر . وقد عرضها الامام العظيم البخارى بصورة منهجية فى مؤلفاته الرائعة .

ثم روى شاه اكرام بن شاه اسلام الباحث العلمى الكبير بمعهد الاستشراق الذى يحمل اسم ابى ريحان البيرونى لدى اكاديمية علوم اوزبكستان ، عن ان اعمال الداعية الاكبر لكافة الازمان الامام البخارى ، تحتل مكانة مرموقة بين المخطوطات القديمة والكثيرة المحفوظة فى خزانة كتب المعهد .

ومعروف فى العالم اجمع كتاب هذا العالم البارز «الجامع الصحيح» الذى يعد من الاعمال الفذة حقا . ويتألف من ١٦٠ كتابا و٣٤٥٠ بابا . وضمنه البخارى احاديث ٢٨٩ شيخا . وكما اشار الحاج خليفة فى كشف الظنون انه قد كتبوا له ما يربو على ٦٠ شرحا (بقى الكثير منها بشكل مخطوطات) ، كما اضيف الى التعليقات عدد كبير من الخلاصات والمختصرات . وقام كثير من النساخين المعروفين فى العالم ، باعادة استنساخ هذا الكتاب كليا او جزئيا . وكرس بعض النساخين حياتهم كلها من اجل استنساخ هذا الكتاب .

وتوجد فى خزانة كتب المعهد طبعات كثيرة لكتاب «الجامع الصحيح» الشهير ، طبعت فى القاهرة وبومباى ودلهى واسطنبول . اما بصدد المخطوطات فان عددها الاجمالى يصل هنا الى عشر نسخ كاملة وناقصة .

كما تحدث فى المؤتمر الضيوف الاجانب . فاعربوا جميعا عن الامتنان الخالص الى منظميه وعلى رأسهم سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وايد المشتركون الاجانب فى المؤتمر بالاجماع هذا التقييم الرفيع ، الذى اورده الخطباء السوفيت للتراث الابداعى للبخارى . وقال محمد الفاروق الامين العام للجبهة الاسلامية الاشتراكية فى شرى لانكا ان الاهمية الخالدة لكتب الامام البخارى ، تكمن فى انه اوصل الى كل مسلم مؤمن وصايا النبى صلى الله عليه وسلم ، من ان الانسان يزينه عمله الذى يعطى الصحة فى الجسد وفى الروح .

وتطرق الشيخ ابراهيم دسوقى الامين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى نيجيريا ، وحسن خالد مفتى لبنان ، والشيخ

اكبر عبادى مدير المجلة الاسلامية «البرهان» من الهند ، والشيخ عبد الله غوشا القاضى الشرعى الاكبر فى الاردن ، وكثير غيرهم فى خطبهم ، الى تلك الاحاديث التى تمجد السلام والصداقة بين البشر ، وتدعو الى محاربة الظلم والاضطهاد . والمبادئ التى تبنى عليها التعاليم الاسلامية هى تأمين حق التمتع بحرية العقيدة الدينية ، وحق الحصول على الطعام والعمل ، والحق فى الاستقلال والحياة الآمنة فى هذا العالم .

ويعتقد الدكتور ابراهيم الطحاوى رئيس جمعية الشباب المسلم فى جمهورية مصر العربية ، ان الامام البخارى الف كتابه «الجامع الصحيح» كينبوع رقراق وصاف للفكر الاسلامى ، وكمنارة هادية مضيئة للمبادئ الانسانية فى الكفاح من اجل العدالة والمساواة والصداقة بين الشعوب . وقد حقق ذلك بفضل طريقته العبقرية فى دراسة أحاديث النبى وتوظيب المعارف الاسلامية . والامام البخارى يعد بلا جدال مؤسس علم الاحاديث ، وسيبقى اسمه خالدا الى الابد فى قلوب المسلمين الابرار .

ووصف الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل جامعة «الازهر» ، الامام البخارى بانه عالم سبق عصره بفترة طويلة ، فاثبت استعداد الاسلام على اتاحة التقدم العلمى والتكنولوجى واجراء تقارب بين مختلف الشعوب وصلاحيته لكافة العصور . ان السير وفق مبادئ الاسلام الواردة فى كتاب «الجامع الصحيح» يقود الى انتصار افكار الخير العميم . فندعو الله عز وجل ان يهدينا الى طريق الخير والصواب .

واعلن الشيخ محمد بافضل عميد كلية الشريعة الحكومية بمدينة غامبى (اندونيسيا) ان «صحيح» الامام البخارى موجود فى كل مسجد ومؤسسة تعليمية باندونيسيا . انه مرجع لا غنى عنه لكل مسلم . وصدرت فى اندونيسيا فيما عداه ، كتب عن الامام نفسه . ويشارك المسلمون فى هذا البلد رأى الامام العظيم حول التلاحم والانسجام بين ما هو روحى وما هو مادى ، وعدم جواز تجاهل اى واحد من هذين الجانبين .

واشار الحاج مولانا عبد الرشيد تاركاباغيش رئيس لجنة خبراء التعليم الاسلامى ، رئيس جمعية الصداقة «بنغلاديش – الاقطار العربية» الى ان جميع العلماء العظام فى العالم الاسلامى ، كانوا يصفون كتاب البخارى «الجامع الصحيح» دوما بانه اعظم الكتب ، ويحتل عن حق المرتبة الثانية بعد القرآن . واليوم ، وكما كانت الحال قبل قرون كثيرة ، يتفهم

الاخوان فى العقيدة جميعا افكار الاسلام الخالدة حول التلاحم والصداقة والرفاقية ، التى صنفها وطوّرها الامام البخارى .

ثم قدم الشيخ مصطفى نيانغ رئيس اتحاد التقدم الاسلامى فى السنغال ، التهانى الى فضيلة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، للنجاح فى اقامة الاحتفالات المكرسة لذكرى مرور ١٢٠٠ عام على مولد الامام البخارى ، اكبر ورثة النبى الكريم فى نشر المعرفة . واعرب عن العمل فى اجراء المزيد من مثل هذه اللقاءات الدولية ، حيث انها تتيح لممثلى شتى البلدان والشعوب فرصة معرفة بعضهم البعض بشكل افضل ، وتعزيز الصداقة والتضامن بين المسلمين فى العالم اجمع . واشار الضيف الرفيع بابتهاج الى ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يتمتعون بحرية العقيدة الدينية وبجميع الحقوق المدنية الأخرى على قدم المساواة مع كافة المواطنين الآخرين فى البلاد .

ولاحظ الدكتور محمد سعيد الافغانى رئيس مجلس العلماء فى افغانستان ، ان الشعب الافغانى كان يرتبط دائما بعرى وثيقة مع اهالى بخارى وطشقند . ان اسم الامام البخارى مقدس بالنسبة للمؤمنين فى افغانستان ، مثل ابناء اوزبكستان والعالم الاسلامى أجمع . ولهذا قبل المجتهدون الافغان الدعوة لحضور هذا المحفل ببالغ الامتنان . واكد الدكتور محمد سعيد الافغانى لجميع المؤتمرين ، بان شغيلة افغانستان سيواصلون تعزيز علاقات حسن الجوار مع السوفيتيين ، مما يتجاوب تماما مع افكار الامام البخارى حول السلام والصداقة وتراص كافة الناس .

ووصف السيد ذكريا عيسى المهندس الزراعى من توغو المؤلف الضخم للامام البخارى «الجامع الصحيح» بانه معجزة . ودعا الى احناء الرؤوس اجلالا وتبجيلا لذكرى العالم الشهير والدعاء الى الله بان يغمده برحمته . واكد بصورة خاصة على ضرورة اطلاع الشباب ، الذى يواجه الكثير من المغريات ، على نتاج الامام البخارى من اجل تعريفهم بالمثل النيرة ، التى وهب العالم العظيم حياته كلها لها .

وقال الشيخ حسن عبد الله فارح نائب رئيس المحكمة العليا فى الصومال ، ان الامام البخارى معلم المسلمين الامين فى كافة العصور والشعوب ، لان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى جمعها ، ترفد عضويا وتكشف محتوى القرآن الكريم .

واكد الدكتور عون الشريف قاسم وزير شئون الاديان والاوقاف

السودانى ، على ان انعقاد المؤتمر الدولى المكرس للامام البخارى ، هو شاهد لا ريب فيه على الاهمية الراسخة للمأثرة الانسانية والعلمية الفذّة ، التى اجترحها هذا الداعية الاسلامى العظيم . ومن الصعب التقليل من اهمية خدماته للمسلمين والبشريـــة جمعاء . وان المسلمين فى السودان يوجهون الشكر الى اخوتهم فى الدين من السوفيت على مبادرتهم الطيبة لاحياء ذكرى الامام العظيم .

وقال السيد نافع قاسم مدير الاوقاف العراقى فى خطابه : ان كل شىء فى العالم ينسى ، فيما عدا العلماء حقا فهم يخلدون فى ذاكرة الاجيال الشاكرة لفضلهم . وقد رسخ اسم البخارى فى التأريخ الى الابد ، لان دوره فى صياغة الشخصية الانسانية الفاضلة ، وتوطيد الايمان ونقاوة الروح ، وصيانة احكام الشريعة المقدسة ، وحمايـــة الاسلام من التزييف والتصور الخاطئ ، لا يقدر بثمن حقا . علما بان البخارى عاش فى الازمنة التى ولد فيها العلم لتوه . وكان كالشمس ، فى الوقت الذى كان القسم الاكبر من الدنيا يغوص فى دياجير الظلام . وخلق الله بشخصه من حافظ على السنة صحيحة لا تشوبها شائبة وذلك فضل الله تعالى على الامة الاسلامية .

واعرب السيد نافع قاسم باسم كافة المؤتمرين عن الامتنان الى سماحة المفتى ضياء الدين خان ، على مبادرة مسلمى الاتحاد السوفيتى فى التحضير للمؤتمر الدولى المكرس للامام البخارى ، وقال : ان الدولة السوفيتية تفعل كل ما فى وسعها من اجل تقديس وتخليد ذكرى الرجال العظام .

ووصف الشيخ محمد صفوت السقا الامينى (العربية السعودية) نائب الامين العام لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، المؤتمر المكرس لذكرى مرور ١٢٠٠ على مولد الامام البخارى ، بانه حلقة تربط التأريخ القديم بعصرنا هذا . وفى وقت لاحق كتب الشيخ الامينى فى ذكرياته عن انطباعاته حول المؤتمر قائلا : انه تراءى له فى تلك الايام ، وكأنه انتقل «مركز المسلمين فى العالم اجمع من مكة الى سمرقند» . واشار بصورة خاصة الى فضل المفتى ضياء الدين خان على مسلمى العالم اجمع ، فى مضمار عقد المؤتمر الدولى من اجل ازدهار الدين الاسلامى الحنيف ، والتقريب بين جميع المؤمنين به .

كانت القرارات الصادرة عن المؤتمر اليوبيلى ، تتجاوب كل التجاوب مع حاجات وتطلعات كافة المسلمين المؤمنين . واحتلت مكانة خاصـــة

بينها ، ادانة العدوان الاسرائيلى على الاقطار العربية ، والمطالبة الحازمة بطرد المحتلين من الاراضى العربية التى يحتلونها بلا وجه حق ، ومنح الشعب العربى الفلسطينى حقه فى اقامة دولته المستقلة .

وعموما ، جرى التأكيد فى البيان الصادر عن المؤتمر ، على ان الامام البخارى ما برح شخصية مرموقة فى علم الحديث ، وان تراثه الكبير «الجامع الصحيح» – هو الكتاب المعتمـــد الثانى بعد القرآن الكريم . ودعا البيان كافة المؤمنين الى تعزيز اواصر الصداقة والتعاون الوثيق بين المسلمين فى شتى الاقطار ، باسم السلم والسعادة والصداقة والتقدم الاجتماعى ، والى المشاركة بنشاط فى تطوير الاقتصاد والثقافة فى بلدانهم ، والعمل باجتهاد وامتلاك ناصية المعارف .

وجاء فى بيان حول ازمة الشرق الاوسط : «باسم تعاليم القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ندعو بكل حزم الى احلال السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط ، وفى الارض المقدسة لكافة المؤمنين . ونطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية فورا وبصورة تامة من كافة الاراضى العربية المحتلة ، وبعودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم ، وبالاعتراف بحق الشعب العربى الفلسطينى فى تقرير مصيرهم» .

بعد انفضاض المؤتمر ، زار المشتركون فيه قرية خرتنك حيث يوجد مسجد وضريح المحدث العظيم . ورحب الالوف من الاهالى المحليين بالضيوف ترحيبا حارا ووديا .

وبدأت الاحتفالات فى خرتنك بتلاوة طلاب مدرسة «مير عرب» آيات الذكر الحكيم على روح الامام البخارى . كما تليت قصيدة تكريما لذكرى هذا العالم والمجتهد الفذ . وبعد ذلـــك ادى المشتركون فى الاحتفالات اليوبيلية صلاة الظهر فى المسجد الذى يحمل اسم البخارى . واهديت لهم نسخ من مؤلفات المحدث العظيم «الجامع الصحيح» و«الادب المفرد» و«ثلاثيات البخارى» الصادرة فى بلادنا .

وأقامت بلدية سمرقند حفل استقبال على شرف وفود المحفـــل الدولى . واشار رئيس المجلس البلدى فى كلمة التحية التى القاها ، الى ان سمرقند تعد منذ اقدم العصور ، احد مراكز العلم والثقافة ، فوهبت العالم العلماء والمجتهدين العظام كالدارمى السمرقندى ، ومحمد بن بشار ، وابى منصور الماتريدى ، وابى الليث السمرقندى ، وعلاء الدين السمرقندى ، وسعد الدين التفتازانى ، والسيد الشريف الجرجانى

وغيرهم . واعرب عن الامل فى ان يغدو المؤتمر اسهاما فى تعزيز الصداقة والتفاهم بين الشعوب ، وان يساعد على احلال السلام الوطيد فى الارض .

والقى الكلمة الجوابية باسم مندوبى المؤتمر ، الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار وكيل جامعة الازهر ، فاشار الى ان المسلمين فى البلدان الاخرى ، لاتربطهم بالمسلمين فى الاتحاد السوفيتى مشاعر الاخوة فقط ، بل والتأريخ المشترك للثقافة الاسلامية . فلا توجد جامعة اسلامية واحدة ، لا تدرس فيها مؤلفات علماء سمرقند البارزين . والصلات بين مسلمى الشرق العربى والمسلمين بآسيا الوسطى ذات جذور عميقة ، ويجب تعزيز هذه الصلات باستمرار ، فهى تخدم اهداف التقدم والازدهار والسلم فى العالم أجمع .

وبعد انتهاء الاحتفالات اليوبيلية ، زار المندوبون الاجانب عددا من مدن الاتحاد السوفيتى .

حظى المؤتمر العلمى المكرس لذكرى مرور ١٢٠٠ عام على مولد الامام البخارى باوسع صدى ايجابى على النطاق العالمى ، ودلت على هذا بين امور اخرى ، برقيات التحية الكثيرة ورسائل واصداء الشخصيات الاسلامية المعروفة . وحينما عاد المشتركون فى المؤتمر الى اوطانهم ، تحدثوا من الاذاعة والتلفزيون ، وكتبوا فى صفحات الجرائد والمجلات ، فاجمعوا على ان هذا اللقاء اليوبيلى الدولى الواسع التمثيل والعميق المحتوى ، كان حدثا هاما فى العالم الاسلامى المعاصر .

عقد فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٦ فى طشقند ، بمبادرة المفتى ضياء الدين خان مؤتمر بعنوان : «تطبيق احكام القرآن والسنة فى الظروف الراهنة» . وكان شعار هذا المؤتمر الكبير ، الذى تزامن مع الذكرى الثلاثين لتأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان النداء العظيم الوارد فى القرآن : «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**» .

وحضر المؤتمر لتبادل الآراء والخبرات ، علماء مجتهدون سوفيت واجانب وكبار رجال الدين والشخصيات الاجتماعية . وكانت الاهمية البارزة لمؤتمر طشقند هذا ، تنحصر فى انه اظهر مرة أخرى وبكل جلاء ، ان الدين الاسلامى قادر على البقاء ويتطور فى كافة المجتمعات ، بغض النظر عن النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى فيها .

المشاركة فى المؤتمرات واللقاءات الدولية

يقوم المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، بالاضافة الى تنظيم لقاءاتهم العلمية الكبرى داخل الاتحاد السوفيتى ، بتطوير علاقاتهم وصلاتهم المتنوعة مع ابناء عقيدتهم فى الخارج ، بالمشاركة بنشاط اكبر فاكبر ، فى اللقاءات المماثلة الجارية فى البلدان الاخرى . وقد أرسى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، بداية هذه الممارسة النافعة باكبر قدر . فشارك هو شخصيا وكثير غيره من ممثلى الادارة الدينية التى تولى رئاستها ، وكذلك الادارات الدينية الاخرى لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، مشاركة مستمرة فى المؤتمرات واللقاءات والاجتماعات الاسلامية فى الخارج . وتوجد توقيعات ممثلى مسلمى الاتحاد السوفيتى ، على قرارات جميع المحافل الاسلامية الدولية الهامة ، التى كانت مكرسة لاكثر القضايا التهابا والحاحا فى حياة المسلمين فى العصر الراهن ، والتى عبرت عن الامانى الحقيقية وارادة معتنقى الاسلام فى العالم اجمع ، ومنه الاتحاد السوفيتى ، ودعوا الى تعزيز صفوف ابناء العقيدة الواحدة ، وتوطيد التفاهم المتبادل بينهم على الاساس المجرب للنضال المعادى للامبريالية ، فى سبيل السلم والحرية واستقلال الشعوب .

وفى عام ١٩٦٨ احتفل مسلمو الاتحاد السوفيتى مع العالم الاسلامى كله ، بذكرى مرور ١٤٠٠ عام على نزول القرآن الكريم على النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وشارك الوفد السوفيتى برئاسة المفتى ضياء الدين خان آنذاك فى المؤتمر الاسلامى فى الرباط (المغرب) ، الذى عقد بمناسبة هذا الحدث التأريخى العظيم . واثناء وجود سماحته فى ارض المغرب المضيافة ، القى مواعظ فى المساجد غير مرة عن دور القرآن الكريم ورسالته النبيلة فى توحيد جميع المسلمين فى الارض ، بغض النظر عن لون البشرة والمعتقدات السياسية ، ومن اجل ازدهار العالم والرخاء . واورد الافكار ذاتها فى احاديثه من اذاعة وتلفزيون المغرب .

وفى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧١ شارك المفتى ضياء الدين خان فى المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة ، حيث ألقى خطابا اصغى اليه الحاضرون باهتمام كبير . وبعد ان اشار الى ان كافة الناس فى سكان العمورة هم ابناء أبينا آدم ، اكد على ان الله امر الناس بالعيش فى سلام ووفاق . واعطينا لاجل هذا الغرض قبة السماء

والارض بكل خيراتها وثرواتها . وامر البارى عزّ وجل كافة الناس بالتزام العدالة والرحمة . وعندئذ فقط سيتمكن الانسان ، الذى منح العقل والبصيرة ، من تحويل الصحارى القاحلة الى بساتين مزدهرة . اما اذا وجد فى الانسان التكبّر ، والسمعة بمعارفه او ثروته بحيث يلحق الاذى بالآخرين ، فانه يحرم الاجر فى جميع اعماله وعباداته .

ثم تطرق المفتى ضياء الدين خان الى مسألة وضع الاسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، فعرّى بالامثلة الجلية والوازعة من حياتهم ، الافتراءات الحاقدة للدعاية الامبريالية والرجعية الزاعمة بان المسلمين غير قادرين من حيث المبدأ على تحقيق تقدم فى مجال العلم والتكنولوجيا الحديثين ، وان الاسلام هو سبب تخلف كثير من البلدان الاسلامية . والغاية من مثل هذه التلفيقات الافترائية ، هى اخفاء الاسباب الحقيقية للتخلف ، وعرقلة المسيرة فى طريق التقدم الاجتماعى والعلمى والتكنولوجى التى تمضى بها البلدان الاسلامية التى خضعت فترة طويلة للسيطرة الاجنبية ، وتعرضت للاستغلال اللاانسانى والنهب . ان الامبرياليين يمتصون بكل معنى الكلمة جميع ثرواتها المادية والطبيعية دون ابداء اية عناية بتطور السكان الاصليين اجتماعيا وروحيا ، وبرفع مستوى معيشتهم . انهم يزعمون كذبا بان الاسلام يدعو الى نمط حياة التقشف المطلق ، والى نبذ كل ما هو دنيوى . بيد ان هذا كذب واضح . فالاسلام لا يبشر بالتشاؤم والسلبية . بل هو صالح لكل زمن ولكل مجتمع ، وبوسعه مسايرة الى تقدم علمى . وتوجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى اتقان العلوم ، ومثال ذلك : «**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** . .» (السورة ٣٩ ، الزمر ، الاية ٩) ، « . . . . **قل رب زدنى علما**» (السورة ٢٠ طه ، الاية ١١٤) .

ان الاسلام دين يدعو الى النشاط والى العمل . ويجب على كل مسلم ان يعمل لخير البشرية كلها ، وفى الوقت نفسه من اجل رخائه الشخصى فى هذه الدنيا والسعادة فى الآخرة . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**ان الله تعالى يحب من العامل اذا عمل ان يحسن عمله**» (رواه البيهقى) و«**من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا لـه** (رواه ابن عساكر) و«**ان الله يحب العبد المؤمن المحترف**» (رواه الطبرانى) و«**نفقة الرجل على اهله صدقة**» (رواه البخارى والترمذى) و«**اطيب الكسب عمل الرجل بيده**» (رواه احمد) .

لذا فان مسلمى الاتحاد السوفيتى – شأنهم شأن الشعب السوفيتى

كله – يعتبرون واجبهم الاول ، العمل بشرف فى كافة فروع الاقتصاد الوطنى لخير الجميع ومن اجل سعادتهم انفسهم . لقد تأسست أول دولة اشتراكية فى العالم وتعززت بالذات ، بفضل الوحدة المتينة للشعوب ، بغض النظر عن معتقداتها الدينية وفوارقها القومية . والمسلمون الذين تخالجهم قناعة راسخة بعدالة المجتمع الجديد ، يهبون كل قواهم لتطويره .

ان الدعاية الامبريالية والرجعية تصرخ فى العالم اجمع بان الاسلام محظور فى الاتحاد السوفيتى ، وبان المسلمين يدفعون ثمن التمتع بالخيرات الاجتماعية الحديثة نبذ معتقداتهم الدينية . ولكن ، كما اشار الكثير من الشخصيات الاسلامية الاجنبية التى زارت الاتحاد السوفيتى ، فان المسلمين مثل بقية السوفيتيين يبنون بنجاح المجتمع الاشتراكى المزدهر ، ويعملون على تحقيق التقدم الاقتصادى والتكنولوجى والعلمى ، ولا يتخلون البتة عن معتقداتهم الدينية وتقاليدهم القومية . ومن اهم شروط النجاح فى هذا الطريق اقامة نظام اجتماعى عادل ، وتيسير المجال واسعا لتحصل كافة فئات المجتمع على المعرفة ، وتوفير وحدة وتلاحم الشعب السوفيتى أجمع .

ويبدى مسلمو الاتحاد السوفيتى احتراما كبيرا الى النظام الاشتراكى ، الذى يضمن لجميع مواطنى البلاد السوفيتية حماية حقوق الانسان والضمان الاجتماعى ، والتعاون الودى بين اعضاء المجتمع ، والتوزيع العادل للموارد تبعا لمقدار المساهمة فى العمل . لقد قضى فى الاتحاد السوفيتى على البطالة والفقر منذ زمن بعيد . وتحولت الاطراف المتخلفة السابقة لروسيا القيصرية ، آسيا الوسطى وقازاخستان ، الى بلاد الصناعة والزراعة والثقافة العالية التطور . ومنتجات الجمهوريات السوفيتية لهذه المنطقة الشاسعة لا تلبى الحاجات الداخلية فقط ، بل وتصدر الى الخارج أيضا ، بما فى ذلك الى الاقطار الاسلامية . علما بان مسلمينا ، بناة الحياة الجديدة ، يحافظون على عقائدهم الدينية بصدق وثبات .

لقد اعلنت الدولة السوفيتية منذ الايام الاولى لتأسيسها الحرية المتكافئة لجميع الاديان ، وبهذا قضت على الوضع المتميز للمسيحية . واعلن فى مراسيمها الاول عن حرية الضمير ، مما ارسى الاساس لكل سياسة السلطة السوفيتية حيال الدين والمؤمنين . ولا تمارس فى الاتحاد السوفيتى المساواة بين البشر والمعتقدات فقط ، بل وبين

الثقافات ايضا . وتتوفر فى كل جمهورية مراكزها الثقافية ومدارسها ومعاهدها العالية ، حيث تجرى الدراسة باللغة القومية الام . والشعوب المتباينة التى تتعاون مع بعضها البعض بنشاط ، تغتنى ثقافيا بصورة متبادلة وبفضل المستوى الرفيع لتطور الثقافة حيث يسود موقف الاحترام من المشاعر الدينية للمؤمنين ، وكذلك من علماء الدين .

وبما ان الكنيسة منفصلة عن الدولة فى الاتحاد السوفيتى فان الاخيرة لا تتدخل فى نشاط الهيئات الدينية فى مجال العبادات . وتضمن الدولة الظروف اللازمة لاقامة الشعائر الدينية ، وتكوين مؤسسات دينية لها ميزانياتها المالية . فعلى سبيل المثال يحصل المسلمون من الدولة مجانا على الارض ، من اجل بناء المساجد الجديدة ، وفى بعض الاحيان يحصلون على المبانـــى الجاهزة . وخـــلال الاعوام الاخيرة ، بنى فى اوزبكستان وقيرغيزيا وقازاخستان العديد من المساجد . ويتعلـــم الراغبون فى الحصول على التعليـــم الدينى فى المدارس الدينيـــة المتخصصة .

ان مما يدل على ازدهار الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، ليس نشاط المساجد فقط ، حيث يؤدى المؤمنون بحرية شعائرهم الدينية ، بل والحفاظ على المبادئ والتقاليد الاسلامية فى الحياة اليومية للمسلمين السوفيت ، وفى معيشتهم ، فمثلا ، حينما يولـــد اطفال فى العائلات الاسلامية ، تطلق عليهم الاسماء الاسلامية التى استحسنها النبى صلى الله عليه وسلم نفسه . كما يجرى الالتزام التزاما صارما بشعائر الختان وعقد القران . وبعد تسجيل المسلمين رسميا فى دوائر الدولة المعنية يأتون الى امامهم من أجل عقد القران واداء الشعائر الدينية طبقا للشريعة . ومن الامور التقليدية لدى مسلمى آسيـــا الوسطى ابداء الاحترام لعلماء الدين . ولا يجرى اى احتفال بدونهـــم فى العائلات الاسلامية . وفى اثناء الاحتفالات يخصص المسلمون مبالغ معينة من اجل المساجد ، بالرغم من عدم اجبارهم على ذلك ، بل يفعلون هذا انطلاقا من الاعتبارات الدينية الخالصة .

وقال المفتى ضياء الدين خان : لذا فليس من العسير ان نرى مدى زيف الافتراءات الشائعة للدعاية الامبريالية والرجعية بصدد وضـــع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

المفتى ضياء الدين خان عضو المجلس الاعلى العالمى للمساجد

فى عام ١٩٧٦ شارك وفد اسلامى سوفيتى برئاسة المفتى ضياء الدين خان ، فى اعمال دورة المجلس الاعلى العالمى للمساجد فى مكة المكرمة . والقى رؤساء الوفود كافة التقارير حول النشاط التطبيقى للمساجد فى بلدانهم ، وحول تنظيم اعمال التعمير والترميم ، ونشاط الائمة – الخطباء وما الى ذلك .

وقد بدأ سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان خطبته بابداء الامتنان الخالص للثقة الرفيعة الممنوحة له بانتخابه عضوا فى هيئة ذات مقام كبير كالمجلس الاعلى العالمى للمساجد . واكد على انه يعتبر ذلك تقديرا مزدوجا لنشاط الهيئات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، وافضال الرجال المسلمين الذين يبذلون جهدهم الملموس فى الحفاظ على نقاوة الدين الحنيف .

وقال المفتى ضياء الدين خان : ان المسلمين فى بلادنا كانوا وما برحوا يبدون آيات الاحترام دوما الى مكة المكرمة حيث صارت تعقد فى الاعوام الاخيرة مؤتمرات اسلامية كثيرة . ولعل اكبرها مؤتمر «رسالة المسجد» فى عام ١٩٧٥ ، الذى أسهم بلا مواربة برصيد كبير فى توحيد جهود كافة من يعزّ عليهم الاسلام ، بالعمل على ان تعاد الى المساجد رسالتها الحقيقية . ولعل من اهم نتائجه تأسيس المجلس الاعلى العالمى لشئون المساجد .

واقتنع المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، بعد اجراء دراسة مستفيضة لميثاق المجلس ، وتوصياته ومقرراته ، بانه اخذ على عاتقه مهام ذات مسئولية ، ولها ارتباط بالقضايا الآنية للاسلام فى الوقت الراهن . وقال المفتى ضياء الدين خان : لهذا فان المطلوب منا القيام بدراسة عميقة لحالة ووضع المساجد فى العالم ، وكذلك ايجاد السبل والطرائق الكفيلة بمعالجة المهام الشاخصة ، التى من شأنها ان تكون مقبولة بالنسبة للجميع ، مع الاخذ بعين الاعتبار وجود انظمة اجتماعية مختلفة فى العالم .

واورد المفتى ضياء الدين خان الى السامعين الخبرة المكدسة فى الاتحاد السوفيتى ، واشار الى ان خدمة الدين الاسلامى فى بلادنا يخاطبون المؤمنين بلغتهم الام ، مما يجعل المواعظ اكثر يسرا ومنفعة .

وتحدث سماحته عن ان جميع المراكز والهيئات الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث الكنيسة منفصلة عن الدولة ، تعمل بصورة مستقلة ، ومنها المؤسسات الاسلامية . ولعل من اهم المهام المباشرة للادارات الدينية الاربع الموجودة لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، التى توجد مقارها فى طشقند واوفا وباكو ومحچقلعة ، هى الاشراف الشامل على نشاط المساجد . ويتضمن هذا ، اولا ، افتتاح مساجد جديدة اينما برزت الحاجة لذلك . وثانيا ، المحافظة على المساجد بترميمهـــا فى الوقت المناسب وهلمجرا . وثالثا ، تعيين الائمة والخطباء والمؤذنين وغيرهم من خدمة الدين .

وتتلقى المراكز الدينية الاموال لغرض عمارة المساجد من الزكاة وتبرعات المؤمنين الطوعية . ويسعدنا ان نشير الى سخاء المسلمين السوفيت . فبفضلهم تمكن اعالة جهاز المراكز الاسلامية ، وهيئة تحرير مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» ، والمراكز التعليمية الاسلامية فى مدينتى بخارى وطشقند ، وتصدر المطبوعات الدينية ، وتعقـــد المؤتمرات الدولية التى يشارك فيها الضيوف الاجانب .

وعلاوة على ذلك تبعث الادارات الدينية بتبرعات معتنقى الاسلام ، الشخصيات الدينية الى الخارج ، كما تدعو وفود ابناء العقيدة الواحدة الاجانب ، لزيارة الاتحاد السوفيتى ، ويدرس طلاب الاتحاد السوفيتى فى الجامعات الاسلامية الكبرى فى العالم الاسلامى .

ونوقشت فى الدورة سبل تعمير المساجد فى جنوبى لبنـان التى تهدمت بنتيجة الاحتلال الاسرائيلى وفى القدس . واشار المفتى ضياء الدين خان الى ان قراراتها تجلب منفعة كبيرة الى جميع المسلمين الذين يخدمون بنزاهة والحمد لله ويعملون على ازدهار الدين الاسلامـــى الحنيف .

لقد زار سماحته مكة المكرمة غير مرة بصفته عضوا فى المجلس الاعلى العالمى لشئون المساجد . والتقى هناك بابناء جلدته ايضا من اهالى مدن خوقند واندیجان ومرغيلان ونامانغان وبخارى وطشقند . وفى احدى زياراته لمكة زار بيت احد ابناء بلده يوسف قارى الذى كان يحتفل بزواج ابنه . وفى حفل الزفاف الذى حضره ما يربو على المائتين من ابناء جلدته ، اجاب المفتى ضياء الدين خان عن أسئلتهم العديدة بصدد الحياة الدينية والدنيوية للمسلمين السوفيت ، والتغيرات الكبيرة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية لابناء اوزبكستان .

وفى كل مرة يعود فيها المفتى ضياء الدين خان من مكة ، يعقد ندوات لأئمة مساجد آسيا الوسطى وقازاخستان يتحدث فيها عن قرارات وتوصيات المجلس الاعلى العالمى للمساجد ، ويوضح توجيهات الادارة بشأن عمارة بيوت الله طبقا لاحكام القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

ولعب دورا كبيرا فى نشر افكار الاسلام فى العالم أجمع ، المؤتمر الاسلامى الآسيوى الاول ، الذى عقد عام ١٩٧٨ بمدينة كراتشى ، وشارك فيه وفد من الاتحاد السوفيتى برئاسة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ايضا .

واكد الكثير من المؤتمرين على ان الاسلام معترف به فى كثير من البلدان كدين رسمى الى جانب المسيحية . واظهر المفتى ضياء الدين خان فى خطابه ومقابلاته الصحفية مع مراسلى عدد من صحف باكستان ، اظهر بجلاء – وكما يضمن ذلك دستور الاتحاد السوفيتى – ان مسلمى الاتحاد السوفيتى يتمتعون بحقوق متساوية مع معتنقى الاديان الاخرى . ونشرت فى الصحف الباكستانية مقالات عن حياة المسلمين السوفيت ، وكان عنوان احد المقالات : «المسلمون فى الاتحاد السوفيتى يؤدون الصلاة بحرية» .

ورغم ان المؤتمر الاسلامى الآسيوى الاول لم يتطرق الى العديد من الامور الهامة ، ومن ذلك لم تكشف بصورة كاملة اسباب انقسام المسلمين ، ولم تنشر بصورة كافية تعاليم الاسلام حول السلام فى العالم اجمع وغيرها ، فان هذا اللقاء كان بلا ريب حدثا هاما فى حياة المسلمين فى كافة الاقطار ، ومنهـــا الاتحاد السوفيتى . وقد وجهت قراراته المسلمين ، نحو النضال فى سبيل التقدم والعدالة الاجتماعية ، وضد الامبريالية والصهيونية وقوى العدوان الاخرى .

واصبح من التقاليد الطيبة مشاركة ممثلى مسلمى الاتحاد السوفيتى بانتظام ، فى اللقاءات العلمية السنوية «الفكر الاسلامى» ، التى تعقد فى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بدعوة وزارة الاوقاف فى البلاد . ويجتمـــع فى هذا اللقاء علماء وفقهاء بارزون ومدرسون فى المدارس والمعاهد الدينية ، وممثلون عن الهيئات الاسلامية من شتى بلدان العالم . وقد شارك فيها عن الاتحاد السوفيتى ، كل من الشيخ عبد الغنى عبد الله ، والمفتى طلعت تاج الدين ، والقاضى راتبيـــك نيسانباى ، وعبد القهار عبد الغفار ، والشيخ صلاح الدين محى الدين ،

وشرف الدين ميرمحمود ، وعطاء الله مولانقل وغيرهم .

وهكذا شارك وفد اسلامى سوفيتى عام ١٩٧٨ فى اعمال اللقاء الثانى عشر «للفكر الاسلامى» بمدينة باتنة (الجزائر) . والقى الشيخ عبد الغنى عبد الله نائب المفتى ضياء الدين خان تقريرا بعنوان «دور الاسرة فى المجتمع المعاصر» . وشرح فى خطابه الآية الكريمة الآتية : **«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذى تسآءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا»** . (السورة ٤ . النساء . الآية ١) .

ان من اهم مبادئ الاسلام فى شئون العلاقات الزوجية والعائلية ، يكمن فى انه اعطى المرأة الحق الكامل فى اختيار زوجها ، وليس بوسع أحد – بما فى ذلك الوالدان – باكراهها ، كما اكد الرسول صلى الله عليه وسلم بان ارادة المرأة فى الزواج بيديها ، فالثيب تعرب عن ارادتها بصراحة ، وسكوت البكر علامة الرضى . واعار انتباها خاصا فى هذا الى المحافظة على مكانة المرأة بصفتها ربة البيت . لقد ورد فى الحديث : «**جاء رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله ، من احق الناس بحسن صحابتى ؟ قال امك . قال ثم من ؟ قال امك . قال ثم من ؟ قال امك . قال ثم من ؟ قال ثم ابوك**» (متفق عليه) .

وتشير هذه الاحاديث الى ان الاسرة لا تكون قوية ومتكاملة بدون احترام المرأة . وتبرهن الممارسة البشرية العاملة على ان الاسر تتهدم حيثما تفقد المرأة كأم مكانتها ، ولا يبدى الابناء الاحترام اللازم لها . وحدد الاسلام لكل واحد من الزوجين حقوقا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**كلكم راع كلكم مسئول عن رعيته . فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» (متفق عليه) .

وتطرق الشيخ عبد الغنى عبد الله ، الى مسألة وضع العائلة والزواج فى الاتحاد السوفيتى . واصبح تعزيز العائلة من المهام الاساسية للمجتمع السوفيتى . فينص دستور الاتحاد السوفيتى على ان «العائلة خاضعة لحماية الدولة» ويضمن المساواة الكاملة للزوجين . ومعروف جيدا العناية التى تبديها الدولة السوفيتية بالعائلة عن طريق تقديم المساعدة الموقتة والمستمرة لها لدى مولد الطفل ، ومنح

العلاوات والتسهيلات الى العائلات الكثيرة الاطفال ، وغير هذا من انواع الدعم الى الاسرة . وتقدم الدولة مساعدة كبيرة على الاخص الى العائلات الكثيرة الاطفال . وتتمثل بادئ ذى بدء بالمنح الشهرية لتربية الاطفال ، وتوفير سكن اضافى ، وتقديم المساعدة المجانية لرعاية الاطفال وغير ذلك . وتتمتع الامهات الكثيرة الاطفال بالاحترام والتقدير . ولدى ميلاد الطفل العاشر تمنح المرأة لقب الشرف «الام البطلة» مع تسليمها الميدالية الذهبية ، مما يمنحها امتيازات خاصة .

حينما تتمتع الاسرة بالدعم الاقتصادى والقانونى والمعنوى للمجتمع ، تغدو ذات مقدرة اكبر على الحياة واكثر استقرار . كما تؤثر التقاليد الاسلامية العامة تأثيرا حميدا فى تعزيز العائلات الاسلامية الكثيرة الاطفال . فعلى سبيل المثال ان المكانة الرفيعة لرب الاسرة الكبيرة على مدى القرون ، تغدو عاملا ملموسا فى تعزيزها وزيادة تكاتفها . وبفضل هذا بالذات تنضم العائلات الجديدة عضويا الى العائلات الكبيرة التى تنشأ فيها . وفى الارياف تتألف بعض العائلات احيانا من ٣٠ شخصا . واستوت نساؤنا من حيث مستوى التطور التعليمى والثقافى تماما مع الرجال . كما انهن يصنّ بعناية ويكثرن خيرة التقاليد الاسلامية ، مما يكسب الاسر متانة خاصة دوما .

غالبا ما تربط الاطفال فى الغرب بتخلف هذا الشعب او ذاك . بيد ان خبرة المسلمين السوفيت تدحض وجهة النظر هذه . فالعلاقات العائلية فى البلدان الغربية المتطورة تعتبر فى اكثر الاحوال حتى حصرا بصفتها مسألة شخصية للمواطنين . وقاد ما يسمى «حرية الفرد» غير المقيدة بشىء الى انحلال الاخلاق ، وبات المجتمع بتجاهل مبادئ الحلال والحرام . وبنتيجة ذلك يطرح فى العديد من البلدان السؤال التالى : هل تبقى الاسرة ام لا ؟ ولكن لو أعير فى كل مكان ، كما يعار فى الاتحاد السوفيتى ، مثل هذا الاهتمام الكبير الى صيانة الاسرة كخلية اجتماعية ، فلن يطرح مثل هذا السؤال . وانطلاقا من تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة يجب على المسلمين مقاومة المزاعم الضارة بصدد زوال الاسرة ، وضعف دورها .

تصدر الادارات الدينية الاسلامية بين الفينة والفينة ، فتاوى تدين الظواهر ، التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام مثل اخذ الوالدين مهورا غالية بدل زواج ابنتهما وغير ذلك . وبجهود كافة الادارات الدينية لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، عملنا على ان تجرى طقوس كافة الزيجات الاسلامية

فى المساجد بصورة رئيسية ، كما اوصانا به النبى صلى الله عليه وسلم : «**اعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف**» (رواه الترمذى) .

كان خطاب مندوب المسلمين السوفيت حول وضع العائلة المسلمة فى الاتحاد السوفيتى بالنسبة الى كثير من المشتركين فى اللقاء الثانى عشر «الفكر الاسلامى» ، تعرية حقيقية للتصورات التى تولدت لديهم بتأثير الدعاية الامبريالية والرجعية الخبيثة .

فى فترة ١٠-١٦ عام ١٩٨٤ جرى فى الجزائر اللقاء الدولى الدورى «الفكر الاسلامى» . وفى هذا المحفل العلمى الثالث عشر للفقهاء والشخصيات الاسلامية المكرس لقضية «التجديد الاسلامى والحضارة الحديثة» ، مثل بلادنا المفتى طلعت تاج الدين رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا .

فقال : «ينعكس فى توجيه الدعوات بانتظام الى مسلمى الاتحاد السوفيتى لحضور مثل هذه اللقاءات المهيبة والتقييم الرفيع ايضا للدور البارز الذى اضطلعت به الشعوب الاسلامية فى وطننا المتعدد القوميات ، فى نشوء وتطوير الحضارة الاسلامية ، ومعها الحضارة العالمية ، وتلك المكانة المرموقة التى تحتلها فى العصر الحديث فى النضال من اجل مسيرة هذه الحضارة الى الامام باستمرار ، وفى حمايتها من قوى الشر والظلام والبغضاء والعدوان ، التى تحاول ايقاف تقدم البشرية ، واعادتها القهقرى . ويكمن الجوهر الاساسى للتجديد الاسلامى **فى العصر الحديث ، فى ادراك المسلمين** كافة مسئوليتهم المباشرة عن مصائر السلام فى الارض ، باعتبارها الشرط الرئيسى لصيانة الحضارة البشرية بأسرها . بيد ان درجة هذا الادراك ، ليست واحدة ابدا فى شتى مناطق انتشار الاسلام التقليدية . ويثير شعور القلق والالم الشديد بهذا الصدد عندنا ، التناقضات والاشتباكات السافرة بين البلدان الاسلامية ، حينما توضع فى المرتبة الثانية عن قصد او غير قصد مهام النضال ضد العدو المشترك اى الامبريالية والصهيونية والرجعية الداخلية . وبدون تجاوز الخلافات والنزاعات القائمة ، سيبقى خطر ابقاء التجديد الاسلامى دوما غير كامل وغير فعال . ونحن نرى فى تضامن المسلمين مع بعضهم البعض ، ومع جميع حلفائهم الطبيعيين فى النضال ضد قوى البغضاء والعدوان ، الحاقدة على البشر ، ضمانة النجاحات الحقة للتجديد الاسلامى . وعلى هذا الاساس الاولى فقط يمكن

تعبئة القدرات البشرية والمادية الضخمة للعالم الاسلامى ، من اجل النضال فى سبيل الاستقلال الوطنى ، وضد الامبريالية والصهيونية ، وضد سباق التسلح وفى نهاية المطاف – من اجل صيانة الحضارة البشرية .

ان عدد المؤتمرات والاجتماعات وغيرها من المحافل الاسلامية الكبيرة ، التى نظمها مسلمو الاتحاد السوفيتى ضمن حدود وطننا ، او شاركوا فى بعضها كضيوف حلوا على اخوانهم فى الدين فى الخارج ، كبير ، وطبيعى الا تتوفر اية فرصة حتى للتحدث عنها جميعا بصورة موجزة . ولربما لا توجد ضرورة مبدئية لذلك . فمهمة كتابنا هذا غير ذلك ، الا وهى ان يشعر القارئ الاريب بغزارة محتوى مواضيع هذه المحافل الاسلامية ، ونطاقها الجغرافى الواسع للغاية ، واهميتها الراسخة بالنسبة للقضية العظمى ، قضية ترسيخ اركان الدين الحنيف فى قلوب المؤمنين . ويبتغى المسلمون فى العالم المعاصر ، بفضل لقاءاتهم الكثيرة والمتنوعة الاشكال التوصل الى موقفٍ موحد تدريجيا فى قضاياهم الدينية البحتة ، وكذلك فى الشئون الكونية الهامة للبشرية جمعاء ، وعلى رأسها مشكلة الحفاظ على السلام العام والوطيد وصيانته .

الباب السابع

القرن الخامس عشر الهجرى، ينبغى ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب

التحضير للاحتفالات بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى . لقاء ممثلى المنظمات الاسلامية السوفيتية فى ايار (مايو) عام ١٩٧٩ . الندوة الاسلامية الدولية فى دوشنبه (ايلول /سبتمبر/ عام ١٩٧٩) . المؤتمر الدينى بطشقند فى عام ١٩٨٠ «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يكوّن قرن السلام والصداقة بين الشعوب» .

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عشية الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى .

شاءت ارادة العلى القدير ان تسعد جيل المسلمين الحالى ، برؤية بدء القرن الخامس عشر الهجرى الجديد حسب التقويم الاسلامى ، الذى ترجع بدايته المجيدة الى يوم هجرة النبى صلى الله عليه وسلم . فمنذ ١٦ تموز (يوليو) عام ٦٢٢ م ، ومن هجرة النبى من مكة الى المدينة ، بدأ بناء الحضارة الاسلامية الجديدة التى غدت جزءا عضويا لا يتجزأ من التأريخ العالمى .

ان المسلمين السوفيت ، وكذلك جميع الاتباع الامناء لديننا الحنيف فى الاقطار الاخرى ، ربطوا عيدهم المشهود ، حلول القرن الخامس عشر الهجرى ، بحلم البشرية المنشود ، حلم عهد السلام العميم والصداقة والتعاون بين الشعوب . وتحولت استعداداتهم للعيد والاحتفال به ، الى تظاهرة هائلة لتصميمهم على الذود عن السلام مع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، من اجل انفسهم والاجيال الصاعدة ، والحؤول بين قوى الشر والظلام ، وبين ان تفرض على الناس نسيان واجبهم المقدس حيال البارى ، وان يكونوا حماة كل ما هو فى الارض .

وفى ١٢-١٣ جمادى الثانى عام ١٣٩٩ هجرى (١٠-١١ ايار (مايو) عام ١٩٧٩ م) ، عقد بموسكو اجتماع لممثلى جميع المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، نوقشت فيه قضايا التحضير للاحتفالات المقبلة . وشارك فى الاجتماع قادة جميع الهيئات الدينية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، وقضاة وعلماء وائمة الكثير من المساجد الكبرى ، الذين وفدوا من كافة انحاء بلادنا الشاسعة الاطراف .

والقى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى المجتمعين ، خطابا وافيا بعنوان «القرن الخامس عشر الهجرى والمهام الآنية للمنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى» . وشارك فى المناقشات حول هذا الموضوع ، قادة المسلمين فى المناطق الثلاث الاخرى - القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، وشمال القفقاس ، والقفقاس ، وكذلك شخصيات دينية اخرى ، فتحدثوا عن كيفية استعداد المسلمين الذين يمثلونهم للقاء عيدهم النير . وقدموا العديد من الاقتراحات الهامة بصدد الاشكال الملموسة للاحتفال به .

كما اسفر تبادل الآراء الواسع والمثمر الذى جرى بين المشتركين فى لقاء عام ١٩٧٩ ، عن المصادقة على برنامج متفرع ، بصدد مجموعة كبيرة من الفعاليات ، للاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجرى على صعيد الاتحاد السوفيتى كله ومحليا - على صعيد المناطق والطوائف الاسلامية المنفردة . وتلخص الهدف الرئيسى للبرنامج فى مواصلة تعبئة مسلمى الاتحاد السوفيتى ، للمشاركة بنشاط فى الحركة الشعبية العامة ببلادنا ، للنضال من اجل السلام ، وفى سبيل تعزيز علاقاتهم ، مع ابناء عقيدتهم الاجانب ، وكافة الناس ذوى الارادة الطيبة ، المناضلين من اجل السلام والصداقة واقامة علاقات عادلة بين الشعوب . وهكذا اصبح من بين الفعاليات الاساسية المنصوص عليها فى البرنامج ، عقد ندوة اسلامية فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٩ بمدينة دوشنبه بمضوع : «اسهام مسلمى آسيا الوسطى وحوض الفولغا والقفقاس فى تطوير الفكر الاسلامى وفى قضية السلام والتقدم الاجتماعى» . وتقرر فى الندوة دعوة مشاهير العلماء المسلمين والشخصيات الدينية من شتى البلدان الاخرى .

واصدر المشتركون فى لقاء موسكو ، انطلاقا من احكام القرآن الكريم ، الذى يدعو المسلمين الى المساعدة بكل السبل على تعزيز السلام والصداقة بين الشعوب ، بيانا صاغوا فيه موقفهم الدقيق من

قضايا العصر الاكثر آنية ، داعين مسلمى كوكبنا جميعا الى مضاعفة جهودهم المشتركة فى النضال من اجل السلام العالى والتقدم الاجتماعى .

وعقدت فى ١٢-١٤ ايلول /سبتمبر/ عام ١٩٧٩ ، فى دوشنبه عاصمة طاجكستان السوفيتية ندوة اسلامية رائعة . واستجاب لدعوة الاشتراك فيها ، المسلمون من الجزائر والاردن وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية ولبنان وتونس وليبيا والكويت وسورية والعربية السعودية وتركيا وايران والهند وباكستان وافغانستان وجمهورية بنغلاديش الشعبية وتشاد وغينيا ومالى وبلغاريا وفرنسا وبريطانيا والنمسا وسويسرا وغيرها من البلدان .

وقد جذبت انتباه الجميع فى الندوة ، خطب قادة جميع الادارات الدينية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى - المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الذى تحدث باسم مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، والمفتى عبد البارى عيسايف - باسم مسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، والمفتى محمود حقييف - باسم مسلمى شمال القفقاس ، وشيخ الاسلام الله شكور باشا - زاده - باسم مسلمى القفقاس . وكشفت خطبهم ، وكذلك خطب الكثير من المشاركين السوفيت الآخرين فى ندوة دوشنبه ، الدور البارز الذى لعبته على مدى ١٤٠٠ عام من تأريخ الاسلام ، أجيال كثيرة من المسلمين فى بلادنا فى مضمار نشوء واغناء الفكر الاسلامى ، وتطوير الحضارة البشرية العالمية . واكد الخطباء على انه تشخصت امام البشرية جمعاء فى عصرنا ، قضية انقاذ هذه الحضارة من الهلاك ، ومن فنائها الكامل فى نيران الحرب النووية الحرارية . ويمضى مسلمو الاتحاد السوفيتى ، الذين يدركون كل الادراك مسئوليتهم امام الخالق ، مع الشعب السوفيتى كله فى الصفوف الاولى للمناضلين من اجل السلام العالمى والصداقة والعلاقات الدولية العادلة .

ان جو التفاؤل العام ، وثقة المسلمين السوفيت ثقة لا تتزعزع بيوم غد وضاء لكوكبنا الارض ، قد تركا ابلغ الانطباع لدى الضيوف الاجانب . وفى مثل هذا الموقف الفعال بالذات ، الذى يتخذونه ، وفى تصميمهم الراسخ على عدم التراجع امام اية ضغوط لقوى الشر والظلام ، التى تحاول دفع البشرية الى هاوية حرب عالمية ثالثة انتحارية ، قد رأى المشتركون الاجانب فى ندوة دوشنبه مظهر الروح الاسلامية الحقة ، والتمسك عملا بتقاليد ديننا الحنيف العظيمة والمؤكدة للحياة .

اعرب المسلمون السوفيت وضيوفهم فى الندوة ، الذين يمثلون

اخوتهم فى الدين ، من بلدان اجنبية كثيرة فى آسيا وافريقيا واوربا ، اعربوا مجددا وباعلى صوتهم عن تضامنهم الراسخ مع نضال الشعوب العربية ضد العدوان الامبريالى والصهيونى . واعلنوا بحزم وبجلاء انهم لن يقبلوا ابدا باستيلاء اسرائيل كقطاع الطرق على اراضى جيرانها العرب ، لان الشرط الاول واللازم لاحلال السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط ، هو تحرير الاراضى العربية من المحتلين الاسرائيليين ، واعادتها الى اصحابها الشرعيين . وادينت بحزم فى المضمار ، المحاولات لحل ازمة الشرق الاوسط ، عن طريق الصفقات الانفرادية والتواطؤ الخيانى مع المعتدين الاسرائيليين وحماتهم وراء المحيط . واعلن المشتركون فى لقاء دوشنبه لعام ١٩٧٩ ، من سوفيت واجانب ، عن اعترافهم بلا قيد او شرط بحق الشعب العربى الفلسطينى فى اقامة دولته المستقلة فى ارض وطنه . واكدوا على انه بدون ذلك ، وبدون الحل العادل لقضية الشرق الاوسط ، وكذلك تصفية البؤر المتفجرة فى المناطق الاخرى من الكرة الارضية ، لا يمكن ان يغدو واقعيا حلم المسلمين كافة ، فى ان يصبح القرن الخامس عشر الهجرى قرن السلام العميم والوطيد .

مؤتمر طشقند عام ١٩٨٠

تكللت الاحتفالات الكثيرة التى اقامها مسلمو الاتحاد السوفيتى بمناسبة حلول القرن الهجرى الجديد ، بعقد مؤتمر دولى فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٨٠ فى طشقند عاصمة اوزبكستان السوفيتية تحت الشعار المشهود «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب» .

وصدر عشية المؤتمر ، تنفيذا لقرارات ندوة دشنبه عام ١٩٧٩ ، كتاب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان «الاسلام والمسلمون فى بلاد السوفيات» الذى يثير الاهتمام فى كل مكان حتى يومنا هذا . ولا يرجع هذا الى مكانة المؤلف المرموقة فقط بصفته شخصية اسلامية واجتماعية كبيرة فى عصرنا ، بل الى المهمة النبيلة جدا التى وضعها امامه – الا وهى كشف جوهر الاسلام كدين شامل يصلح لكافة الازمان والشعوب ، واظهار الانسجام العميق لمبادئه مع مقاصد وامانى كافة

الناس ذوى الارادة الطيبة ، المناضلين من اجل المساواة والتعاون الاخوى بين الشعوب ، بغض النظر عن انتمائهم العرقى او القومى ، وضد استغلال الانسان للانسان ، وما يرتبط بهذا ارتباطا وثيقا من اشكال كثيرة للاثراء غير الشريف وغير المشروع لبعض الناس عن طريق نهب الآخرين .

كما لعبت دورا كبيرا فى خلق جو الاحتفالات بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» التى كان يتولى رئاسة هيئة تحريرها المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بلا تغيير . وكرست كليا عدة اعداد من هذه المجلة التى تصدر بالاوزبكية ، وكذلك بالعربية والفارسية ولغة دارى والانجليزية والفرنسية الى هذا الحدث التأريخى العظيم فى حياة المسلمين المعاصرين . وبعد عقد مؤتمر طشقند بنجاح ، اوردت المجلة تحليلا عميقا ووافيا لنتائجه ، ونشر الكثير من المشتركين فيه انطباعاتهم واستنتاجاتهم حوله فى صفحاتها . وترك فيهم جميعا اول واعمق انطباع ، الطابع الجماهيرى الذى اتصفت به الاحتفالات فى كافة المناطق الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى . وكان استكشافا بالنسبة الى الكثيرين منهم ، الذين تعرفوا الى حياة بلادنا لاول مرة ، ان الدولة السوفيتية لا تقيم اية عقبات كما ظهر امام المسلمين فى حياتهم الدينية ، بل تضمن لهم الظروف الطبيعية لهذا الغرض . فاعلن الدكتور سعيد الافغانى رئيس مجلس العلماء فى افغانستان «كانت جميع اجتماعات لقائنا فى طشقند تبدأ وتختتم بتلاوة أيات الذكر الحكيم ، وكان يتلوها مسلمون من الاتحاد السوفيتى تتراوح اعمارهم فى حدود مابين ٢٠–٣٠ عاما . وكانوا يتلونها بشكل رائع وبما يتفق مع قواعد التجويد .. وتميزت خطب واحاديث ممثلى المسلمين السوفيت ، بسبر اغوار جوهر ديننا الحنيف ومنابعه بصورة مرهفة للغاية . وقد رأينا فى كل مكان شعارات التحية ، ولافتات كتبت باحرف عربية جميلة جدا . وكنا نستقبل فى كل مكان بالتحية الاسلامية المألوفة «السلام عليكم» . وكل هذا وغيره من المظاهر العديدة للروح الاسلامية الحقة ، ذات الارتباط المتين بالطراز المميز لحياة المسلمين ، وسلوكهم النموذجى ، لا يمكن اصطناعها من اجل الدعاية والاعلان وخلق تأثير دعائى . ورأينا بام اعيينا فى ارض البخارى العظيم والزمخشرى والفارابى والترمذى والبيرونى وابن سينا ، خلود الروح الاسلامية فى قلوب

احفادهم الاماجد ، ابناء الاجيال الحالية من المسلمين فى الاتحـــاد السوفيتى . ومما يدل على ان هذه الروح حية ليس فقط فى قلوب مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، بل وكثير من المناطق الاخرى لانتشار الاسلام فى هذه البلاد العظيمة ، التمثيل الواسع للغاية للمسلمين فى مؤتمر طشقند .

وفعلا ، فقد كان هذا المحفل الاسلامى من اهم واكبر حشـــود المسلمين ليس على الصعيد الاقليمى للاتحاد السوفيتى فقط ، بل وعلى نطاق العالم اجمع . ووفد على مؤتمر طشقند مبعوثو المسلمين من كافة ارجاء وطننا الفسيح . ويدل على المستوى الرفيع لتمثيلهـــم فيه ، مشاركة قادة جميع الادارات الدينية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى والائمة – خطباء المساجد من اكثر من ١٥٠ مسجدا كبيرا فى طشقند وقازان واوفا وباكو وبخارى وسمرقند ومحج قلعة ودوشنبه وآلما – اطا وموسكو ولينينغراد وغيرها من مدن الاتحاد السوفيتى .

وشارك فى محفل طشقند لعام ١٩٨٠ بنشاط ، ممثلو المنظمات والاتحادات الاسلامية الدولية والاقليمية ، ورجال دولة وشخصيـــات اجتماعية بارزة وعلماء وفقهاء من الجزائر وافغانستان والنمســـا وبينين وبلغاريا وغانا والمانيا الديمقراطية والاردن والجمهورية العربية اليمنية وقبرص والكويت لبنان وليبيا وموريتانيا ومالى ومنغوليا واليمن الديمقراطية وفلسطين والسنغال وسورية والسودان وتنزانيا وتوغـــو الديمقراطية وفلسطين والسنغال وسورية والسودان وتنزانيا وتوغـو وتركيا واوغندا وفنلندا وسرى لانكا واثيوبيا واليابان .

كما جاء الى الاحتفالات ببدء القرن الخامس عشر الهجرى ، مندوبون عن المنظمات الدينية الدولية : المؤتمر المسيحى العالمى ومؤتمـــر الكنائس الاوربية والمؤتمر البوذى الآسيوى من اجل السلام ، وكذلك الكنائس الارثوذكسية الروسية ، والجورجية ، والارمنية ، والمسيحيين الانجيليين المعمدانيين ، والبروتيستانت والكاثوليك والبوذيين .

واعتمد فى مؤتمر طشقند ممثلو وسائل الاعلام فى لبنان والكويت وبنغلاديش وغينيا ومنغوليا وباكستان وبريطانيا والنمسا والولايات المتحدة والسويد وفرنسا وسويسرا .

كما وجه التحية الى المشتركين فى هذا المحفل الدولى ، محمود رحمانقولوف نائب رئيس مجلس شئون الاديان لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى وممثلو بلدية طشقند .

والقى التقرير الرئيسى فى المؤتمر ، المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وجرت مناقشات حامية جدا ومثمرة ، بصدد التقرير فى الاجتماعات العامة واجتماعات اللجان . واعرب المشتركون فيها عن اجماعهم فى الرأى ، على ان هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تحقيقا لارادة العلى القدير ، ادت الى حدوث تغيرات سياسية واجتماعية وايديولوجية كثيرة فى تاريخ عدد كبير من شعوب كوكبنا .

وكما هو معروف ، فان الهجرة وضعت حدا لاضطهاد المسلمين على ايدى المشركين فى مكة . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا الناس فى مدينته الى نبذ تعدد الآلهة وعبادة الاوثان وابداء الطاعة لله وحده ، والايمان بالخالق الاوحد . لكن المشركين لم يصغوا الى نبؤاته بل صاروا يلاحقونه ، ويسومون انصاره ومؤيديه فى العقيدة صنوف العذاب . وجلب له الكثير من المصائب والآلام شخصيا ، عقبة بن معيط ، والعاص بن وائل ، واسور بن عبد يغوث ، ونضر بن الحارث وغيرهم من المشركين . وتعرض بلال الحبشى اقرب انصار الرسول الى معاملة لاانسانية من جانب سيده أمية بن خلف ، لكونه اعتنق الاسلام . كما جرى تعذيب عمار بن ياسر وقتل والديه وشقيقه بسبب اعتناقهم الاسلام . وقال عنهم الرسول : «**صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة**» .

وكان من ألد اعداء النبى ، ابو جهل عمرو بن هشام وكذلك ابو لهب – عم النبى وامرأته . بينما اثارت صلابته الشديدة وقناعته الراسخة برسالته لدى عمه الآخر الامير حمزة ، عكس ذلك ، شعور الاهتمام والعطف فى بداية الامر ، ومن ثم حملاه الى معسكر المؤمنين الحقيقيين . واشتهر فيما بعد بصفته من القادة العسكريين الاسلاميين البارزين .

وحينما رأى المشركون من قريش ازدياد عدد انصار النبى صلى الله عليه وسلم صاروا يلجأون – علاوة على محاربته علانية – الى صنوف الدسائس ، واعدين النبى بالثروة وحتى بالعرش ان تخلى عن الدعوة الى الاسلام . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيبهم بالآيات الكريمة بهذا الشأن : «**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**» (سورة ٤١ . فصلت . الآية ١٢) .

فشلت فشلا ذريعا كافة محاولات المشركين فى مكة المكرمة لحرف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته عن الطريق . حقا ان تناسب القوى كان منذ البداية ومع هذا لصالحهم ، فسمح البنى صلى

الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة للنجاة بحياتهم ، ومعهم البراعم الاولى للاسلام التى حملوها . وترك الكثير منهم ديارهم واهلهم واقاربهم . وكان طريق المسلمين المهاجرين شاقا مليئا بالحرمان والويلات ، كما كان صعبا بالنسبة لهم استيطان الاماكن الجديدة . لكنهم صبروا على كل هذه المحن لله ، تعالى وتحملوا الشدائد فى سبيل العقيدة . وكان من المهم جدا فى سبيل ترسيخ جذورها الاولية ، ان يلقى الانصار (اتباع النبى فى المدينة) اخوتهم فى الدين بصفتهم اقرب الناس اليهم ، ووزعوا عليهم قطع الارض ، ومنحوهم الوسائل لتدبير شئون معيشتهم .

وبنتيجة هجرة المسلمين الى المدينة المنورة ازداد فيها عدد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا . لذا فقد اختار المدينة مركزا لتكوين الطائفة الاسلامية الجديدة . ووضع هناك بالذات ، وبشرحه لمبادئ الاسلام بلا كلل ، نهاية للخرافات والرواسب المتعلقة بالوثنية ، وحول صحابته نهائيا من عبادة الاوثان الى عبادة الله الاوحد .

وعمل النبى فى محاربته التعصب العرقى والقومى ، على ان يفسر لهم بان البشرية كلها من اب واحد ، من آدم وحواء . والناس متساوون فى كافة اطراف المعمورة مهما كان محل اقامتهم ولون بشرتهم ولغتهم . ولا فضل لاحد على احد الا بالتقوى . ويجب ان تزيل العداوة بين الشعوب . وللاسف لا تزال باقية حتى زمتنا فى بلدان كثيرة ، ظاهرة عار بالنسبة للبشرية كالتمييز العنصرى والتفرقة والتشتت القومى .

لقد اعلن الاسلام حرية العقيدة الدينية . وجاء فى القرآن بصراحة : **«لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم»** (السورة ٢ . البقرة . الاية ٢٥٥) .

ومن المكارم الاسلامية الرفيعة ، انه يرفض التعصب الدينى ، كما وينطلق من مبدأ حرية الضمير ، موصيا باحترام الاديان الاخرى . ومما يدل على درجة السماحة الدينية فى الاسلام . ورود الوصايا الدقيقة فى القرآن مثل : **«وان احد من المشتركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون»** (السورة ٩ . التوبة . الأية ٦) .

كان المفتى ضياء الدين خان يرى بان الهجرة بداية تأريخ جديد ، وتلائم سفر التأريخ الجديد اكثر من بداية الدعوة او هبوط الوحى : اذ اقتصرت الدعوة فى البداية على الاهل والاقارب فقط ، ولم يتسع

تطاقها دفعة واحدة ابدا . اما ترسيخ الاسلام فيرتبط بالهجرة بالذات . اذ ارسيت معها بداية اقامة كيان الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة ، ومن ثم فى مكة المكرمة ، حينما انتقلت بمعونة الله العلى الى ايدى المسلمين .

وكما هو معروف ، فان رسول العلى القدير ، لم يلجأ لدى عودته لوطنه الى الانتقام من اعدائه ، الذين جلبوا له وللصحابـــة الكثير من المصائب والآلام . تقول الروايات الموثوق بها ، انه عفا عنهم بقوله : **«اننى لا اقول لكم الا ما قال يوسف لاخوته — لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فانتم الطلقاء»** .

وهذه الواقعة من حياة النبى تدل مرة اخرى على ان الاسلام يقوم فى الاساس على الطيبة والسلم والمقدرة على المغفرة . وكان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يؤكد دوما بهذا الصدد على ان هذه الصفات الاسلامية بالذات ، ودعوته الى السلم والطمأنينة ، تمثل احدى سماته الاكثر جاذبية .. واصبح مفهوم «السلام» رمزا وشعارا للدين الاسلامى . ويتبادل هذه الكلمة مئات ملايين المسلمين حينما يلتقى احدهم بالآخر ، وكذلك يتبادلونها مع جميع الناس الآخرين ذوى الارادة الطيبة . ويرد لفظ السلام فى القرآن عشرات المرات . وحتى كلمـــة «الاسلام» نفسها فمشتقة من كلمة «السلام» . فالسلام يعنى الحريـــة والحقيقة والعدالة . والسلام باعتباره النظام الآلهى المثالى ، يجسد امانى المؤمنين وغاية جهودهم الاخلاقية . بينما يعرقل الشر اقامة النظام المنسجم والاخلاقى من الناحية الشخصية والاجتماعية ، الذى يجلب عدم الانسجام والفوضى الاخلاقية فى الحياة فى الارض . فالشر يشوه افكار السلام بالستبدال الحقيقة بالزيف ، والحرية بالعبودية ، والامن بالخوف والعدالة بالظلم .

كان اتباع الدين الاسلامى منذ بداية نشأتـــه ، مدعويـــن الى الالتزام بالافكار الانسانية الرفيعة — نهل المعرفة الحقة ، والحريـــة الحقيقية ، والرحمة الشاملة . بيد ان المؤمنين ان كانوا فى الماضى يوجهون جهودهم نحو تثبيت المثل العليا ازاء طوائف وبلدان ومناطق معينة ، فان مسئولية رجال الدين الآن ، لدى تطور المواصـــلات والاتصالات الدولية بشكل لا مثيل لها ، عن مصائر السلام فى الارض ، قد ازداد كثيرا للغاية . فيجب على كافة الشخصيات الاسلامية ابتغاء توطيد السلام ، وتعزيز علاقات العدالة والمساواة بين جميع ابناء آدم :

«وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم» (السورة ٥ . المائدة . الآية ٩) .

لفتت الانتباه الكبير للمشتركين فى مؤتمر طشقند ، مسألة العدالة الاجتماعية ، التى وردت فى تقرير المفتى ضياء الدين خان . وليس هذا من قبيل الصدف ان تذكرنا الاهتمام الكبير الذى يعيره الى هذه القضية الاسلام الذى يقصد بالعدالة الاجتماعية ضمان الفرص المتكافئة الى الجميع فعلا ليس قولا ، وبالدرجة الاولى فى مجالات المعيشة الحيوية ، كالحصول على التعليم والعلاج الطبى والعمل الى آخره . ويعلمنا البارى تعالى : **«يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا»** . (السورة ٤ . النساء . الآية ١٣٥) . ويدعو الاسلام الناس الى الصداقة والدعم المتبادل وتوزيع الثروات توزيعا عادلا . وهو اذ يحارب الاسراف والترف والبذخ فانه يحذر فى الوقت نفسه من البخل .

ويدعو الاسلام الى محاربة الجهل ، ويغرس فى النفوس حب العلم ، ويفرض على كافة الناس المتعلمين واجب نشر نور العلم بلا كلل . وجاء فى القرآن الكريم : «. . **قال هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ؟ . . . (السورة ٣٩ ، الزمر ، الآية ٩) . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها**» (رواه الترمذى) .

ايد المشتركون فى المؤتمر بحرارة ، الفكرة التى طرحها المفتى ضياء الدين خان ، من ان الاجيال الصاعدة من هبة الله التى لا تقدر بثمن وهى مستقبل البشرية . ولئن كان عدد سكان العالم يزيد على اربعة مليارات نسمة ، فان هناك مليار ونصف مليار طفل يحتاجون الى الرعاية والاهتمام من جانب الكبار . بينما تندلع بين فينة وأخرى فى شتى انحاء العالم ، نزاعات مسلحة وحتى حروب كبيرة تلحق دوما بالاجيال الناشئة اذى لا يمكن اصلاحه . وثمة بلدان كثيرة لا يحصل فيها الاطفال على التعليم بل انهم يتضورون جوعا . ويموت سنويا بالجوع قرابة المليون ونصف المليون طفل . لهذا ينبغى زيادة العناية بالاطفال من اجل المستقبل السعيد للبشرية كلها . وتنشيط النضال من اجل السلم ، ومن اجل السماء الآمنة فوق رؤوسهم .

وتطرق المفتى ضياء الدين خان بصورة خاصة ، الى مشكلات الشرق

الاوسط . فقد اشارت هيئة الامم المتحدة غير مرة الى طابع اعمال اسرائيل ازاء الاراضى العربية وبالاخص القدس ، الذي يتعارض بشكل صارخ مع احكام القانون الدولى . وطالبت الاسرة العالمية جمعاء باعادة الوضع الشرعى الى المدينة المقدسة . بيد انهم فى اسرائيل يرفضون الاصغاء الى صوت الحكمة . واعلن الكنيست الاسرائيلى هذه المدينة المقدسة بالنسبة الى كافة المسلمين فى العالم «عاصمة ابدية وموحدة وغير مجزأة لاسرائيل» .. ومثل هذا الاستفزاز الوقح ، يمثل تحديا فظا للعالم الاسلامى ، وكذلك للعالم المسيحى ، وتحديا للرأى العام العالمى كله .

ودعا المفتى ضياء الدين خان جميع المسلمين من المنبر الرفيع للمؤتمر ، الى توحيد جهودهم فى سبيل التصدى الى المحتلين الاسرائيليين ، الذين دنسوا الدين الاسلامى ويبعثون فسادا بالمقدسات الاسلامية . وقال ان حكومة الاتحاد السوفيتى ، تدعو بدأب الى اجراء تسوية عادلة حقا للوضع فى الشرق الاوسط ، والى انسحاب الجنود الاسرائيليين من كافة الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، والى احقاق حق الشعب الفلسطينى ، فى اقامة دولته بارض وطنه . وينبغى على رجال الدين ، النضال فى سبيل حل النزاعات كلها بالطرق السلمية فقط ، لان اى اشتباك مسلح فى عصرنا الصاروخى – النووى الراهن ، يمكن ان يجر العالم الى كارثة .

وكما هو معروف تسهم المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى بتسطها اللائق فى حركة الشعوب المقدسة من اجل السلام . انها تشارك بنشاط فى النضال من اجل السلام والصداقة بين الشعوب ، وتقيم الصلات مع ابناء العقيدة الواحدة ، فى حوالى ٨٠ بلدا فى الكرة الارضية ، وتدعو الى الاتحاد السوفيتى سنويا عشرات الوفود من الشخصيات الاسلامية الاجنبية ، وتبعث بممثليها الى الخارج بزيارات جوابية ، وتشارك فى شتى المحافل الاسلامية ، وكذلك فى النشاطات الجارية عن طريق المنظمات الدولية لانصار السلام ، وحركات التضامن مع الشعوب ، التى تناضل فى سبيل حريتها واستقلالها .

استقبل المشتركون فى مؤتمر طشقند «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب» بحماس اقوال المفتى حول شمولية الدين الاسلامى ، وقيمته الابدية بالنسبة الى كافة الازمان والشعوب : «**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**» (السورة ١٥ . الحجر . الاية ٩) .

وفى القرن الخامس عشر الهجرى يجب على كل مؤمن حقيقى ان يفعل كل ما فى وسعه ، من اجل ازدهار الاسلام . واليوم تعمل الامبريالية الدولية ، سعيا منها الى تحقيق اغراضها الانانية ، لتأليب الشيعة على السنة ، وتؤجج الخلافات والنعرات القومية والدينية فى العالم الاسلامى ، لذلك من المهم بصورة خاصة ، عدم الخضوع لسياسة العدو الالد للشعوب الاسلامية . يجب تعزيز وحدة المسلمين فى كوكبنا ، فى النضال ضد الاكراه الامبريالى ، وفى سبيل السلم والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . وينبغى تقوية التضامن الاسلامى مع شعوب الاقطار العربية فى نضالها العادل ضد المعتدى الصهيونى ، والتصدى بحزم لكافة القوى الامبريالية والرجعية . والمسلمون السوفيت اذ يدخلون القرن الخامس عشر الهجرى ، يدركون كل الادراك على الاخص ، ان الوضع الدولى الراهن يتطلب بالحاح تنشيط كافة القوى المحبة السلام ، وتعاون المسلمين وكافة الناس ذوى الارادة الطيبة تعاونا فعالا فى النضال من اجل سباق التسلح وتعميق الانفراج ، وضد المطامع العدوانية للاوساط الامبريالية واعوانها .

لقد اعطى مؤتمر طشقند لعام ١٩٨٠ الى ممثلى المسلمين فى شتى اقطار العالم ، الفرصة لتبادل الاراء حول اكثر قضايا العصر الحاحا وآنية بما فى ذلك قضية مكانة الاسلام بين الاديان العالمية الاخرى وتوحيد جهود المؤمنين ، بغض النظر عن عقيدتهم الدينية ، فى النضال من اجل تعزيز السلام العالمى ودرء قيام حرب جديدة ، تهدد بابادة كل ما يوجد على الارض تماما . وبذلك تطورت لاحقاء فكرة تقارب كافة الشعوب والاديان على اساس خدمة السلام المشترك بالنسبة اليها جميعا ، وتنفيذ وصايا البارى عزوجل حول صيانة السلام فى الارض . وتتيسر مثل هذه المهمة بالنسبة الى المسلمين منذ البداية ، لكون التعاليم الاسلامية تنطلق من مبدأ الاعتراف بالعقائد الاخرى ايضا : اذ جاء فى الحديث الشريف «**المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**» (رواه احمد) . وليس بوسع المسلمين الوقوف بعيدا ، حينما تراق دماء الابرياء . واكد المندوبون فى المؤتمر ، على ان الاسلام دين السلام ، ويجب على كافة الاخوان فى الدين ان يرصوا صفوفهم ، وان يناضلوا مع الناس ذوى الارادة الطيبة جميعا ضد الامبريالية العالمية والصهيونية ، ومن اجل تعزيز السلام الوطيد والعادل ، وفى سبيل نزع السلاح التام والشامل ودرء الحرب النووية .

وتبادل المشتركون فى محفل طشقند ، الآراء حول قضية معاصرة هى ضرورة امتلاك ناصية المعارف الحديثة ، ودعوا الشباب المسلم الى اتباع وصية نبينا محمد صلى الله عليـــه وسلم : – «**اطلب العلم من المهد الى اللحد**» . ودعا رجال الدين المشتركون فى المؤتمر ، الى زيادة الاهتمام بقضية التربية ، والى مكافحة ظواهر الانحلال فى ثقافة الغرب المتعفنة .

وصادق مؤتمر «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب «على ثلاث وثائق ختامية هامة هى : «نداء الى جميع المسلمين فى الارض» و«بيان حول القدس» و«بيان حول التضامن مع الشعبين الفلسطينى واللبنانى – ضحيتى العدوان الاسرائيلى» . ودعت هذه الوثائق المسلمين كافة فى كوكبنا ، الى تعزيز الوحدة مع جميع القوى المحبة للسلام من اجل تحويل القرن الخامس عشر الهجرى ، الى قرن السلام الحقيقى والصداقة والتقدم الاجتماعى للشعوب . واذ وجه المشتركون فى مؤتمر طشقند المسلمين نحو النضال بلا هوادة ضـــد الامبريالية والاستعمار والصهيونية وقوى الظلام الاخرى ، فانهم رفضوا بغضب واستنكار ، كافة المحاولات – مهما كانت – لعقد اتفاقيات جزئية ومنفردة ، بصدد قضية الشرق الاوسط وفى مقدمتها – صفقة كامب ديفيد الشائنة المعقودة بين مصر واسرائيل ، برعاية الولايـــات المتحدة . لقد كان مؤتمر طشقند لعام ١٩٨٠ ، تظاهرة اخرى للدعم الدولى للنضال العادل الذى تخوضه الشعوب العربية فى سبيل استعادة حقوقها المهضومة ، واستعادة القدس ، وانسحاب القوات الاسرائيليـة من الاراضى العربية المحتلة ، واحقاق حق الفلسطينيين المشروع فـى اقامة دولتهم المستقلة .

وبعد انفضاض المؤتمر ، اتيحت الفرصة الى الضيوف الاجانـــب على نطاق واسع ، للقيام برحلات اطلاعية للتعرف ميدانيا الى حياة السوفيتيين . وطبيعى ان اعرب غالبية الضيوف عن رغبتهم فى زيارة المناطق الاسلامية ببلادنا قبل كل شىء . وقد لبيت رغبتهم هذه كليا . فتوزعوا الى مجموعات زارت المناطق التى اختارها اعضاؤها بانفسهم . فى اثناء جولاتهم فى انحاء بلادنا ، بدا وكأنهم غاصوا فى الحياة اليومية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، واتيحت لهم الفرصة للاختلاط بهم مباشرة فى العمل والحياة اليومية والبيت . وادوا معهم فرائض الصلاة فى المساجد العديدة ، والقوا المواعظ واستمعوا انفسهم الى المواعظ . ولقى

الضيوف واهل البلاد من مثل هذه اللقاءات ارتياحا ورضوانا روحيا عظيما ، وازداد تصميمهم على مواصلة تعزيز الصداقة والتعاون بينهم لما فيه خير جميع المسلمين ، وخير العالم اجمع .

احاديث المشتركين فى المؤتمر وضيوفه

اورد الشيخ احمد كفتارو مفتى سورية الاكبر فى حديث مع مندوب مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» انطباعاته فقال : ان الارض التى عقد فيها مؤتمر طشقند ، كانت فى الماضى احد المراكز لكافة العلوم ، ووهبت العالم العلماء العظام ، الذين خدموا الاسلام بكل اخلاص ونشروه فى الشرق وفى الغرب . فمنها خرج المجتهدون الكبار مثل الامام البخارى والنقشبندى وكذلك الكثير من العلماء البارزين ورجال العلوم الدنيوية . وتعيش هذه البلاد العريقة اليوم ازدهارا جديدا . فتوجد فيها مصانع وفبارك ويتطور العلم . ولا يعرف مثل هذا التقدم الكثير من الاقطار الاسلامية الاخرى .

ولابد من القيام بكل شىء من اجل ان تخدم العلوم الكثيرة ، التى هى جزء لا يتجزأ من الاسلام . قضية صيانة السلام والاخوة والمحبة على وجه الارض . ان الدين الاسلامى هو ليس الايمان بالآخرة دون هذه الدنيا ، او الايمان بهذه الدنيا دون الآخرة . ويعلمنا نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم : «**ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا**» (رواه ابن عساكر) . لقد علمنا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم اداء الصلوات والصوم والحج والزكاة وغيرها . واواصانا بكل ما يمنحنا السعادة فى هذه الدنيا وفى الآخرة .

لقد كان علماء الاسلام العظام ، يرتكزون دائما على ركنين هما — علوم الدنيا وعلوم الآخرة ، ولابد للمرء ان كان مسلما حقا ، ان يمضى فى كلا الدربين : طلب العلم فى المسجد والجامعات ، واداء الصلاة والصوم ، واداء الزكاة . ويجب ممارسة الصناعة والزراعة وان يغدو المرء طيارا وعالم فلك ، وان يعرف خبايا العلوم الطبيعية . والاسلام يوحد بالنسبة للمسلمين بين قوة الجسد والروح ، والعقل والقلب . ولابد من الاستفادة من الطاقة ، التى يستحثها هذا الدين ، من اجل قضية الصداقة والاخوة والمحبة والتعاون بين كافة الشعوب فى سبيل السلم .

وليس عبثا ان ورد فى القرآن الحكيم ما يلى : «**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم**» (السور ٨ . الانفـــال . الاية ٦١) .

واعرب السيد عبد الرحمن الولايتى رئيس تحرير مجلة «البلاغ» الكويتية عن الامتنان العميق الى المسئولين فى الادارة الدينية ، عـلى اتاحتهم الفرصة له وللضيوف الآخرين فى مؤتمر طشقند العام للاختلاط باخوتهم فى الدين فى الاتحاد السوفيتى . وعبر عن امله فى ان يكون القرن الخامس عشر الهجرى ، قرن سعادة للمسلمين ، والعصر الذى تتحقق فيه احلامهم وامانيهم مؤكدا سعادته البالغة لنجاحات المسلمين السوفيت ، وبالاخص فى مجال التعليم ونشر المعارف الاسلامية ، ومتمنيا لهم الانجازات الباهرة . وقال الضيف الكويتى انه تأثر للغاية لكرم وحفاوة المسلمين السوفيت الذين احاطوه والمشتركين الاجانـــب الآخرين فى المؤتمر باهتمامهم وعنايتهم .

واعلن الصحفى اللبنانى السيد وجيه سعيد الجوزة ، ان القرن الخامس عشر الهجرى ، يمكن ان يغدو قرن السلام للبشرية جمعاء . ولهذا يجب على كافة الشعوب نبذ العداوة والبغضاء والتحلى بمشاعـــر المودة والمحبة ازاء بعضها البعض . وفى نهاية المطاف ، لابد لكافـــة المسلمين من توحيد مساعيهم وطموحهم الى السلم . ونأمل فى ان يعود الفلسطينيون فى هذا القرن الى ارض وطنهم ، وان تغدو القدس – «بيت المقدس» الاسلامى – بيتا لجميـــع المسلمين . ولا ريب فى ان الهزيمة التامة ستلحق باسرائيل واعوان الامبريالية . ولكن ، لابد لذلك من ان يكون المسلمون اكثر جرأة وتضامنا . واشار الصحفى اللبنانى الى ورع المسلمين السوفيت . واكد بصورة خاصة ، على الدور البارز للمفتى ضياء الدين خان بر ايشان باباخان فى حياتهم الدينية . وقال «ان سماحته يعتنى بجميع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، كما لو كان كل واحد منهم ابنه : وهذا ما يفعله أيضا رؤساء الادارات الدينية الثلاث الاخرى للمسلمين ، موحدين جهودهم لخير المسلمين كافة ، ومتعاونين كالاشقاء فيما بينهم . وتكمن فى هذا ضمانة نجاح نشر عقيدتنا الاسلامية السمحاء» .

واعلن السيد وجيه سعيد الجوزة ، انه استطاع بعد مشاركته فى مؤتمر طشقند لعام ١٩٨٠ ، ان يقتنع بما رآه بالعين ، بمدى زيف المزاعم حول ملاحقة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى : وما رآه المشتركون

بالمؤتمر فى طشقند وكثير من الاماكن الاخرى فى اوزبكستان ، يؤكد بان المسلمين يتمتعون بالحرية التامة فى اداء الشعائر الدينية . والحمد لله فان ابواب المساجد مفتوحة أمامهم دائما ويزورها الوف المؤمنين . ويجرى تعمير المساجد القديمة ، وبنيت مساجد جديدة كثيرة . وفى الوقت الحاضر ، حينما يعانى المسلمون فى مناطـــق كثيرة من التشتت والتفرقة ، يبدو ثمينا على الاخص مثال الوحدة الكاملة بين المسلمين السوفيت» .

نعم ان اتحاد المسلمين مع بعضهم البعض ، ومع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، هو الضمانة الرئيسية لنجاحاتهم المشتركة فى معالجة قضايا العصر الملحة ، وفى مقد متها مهام المحافظة على السلام العالمى وصيانته . لقد دخل المسلمون القرن الخامس عشر الهجرى ، فى جو من احتدام الصراع بين قوى السلم والتقدم من جانب ، وقوى الحرب والرجعية من جانب آخر . ان البشرية كلها بحاجة الى السلم من اجل امكان العيش والعمل بصورة مثمرة ، وتنشئة الاطفال دون خوف على مستقبلهم . ان منجزات العبقرية البشرية والامكانيات غير المحدودة للتقدم العلمـــى والتكنولوجى ، لقادرة على ضمان الظروف اللازمة اليوم لكافة الشعوب ، من اجل الحياة الطبيعية . وما تحقق بالجهود الموحدة للناس ذوى الارادة الطيبة ، يمكن ان يفقد بلا عودة ، ان لم يبذل كل انسان اقصى جهوده فى النضال من اجل صيانة السلام . وقال العلى القدير : «**ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب مـــن المحسنين**» . (السورة ٧ . الاعراف . الاية ٦٠) . وهذا ما يجـــب ان يتذكره كل مسلم وكل الناس ذوى الارادة الطيبة .

الباب الثامن

مسلمو الاتحاد السوفيتى فى النضال العالمى من اجل السلام

الاسلام هو دين السلام . افكار الرحمة والمحبة والاخوة والسلام ، بوصفها مثلا عليا شاملة ، تحدد العلاقات الانسانية وتبشر بها جميع الاديان السماوية . توحيد جهود المسلمين فى الدفاع عن السلام بعد الحرب العالمية الثانية . مؤتمر زاغورسك عام ١٩٥٢ لجميع الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفييتى . مداخلة نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان الشيخ ضيأ الدين خان بن ايشان باباخان . مشاركته فى المؤتمرات الدينية الاخرى الهادفة الى احلال السلام . المفتى ضياء الدين خان عضو مجلس السلام العالمى واللجنة السوفيتية للتضامن الافرو آسيوى . منح اوسمة الوطن الرفيعة واوسمة الدول الاجنبية للمفتى . اليوبيل الستينى . مؤتمر ممثلى جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى من اجل التعاون والسلام بين الشعوب (عام ١٩٦٩) . خطاب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان «قضية الشرق الاوسط» . مؤتمر طشقند عام ١٩٧٠ «فى سبيل الوحدة والتعاون بين المسلمين فى نضالهم من اجل السلام وضد العدوان الامبريالى» . مجلة المسلمون فى الشرق السوفييتى» ودورها فى تسليط الاضواء على اعمال هذا المؤتمر ، وغيره من المؤتمرات الاسلامية المماثلة الاخرى ، وحياة المسلمين فى الاتحاد السوفييتى واخوانهم فى الدين فى خارج البلاد . مؤتمر موسكو العالمى لعموم الاديان عام ١٩٧٧ ، «رجال الاديان فى سبيل السلام الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب» . المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الحظيب الرئيسى فى المؤتمر . وثائق المؤتمر . مؤتمر موسكو العالمى عام ١٩٨٢ «رجال الاديان فى

سبيل انقاذ هبة الحياة المقدسة من الكارثة النووية» . الكلمة الترحيبية للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . المؤتمر بوصفه منجزا بارزا جديدا للحركة العالمية الشاملة الهادفة الى السلام ، التى يحتل مسلمو العالم المعاصر ، بما فيهم مسلمو الاتحاد السوفييتى مكانا مرموقا فيها .

الاسلام دين السلام

يتجلى سعى الاسلام الى السلام فى جوهره ، بوصفه ليس دينا لعشيرة أو قبيلة أو امة أو شعب فقط بل بكونه دينا انزل من قبل الخالق العظيم على جميع الناس لكى يتحدوا فى تعارفهم المتبادل والاخوة والمحبة : «**يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**» (سورة الحجرات ، الآية ١٣) . ويمتلأ القرآن الكريم بالدعوات المماثلة الى اقامة العلاقات السلمية المثمرة بين الناس . فمفهوم «السلام» اصبح رمزا وشعارا اساسيا فى الاسلام . فيرحب الملايين من المسلمين بكلمة «السلام عليكم» ليس باخوانهم فى الدين فحسب ، بل وجميع ذوى الارادة الطيبة ، اذ انهم يتذكرون دائما حديث النبى الشريف : «. . . **افشوا السلام بينكم**» (مسلم) . **ان السلام احد** اهم المواضيع فى القرآن الكريم ، لان السلام يعنى امنا وعدالة وحرية ، كما يكون اهم الشروط الضرورية لكى يؤدى الانسان رسالته العظمى المفروضة عليه من قبل الله تعالى .

لقد حمل الاسلام الى الشعوب دعوة الخالق الاعظم الى الرحمة والامن والعدالة والسلام ، اذ حدد عدم فضل الناس بعضهم على البعض الا بالتقوى . فقال صلى الله عليه وسلم : «**لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى**» ودعا الاسلام الناس الى المحبة والوفاق فيما بينهم ، والى التغلب على جميع اشكال التشتت العدائى فيما بينهم : «. . . **واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا**» (سورة آل عمران ، الآية ١٠٣) .

يعتبر نشر روح التفاهم المتبادل والصداقة بين الناس والشعوب كما اشار الى ذلك سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، من اهم مبادىء الاسلام . ويمكن بل يجب على كل مؤمن وكل انسان ذى

ارادة طيبة ، أن يناضل فى سبيل السلام العام والدفاع عنه ، اذ عليه أن يشارك بنشاط فى اشرف الحركات واكثرها جماهيرية ، الا وهى الحركة العالمية فى سبيل السلام ، والتفاهم المتبادل ، وعلاقات حسن الجوار بين الشعوب . وتتحد فى صفوفها مئات الملايين من الناس الشرفاء . انهم يعتنقون الديانات المختلفة ، ويلتزمون بالآراء والمعتقدات الاجتماعية والسياسية المختلفة ، ويتكلمون باللغات المختلفة . ولكن جميعهم يقلقون على مصير كوكبنا . وجميعهم يريدون العيش بدون حروب وفى جو من السلام والأمن .

عندما نقارن بين الديانات العالمية العظمى ، لا يمكننا بان لا نستخلص استنتاجا حول انها – وبالرغم من الفوارق بين عقائدها – تتقارب بعضها من البعض من ناحية اوامرها الاخلاقية التى تقدمها الى متبعيها . انها تعترف بافكار الرحمة والمحبة والاخوة والعدالة والسلام ، بوصفها مبادىء سامية للعلاقات الانسانية ، لان الخالق خلق الارض مبيتا للسلام . جاء فى القرآن الكريم : «**ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين**» (سورة الاعراف ، الآية ٥٦) . وقال تعالى : «**والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم**» (سورة يونس ، الآية ٢٥) وسمى الله احدى الجنات «دار السلام» ، ويتكرر موضوع السلام اكثر من عشرين مرة فى القرآن الكريم .

والسلام موضوع العهد الجديد – كتاب المسيحيين المقدس – الملىء بالدعوات التالية «ويرشد اقدامنا الى سبيل السلام» (لوقا ، ١ ، ٧٩) ، «ليطلب السلامة ويسع فى ابتغائها» (رسالة القديس بطرس ، ٣ ، ١١) ، «. . . والسلام لكل من يصنع الخير . . .» (رسالة القديس بولس الى اهل رومية ، ٢ ، ١٠) ، «وانما دعانا الرب الى السلام» (رسالة القديس بولس الى اهل كورنتس ، ٧ ، ١٥) .

ويفرض على رعايا اليهودية على أن يحبوا «الحق والسلام» (نبؤة زكريا ، ٨ ، ١٩) ، وأن يسعوا الى السلام «للبعيد والقريب» (سفر اشعيا ، ٥٧ ١٩) . ويقول التلمود «يجب أن يعتمد الكون على الأسس الثلاثة : الحقيقة والعدالة والسلام بين الناس» (مواعيظ الآباء ، الفصل الاول ، ص ١٨) .

أما البوذية فتحدد كهدف اعلى للمؤمن ، سعيه نحو تحقيق سلام

شامل للروح التي تسميه «بالنزوانة» . وترفض تعاليم بوذا الحرب والعنف وتدين كافة انواع الجور .

وتقول «فيدا» اسفار الهندوسية المقدسة : «ذلك الذى يرى فى نفسه جزءا من النفس الاعلى العالمية ويمتلك سكونا روحيا يصل الى الرحمة الاعلى» ، أما القائم باعمال العنف فمصيره قانون الكارما .

وتهتم الاديان الأخرى كثيرا بفكرة السلام والواجب الاخلاقى للمؤمنين وللسعى الى تحقيقه . ان السلام كنظام آلهى امثل يعتبر املا لجميع المؤمنين ، وهدفا لجهودهم الاخلاقية . وينجم عن ذلك بشكل طبيعى ، سعى رعايا كافة الاديان نحو توحيد جهودهم الهادفة الى احلال السلام ، ان هذا السعى هو من جوهر التأمل الدينى نفسه . وليس من باب الصدفة ان تقول آية القرآن الكريم : «. . . **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . . .**»

مؤتمر زاغورسك عام ١٩٥٢

تنتشر فى الاتحاد السوفييتى الى جانب الاسلام ، غالبية الاديان العالمية وكذلك بعض العقائد الدينية الاقليمية . وبفضل نشاط المناضلين البارزين الذى لا هوادة فيه فى سبيل السلام ، ومن بينهم المفتى ضياء الدين خان ، أصبح رعايا الاديان العديدة فى بلادنا ، يقتنعون اكثر فاكثر ، بفكرة ضرورة توحيد جهودهم الهادفة الى احلال السلام الى اقصى حد فى المستويات – الاقليمى والقارى والعالمى .

وفى عام ١٩٥٢ انعقد قرب موسكو فى دير القديس سيرغيوس والثالوث المقدس بزاغورسك مؤتمر جميع الكنائس والمنظمات الدينية السوفييتية ، بشأن مسألة الدفاع عن السلام . واشترك فى هذه الندوة الدينية البارزة بنشاط ، ضياء الدين خان الذى كان آنذاك نائبا لرئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان . وانطلق ضياء الدين خان – شأنه شأن غيره من ممثلى المسلمين من المناطق السوفييتية الاخرى الوافدين الى المؤتمر – من اعتقاده العميق بصدد ان الفوارق بين الاديان لا تستطيع ان تعرقل تطبيق الفكرة النبيلة لاندماج جميع القوى الاخلاقية فى المجرى

المشترك ، الهادف الى احلال السلام ، بسبب اعترافها العام بالمحبة والسلام ، بوصفهما مثالين رفيعين للتعايش الانساني . وصرح في خطبته الرائعة «ان المسلمين في الجمهوريات السوفييتية الخمس الواقعة في آسيا الوسطـــى وقازاخستان الى جانب الشعب السوفييتي بأسره ، يشاركون بحيوية في قضية الدفاع عن السلام بين الشعوب . ان ادراتنا الدينية ، اذ تنضم الى جميع قرارات مجلس السلام العالمي ، تقوم بعمل كبير من اجل اشراك مسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان في الدفاع عن السلام . ان رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان المفتي ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، هو عضو في اللجنتين ، السوفييتية والاوزبكية للدفاع عن السلام . انه في خطبه ورسائله الموجهة الى المؤمنين ، يدعوهم الى تأييد نداء مجلس السلام العالمي ، بصدد حظر السلاح النووي ، والى جمع التواقيع في سبيل عقد ميثاق السلام بين الدول الكبرى الخمس ، ومن اجل الحل السلمي للمسألـــة الكورية . انه يدعو المؤمنين الى أن يبتهلوا الى الله القدير ان يخيم السلام على الشعوب» .

المفتي ضياء الدين خان عضو مجلس السلام العالمي

ان اعلام الاسلام السوفيت لم يحددوا نشاطاتهم الهادفة الى احلال السلام باطار وطننا ، بل شاركوا بفعالية في الحركة العالمية لانصار السلام ، اذ شكلوا مع غيرهم من رجال الاديان التقدميين الآخرين في العالم ، فرعا عضويا لهذه الحركة الاكثر جماهيرية ، والاكثر تمثيلا في عصرنا التي ابتدأت منذ عام ١٩٤٩ . لقد كان المفتي ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذي انتخب منذ عام ١٩٥٥ بشكل دائم عضوا في مجلس السلام العالمي ، يلعب دورا كبيرا في تطوير هذه الحركة تطويرا متعدد الجوانب .

لقد طرحت في بداية الخمسينات بالحاح ، مسألة حظر السلاح الذري ، والاستفادة من الطاقة النووية للاغراض السلمية فقط . وادانت اللجنة الدائمة لمجلس السلام العالمي في دورة استكولهم المعروفة ، السلاح الذري ، وطالبت بحظره دونما شروط . وابتدأت في جميع انحاء العالم حملة جمع التواقيع تحت نداء استكهولم ، بشأن تحريم السلاح الذري .

لقد عبر مسلمو الاتحاد السوفييتى عن ترحيبهم ودعمهم لهذه الوثيقة التاريخية . ومن بين مايزيد عن ٥٠٠ مليون توقيع من جميع بقاع المعمورة ذيل هذا النداء ، تحتل تواقيع الملايين من مسلمى البلاد السوفييتية مكانها البارز .

لقد اشترك المفتى ضياء الدين خان فى عام ١٩٦١ فى المؤتمر الهادف الى احلال السلام لممثلى كافة الاديان المنعقد فى اليابان ، وفى عام ١٩٦٢ فى المؤتمر الاسلامى العالمى المنعقد فى العراق ، وفى عام ١٩٦٤ فى مؤتمر باندونج الاسلامى وفى غيرها من المؤتمرات . ومنذ عام ١٩٥٨ اصبح المفتى ضياء الدين خان مشاركا دائما لاهم المؤتمرات واللقاءات المنظمة تحت رعاية مجلس السلام العالمى ، أو لجنة التضامن الافروآسيوى . وشارك المندوبون السوفييت فى عام ١٩٦٥ فى مؤتمر انصار السلام المنعقد فى طوكيو ، وفى عام ١٩٦٦ فى مؤتمر انصار السلام المنعقد فى فنلندا ، وفى عام ١٩٦٧ فى مؤتمر التعاون العربى المنعقد فى القاهرة ، وفى عام ١٩٧٢ فى الدورة الخامسة للجنة التضامن بين بلدان آسيا وافريقيا المنعقدة فى القاهرة ، وفى عام ١٩٧٣ فى المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام المنعقد فى موسكو .

ومنحت للمفتى ضياء الدين خان ، مقابل نشاطه الهادف الى احلال السلام ، وسام «رمز الشرف» السوفييتى وكذلك اوسمة رفيعة من الاردن ولبنان والمغرب والميداليات الفخرية لمجلس السلام العالمى واللجنة السوفييتية للدفاع عن السلام .

اليوبيل الستينى للمفتى

لقد تصادفت مراسيم تكريم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بوسام «رمز الشرف» بيوبيله الستينى . وجرت المراسيم الاحتفالية للتكريم بتاريخ ٢ فبراير (شباط) عام ١٩٦٨ ، فى قاعة الجلسات فى مبنى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وحضر لمنح الوسام الى مبنى الادارة الدينية صاحيباييف سكرتير هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى فى جمهورية اوزبكستان السوفييتية الاشتراكية . كما حضر المراسيم طوراقولوف اكاديمى اكاديمية العلوم فى جمهورية اوزبكستان السوفييتية الاشتراكية عن اللجنة الاوزبكية

للدفاع عن السلام ، ومحكموف عن لجنة الصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية ، وبولغاكوف عن معهد الدراسات الشرقية لاكاديمية العلوم فى جمهورية اوزبكستان السوفييتية الاشتراكية ، ومرادخوجايف رئيس الفرع الاوزبكى لجمعية الصداقة السوفييتية العربية ، كما حضر المراسيم مندوبو وكالة تاس ووكالة «نوفوستى» للانباء ، والاذاعة .

وعندما افتتح الشيخ اسماعيل مخدوم ساتى‌يف نائب رئيس الادارة الدينية الاحتفال ، قال : ان الحكومة السوفييتية تقدر عاليا ، فضل اولائل الذين يوجهون نشاطاتهم نحو النضال فى سبيل السلام والصداقة بين الشعوب . والدليل الساطع على ذلك ، منح سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الوسام القدير – وسام «رمز الشرف» فى يوم ذكرى ميلاده الستين . وهنأ المفتى ، الشيخ اسماعيل مخدوم بحرارة ، باسم المسلمين وتمنى له العمر المديد لصالح السلام والصداقة بين الشعوب .

وتحدث بعد ذلك صاحيباييف سكرتير هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى فى جمهورية اوزبكستان السوفييتية الاشتراكية ، الذى قرأ مرسوم هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى ، واستقبل الحضور بعاصفة من التصفيق منح الوسام لسماحته . وتليت برقيات التهانى العديدة التى توافدت من الشخصيات الدينية والمؤمنين فى آسيا الوسطى وغيرها من مناطق الاتحاد السوفييتى ، وكذلك من اللجنة السوفييتية للدفاع عن السلام ، واللجنة السوفييتية للتضامن الافروآسيوى واتحاد جمعيات الصداقة بين الاتحاد السوفييتى والبلدان الاجنبية .

وعبر المفتى ضياء الدين خان فى كلمته الجوابية عن شكره العميق لهيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى فى الاتحاد السوفييتى والحكومة السوفييتية لمنحه الوسام القدير ، واشار الى انه يعتبر هذا الوسام كتقدير للنشاط الوطنى لغيره من العاملين فى الادارة الدينية ولكافة المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان .

وعندما هنأ الشيخ اسماعيل مخدوم ، لدى اختتامه الاحتفال ، المفتى ضياء الدين خان مرة اخرى ، اهدى له بتصفيق الحضور باسم المسلمين معطفا مطرزا بخيوط ذهبية .

لقد أصبح وسام الوطن ، الذى قدروا به نشاط المفتى ضياء الدين خان البارز ، عاملا ملهما بالنسبة الى كافة مسلمى الاتحاد

السوفييتي ، واثار حماسا في قلوبهم النبيلة وساعد على مشاركتهم مشاركة اكثر فعالية واهتماما في العمل السلمي البناء ، لكل الشعب السوفييتي ونضاله الحاسم في سبيل السلام العام ، بوصفه شرطا رئيسيا لنجاح هذا العمل ، وأساس الازدهار والسعادة للبشرية .

مؤتمر زاغورسك عام ١٩٦٩

لقد عملت المنظمات الدينية السوفييتية منذ اختتام اعمال مؤتمر زاغورسك الديني العام ، عام ١٩٥٢ ، كثيرا في الميدان النبيل للدفاع عن السلام ، واحرزت نجاحات كبيرة ، دلت بوضوح على ان نتائج الخدمة لصالح السلام ، ترتبط ارتباطا مباشر بدرجة اتحاد جميع المناضلين في سبيل السلام ، مهما كانت آرائهم الدينية والايديولوجية والسياسية . ومع ذلك ، كان من الواضح ان الاوضاع الدولية التي تتعقد اكثر فاكثر ، تطالبهم بالحاح ، ان يواصلوا في تمتين صفوفهم ، وتحويل الحركة الدينية ، الهادفة الى احلال السلام ، الى حركة تتصف بطابعها الاكثر تنظيما وتمسكا باهدافها . لقد كان انعقاد مؤتمر ممثلي جميع الاديان في الاتحاد السوفييتي «في سبيل التعاون والسلام بين الشعوب» في يوليو (تموز) عام ١٩٦٩ في زاغورسك من جديد ، انعكاسا لادراك الجميع هذه الضرورة الموضوعية .

لم يشهد دير القديس سيرغيوس والثالوث المقدس خلال تاريخه الممتد عبر ٥٠٠ سنة ، ندوة دينية ذات تمثيل كما شوهد حينذاك . لقد تغيرت هذه القلعة القديمة للكنيسة الارثوذكسية الروسية ، الهادئة والساكنة دائما ، تغيرا جذريا . وهذا ليس من باب الصدفة . فلقد حضر المؤتمر ١٧٦ مندوبا من ٢٦ كنيسة ومنظمة دينية في الاتحاد السوفييتي ، بما فيها مندوبو الادارات الدينية الاسلامية السوفييتية الاربع .

لقد اكتسبت فكرة عقد المؤتمر صدى اخويا عميقا في الاوساط الدينية الاجنبية . وحضرت الشخصيات الدينية من البلدان الاخرى الى زاغورسك ، لكي تكون جنبا الى جنب زملائهم السوفييت ، ليساعدوا على تعزيز السلام العالمي ، وتوطيد عرى الصداقة والمساعدة المتبادلة بين الشعوب ، في تقدمها بغية خلق افضل الظروف لحياة الناس في انحاء المعمورة . لقد كثر عدد ممثلي المنظمات الاسلامية والمسيحية من البلدان

العربية والآسيوية والافريقيـــة بين الضيوف ، الذين تميزوا بقدوم فضيلة الشيخ احمد كفتارو المفتى الاكبر فى سوريـا ، وفضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضى القضاة فى الاردن ، والسيد عبد الله كنون رئيس جمعية العلماء فى المغرب ومحرر جريدة «الميثاق» ، وسماحة المفتى نديم الجسر مفتى مدينة طرابلس وشمال لبنان ، والسيد مراد وهبة الاستاذ فى جامعة القاهرة ، وبولس خورى مطران صور وانطاكيا وتوابعهما للكنيسة الارثوذكسية فى لبنان ، وبسيليوس غبطة مطران حوران وجبل العرب (سوريا) ، وفضيلة الشيخ محمد فتحـة ساك قاضى المحكمة الاسلامية فى السنغال وغيرهم .

لقد ابتدأت اعمال المؤتمر بتاريـــخ ١ يوليو (تموز) بدقيقة صلاة صامتة ، متمنيين للمؤتمر النجاح مما اضفى عليه الوقار والهيبة ، وابرزت طابعه الدينى قبل كل شىء ، الذى كان يسود خلال جميع اعماله . لقد كان الجو الدينى يسود فى جميع زواياه . وان النظرة الدينية العميقة التى سمحت لمشاركى المؤتمر بان يجتمعوا معا ، اتسمت بمبادئ الحاضرين والتزامهم الدقيق بالطقوس الدينية . لقد خصصت الغرف لاداء الصلوات من قبل ممثلى الاسلام والبوذية وقساوسة الكنيســـة الكاثوليكيـــة الرومانية ، وغيرهم من رعايا الديانات الاخرى . كما طبقت قواعد الطعام للمشاركين فى المؤتمر .

لقد عقد مؤتمر عام ١٩٦٩ الهادف الى احلال السلام فى ذلـــك الظرف العصيب ، الذى كانت البشرية جمعاء تسمع وترى فيه مآسى وهلاك الوف الناس فى فييتنام وفى الشرق الاوسط ، وكذلك اتساع التمييز العنصرى وهجوم الاستعمار الجديد فى بلدان افريقيا وآسيا وامريكا .

لقد وجه مراسل وكالة «نوفوستى» للانباء فى يوم المؤتمر الأول ، الى الشخصيات الدينية السوفييتية والاجنبية البارزة ، بما فيهم سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، راجيا منهم الجواب على الاسئلة الثلاثة التالية :

اولا – ما هى الافكار التى حملتموها الى المؤتمر ؟

ثانيا – كيف تقدرون دور الاوساط الدينية فى تعزيز التعاون والسلام بين الشعوب ؟

ثالثا – حدثونا عن آفاق الجهود المشتركة للمنظمات الدينية المختلفة فى الدفاع عن السلام ؟

من الواضح ، ان هذه الاسئلة تقلق الرأى العام فى كثير من البلدان ، لذلك نشرت الاجوبة عنها فى صحف عدد من الدول ، بما فيها الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا والسويد .

وها هى اجوبة سماحة المفتى :

اولا – نحن مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان نهتم دائما بمصير السلام وظفره فى العالم . لقد وعد الله سبحانه وتعالى بان يستجيب الى دعوات الناس حسب اعمالهم . وان مسلمى الاتحاد السوفييتى يناضلون فى سبيل احلال السلام الفعال فى البؤر الساخنة من العالم ، والمهددة بالانتشار الى مناطق اخرى من العالم . انهم ينطلقون من آية القرآن الكريم القائلة : «**لا اكراه فى الدين**» (سورة البقرة – ١٩٠) .

اننا نرحب بمؤتمر زاغورسك ، بوصفه خطوة مهمة جديدة فى طريق توحيد القوى المناضلة فى سبيل احلال السلام .

ثانيا – ان مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان يدينون بشدة الحرب التى تأججها الامبريالية الامريكية فى فييتنام ، وعدوان اسرائيل ضد اخواننا فى الدين ، من شعوب البلدان العربية . اننا اذ نتعاطف من صميم قلوبنا مع الشعوب التى تناضل فى سبيل استقلالها ، نقوم فى مناسبات عديدة بجمع الاموال لمساعدتها . وان المسلمين اذ ينطلقون من الآية القرآنية الكريمة «**ادخلوا فى السلم كافة**» (سورة البقرة ، الآية ٢٠٨) ، فانهم يرغبون بالمساهمة فى النضال العام لانصار السلام فى العالم ، ويوسعون باستمرار لاقامة الصلات بينهم وبين اخوانهم فى الدين فى مختلف بلدان العالم . ان الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان تقيم الآن علاقات الصداقة مع الشخصيات الدينية فى اربعين بلدا آسيويا وافريقيا .

ثالثا – اذا عمل رجال الاديان المختلفة فى العالم بنشاط من اجل الدفاع عن السلام وسعادة الشعوب ، فاننا نستطيع القول بثقة ، انه سيكون من الممكن ازالة النزاعات الموجودة ودرء الحرب الجديدة .

ابتهل الى الله تعالى ، لكى يساعدنا على تنفيذ مهامنا واهدافنا النبيلة .

لقد لفت انظار الحاضرين خطاب متروبوليت لينينغراد ونوفغورود نيكوديم ، (المرحوم) الذى القاه فى اليوم الاول من المؤتمر البؤر

الساخنة فى كوكبنا وخاصة فى الشرق الاوسط . وتعرضت قضية الشرق الاوسط لدراستها الدقيقة والمتعددة الاطراف فى جلسات مجموعة العمل الثالثة – احدى المجموعة الفرعية المتخصصة الخمس ، المنبثقة عن المؤتمر . لقد اشترك فى جلسات مجموعة العمل الثالثة ، ممثلو جميع المنظمات الدينية الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى ، وكذلك ضيوف المؤتمر العرب .

والقى رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان تقريرا بعنوان «النزاع فى الشرق الاوسط» ، ادان فيه بشدة ، العدوان الاسرائيلى ، مشيرا الى انه اكتسب طابع حروب متسلسلة ، تشنها اسرائيل ضد الدول العربية المجاورة . فاسرائيل تتجاهل بوقاحة قرارات الأمم المتحدة ، ودعوات القوى المحبة للسلام ، بشأن وقف العدوان واحلال السلام المستقر والمضمون فى المنطقة . وطالب المفتى ضياء الدين خان باسم مسلمى الاتحاد السوفييتى من اسرائيل بوقف اعمالها الحربية ، وسحب قواتها من الاراضى العربية المحتلة .

وايد الخطباء بعده – مقصود نظرباييف (الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان) والمفتى محمد قربانوف (الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس) والمفتى اسماعيل احمدوف والمفتى غضنفر ابراهيموف (الادارة الدينية لمسلمى القوقاز) ، رأى المفتى وادانوا باسم مسلمى الاتحاد السوفييتى ايضا وبحزم العدوان الاسرائيلى ، واعلنوا عن تضامنهم الكامل مع الشعوب العربية .

قال امام مسجد موسكو قاضى احمدزيان مصطفين : «لا نستطيع أن نقرأ بدون ألم يحز قلوبنا ، اخبار الصحف حول الاعمال الوحشية والانتهاكات التى يقوم بها الغزاة ازاء المواطنين الابرياء ، فان المآسى اصبحت مصيرا لمئات الالوف من اللاجئين الفلسطينيين اخواننا فى الدين ، ويستخدم المعتدون اكثر الاساليب همجية للقيام بالحرب ، فهم لا يرحمون الشيوخ والنساء والاطفال . الوف المحروقين ومئات الوف المطرودين من السكان المسالمين ، – تلكم هى النتيجة الدامية للعدوان الاسرائيلى» .

بيد ان وقف عدوان اسرائيل بحد ذاته ليس كافيا للحؤول دون الانتشار اللاحق للنزاع فى الشرق الاوسط . اذ يجب فضح المصدر ، الذى يغذى العدوان كله بما فى ذلك العدوان على البلدان العربية ،

فى وجه العالم بأسره . وتطرق الى هذه المسألة فى خطابه القسيس غينادى يابلونسكى (الكنيسة الارثوذكسية الروسية) فقال :

«ماكان بامكان الحكومة الاسرائيلية أن ترفع يدها على البلدان العربية ، لولا القوى الاكثر جبروتا ، التى تقف وراء ظهرها ، القوى الاكثر عدوانية التى ليس من مصلحتها احلال السلام . أن المؤجج الرئيسى والمسبب للنزاع فى الشرق الاوسط وفى غيره من مناطق العالم هو الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها» .

قال البروفسور تودور سابيف (بلغاريا) ، «تسعى الاحتكارات الغربية الى بسط هيمنتها على الثروات البترولية للبلدان العربية ، وينبغى على مؤتمرنا أن يبحث عن جميع الوسائل والامكانيات ليبين أمام شعوب العالم الوجه الحقيقى للمعتدى» .

«لا يمكن للمرء أن يكون مسيحيا حقيقيا اذا وقف موقف اللامبالاة ازاء مصير اخوانه ، ومصائر الناس الذين يهددهم الخطر» ، — ذلك ما قاله كبير الاساقفة بلاتون (عميد دير القديس سيرغيوس والثالوث المقدس) الذى زار فلسطين قبل بضعة اعوام ، والذى رأى بأم عينيه العمل السلمى فى حقول الاردن وسوريا ومصر ولبنان .

واضاف متروبوليت كروتيتسا وكولومنا بيمن (الكنيسة الارثوذكسية الروسية) ، قائلا :

«لا تنتهك فى فلسطين المقدسات الاسلامية فحسب بل وكذلك المقدسات المسيحية ، وتلك الاماكن المقدسة التى عاش وتعذب فيها سيدنا عيسى ، التى بشر فيها بالسلام والتى انطلقت منها موعظته «سأبقى لكم سلاما ، وسأعطى لكم سلامى» . ان هذه الاماكن تدنست الآن ، وقد اضحى نهر الاردن المقدس شاهدا على الدمار والمآسى» .

وادان المتروبوليت الصهيونية العالمية التى تدعم اسرائيل وطالب بحزم :

اولا — تنفيذ قرار نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٩٦٧ لمجلس الأمن الدولى .

ثانيا — سحب جميع القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة .

ثالثا — عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم .

رابعا — الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بنفسه .

«اوقفوا الصهيونية !» — لقد كان هذا المطلب يعبر عن رأى جميع

المشتركين تقريبا ، ولكن كلمة الاتهام التى القاها المطران بسيليوس ، مطران حوران وجبل العرب (سوريا) اتصفت بقوتها الخاصة :

«لم نحضر من الشرق لنحدثكم حول العدوان ضدنا ، ولم نحضر لنبكى أمام الشعب ، فسيكون بامكان العرب أن يردوا على اعدائهم كما كنتم تردون على محتليكم طيلة تاريخكم . لقد حضرنا الى هنا لكى نعلن أمام العالم من جديد عن خطر الصهيونية .. ان الصهيونية افعى لها رأسان مسممان وخطيران . انهما خطران على المسلمين والمسيحيين على حد سواء . ومن اجل الدفاع عن الانجيـــل والقرآن يجب القضاء على الصهيونية .

يجب أن تتحد جميـــع ديانات الارض فى مجرى النضال ضد الصهيونية للحفاظ على السلام والامن . اننا سننتصر فى هذا النضال ، فالى جانبنا الاتحاد السوفييتى الصديق» .

أما فضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضى الاردن الاعلى ، فقد لفت انظار الحاضرين الى اعمال القمع والعنف التى يلجأ اليها الصهاينة من اجل تحويل القدس الى مدينة صهيونية . وكانت أول اعمالهم مصادرة الاملاك الاسلامية والمسيحية . ومن ثم قامت اسرائيل بتدمير المساكن الاسلامية والمسيحيـــة ، والقى بالمسلمين والمسيحيين فى غياهب السجـــون والمعتقلات . وتقوم اسرائيل بتنفيذ هذه الاعمال متجاهلة تماما ، أحكام القانون الدولى ، وقرارات هيئة الأمم المتحدة ، مزدرية احتجاجات الرأى العام العالمى .

لقد ارافق الشيخ عبد الله غوشة خطابه بصور ووثائق تدل على اعمال العنف التى تقوم بها العسكريـــة الاسرائيليـــة ازاء السكان المسالمين .

واشار الدكتور وفيق قصار عضو المجلس التشريعى الاسلامى الاعلى فى لبنان فى خطابه ، الى ان الرئيس نيكسون بعث بمندوبه الى الشرق الاوسط لكى يتأكد من حقيقة الاوضاع فى المنطقة . وقد رأى مندوبه بام عينيه كل شىء . ولكن حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تستطع بعد ذلك لاى شىء غيرأن سياستها تجاه العرب يجب أن تكون اكثر عدالة واتزانا . وفور صدور هذا التصريح ضغطت المنظمات الصهيونية الامريكية على الحكومة فتنازلت عن تصريحها معلنة بانه لم يعبر الا عن الرأى الشخصى لمندوبها الذى زار الشرق الاوسط . واستطرد الدكتور

وفيق قصار قائلا ان الولايات المتحدة الامريكية تتحمل كامل المسئولية تجاه المصائب والمآسى التى تتعرض لها الشعوب العربية الآن .

لقد كان مؤتمر زاغورسك عام ١٩٦٩ مرحلة هامة فى طريق التقارب العملى بين جميع الاديان فى حقلها المشترك لخدمة قضية السلام .

قال سماحة المفتى الاكبر فى سوريا احمد كفتارو :

«ان فكرة عقد مؤتمر لممثلى جميع الاديان دفاعا عن السلام ، هى فكرة ممتازة برأيى ، وهذا حدث فريد فى تاريخ الاديان والبشرية . اننى شخصيا وخلال السنوات العشرين التى خلت ، أسعى الى تحقيق ذلك فى وطنى وخارجه ، وفى الاوساط الدينية والعلمية ، ومن خلال الخطب التى القيتها بالاذاعة والتلفزيون . لقد كان لى دائما حلم وأمل فى اننى سأرى ولادة مؤتمر من هذا النوع ، يعمل فى اتجاه تحقيق الفكرة الانسانية للبشرية .

تتضح اهمية مؤتمر زاغورسك من اسمه وشعاره اللذين يوحيان بامل عميق ، ويدخلان الفرحة والابتهاج فى قلوب كل الشرفاء ، وكل من يؤمن بالسلام والانسان .

ان هذا المؤتمر هو كحبة صغيرة لشجرة ذات ثمرة كبيرة . واذ اكتملت هذه الحبة بالامكانيات العلمية والاخلاقية لصالح تحسين حياة الانسان ، واذ تطهرت من جراثيم الانانية والجشع والطمع والخداع ، واذا ارتدت ثوب الحقيقة والاخلاص والمحبة والرحمة ، فانها ستكون قادرة على تنقية الدين من الهرطقة والاعمال الدخيلة المعارضة لجوهره ، ومغزاه النبيل غير المتطابقين مع المعنى السليم لعلوم الدين . فاذا عملنا بكل ما فى وسعنا وبشكل يتناسب مع هذه الفكرة السامية ، فاننا بالتالى سنحول هذه الحبة الصغيرة الى شجرة ذات ثمار كبيرة وتحنو على الانسان بظلها وتمتعه برائحة ازهارها فسيستلذ بحلاوة ثمارها .

وسيرى الانسان بان الطريق الهادف الى السلام سهل ورحب ، وان باب السعادة مفتوح . ان الانسان الذى اكتشف الكهرباء والبخار والالكترون والذى حط على القمر ، لهو قادر على أن يحقق هذه الفكرة النبيلة العظيمة ، اذا كان وفيا لها وشريفا فى غايته لتحقيقها» .

قال قاضى الاردن فضيلة الشيخ عبد الله غوشة : «ان مؤتمر زاغورسك كسب عددا كبيرا من ممثلى الاديان والأمم من جميع انحاء العالم . وكانت روح مناقشاته عالية . واتخذ المؤتمر قرارات جديرة

بالتقدير والترحيب العاليين . لقد اعجبنى كون مواضيـــع المناقشات المهمة والملحة ، قد شملت القضايا التى تتسم باهمية عظمى بالنسبة الى الشرق والغرب . ومن بين تلك القضايا الاكثر الحاحا ، قضية فلسطين والشرق الاوسط المتعلقة بتشريد شعب باكمله من وطنه ، عاش فيه عشرات القرون .

أما نشاط مجموعة العمل «النزاع فى الشرق الاوسط» فكان منظما بشكل جيد . اذ اتيحت الفرصة للجميع بان يعبروا عن آرائهم ، واصغى الى كل التقارير والخطب باهتمام جدى ، فقد اعرب المناقشون عن دعمهم لنضالنا ومواقفنا وحقنـــا فى استرجاع اراضينـــا وضرورة انسحاب اسرائيل منها .

اما القرار الذى تقدم به سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، فقد حظى بتقدير عال وشكر جزيل . لقد تطرق المفتى فى خطابه الى الاعمال المجيـــدة الكثيرة التى قام بها مسلمو الاتحـــاد السوفييتى ، بما فيها دعم اخوانهم فى الدين فى نضالهم ومقاومتهم للقمع والعدوان . واصطحب القرار بالعديد من الآيات القرآنيـــة الكريمة ، واحاديث النبى الكريم التى تدعو المسلمين الى تأييد اخوانهم بالدين والى مقاومة الاعداء اينما كانوا .

ان جوهر جميع الاديان وقوانينها هو الدعوة الى السلام . وهذا السلام يجب أن يكون شريفا وعادلا ، يسفر عن ضوء الحقيقة الذى يزيل الظلام . انه السلام الذى يمنح الشعوب الحرية والاستقلال ، السلام الخالى من الاستعباد والاستعمار والتمييز العنصرى» .

مؤتمر طشقند عام ١٩٧٠

ان النشاطات الهادفة الى احلال السلام التى تقوم بها المنظمات الاسلامية السوفييتية ، ترتبط ارتباطا لاينفصم عراه بدعمها للنضال العادل الذى تخوضه الشعوب المكافحة فى سبيل حريتها واستقلالها . ففى عام ١٩٧٠ عندما كان العدوان الاسرائيلى لايزال يتوسع فى اتجاه بلدان الشرق الاوسط ، وكانت الاعمال الحربية فى جنوب شرقى آسيا تحتدم ، انعقد فى طشقند بمبادرة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان

باباخان مؤتمر المسلمين «فى سبيل وحدة المسلمين وتعاونهم فى سياق النضال من اجل السلام وضد العدوان الامبريالى» الذى شارك فى اعماله مسلمو الاتحاد السوفييتى وممثلو ٢٥ بلدا . لقد اكتسب هذا المؤتمر الذى تمثلت فكرته الجوهرية فى حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» (الامـــام البخارى ، ومسلم) – صدى واسعا فى بلدان كثيرة ، كما زاد من حماس اخواننـا العرب فى نضالهم العادل ضد المعتدى الصهيونى ، وعزز عزمهم فى مواجهة الديكتاتورية الامبريالية .

ان الاصداء الدولية الكبيرة ، التى اتسم بها مؤتمر طشقند عام ١٩٧٠ – شأنه شأن غيره من المحافل الاسلامية المماثلة الاخرى – تعود بدرجة كبيرة الى تسليطه الاضواء بشكل واضح على نتائج اعماله من خلال صفحات الجرائد التقدمية العالمية ، بما فيها مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» التى صدرت منذ عام ١٩٦٨ باللغتين الاوزبكية والعربية ، ومن ثم بالفارسية ولغة الدارى ، وفيما بعد تلبية لطلب اخواننا فى الدين من البلدان الاخرى ، صدرت باللغتين الفرنسيـــة والانكليزية . وتلقى هذه المجلة عـــلى صفحاتها الاضواء على الجوانب العديدة من حياة المسلمين السوفييت ، المتعلقة بقضاياهم الدينيـــة والعقائدية ، وكذلك مسائل حياتهم اليومية . ان شعبية المجلة بين قرائها داخل البلاد وخارجها ، لا تزال تنمو باطراد . ومن بين مهماتها الرئيسية تقديم صورة موضوعية عن حياة المؤمنين والقضايا المختلفة للاسلام الحديث . وتحيط المجلة قرائها علما بشكل دورى ، بالاعمال الكبيرة التى تقوم بها الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى ، لغرض ازدهار ديننا الحنيف كما تعرفهم بنشاطات المساجد ، وبأهم الاحداث التى تخص العالم الاسلامى بأسره ، ويستوعب القراء الاجانب بفضل هذه المجلة ، الحقيقة عن أوضاع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى . وتقرأ هذه المجلة اليوم فى جميع بقاع المعمورة ، اذ ترسل الى اكثر من ٨٠ بلدا . ويزداد اهتمام القارئ الاجنبى بهذه المجلة بشكل متواصل ، اذ يدل على ذلك تدفق الرسائل المطالبة بالاشتراك فيها . ويساعد على ذلك اخراج المجلة باسلوب حديث ، وفن تقديم المادة الصحفية . ولكن الأهم من ذلك طبعا هو كون هذه المجلة تساعد المسلمين فى جميع انحاء العالم على تعارفهم المتبادل . لذلك ، يرص المؤمنون صفوفهم ويخوضون بطريقة اكثر حزما نضالهم فى سبيل الحل السلمى والعادل ، لأهم قضايا

العصر الراهن ، وضد دسائس الامبريالية العالمية والصهيونية .

يبعث كثير من القراء بكلمات يشكرون فيها الادارة الدينية ، على قيامها باصدار هذه المجلة الرائعة . فالمفتى محمود حقى ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس يشير الى انه بفضل هذه المجلة ، اصبح بامكان الاخوان فى الدين أن يتعرفوا على سير حياة ونشاط الفقهاء والمحدثين والمفسرين القدماء ، وكذلك على محصلة الاعمال المجيدة للادارات الدينية السوفييتية الاربع .

واشار المفتى عبد البارى عيسايف ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفييتى وسيبيريا ، لدى تعبيره عن شكره الجزيل للعاملين فى هيئة تحرير المجلة : «ان المسلمين التتر والبشكير ، يقرأون النسخة الاوزبكية للمجلة بلغة مفهومة لهم . أما نحن ، العلماء ، فنقرأ بالأساس نسخة المجلة العربية . ويجب الاعتراف باننا معجبون بالمستوى العالى للمقالات العديدة وبالنضوج الروحى للعاملين فى المجلة» .

واشار المراسلون الاجانب قبل كل شىء الى ان مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» تخدم قضية التقارب بين الاخوان فى الدين ، وتحمل الحقيقة عن الشعب السوفييتى عامة والمسلمين خاصة .

ويقول السيد محمد علوينى ، مدير المركز الثقافى الاسلامى فى بروكسل (بلجيكا) : «اننا نعبر عن اعجابنا بهذه المجلة والمقالات الرائعة المنشورة فيها . بارك الله فيكم على هذا العمل المهم» .

قال محرر جريدة «الاسلام» (سرى لانكا) السيد سمير : «ارجو ارسال مجلتكم الينا بانتظام . فبعد ان اقرأها ارسلها الى مدرستنا العربية للبنات كى يتعرفن على حياتكم ونشاطكم» .

ويشير مراسلنا من بورما السيد ايوب بن قاسم : «لقد سررت كثيرا عندما عرفت بان مسلمى الشرق السوفييتى يوفقون باعمالهم الدينية . وكنت اعتقد فى الحقيقة ان الاتحاد السوفييتى لا يهتم الا بقسط قليل بالشئون الدينية ، نظرا لكونه بلدا شيوعيا . لقد فوجئت عندما علمت من خلال مجلتكم بان مسلمى الاتحاد السوفييتى ، يسيرون جنبا الى جنب مع غيرهم من سكان العالم الاسلامى» . وعدد مثل هذه الرسائل كثير . وقد عبر الدكتور رفعت مصطفى ، مفتى قبرص عن رأى جميع قراء المجلة اذ قال : «يمكن القول ان هذه المجلة تحتل مكانا عاليا نوعا ما ، بين غيرها من المجلات المماثلة . انها ، بالطبع ، تقدم لنا معلومات

من مصادر اصلية حول نشاطات اخواننا فى آسيا الوسطى وغيرها من المناطق الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى ، وهى حلقة للاتصال فيما بيننا . ان هذه المجلة قيمة عموما ومفيدة بالنسبة الى جميع مسلمى المعمورة» .

ان الادارة الدينية تحاول توسيع الصلات مع هيئات تحرير العديد من صحف المنظمات الاسلامية الكثيرة فى خارج بلادنا . فمقابل مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» تتسلم الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى نشرات دورية نالت شهرتها مثل المجلة الاسبوعية «العالم الاسلامى» – لسان حال المؤتمر الاسلامى العالمى ، وجريدة «اخبار العالم الاسلامى» ومجلة «رابطة العالم الاسلامى» – لسان حال رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة ، ومجلة «دعوة الحق» – لسان حال وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى المغرب ، وجريدة «الميثاق» – لسان حال جمعية العلماء فى طنجة ، ومجلة «الندوة الثقافية الاسلامية» – لسان حال المركز الثقافى الاسلامى فى اليابان ، ومجلة «الهداية» – لسان حال ادارة الفتاوى فى تونس ، ومجلة «هدى الاسلام» – لسان حال وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية والمقدسات الاسلامية فى الاردن ، ومجلة «الفكر الاسلامى» – لسان حال وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت وكثير غيرها . وبفضل هذا التبادل بالمعلومات ، يطلع المسلمون السوفييت دائما على كافة الاحداث التى تجرى فى العالم الاسلامى .

مؤتمر موسكو لرجال الاديان العالمى عام ١٩٧٧

يقول المثل الشعبى ان الكلمة المطبوعة مرآة الحياة . لذلك توجه الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى نشاطها الاعلامى لكى يعكس بشكل اكمل واكثر موضوعية ، كافة القضايا المعاصرة التى تخص الاخوان بالدين فى جميع بقاع المعمورة . فالى جانب القضايا الدينية البحتة ، تحتل قضايا الحركة العالمية لجميع الشعوب والاديان المحبة للسلام فى سبيل السلام مكانا هاما .

ومنذ اختتام اعمال مؤتمر زاغورسك المعروف لعام ١٩٦٩ لا تزال

هذه الحركـــة تتعزز وتتطور . ويدل على مستواها المتنامى ، المؤتمر العالمى «لرجال الاديان فى سبيل السلام الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب» الذى عقد فى موسكو فى حزيران (يونيو) عام ١٩٧٧ . لقد اصبح هذا المؤتمر حدثا بارزا فى تاريخ حركة السلام وحياة المؤمنين . ان هذا المحفل العالمى الجديد لرجال الاديان العالمية ، جاء نتيجة للاعمال الضخمة التى قام بها بنشاط كبير ممثلو المسلمين السوفيت ، وبالدرجة الاولى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى كان عضوا فى اللجنة التحضيرية الدولية ، مع متروبوليت تولا وبيليف ا(الآن كروتيتسكى وكولومنا) برئاسة يوفينالى .

ولغرض المشاركة فى المؤتمر العالمى لرجال الاديان عام ١٩٧٧ ، وصل الى موسكو ما يزيد عن ٦٥٠ مندوبا من ١٠٧ بلدان ، بما فيهم ٩٨ مندوبا مسلما من ٤٠ دولة . وحضر المؤتمر علماء مسلمون كبار من بينهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية والمقدسات الاسلاميـــــة فى الأردن ، وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى السيد كامل الشريف ، والدكتور عز الدين ابراهيم ، مستشار الشؤون الثقافية فى دولة الامارات العربية المتحدة ، وعضو رابطة العالم الاسلامى ، والدكتور انعام الله خان الامين العام للمؤتمر الاسلامى العالمى ، والدكتور عبد العزيز الخياط من الاردن ، والمفتى احمد زبارة المفتى العام فى الجمهورية العربية اليمنية ، والمدير العام لادارة الشئون الاسلامية لدى رئيس تونس السيد مصطفى كمال التارزى وكثير غيرهم .

لقد أصدرت اللجنة التحضيرية للمؤتمر بمناسبة انعقاده كراسا مصورا ، بصدد التعاون بين الاديان ، الهادف الى السلام الذى يطوره رعايا الاديان المختلفة فى الاتحاد السوفييتى ، ومساهمتهم فى الدفاع عن السلام فى العالم . أما فى دهليز قاعة المؤتمر فقد نظم ، خصيصا للمشاركين فيه ، معرض الصور الذى يعكس حاضر الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفييتى . ودارت اعمال المؤتمر العالمى خلال الاجتماعات العامة ، وكذلك اجتماعات فروع المؤتمر الثلاثة وهى : «فى سبيل السلام الوطيد» و«فى سبيل نزع السلاح» و«فى سبيل العلاقات العادلة بين الشعوب» .

لقد منح شرف تقديم الخطاب الرئيسى فى المؤتمر الى سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، حيث تجلى فيه التقدير العالى الشامل لدور مسلمى الاتحاد السوفييتى فى حركة السلام العالمية ،

بوصفها اكبر حركة جماهيرية واكثرها نبلا فى العصر الراهن ، وكذلك الرد بالجميل من قبل المحفل الدولى للمفتى ضياء الدين خان شخصيا ، لقاء نشاطه الخلاق المديد فى هذا المجال العظيم لخدمة البشرية جمعاء .

واشار المفتى فى خطابه الملهم الملىء بالمضمونات العميقة ، الى ازدياد دور رعايا الاديان المختلفة فى الحركة الواسعة للرأى العام العالمى من اجل السلام الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب ، اكثر من اى وقت مضى . ويجب الآن ان تتجلى بشكل خاص مسئولية رجال الاديان ازاء مستقبل البشرية ، واستمرار الحياة فى ارضنا والحفاظ على الطبيعة بشكلها كما خلقها الله سبحانه وتعالى .

لقد كان رعايا الاديان المختلفة طيلة التاريخ البشرى مدعوين الى أن يصبحوا حاملين للافكار الانسانية السامية : التنوير الحقيقى والحرية الصائبة والرحمة العامة . ولكن ، اذا كان المؤمنون سابقا يوجهون جهودهم الاخلاقية نحو تطبيق المثل الانسانية العليا ، فى اطار اديانهم الخاصة بالأساس ، وفى اطار طوائفهم وبلدانهم واقاليمهم ، ففى عصرنا هذا ونتيجة للتطور الذى لا سابق له للصلات والعلاقات الدولية وانخفاض الحواجز المانعة للتفاهم بين اناس الاجناس والقوميات والاديان المختلفة ، ازدادت مسئولية رجال الاديان تجاه تحويل المجتمع البشرى ، الى مجتمع اكثر انسانية ، وتجاه مصائر السلام واقامة العدالة بين جميع شعوب المعمورة ازديادا لا مثيل له . ويمكن الاشارة بارتياح الى ان رجال الاديان ، ادركوا تماما ابعاد هذه المسئولية . وتجلى ذلك قبل كل شىء ، فى انه خلال العقود الاخيرة من السنين ، اصبحت روح التفاهم والتعاون الهادف الى السلام على أساس دينى تنتشر عبر جماهير المؤمنين الواسعة .

وواصل المفتى ضياء الدين خان قائلا :

ان المهمة الرئيسية فى الطريق نحو السلام الوطيد ، تنحصر بدون ادنى شك ، فى تعميق عملية الانفراج الدولى . مع ذلك ، يجب الاعتراف للاسف ، بانه خلال الفترة الاخيرة ، وتحت ذرائع مفتعلة عديدة ، تخرب مبادئ التعايش السلمى بين الشعوب ، ويجرى تباعد هدام بين بعضها البعض ، يجب تصفية بؤر التوتر القائمة فى مناطق كوكبنا المختلفة ، تلك البؤر التى تحمل فى طياتها تهديدا ملموسا للسلام ، ليس بالمعنى الاقليمى فحسب بل وكذلك بالمعنى العالمى العام .

تثير الاوضاع القائمة فى الشرق الاوسط قلقا خاصا . فالاحداث

الدامية الجارية فى لبنان ليست الا دليلا ساطعا على نتائج سياسة المغامرة ، التى تنتهجها الاوساط العسكرية الاسرائيلية . انه لا يمكن حل ازمة الشرق الاوسط الا بشرط سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى تحتلها ، وعلى أساس ضمان الحق المشروع للشعب العربى الفلسطينى فى وجوده المستقل . وبدون ذلك ، ليس من المعقول التوصل الى السلام العادل فى منطقة الشرق الاوسط بأسرها .

ان الاعتقاد العميق للمفتى ضياء الدين خان الذى كان يعبر عنه مرارا ، هو ان جميع الاوضاع المتأزمة ، يمكن بل ويجب أن تحل بوسائل سياسية فقط ، أما التسوية الأسرع لقضية الشرق الاوسط ، فترتبط لدرجة كبيرة بمهمة فضح نفاق التفسيرات المشوهة لاسبابها ، واعتبارها مجرد نزاع دينى بين المسلمين والمسيحيين واليهود . وعلى رجال الاديان ان لا يتهاونوا ابدا مع هذه المحاولات المنافقة ، وأن يكشفوا بجرأة القناع عن الاسباب الاجتماعية والسياسية الحقيقية للنزاع ، الذى يستمر سنين طويلة .

لقد اثارت بؤر التوتر الاخرى قلقا عميقا للمفتى ضياء الدين خان ، تلك البؤر التى لا يزال بعضها مشتعلا .

لقد كان المفتى ضياء الدين خان ، يعتبر التمييز العنصرى والابادة الجماعية التى ترافقه دائما من الظواهر الأكثر عارا على البشرية . ان سماحته اذ فضح منافقة هؤلاء الذين يعلنون انفسهم مسيحيين ويبشرون فى ان واحد بـ«نظرية التطور المنفصل للاجناس» المعادية للانسانية ، كان يذكر بان الديانة المسيحية تعلم بشكل لا يمكن تفسيره تفسيرا ذى معنى مزدوج : «وقد صنع الرب من دم واحد جميع أمم الناس ليسكنوا ويستولوا على جميع وجه الارض» (اعمال الرسل ، ١٧ ، ٢٦) . لا توجد نظرة دينية الى العالم تبارك تمييزا بين الناس على أساس انتمائهم الدينى ، وينبغى على جميع رجال الاديان أن يوحدوا جهودهم باسم نضالهم المشترك ضد التمييز العنصرى .

تعتبر الصهيونية من اكثر اشكال التمييز العنصرى وضوحا . فهذا التعريف للظاهرة التى تثير غضب كل الشرفاء ، ورد كما هو معروف ، فى قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة المتخذ فى عام ١٩٧٥ ، وكان المفتى ضياء الدين خان من بين المرحبين به ، اذ اشار الى ان كافة انواع التمييز العنصرى مخالفة سافرة لارادة الله تعالى .

لقد كانت مصائر شعوب امريكا اللاتينية ، التى لم يتحرر الكثير

منها من اغلال التبعية الاجنبية والجوع والفقر وانعدام الحقوق السياسية والاجتماعية التى ترافقها ، قريبة على المفتى ضياء الدين خان . لذلك كان يشير الى ان السلام وانعدام الحروب شرط اساسى ، ولكنه غير وحيد لرفاهية الشعوب . ان الحياة الكريمة للملايين ستبقى حلما لا يمكن تحقيقه ، حسب اعتقاده العميق ، طالما تنفق المبالغ الاسطورية بدون فائدة على انتاج اكداس الاسلحة ، ومن اجل صنع الوسائل الجديدة والجديدة للابادة الجماعية الأكثر اتقانا .

ان تقليص كمية الاسلحة ، والحيلولة دون انتشار النظم الجديدة للسلاح التى تلحق الضرد ليس لاقتصاديات بلدان معينة فحسب بل وكذلك لنظام العلاقات الاقتصادية العالمية الحديث ، تلكم هى الطرق الواقعية المؤدية الى ضمان المستقبل السلمى الامين وكذلك الى الارتفاع الملموس لمستوى معيشة الملايين من الناس . ان فكرة الوحدة العضوية بين رفاهية الناس ولقمة عيشهم وبين أمنهم ، ليست الا واحدة من اهم حكم راعينا الحكيم ومعلمنا المفتى ضياء الدين خان . ان جميع الاديان ، كما اشار ، موحدة فى سعيها الى الامن بوصفه شرطا ضروريا لضمان الحياة الكريمة والخيرة لكل انسان ولكل شعب .

والمفتى ضياء الدين خان اذ كان مفكرا ذا معرفة علمية واسعة واطلاع لا مثيل له استند لدى التأكيد على صحة هذا الاستنتاج الاهم الى التحليل المقارن بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد ، وكذلك المصادر الأساسية للاديان الكثيرة الاخرى . انه اذ انطلق فى مقارنته من الآية **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا . . .**» (سورة ١٤ . ابراهيم ، الآية ٣٥) دل مثلا على انه فى نصوص العهد القديم التى تعتبر تراثا عاما للمسيحيين واليهود ، ترتبط مسألة تعزيز السلام الحقيقى دائما بازالة السلاح : «وأكسر القوس والسيف والحرب من الارض واريحهم فى الدعة» (نبوءة يوشع ، ٢ ، ١٨) . كما ويقدم الوعد المستقبلى بان الناس «سيضربون سيوفهم سككا واسنتهم مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب من بعد» (نبوءة اشعيا ، ٢ ٤) . ويعلم الدين المسيحى كون المحبة وليس العنف ، تكون طريقا صائبا حقيقيا نحو السلام ، لذلك «كل محب فهو مولود بالرب وعارف به» (رسالة القديس يوحنا الاولى ، ٤ ، ٧) . ومن لم يقبل قانون المحبة» ومن لا يحب فانه لا يعرف الرب لأن الرب محبة» (رسالة القديس يوحنا الاولى ، ٤ ، ٧) . ويوحى التلمود فكرة السير فى الطريق الذى يستثنى

العنف ذاته : «لا تعمل لغيرك ما لا تريده لنفسك» . وتعترف الديانة البوذية بالرحمة العامة بوصفها قانونا شاملا للحياة . وتوجه بوذا بكلماته الاخيرة الى تلاميذه راجيا منهم بان يحبوا بعضهم البعض . كما وتعارض الديانة الشينتوئية فى عبادتها للطبيعة مبدأ العنف ايضا .

ان السعى نحو نزع السلاح الشامل والعام ، حسب اعتقاد المفتى ضياء الدين خان ، هو جزء مهم لخدمة الاديان قضية السلام بين الشعوب . وفى العصر النووى الصاروخى ، تفقد الحرب التى كانت سابقا باستمرار للسياسة بطرق اخرى ، معناها ، اذ لا منتصر فى الحرب النووية . ومع ذلك ، فسباق التسلح حتى فى ايام السلم ، يحمل المعاناة الى الملايين من الناس ، لأنه يخفض من مستواهم المعيشى ويبتلع الوسائل المادية الطائلة . وعدا ذلك ، تجعل الحرب الملايين من اعضاء المجتمع الاصحاء وذوى الاختصاص يخدمون الجيش أو يعملون فى الصناعات الحربية . واذا تم توجيه هذه القوى وهذه الثروات نحو البناء السلمى فقط ، فسيكون من الممكن حل المشاكل الاجتماعية الحالية الكثيرة . فيصيب الجوع فى كثير من بقاع الارض حوالى مليار نسمة ، كما يعادل عدد الأميين ذلك الرقم . لقد امر الله تعالى باحاطة كل روح انسانية بالعناية والاهتمام .

واذا استمر سباق التسلح ، ستصبح الاوضاع المتأزمة ظاهرة حتمية فى كثير من مناطق العالم . لذلك لايحق لشخصية سياسية أو اجتماعية – واكثر من ذلك – دينية ، أن يتناسى الخطر ، كما نبه المفتى ضياء الدين خان ، ان لدى انصار السلام اعداء اقوياء . ومن بينهم قبل كل شىء اصحاب الصناعات الحربية الذين يجنون مليارات الدولارات من سباق التسلح ، ومن بينهم تلك القوى الرجعية التى لا يروق لها التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة .

واشار المفتى ضياء الدين خان الى ان الاتحاد السوفييتى بطبيعته الاجتماعية والسياسية ، خال فى اولئك الذين ينتفعون من الحرب ، فالشعب السوفييتى كله يسعى نحو التعايش السلمى مع كافة الدول .

ان العامل الملهم الكبير الذى حدد النشاط الانسانى المتعدد الاطراف للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يتمثل فى تعاليم الاسلام بصدد العدالة بوصفها واحدة من ارفع اهداف الانسان الدنيوية : **«واذا رءا الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون»** (سورة

١٦ . النحل الآية ٨٧) . ولقد ورد فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من رأى منكرا فلم يغيره» . هذه الوصايا كانت شعارا رئيسيا لسماحته . ان سماحته اذ كان يسترشد بالآيات والاحاديث النبوية وكثير غيرها المتعلقة بقضية العدالة والعلاقات العادلة بين الافراد والشعوب والدول كلها ، كان يشير دائما الى الشمولية الانسانية العامة لعقيدة الاسلام ، بشأن العدالة قائلا : ان أساسها يتطابق مع عقائد الديانات السماوية الاخرى . وكان يقدر دائما تقديرا عاليا المبدأ الانجيلى بصدد تحديد مقياس الرد العادل : «اعطوا تعطوا . لانه بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم» (لوقا ، ٦ ، ٣٨) . كما وكان يرى عمقا خاصا فى الفكرة التوراتية حول الارتباط الذى لا ينفصم عراه بين الحياة السلمية والعدالة والأمن : «ويكون عمل العدل سلاما وفعل العدل راحة وحمايته الى الابد» (نبوءة اشعيا ، ٣٢ ، ١٧) . لذلك كان يشير الى ان كل عقيدة دينية تفرض على الانسان أن يكون حاملا للعدالة . وتمتلك جميع شعوب المعمورة بدرجة متساوية من حقها فى الحياة والاستفادة من خيراتها ، واكتساب المعرفة ووجودها المستقل وتقرير مصيرها .

لقد كان المفتى ضياء الدين خان ، يعتقد اعتقادا عميقا بان مبدأ العدالة يفترض فى المجال الدولى بدرجة اولى ، اقامة العلاقات المتساوية بين جميع الشعوب والبلدان ، والاحترام الدقيق لسيادة كافة الدول ، الكبيرة منها والصغيرة ، المتطورة والنامية . أما التعاون العادل بين جميع البلدان – مهما كانت نظمها السياسية والاجتماعية مختلفة فى المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية والتقنية وغيرها – فقد اصبح أمرا ضروريا حيويا فى تعجيل التقدم العلمى والتكنولوجى والنمو الاقتصادى واطلاع الجماهير الشعبية العريضة على القيم الثقافية التى طورتها البشرية جمعاء . واعتقد المفتى ضياء الدين خان بانه تجلت فى العصر الراهن مبادئ العدالة فى مجال العلاقات الدولية بشكل اكمل واكثر انتظاما ، فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وكذلك فى الوثيقة الختامية الصادرة عن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى الموقع عليها فى هلسنكى عام ١٩٧٥ .

لقد اهتم سماحته اهتماما خاصا بالوثيقة الاخيرة . لان جميع الدول ذات الانظمة الاجتماعية والسياسية المختلفة ، حاولت لاول مرة وبنجاح ، أن تجد نقاط تقارب فيما بينها فى مجال المسألة المهمة

والمعقدة ، الا وهى مسألة حقوق الانسان الاجتماعية والسياسية ، وبهذه المناسبة كان دائما يذكر بان الدفاع المتواصل عن حقوق الانسان وضمانها ، يجب أن يكون مجالا هاما للنشاط الهادف الى السلام ، الذى يقوم به رعايا جميع الاديان ، وبالطبع ، المسلمون .

لقد كان المفتى ضياء الدين خان ينظر دائما الى قضية الدفاع عن حقوق الانسان ، وضمانها باراتباطها العضوى مع المجموعة المتكاملة من القضايا التى سيضمن حلها للانسان حياة كريمة لطبيعته ، بما فيها قضية الحفاظ على البيئة المحيطة بوصفها اكثر هذه القضايا الحاحا الآن . مع العلم بانه كان يربط بين الحل الناجح والسريع لهذه القضية مع حجم تأمينه المالى والمستولى النوعى للوسائل والاجهزة التكنولوجية المناسبة من جهة ، وبين المزاج النفسى للناس وادراكهم لاهمية موقفهم المحافظ على بيئة وجودهم ، من جهة اخرى . واعتبر المتطلبات الدينية القديمة بشأن الحفاظ على هذه البيئة ، عاملا رائعا مساعدا على تهيئة موقف غير متهاون ، ازاء جميع عمليات الهجوم الجنونى وغير المسئول ، على الطبيعة التى خلقت من اجل ازدهار الناس : «**ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا ، كذلك الخروج**» (السورة ٥٠ . ق ، الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١) . لقد خلقت الارض لكى تكون صالحة للحياة الى ابد الآبدين . وحددها الله بوصفها مستقرا للجنس البشرى ولجميع الاحياء : «**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**» (السورة ٧ . الاعراف ، الآيات ٢٤ و٢٥) .

ان المفتى ضياء الدين خان ، اذ كان يعى كون مهمة المحافظة على البيئة المحيطة تتصف فى ايامنا هذه بحجمها الشمولى ولا يمكن حلها الا عن طريق الجهود الموحدة لجميع الاجناس والقوميات والاديان ، كان يهتم خصوصا بانه ليس الاسلام وحده ، بل والديانات الاخرى الكثيرة تفرض على رعاياها موقفا محافظا تجاه الطبيعة بوصفها — قبل كل شىء — مخلوقا عجيبا بارادة الله تعالى . ويقال هذا ، مثلا ، فى الفصول الاولى لسفر التكوين ، كما وتعلم هذا ، الاديان الاخرى . ولكن ، كما كان يؤكر ، لا يمكن ضمان الدفاع عن البيئة المحيطة كاملا ، مادامت تستمر اعمال المصانع التى تنتج الاسلحة بما فيها النووية والكيميائية ، تلك المصانع التى تلوث البيئة . وتنص الكتب المقدسة على ان كافة المخلوقات القاطنة فى الارض ، خلقت بكميتها وحجمها المحدودين ، وعلى

محدودية خيرات بطون الارض والهبات على سطحها اذ انها تستنفد لدى استغلالها العبثى . يجب احترام حق كل شعب فى أن يتصرف بموجب مبدأ السيادة بمواردة الطبيعية . كما ويجب أن تؤدى العناية بالحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية ، الى اقامة الانسجام فى العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وكذلك أن تكون عاملا مساعدا اضافيا على استقرار اشد لمبادئ التعايش السلمى واستئصال الحروب الى الابد من حياة البشرية .

لقد كان المفتى ضياء الدين خان يعير اهتمامه ايضا الى القضايا المهمة الاخرى ، ومن بينها النمو السكانى والبطالة ، الخ . . لقد نبه الى خطر النظرة الى ضرورة تشديد الرقابة على الولادة كدواء عميم النفع لحل هذه القضية . وباعتقاده العميق ، فان الطريق الرئيسى المؤدى الى حلها يجب أن يمر عبر تقليص المصروفات الحربية ، وتوجيه الاموال الناجمة عنه نحو تلبية الحاجات الاجتماعية .

لقد اثار خطاب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان نقاشا حيا بين المشتركين فى مؤتمر موسكو عام ١٩٧٧ الذين اقروا فيما بعد بالاجماع ، وثيقتين ختاميتين مهمتين : «النداء الى رجال الاديان والمؤمنين بكافة الاديان فى العالم و«النداء الى حكومات جميع دول العالم» .

واشير فى الوثيقة الاولى الى ضرورة التعاون بين جميع اديان العالم ، ومع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، فى سبيل احلال سلام بدون سلاح فى المعمورة ، وانشاء المجتمع الذى سيكون السلام والعلاقات العادلة فى ظله أساسا للحياة التى يستحقها الانسان .

أما الوثيقة الثانية فتحتوى على الدعوة الى جميع الدول لكى تنشر الانفراج على جميع مناطق العالم ، ولكى يرافق الانفراج السياسى الانفراج العسكرى والاقتصادى ، ولكى يكتسب الانفراج طبيعة لارجعة فيها .

ودعا مشاركو المؤتمر الحكومات الى الامتناع عن مواصلة الابحاث الهادفة الى صنع الانواع الجديدة للاسلحة الاستراتيجية والتكتيكية الهجومية والدفاعية . ولاتزال هذه الدعوة تكتسب اهمية ملحة حتى الآن ، حيث تناضل الشعوب المحبة للسلام بحزم اكبر ضد ما يسمى بابحاث العلمية فى ميدان المبادرة الدفاعية الاستراتيجية» ، التى تعنى فى الحقيقة محاولات جنونية تبذلها الادارة الامريكية ، من اجل عسكرة الفضاء الكونى ، وتحطيم ميزان القوى العالمية القائم ، لصالحها .

مؤتمر موسكو العالمى عام ١٩٨٢

لقد كان مؤتمر رجال الاديان العالمى عام ١٩٧٧ قمة للتعاون بين الاديان ، فى مجال الدفاع عن السلام . وكان حدثا ملهما جديدا بالنسبة لملايين المؤمنين ، بما فيهم المسلمون ، وحثهم على المشاركة الاكثر نشاطا ، فى عملية نصرة السلام واحلال العدالـــــة فى العلاقات بين الشعوب . لقد استمرت وتطورت تجربته الايجابية فى ايار (مايو) عام ١٩٨٢ فى مؤتمر موسكو العالمى الجديد – «رجال الاديان فى سبيل انقاذ الهبة المقدسة ، الحياة من الكارثة النووية» .

لقد اجتمع فى هذا المحفل الدينى الدولى الجديد ٥٩٠ ممثلا عن جميع اديان العالم ، من حوالى ٩٠ بلدا . وكان المسلمون من جديد بين المشاركين الانشط لتحضير هذا المؤتمر واجرائه . كما شارك المفتى ضياء الدين خان – بالرغم من مرضه الشديد – فى هذا المؤتمر ، وكان لى شرف قراءة كلمته الترحيبية بمشاركى المؤتمر (انظر الى الجزء الثانى) . لقد كانت تلك الكلمة آخر خطاب جماهيرى له .

لقد اصبحت اعمال مؤتمر موسكو لعام ١٩٨٢ خطوة جبارة مهمة جديدة قام بها جميع الشخصيات الدينية التقدمية لعصرنا هذا ، نحو حل المهام ، التى لا يمكن تأجيلها للنضال ضد خطر اندلاع الحرب النووية الحرارية . واقر المؤتمر عددا من وثائقه الختامية : «النداء الى قادة ورعايا جميع الاديان» و«النداء الى جميع حكومات العالم» و«النداء الى الدورة الثانية الخاصة لهيئـــــة الأمم المتحدة بشأن نزع السلاح – ١٩٨٢» .

واشير فى الوثيقة الاولى الى ان مشاركى المؤتمر ، لم يجتمعوا لمناقشة الفوارق الدينية ، وليس من اجل انشاء «دين مجمع شامل جديد» بل من اجل «الانتقال من المفهوم المزيف للأمن القومى والمصالح القومية الضيقة ، الى فهم الخطر الذى يحدق الآن بالبشريـــــة والحياة نفسها» .

لقد احتلت منطقة الشرق الأوسط مكانا خاصا فى هذه الوثيقة ، بسبب كون هذه المنطقة بؤرة دائمة للنزاعات الحربية الخطيرة . وجاء فى الوثيقة «لقد حدثنا اخواننا من الشرق الاوسط ، بان الشرق الاوسط اصبح الآن «مرجلا فوارا» . وتسيل دماء لبنان وتهدد وحدته وسيادته .

تقدم الاسلحة من خارج لبنان الى بعض المجموعات . ولا تزال آلام الشعب الفلسطينى شاخصة ، اذ حرم من وطنه وحقه فى تقرير مصيره .

لقد اصبح مؤتمر موسكو عام ١٩٨٢ ، دليلا جديدا على استمرار تعزيز التعاون العالمى وتوسيعه بين الاديان فى مجال الخدمة الصالحة . واكد هذا المؤتمر ، على ان فهم ضرورة المشاركة النشيطة فى النضال من اجل الحفاظ على هبة الحياة المقدسة ، كواجب دينى ، يتعمق فى وعى اوساط دينية عريضة ، وكذلك على ضرورة الوحدة الاخوية بينهم وبين جميع الناس ذوى الارادة الطيبة . وكان ذلك انجازا كبيرا جديدا لحركة الشعوب العالمية ، فى سبيل الحفاظ على السلام ، التى يعود الدور البارز فيها ، الى مسلمى العالم المعاصر ، بما فيهم مسلمو الاتحاد السوفييتى ، ونخبتهم الرائعـــة امثال المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان المرحوم .

الباب التاسع

اليوبيل المجيد

اليوبيل السبعينى للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . الاجتماع الحافل فى صالة جلسات الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . التحيات الواردة من مجلس شئون الاديان التابع لمجلس الوزراء السوفييتى ، ومن هيئة تحرير مجلـــة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» ، ومن هيئة رئاسة اللجنة السوفييتية للتضامن مع بلدان آسيا وافريقيا ، وشهادة شرف من اللجنة السوفييتية للسلام ، ودبلوم مجلس السلام العالمى ، والتحيات الواردة من الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفييتى وسيبيريا ، من غبطة البطريرك بيمن بطريرك موسكو وسائر روسيا ، ومن الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ، وغيرها . كلمة الشكر من صاحـــب اليوبيل . اعمال الرجال العظيمة تبقى حية فى اعمال تلاميذهم واتباعهم الاوفياء .

الاحتفالات المهيبة

فى يناير ١٩٧٨ اكمل سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان سنه السبعين .

وفى ١٢ يناير (كانون الثانى) عقد فى صالة اجتماعات الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، اجتماع للاحتفال بمرور سبعين سنة على ميلاد هذا الرجل ، الذى جذب محبة الناس وامتنانهم ، وأصبح من كبار رجال المسلمين فى بلادنا . وفى ذلك اليوم المجيد ، جاء لتهنئة صاحب اليوبيـــل ، مشاهير العلماء المسلمون ، ورجال

الديانات الاخرى ، ووفود تمثل عددا من المنظمات السوفييتية الشعبية ومنها لجنة السلام السوفييتية ، ولجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ، والجمعية الاوزبكية للصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية ، وجمعية الوطن الاوزبكية للعلاقات الثقافية مع المواطنين فى الخارج ، ورصيد السلام السوفييتى ، وغيرها من المنظمات ، وكذلك المسؤلون الكبار من مجلس الاديان لدى مجلس الوزراء السوفييتى .

وافتتح الاجتماع فضيلة الشيخ يوسف خان شاكر نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان قائلا :

«ايها الضيوف الاعزاء الكرام !

لقد اجتمعنا اليوم للاحتفال بمرور ٧٠ سنة على ميلاد استاذنا البار والزعيم الدينى لجميع المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان سماحة المفتى ضياء الدين خان . ان نشاطاتـــه المتعددة النواحى والجوانب لمعروفة جيدا . فهو مجاهد متحمس ونزيه من اجل قضية الاسلام . وفضله عظيم فى مجال تطبيق الفقه الاسلامى . لقد كرس حياته وهو يجاهد فى سبيل نقاوة الدين ومن اجل ان تصل قرارة المعانى القرآنية ، وحكم السنة النبوية وغيرها باكمل قدر ، الى قلب كل مؤمن . ومما ساعد على انجاح الجهود الكبيرة والمتعددة الجوانب ، التى ظل يبذلها المفتى ضياء الدين خان ، هو بلا شك ، كون دولتنـــا السوفييتيـــة الاشتراكية الشعبية قد اتاحت لجميع المؤمنين حرية العقيدة .

ان العالم المعاصر يعرف المفتى من خدمته فى ميدان تنفيذ احد الوصايا الآلهية الاولى وهو اقامة التفاهم والصداقـــة والتعاون بين الشعوب كشرط لااستغنـــاء عنه لاحلال السلام والاستقـرار والهدؤ فى كوكبنا . وقد ساهم صاحب اليوبيل الفاضل ، بصفته عضوا فى هيئة رئاسة لجنة السلام السوفييتية ، ولجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ، بقسط عظيم فى مجال تعبئة الرأى العام العالمى بشكـــل عام ، والرأى العام الاسلامى بشكل خاص ، لمحاربة خطر نشوب الحرب .

وببذل الجهود بلا كلل ، كسب المفتى سمعة طيبة ، ونفوذا كبيرا فى العالم الاسلامى المعاصر ، وساهم فى تطوير العلاقات الودية بين الشعوب والبلدان الاسلامية عامة ، وبالدرجـــة الاولى بين المسلمين السوفييت واخوتهم فى العقيدة خارج البـــــلاد السوفييتية . وقد لقى فضل المفتى فى كل ميادين نشاطاته المثمرة والمتعددة الالوان ، تقديرا من الحكومة السوفييتية ، وكذلك حكومات الكثير من الاقطار الاخرى .

وبعد ذلك دعا الشيخ يوسف خان شاكر ، الاخ عبد الله نور الله عضو مجلس الاديان بمجلس الوزراء السوفييتى ، رئيس قسم الشئون الاسلامية ، لالقاء كلمة التحية فقال :

– ان المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان وجميع مسلمى الاتحاد السوفييتى يعيشون اليوم حدثا كبيرا وهاما . فنحن نحمل دلالات الاحترام والاكرام لواحد من ابرز الشخصيات المسلمة فى بلادنا ، وهو سماحة التى ضياء الدين خان . ولقد قدرت الحكومة السوفييتية تقديرا رفيعا افضال صاحب اليوبيل المعروف كمناضل نزيه من اجل السلم والصداقة بين الشعوب ، حين كافأته بوسام الصداقة بين الشعوب . ومن دواعى سرورى ان اشير الى انه كان اول من قلد هذا الوسام ، من بين رجال الدين فى الاتحاد السوفييتى .

وبالعمل الصالح كسب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان آيات الامتنان والاحترام من قبل اوساط الجماهير الشعبية داخل الاتحاد السوفييتى وخارجه ، على مستوى كافة اناس الارادة الطيبة فى ارجاء المعمورة . فيدوى صوته ، صوت المجاهد الحار الذى لا يقبل انصاف الحلول ، فى كل ما يخص قضايا السلم والعدالة ، وفى العديد من منابر الندوات واللقاءات الدولية المنعقدة فى مختلف انحاء الكرة الارضية ، فى موسكو والقاهرة ، وفى مكة المكرمة وطوكيو ، وفى عمان وباندونج . كما ان افضال صاحب اليوبيل كوفئت بالاوسمة الوفيعة لعدد من البلدان ، وفى عدادها المملكة الاردنية الهاشمية ، والمملكة المغربية ، ولبنان وغيرها . كما انه منح ميداليات من قبل لجنة السلام السوفييتية ، ومكافآت تذكارية وجوائز شرف من قبل عدد من المنظمات الشعبية فى بلادنا وخارجها» .

وفى الختام ، تلا السيد عبد الله نور الله نص تحية مجلس الاديان التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ، وجاء فيه ما يلى : ان مجلس الاديان التابع لمجلس الوزراء السوفييتى ، يهنئكم بمرور ٧٠ سنة على ميلادكم ، وبتقليدكم وسام الصداقة بين الشعوب وهو وسام حكومى رفيع .

اننا نتمنى لكم يا سماحة المفتى من صميم الفؤاد ، طول العمر ، وموفور الصحة ، والمزيد من الانجازات فى نشاطكم كمواطن يحب وطنه ، في سبيل الدفاع عن اركان السلام والصداقة بين الشعوب» .

وقد دوت عاصفة من تصفيق الجمهور حين سمع الخبر بتقليد المفتى مكافأة حكومية رفيعة .

وبعد ذلك اعتلى المنبر الشيخ عبد الغنى عبد الله نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، ليلقى كلمته عن حياة ونشاطات المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، فقال :

باسم الله الرحمن الرحيم ! الحمد لله الذى هدانا الى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم !

ايها العلماء الافاضل ! ايها الضيوف الكرام !

ان هذا اليوم الذى نحتفل فيه بمرور ٧٠ عاما مجيدا على ميلاد مفتينا الموقر ، جعلنا نشهد بجانب كل الشعوب السوفييتية ، مدى التقدم العظيم الذى حققته بلادنا الاتحاد السوفييتى خلال ٦٠ سنة ونيف على ميلادها . فمنذ امد غير بعيد ، فى نوفمبر عام ١٩٧٧ ، احتفل الشعب السوفييتى ، والمسلمون بضمنه ، فى جو من الحماس والابتهاج العام ، بمرور ٦٠ سنة على قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . ولكم هو مفرح ورمزى ، كون هذا اليوم الذى امتلأ بمعانى الابتهاج والانفعال فى حياة كل ابناء الشعوب السوفييتية ، قد اتفق اتفاقا مباركا بالاحتفال باباخان ، الذى أصبحت سيرة حياته قدوة ورمزا لخدمة المسلمين ومصالح الصداقة والاخوة بين شعوب وطننا العظيم المتعدد القوميات ، ومصالح السلم العالمى . انها لمباركة ، حياة صاحب اليوبيل ، الذى نقدم له اليوم دلالات الاجلال والاعزاز ، ومباركة هى السنون الخصبة حين ترعرع وقويت شخصيته رجولة ، كخادم امين للاسلام ، يدرك فى شعور ومحبة واحترام وخشوع ، معانى كلام الله تعالى ، وحكمة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم !

لقد امتاز صاحب اليوبيل الفاضل منذ سنى الطفولة والصبا بمواهب فريدة ، جعلته يؤمن ايمانا عميقا بعقيدتنا الدينية ، واظهر حرصا والحاحا شديدين فى الغوص الى ادق اعماق الشريعة الاسلامية . وهذا ما يدل عليه ما نذكره كلنا جيدا من نشاطات ، حينما كان يعمل خطيبا فى عدد من مساجد طشقند .

وفى عام ١٩٤٣ ، حين كان الجنود السوفييت يخوضون معارك باسلة فى جبهات الحرب الوطنية العظمى ، اجتمع الفقهاء المسلمون لآسيا الوسطى وقازاخستان فى اجتماعهم الواسع التمثيل ، واتخذوا قرارا مصيريا بتعبئة الطوائف الاسلامية الصغيرة والمبعثرة والضعيفة

نسبيا ، المتواجدة فى هذه المنطقة الشاسعة ، فى اسرة اسلامية واحدة وقوية ، بغية زيادة مشاركة مسلمينا فى حل المهمة العظيمة التى واجهت الشعب السوفييتى كله ، اى سحق العدو اللدود المتمثل فى النازية . وتولى الاعمال الاعدادية فى هذا المجال ، المرحوم المفتى ايشان باباخان عبد المجيد خان ، اما نصيره الوفى والمحبوب ابنه ضياء الدين خان ، فقد غدا معاونا له ويده اليمنى ، فى تحقيق هذه المبادرة المباركة .

اعلن فى المؤتمر التأسيسى لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، عن تأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . واتخذ المشاركون فى اللقاء نداء الى جميع المسلمين يدعوهم الى تجنيد كل القوى والوسائل ، للمساهمة فى سحق الجحافل الالمانية النازية التى ارادت سلب مجد وطننا المحبوب وكرامته . وقام علماء الدين برئاسة صاحب اليربيل الفاضل . مسترشدين بعواطفهم الوطنية السامية ، ببذل قصارى جهدهـــم لايقاظ الغضب والسخط والكره ، فى قلوب المسلمين بكل الطرق الممكنة ضد العدو اللدود ليحـــل يوم النصر المنشود .

جاء فى القرآن الكريم : «**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيـــم**» (سورة آل عمران ، ١٠٥) . والشيخ ضياء الدين خان الذى كان فى ذلك الشتاء الحربى القاسى قاضيا ، اظهر قدرات رائعة على التنظيم وتنسيق اعمال الطوائف الدينية المبعثرة ، وجمع شملها ضمن ملة متراصة متينة الصفوف ، وخاض صراعا عنيفا ضد الاباطيل والطائفية وتشويه طرق الاسلام الحقة من قبل البعض . وقد ألفت تحت اشرافه المباشر فتاوى عديدة حول اهم لمسائل الفقه والشرع مما ساعد على ابقاء اركان ديننا الحنيف طاهرة لا يمسها اى تحريف .

ولم يقتصر نشاط المفتى المتعدد الجوانب بحدود بلادنا . ففضله كبير فى اقامة العلاقات بين الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان والخارج . وزار شهر مايو ١٩٤٥ ادارتنا الدينية ، وفد رجال الدين من بريطانيا العظمى . وفى سنة ١٩٤٧ سافر المفتى الى مصر والمملكة العربية السعودية ، بغرض اخبار المسلمين فى الخارج عن تأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وفضح الاكاذيب اللعينة التى حاكتها الدعاية الامبريالية عما سمته بقمـــع واضطهاد الدين فى بلادنا المتعددة القوميات . واسفرت هذه الزيارات

التى استمرت ٦ اشهر عن تمهيد الطريق لتفاهم رجال الدين الاسلامى فى مختلف البلدان .

وكان المفتى ضياء الدين خان ، يرى واجب كل فقيه شريف فى العمل بدون قيد او شرط ، على الدفاع عن قضية السلام فى الفترة التى ظلت فيها القوى الامبريالية تشعل نيران «الحرب الباردة» ضد الاتحاد السوفييتى ، وقام بتعبئة صفوف جميع رجال الدين للنضال من اجل الوحدة ، وشجب المخططات الاجرامية التى دبرها مشعلو حرب عالمية جديدة . فقد اتخذ خطوات فعالة لتنسيق جهود الطوائف الاسلامية وغير الاسلامية ، فى داخل الاتحاد السوفييتى ، فى اطار النضال العام من اجل السلام ونزع السلاح .

واصبح حدثا عظيم الشأن فى حياة المؤمنين فى الكرة الارضية بأسرها ، برهن على تزايد دور المؤمنين فى الحركات التقدمية المعاصرة ، المؤتمر العالمى لرجال الدين ، الذى عقد تحت شعار «من اجل السلم الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب» فى موسكو فى شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٧٧ . وقد قدم المفتى ضياء الدين خان للمؤتمرين تقريرا اساسيا ، كان اعترافا عاما بأفضاله الشخصية الصالحة ، وتقديرا رفيعا ناله المسلمون السوفييت لقاء مشاركتهم النشيطة فى حركة السلام والصداقة بين الشعوب .

ولقد كسب المفتى بجهوده المبذولة بلا كلل ، وزنا عظيم الشأن ، واصبحت كلمته مسموعة ليس فى الدوائر الدينية وحدها ، وانما فى اوساط الرأى العام الواسعة ، فابتداء من النصف الثانى من الخمسينات ، انتخب عضوا للجنة السلام السوفييتية ، ولجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ، ومجلس السلام العالمى ، وغيرها .

والجدير بالذكر ان سنة ١٩٦٢ شهدت انعقاد مؤتمر المسلمين لعموم الاتحاد السوفييتى ، بمبادرة من سماحة المفتى ضياء الدين خان . وقد شاركه فى تولى رئاسة هذا المؤتمر رؤساء الادارات الدينية لمسلمى القسم الاوروبى فى الاتحاد السوفييتى وسيبيريا وشمال القفقاس والقفقاس . واتخذ المؤتمرون نداءا الى جميع اناس الارادة الطيبة على وجه الارض يدعوهم الى الانضمام بنشاط وبدون تردد ، الى صفوف صانعى السلام ، للذود عن حقوق الشعوب المناضلة وسيادتها ومن اجل حريتها .

وبمبادرة المفتى تم تأسيس قسم **العلاقات الخارجية للمنظمات** الاسلامية السوفييتية وانتخب فضيلة الشيخ رئيسا فخريا له .

ثم اقترح المفتى ، لكى يتمكن ممثلو اوساط الرأى العام الخارجى من الاطلاع على انجازات المسلمين السوفييت ، توجيه دعوات لزيارة الاتحاد السوفييتى الى رجال الدين البارزين امثال المفتى السورى الاسبق الشيخ ابو اليسر العابدين ، والشخصية المغربية البارزة الشيخ علال الفاسى وغيرهما الكثير . فقد ادت زيارتهم لبلادنا واطلاعهم الواسع النطاق على حياة اخوتهم فى العقيدة ، الى المزيد من اتساع العلاقات الخارجية للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . وبفضل جهود صاحب السماحة المستمرة ، بدأت مشاعر عدم الثقة بنا ، التى كانت تغرسها الدعاية الامبريالية فى اذهان الجمهور الخارجى عامة ، وفى ونفوس اخوتنا فى العقيدة خارج الحدود السوفييتية ، تتراجع وتزول ، ليحل محلها التفاهم والاتصالات الاخوية الودية .

ان صاحب اليوبيل الوقور حين يشارك فى المؤتمرات الدولية المختلفة ، ينادى على الدوام بالمثل العليا للصداقة والتفاهم بين الشعوب . فالمشاركون فى المؤتمر الاسلامى العالمى ، الذى عقد فى بغداد سنة ١٩٦٢ ، وفى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ، الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٦٣ ، وفى مؤتمر باندونج الاسلامى سنة ١٩٦٤ ، دوت تصفيقات عاصفة لكلمات المفتى . اما مندوبو مؤتمر السلام المنعقد فى اليابان سنة ١٩٦٥ قد ميزوا خطاب المفتى من بين الخطابات الاخرى ، من حيث المضمون والوزن الدولى الكبير . كما ان زيارات المفتى ضياء الدين خان للمملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية وقطر الكويت وموريتانيا ، اسفرت عن تحسن التفاهم بين شعوب بلداننا .

ومما جاء دلالة على السمعة الطيبة التى يحظى بها المفتى فى العالم الاسلامى ، والاعتراف بأفضاله العظيمة والخدمات الجليلة من اجل الاسلام فى عصرنا ، انتخابه فى سنة ١٩٧٦ الى عضوية المجلس الاعلى العالمى للمساجد الذى مقره فى مكة المكرمة . وكان ذلك انجازا عظيما لجميع مسلمى الاتحاد السوفييتى . ولا شك فى ان هذا الحدث البارز ، قد ادى دوره فى توطيد التضامن الاسلامى العام ، على اساس وحدة الاهداف والمهام المتعلقة بمحاربة الامبريالية والفاشية والصهيونية .

لقد قامت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، بعقد عدد من المؤتمرات الاسلامية العالمية الكبيرة ، بمبادرة المفتى

ضياء الدين خان وتحت اشرافه . ففى سنة ١٩٧٠ عقد مؤتمر المسلمين السوفييت ، دفاعا عن الكفاح العادل ، الذى تخوضه الشعوب ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .. وفى سنة ١٩٧٣ عقد مؤتمر المسلمين السوفييت ، دفاعا عن كفاح الشعوب العربية العادل ، ضد العدوان الاسرائيلى . وفى هذه المؤتمرات الواسعة التمثيل كانت خطابات المفتى تحتل دوما مكان الصدارة ، وتتضمن تحليـــلا مفصلا لكل دسائس الامبريالية والصهيونية ، ضد الشعوب العربية .

وفى سنة ١٩٧٤ وبمبادرة من المفتى ، عقد مؤتمر اسلامى علمى عالمى لمناسبة مرور ١٢٠٠ سنة على ميلاد العلامة البارز فى آسيـــا الوسطى «الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى» الذى يعتبر كتابه «جامع الصحيح» فى العالم الاسلامى ، الكتاب الثانى بعد القرآن الكريم . ولقد قدر علماء الدين الاسلامى خارج الاتحاد السوفييتى تقديرا رفيعا ، دور المفتى فى تهيئة مثل هذه المؤتمرات ، التى يتجاوز صداها حدود بلد واحد ، وتكتسب وزنا ودويا عالميين .

وعظيم دور المفتى ضياء الدين خان فى تطوير نشاط الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى مجال النشر . فقد تولى رئاسة هذه الادارة لمدة عشرين عاما ، واعيد طبع القرآن الكريم ٥ مرات ، مع العلم ان كل طبعة كانت تختلف عن سابقاتها من حيث الفخامة . واعيد طبع «الجامع الصحيح» و«الادب المفرد» للامام البخارى ، وصدر عدد من الالبومات والكراسات الاسلامية . وما زلنا اليوم نصدر مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» ، فقد كسبت محبة كبيرة وسمعة طيبة داخل بلادنا وخارجها .

اهتم صاحب اليوبل منذ نشوء الادارة الدينية ، بالتعاون مع والده الكريم ، المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، اهتماما خاصا ، بمسألة اعداد كوادر رجال الدين الاسلامى من نوع جديد ، يجمع كل منهم فى شخصيته الوفاء والاخلاص للاسلام ، ومعارف نظرية غزيرة والاعداد لممارسة جميع فرائض العبادة والطقوس بشكل صحيح ودقيق ، دون اى مخالفة او نقص ، من جهة ، وان يكون كل منهم انسانا متعلما ومثقفا على مستوى متطلبات الزمن ، من جهة الاخرى . ولتلبيـــة هذا الهدف ، افتتحت المدارس الدينية فى بخارى وطشقند . ويكون خريجوها اليوم اساس جهاز العاملين فى الادارة الدينية ، وفى كافة مساجد آسيا الوسطى وقازاخستان وغيرها من مناطق بلادنا المترامية الاطراف .

ان نشاط المفتى المتشعب الاغراض قد حاز غير مرة على التقدير الباهر ومكافآت الحكومة السوفييتية . فلمناسبة عيد ميلاده الستين ، منح صاحب اليوبيل وسام «الشرف» ، وكذلك الميدالية الذهبية من قبل لجنة السلام السوفييتية ، واوسمة وميداليات اخرى من قبل المنظمات الخارجية .

اما وسام «الصداقة بين الشعوب» الذى كوفئ به المفتى لمناسبة عيد ميلاده السبعين ، فقد اصبح دلالة رائعة وتأكيدا لافضاله التى رفعت منزلته فى العيون فى مجال تطوير التفاهم والتعاون بين جميع الامم والشعوب ، والعمل الصالح . وهذه المكافأة الجديدة تبعث الفرح والسرور فى قلوب المسلمين السوفييت ، واصدقاء الاتحاد السوفييتى كذلك . وبهذه الكلمات اختتم الشيخ عبد الغنى عبد الله كلمته .

وفى الاحتفال الذى اقيم بمناسبة مرور سبعين سنة على ميلاد سماحة المفتى ، الفقيه البارز والشخصية الاجتماعية المتميزة ، تليت رسالة وجهتها اليه هيئة رئاسة اللجنة السوفييتية لتضامن شعوب آسيا وافريقيا ، جاء فيها ما يلى :

«عزيزنا ضياء الدين خان بن ايشان باباخان !

ان هيئة رئاسة لجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيا تبعث لكم ، بصفتكم شخصية اجتماعية بارزة محترمة ، فى عيد ميلادكم السبعين بتهنئتها القلبية . فمشاركتكم النشيطة والمثمرة فى اعمال ابناء الشعب السوفييتى الوطنية والاممية ، ومعرفتكم العميقة لتاريخ وحضارة شعوب الشرق ، والمساهمة الكبيرة فى النضال من اجل السلام والتضامن والصداقة بين الشعوب ، وتعبئة صفوف ذوى الارادة الخيّرة ، ودعمكم للشعوب المناضلة من اجل استقلالها وحريتها والتقدم الاجتماعى ، قد اكسبتكم الاحترام داخل بلادنا وخارجها .

لقد مضت السنون وانتم يا عزيزنا ضياء الدين خان ، تنتخبون عضوا فى هيئة رئاسة لجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيا . وكافة اصدقائكم فى الحركة ، يشعرون بالارتياح والرضا العميقة من التعاون معكم .

فنتمنى لكم ياعزيزنا ضياء الدين خان ، طول العمر وموفور الصحة والمزيد من النشاط الخصب ، لصالح وطننا وقضية السلام المقدسة ، ومن اجل الصداقة بين الشعوب» .

وقد نال المفتى «شهادة شرف» من قبل لجنة السلام السوفييتية ،

ودبلوم مجلس السلام العالمى المرفق بميدالية تذكارية ، وكذلك رسالة فخرية من اللجنة الاوزبكية للتضامن مع شعوب آسيا وافريقيا .

وقد اشارت لجنة السلام الاوزبكية ، وفرع الجمهورية الاوزبكية لرصيد السلام السوفييتى فى تحيتهما لصاحب اليوبيل الى مغزى اعمال المفتى ضياء الدين خان الصالحة قائلة : ان شعبنا يرى فيكم مجاهدا مثابرا من اجل السلام والصداقة والتفاهم بين الشعوب .

وقد مضى ٢٠ عاما ونيف ، وانتم تتولون رئاسة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وتدعون الى السلام والانسانية والصداقة من على منابر الندوات الدولية الكثيرة بلا كلل . وكعضو نشيط فى لجنة السلام السوفييتية ، حظيتم باحترام عميق من قبل انصار السلام .

وانتخبكم انصار السلام عضوا فى مجلس السلام العالمى ، اما بصفتكم عضوا فى هيئة رئاسة لجنة السلام الاوزبكية ، وعضوا فى مكتب لجنة تقديم المساعدات لرصيد السلام السوفييتى فقد كنتم تدعمون الرصيد السوفييتى ماديا ومعنويا . وان الحكومة السوفييتية قد قدرت تقديرا عاليا جهودكم لصيانة السلام» .

واعتلى منبر الجلسة الاحتفالية الشيخ عبد البارى عيسايف رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفييتى وسيبيريا ، لالقاء كلمة التحية التى ذكر فيها بان يوبيل المفتى ضياء الدين خان ، حدث عظيم فى حياة المسلمين ، لان شخصيته قد جمعت مزايا الفقيه الكبير ، وسمات المناضل البارز من اجل قضية السلام والصداقة بين الشعوب . وكافة المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، وجميع ذوى الارادة الطيبة يكنون مشاعر الشكر والامتنان للحكومة السوفييتية ، التى قدرت هذا التقدير العالى لما بذله هذا العلامة كشخصية دينية واجتماعية معاصرة ، من اعمال كثيرة فى المجالات المتعددة والمتنوعة . ويعتبر تقليد زعيم المسلمين وسام الصداقة بين الشعوب ، دلالة بالغة المعنى لتساوى المواطنين السوفييت فى الحقوق ، وتكافؤ الفرص لهم فيما يخص حرية العقيدة ، واعتناق الدين فى هذا البلد المتعدد القوميات .

واستمع الحفل الكريم الى سيادة المتروبوليت يوفينالى ، رئيس قسم العلاقات الخارجية لبطريركية موسكو ، الذى القى كلمة قال فيها : من دواعى سرورنا الكبير ، ويشرفنا نحن اعضاء وفد الكنيسة الروسية

الارثوذكسية ، ان نحضر هذا الاحتفال . وانما اقول لكم بصراحة ، اننى وانا فى طريقى الى هذه الجلسة الاحتفالية كنت افكر فى هذا اليوبيل وصاحبه ، وارى فيه يوبيل انسان قريب الى جدا ، واذا حسبت سنىّ ، فأنا فى الحقيقة احضر عيد ميلاد والدى ، لاننـــى على امتداد كل هذه السنين ، التى أتعاون فيها مع المفتى الوقور ضياء الدين خان ، وقـــد احببته من صميم فؤادى . ولن انسى كيف كنا نتعاون معه ، لاعداد وعقد مؤتمر رجال الاديان العالمى من اجل صيانة السلام فى العالم . واستقبلنا بشعور من الانفعال والتحمس خبر مكافأة الحكومية الرفيعة ، التى منحت المفتى الفاضل . واننا نعتقد انها مكافأة وتشجيع لكل المؤمنين فى الاتحاد السوفييتى ، المناضلين من اجل تعزيز الصداقة والسلام بين الشعوب» .

وبعد ذلك تلا غبطة المتروبوليت يوفينالى نص رسالة بعث بها قداسة البطريرك بيمن بطريـرك موسكو وسائر روسيـــا الى صاحب اليوبيل :

«الى سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

عزيزى واخى الحبيب الفاضل !

اهنئكم من صميم فؤادى بعيد ميلادكم السبعين . ويشاطرنى هذه التهنئة ، كل من يعرفكم من اساقفة الكنيسة الروسية الارثوذكسيـــة ومؤمنيها الاتقياء . ان ربنا العظيم قد اعطاكم قدرات ضاعفتموها ونجحتم فى ذلك بكونكم رجلا ذا طاقة لا تنضب وتجمعون فى شخصيتكم صفات سامية يتحلى بها زعيم دينى عظم قدره فى النفوس ، ووطنى مهيب بارز . لقد ظللتم تتولون رئاسة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وتمارسون بنشاط وحماس التعاون الاخوى مع المنظمات الاسلامية فى مختلف البلدان ، فصرتم من كبار علماء الدين الاسلامى فى العالم المعاصر . واننا لعلى يقين بان صوتكم مسموع كتعبير عن ارادة كل الذين يعتنقون الدين الاسلامى فى الاتحاد السوفييتى .

ان المؤمنين فى بلادنا اعضاء متساوون فى الحقوق لاسرة المتعددة القوميات التى يمثلها الاتحاد السوفييتى . وهذه الاخوة تجمعنا معا فى تطلعنا نحو خير وطننا الاشتراكى العزيز . وانتم يا صاحب السماحة ، حين تبذلون جهودكم فى مجال الخدمة للوطن ، انما تضربون بذلك مثلا رائعا للحب العميق الذى تكنونه نحو الوطن .

وجهودكم الدائبة المثابرة ، ومبادراتكم القيمة الصالحة ، معروفة

فى بلادنا وخارجها . وبصفتكم مبادرا لعقد عدد من المؤتمرات الاسلامية الدولية النابعة عن فكرة ترسيخ اركان السلام بين شعوب المعمورة ، صرتم من واضعى اسس التعاون ، الذى اصبح تقليديا بين كافة الكنائس والطوائف الدينية فى الاتحاد السوفييتى ، للنضال من اجل سلم عادل ووطيد وشامل . ومن دواعى سرورى الخاص ان اشير الى ما قام بيننا من تفاهم اخوى وتعاون متين على امتداد سنين عديدة من نشاط فى هذا الميدان . وهذا امر يثير ارتياحى العميق دوما . وبهذه المناسبة اتذكر المؤتمر الثانى لرجال جميع الاديان تحت شعار ، «من اجـــل التعاون والسلام بين الشعوب» الذى عقد فى موسكو فى شهر يوليو عام ١٩٦٩ ، وكان فى انجاح هذا المؤتمر قدر غير قليل من جهودكم ومبادراتكم .

ولا شك فى ان هذا المؤتمر كان حافزا لمضاعفة النشاط من اجل احلال السلام من قبل معتنقى مختلف الديانات ، سواء اكانوا فى داخل بلادنا ام فى خارجها وصوبّها نحو بلوغ الهدف بلوغا اكيدا . اما فيما يخص مساهمتكم فى اعداد وتسيير اعمال المؤتمر العالمى «رجال الاديان من اجل السلام الوطيد ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب» الذى عقد فى موسكو فى سنة ١٩٧٧ ، فلا بد لى ان اعلن من باب العدالة ان قيمة هذه المساهمة لعظيمة جدا . لقد كنتم ولىّ امر هذا المؤتمر ، وانتخبتم عضوا فى هيئة رئاسة الشرف . وكل منا مازال حافظا فى سجل ذاكرته تقريركم القيم والبليغ المعانى الذى قدمتموه للمؤتمرين فى الجلسة العامة يوم ٦ يونيو (حزيران) .

وقد اشرتم فيه الى وجوب بروز مسؤولية رجال الاديان عـــن مستقبل البشرية ، من اليوم فصاعدا . لقد عملتم من اجل صيانة الحياة والطبيعة على الارض بالشكل الذى اعطاه اياها الخالق . وذكرتم بشكل خاص ، ان جميع الاديان كانت ومازالت تدعو الضمان الامين للوفاق والسلام والعدالة . وانعدام مثل هذه العدالة يعتبر امرا غير طبيعى من وجهة نظر الدين ، اذ ان جميع الشعوب على وجه البسيطة ، تمتلك بالتساوى الحق فى الحياة والتمتع بخيراتهـــا ، وفى كسب العلوم والمعارف ، وفى الاستقلال والسيادة وتقرير المصير .

وكانت كلمتكم مفعمة بروح التدين والايمان العميق ، ودلت على معرفتكم الدقيقة للمشاكل التى تواجه المؤتمر ، مما جعل تقريركم الى جانب خبرتكم الفريدة فى مجال العمل الصالح ، اساسا ممتازا للمناقشات المثمرة ، التى دارت فى مؤتمرنا فيما بعد . وقد اجتمعنا معكم منذ وقت

قريب جدا ، يوم ١٤ ديسمبـــــر (كانون الاول) عام ١٩٧٧ فى دير الثالوث المقدس حيث عقد اجتماع رؤساء وممثلى الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفييتى ، لمناقشة المسائل المتعلقة بالتصدى للخطر الجديد الذى خيم على السلم والامن فى اوروبا وفى العالم كله ، بسبب مشاريع انتاج القنبلة النيترونية ونشرها فى اراضى اوروبـــا الغربية . واننى مازالت تحت التأثير العميق لتعاوننا معكم فى هذا الاجتماع ومن الكلمة التى القيتموها فيه .

واشير بمنتهى الامتنان ودفء القلب الى العلاقات الاخوية الحقة القائمة بين الادارة الدينية الاسلامية التى تترأسونها ، وبين ابرشية طشقند ، مما تنعكس فيه المزايا الرفيعة التى تتحلى بها شخصيتكم .

غزيزى واخى الحبيب !

اننى آسف جدا من كون صحتى لم تسمح لى بالسفر الى طشقند ، لاشارك شخصيا فى الاحتفال بيوبيلكم المجيد . وسوف يؤكد الوفد الذى يمثل كنيستنا ، والذى يرأسه غبطة المتروبوليت يوفينالى مطران كروتيتسا وكولومنا ، ورئيس قسم العلاقات الخارجية للكنيسة الروسية الارثوذكسية ، مشاعر تلك المحبة الاخوية ، وذلك الاحترام العظيم التى نكنهما نحوكم . وسوف يجتمع فى عاصمة اوزبكستان السوفييتيـــــة للاحتفال بيوبيلكم ، كثير من العلماء المسلمين ، وممثلى المنظمـــات الشعبية فى بلادنا . ونحن نرى فى ذلك شهادة واضحة جلية ، على سمو نفوذكم مما يدفعنى الى الترحيب بكل ضيوفكم الاعزاء ، بمشاعر الابتهاج والسرور العظيمين . فمرة اخرى اعـــانقكم واشد يدكم الخيرة واسئل الرب الحنون راجيا ان ينزل لكم الخير العميم وشتى الخيرات ، ويزيد من قواكم حتى تستمر خدمتكم المثمرة المفيدة سنين عديدة وعديدة .

مع فائق الاحترام والتقدير

البطريرك بيمن ، بطريرك موسكو وسائر روسيا .

* * *

وقد قدم السيد عبد الحفيظ عمروف رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ، التهانئ لسماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان نيابة عن المؤمنين فى منطقة شمال القفقاس قائلا :

«اننى بصفتى رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ، امثل اكثر من ثلاثين قومية فى منطقتنا ، التى تعتنق غالبيتها ديننا الحنيف منذ القدم . واسمحوا لى ان انقل اليكم باسمهم جميعا ، اطيب التمنيات بالتوفيق فى اعمالكم المثمرة .

يعرف المسلمون فى منطقتنا سماحتكم كرجل دين بارز للاسلام وكشخصية اجتماعية بارزة لعصرنا . ويعرف الجميع مدى جهدكم الدؤوب ، الذى تبذلونه لخدمة كل الناس ذوى الارادة الطيبة فى المعمورة ، لما فيه خير المسلمين فى الاتحاد السوفييتى والعالم قاطبة . انكم من اصحاب الزهد والنزاهة ، ممن اعادوا الصورة الحقيقية للاسلام ، وقد تغلبتم فى هذا السبيل ، على الكثير من العوائق والحواجز ، التى اعترضت طريقكم بسبب الجهل والخرافة الناجمين – لدرجة كبيرة – عما شهدته طوائف المسلمين عندنا من تشتت وعدم وحدة بينها فى مرحلة ما قبل الثورة . انكم من اصحاب المجد الذين بذلوا طاقاتهم ومواهبهم العظيمة من اجل توحيد المسلمين جميعا فى اسرة واحدة متراصّة ، على اساس الاسترشاد بالقرآن والسنة . لقد اغنيتم ونوّرتم عقولنا فى امور كثيرة ، وفضحتم البدع والخرافات المكروهة التى

تأصلت ، للاسف ، فى اوساط العامة من الناس خلال عصور طويلة . والحمد لله تعالى الذى هداكم لهذا السبيل .

واذا اخذنا جانبا آخر من نشاطكم ، فاننا نجدكم مناضلا متحمسا فى سبيل قضية السلام ، يرفع صوته عاليا ودون كلل داعيا كل الناس الى خوض النضال من اجل السلام والصداقة بين الشعوب . لقد وقفتم دائما فى طليعة المؤيدين للشعب الفلسطينى فى نضاله العادل ، وللشعوب العربية فى نضالها التحررى المقدس ضد الامبريالية والغزاة الصهاينة . وقد كسبتم باعمالكم النبيلة مكانة عالية بين المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، بل فى العالم اجمـــع ، وكل الناس ذوى الارادة الطيبة» .

ثم تكلم الشيخ احمد جان مصطفين الامام الخطيب لجامع موسكو ، فشكر فى مستهل كلمته الترحيبية ، للفرصة المتاحة له ولجميـــع المسلمين فى مدينة موسكو ، للمشاركة فى هذا الاحتفال المهيب لكل المسلمين ، واكد على ان المسلم فى الاتحاد السوفييتى يجد كل الظروف المؤاتية لممارسة طقوس دينه الحنيف ، ولاثبات نفسه عضوا متساويا فى اسرة الشعوب والقوميات السوفييتية المتعددة ، اذ ان العلاقات الاجتماعية بين المواطنين فى بلادنا الاشتراكية ، تقوم على المبدأ القائل : ان الانسان صديق واخ ورفيق للانسان . ذلك المبدأ الذى تتفتح له قلوب كل المؤمنين . جاء فى القرآن الكريم «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**» (المائدة ، الآية ٣) . وبذلك فان ربنا سبحانه وتعالى يدعونا جميعا الى التعاون والتعاضد ، وفى ذلك اساس توطيد علاقات الاخوة بين الشعوب وتعزيزها .

وواصل كلمته يقول : ان المفتى ضياء الدين ، انجز فى حياتـــه الكثير مما يخدم المسلمين بل وكل البشر . وقد بذل جهودا جمة مـــع والده المرحوم الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان خدمة لمـــا فيه خيرنا جميعا . فتحت اشرافه صدرت عدة طبعات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية فى كتابى «صحيح البخارى» و«الادب المفرد» . وبمبادرة منه بدأ اصدار مجلة «المسلمون فى الشرق السوفييتى» التى تغطى بصورة شاملة وعميقة ، حياة المسلمين فى الاتحاد السوفييتى . كما بادر بتأسيس معهدين مخصصين لتدريس علوم الدين والشريعة فى مدينتى بخارى وطشقند .

ويعتبر المفتى ضياء الدين ، مناضلا كبيرا من اجل السلام وتوطيد

اواصر الصداقة بين الشعوب ، حيث ينفذ بذلك وصية من وصايا خالقنا الكريم . وقد بادر يعقد عددا من مؤتمرات السلام فى بلادنا ، كما ساهم فى اعمال كل مؤتمرات السلام الاسلامية الكبيرة فى الخارج ، بما فى ذلك المؤتمر الاسلامى فى بغداد (عام ١٩٦٢ م) ، والمؤتمر الاسلامى لعلماء اندونيسيا بمدينة باندونغ (عام ١٩٦٤ م) والمؤتمر الاسلامى بالقاهرة (عام ١٩٦٨) ، ومؤتمر رسالة المساجد ، الذى عقد بمكة المكرمة (عام ١٩٧٥ م) ، وعدد كبير آخر من المؤتمرات ..

ثم القى الاستاذ واحد زاهدوف عضو اكاديمية العلوم فى اوزبكستان ، كلمة تهنئة حارة وقلبية ، اكد فيها على اهمية سياسة السلام التى تنهجها حكومة الاتحاد السوفييتى بالنسبة لمصائر البشرية جمعاء ، وسعى الحكومة السوفييتية النبيل ، نحو توسيع العلاقات الثقافية وتعزيزها مع ابناء البلد القاطنين فى دول اخرى . وبفضل الدعم الشامل من قبل الحكومة ، تم تأسيس جمعية «الوطن» ، وجمعيات اخرى مماثلة ، تعمل على ان يجد مواطنى البلد الواحد بعضهم البعض والتعاون بينهم فى مجال الخير والاحسان . وقد تم انتخاب المفتى المحترم عضوا فى هيئة رئاسة جمعية «الوطن» ، وهو يعتبر انشط اعضائها واطيبهم وارفعهم مكانة .

كما اشار البروفسور واحد زاهدوف ، ان غبطة البطريرك بيمن ، بعث برسالة تهنئة الى المفتى ضياء الدين‌خان ، تتضمن اعلى تقدير له ليس باعتباره زعيما سياسيا كبيرا فحسب ، بل وكذلك بصفته واحدا من انشط الشخصيات الاجتماعية فى عصرنا هذا . ولمثل هذا التقدير المزدوج ، دلالة خاصة ، ومغزى خاص بالنسبة الى العصر الذى نعيش فيه ، اذ ان اليوم يستطيع ان يصبح زعيما دينيا ذا مكانة وسمعة حقيقيتين ، من لايحصر جهده فى اطار دينى بحت ، ويشغل موقفا فعالا وصريحا فى صفوف المناضلين من اجل حل قضايا الحياة كلها ، بطرق سلمية ، ومن اجل صيانة ومضاعفة كل ما وهبه الخالق للانسان ، وقد رفعه فوق سائر المخلوقات ، وبذلك حمله اعلى مسئولية امامه . ان السلام اعظم هبة من الله . انه اول واهم دعائم الحياة ذاتها ، والمستقبل الوضاء لاطفالنا الاحباء ولجميع الاجيال القادمة . وليس هناك قضية اسمى من قضية الذود عن السلام والطمأنينة وأمن الشعوب . وتشكل مساهمة الشخصيات الدينية البارزة ، امثال المفتى ضياء الدين خان فى هذه القضية ضمانات نجاحها .

وبشعور من الهمة والحماس ، اصغى الحاضرون فى الحفل ، الى كلمة الشكر التى القاها سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . فقد قال وهو متأثر بعواطفه :

«ايها الاخوة الاعزاء ، ارجوكم جميعا قبل ان ابدأ كلمتى علينا ان نقرأ القرآن الكريم ، على روح والدى المرحوم ، الذى اسس الادارة الدينية ، وشيد مساجد حديثة رائعة ، ومدارس دينية ، وانجز كثيرا من الاعمال الخيرة الاخرى ، والذى كان مربيا لنا . كما اريد ان نقرأ القرآن على روح والدتى المعتنية ، التى استطاعت رغم مشاق الحياة ، ان تقوم بتربيتنا وهى تكرس نفسها للعائلة والاطفال . واخيرا اريد ان نقرأ القرآن لارواح المؤسسين الآخرين لادارتنا الدينية ، والائمة والقضاة من جمهوريات آسيا الوسطى وقازاخستان .

ايها العلماء ورجال الدولة واساتذة المدارس الدينية المحترمون . ايها الطلبة والاصدقاء الاعزاء . اسمحوا لى قبل كل شىء ، ان اتقدم بالشكر من صميم قلبى ، على هذا التقدير العالى لما بذلته من جهد ، وعلى منحى وسام الصداقة بين الشعوب . اتوجه بالشكر الجزيل الى الحكومة السوفييتية ، واعتبر هذا الوسام مكافأة لجميع المسلمين فى وطننا العزيز ، ودليل تقدير لائق لمساهمتهم التى يقومون بها الى جانب كل شعوب بلادنا المتعددة القوميات ، من اجل بناء مستقبلنا المشترك الوضاء ، وفى سبيل تعزيز قضية السلام الشامل فى كوكبنا .

ان السوفييت مهما كانت معتقداتهم الدينية وانتماءاتهم العرقية ، انما هم اخوان يعيشون فى ظل الصداقة التى لا تنفصم عراها ، واننى لعلى يقين ان ربنا سبحانه وتعالى ، سيشد ابدا عضد هذه الدولة ، التى توفر كل الظروف لهذه الصداقة وهذا التعاون وهذا التعاضد .

وتساعدنا فى اعمالنا بهدف توسيع العلاقات الدولية مع اخواننا فى الدين ، الادارات الدينية الثلاث الاخرى فى القسم الاوربى من الاتحاد السوفييتى وسيبيريا وشمال القفقاس والقفقاس .

وباعتبارى عضوا فى لجنة الدفاع عن السلام ولجنة تضامن بلدان آسيا وافريقيا وهيئة رئاسة اتحاد جمعيات الصداقة والعلاقة الثقافية مع البلدان الاجنبية ، وجمعية «الوطن» فى جمهورية اوزبكستان وغيرها من المنظمات ، اساهم فى اعمالنا المشتركة بهدف اطلاع الرأى العام على فعاليات هذه المنظمات ، التى ترمى الى صيانة السلام والصداقة بين الشعوب ، والتوصل الى تفاهم اعمق بينها ، وازالة الصور المشوهة

والمشوشة لوطننا العظيم ، التى كانت ولا تزال الدعايات الامبريالية والعنصرية والصهيونية الخبيثة تبثها فى الخارج . وهنا اوجه كلمة شكرى وامتنانى لرؤساء المنظمات المذكورة ، على ما يقدمونه لى من دعم ومساعدة دائمين ، ومبادرتهم امام الحكومة السوفييتية باقتراح منحى وسام الصداقة بين الشعوب . واننى لاعتز وافتخر بهذه العناية وهذا الشرف .

لقد ترعرعت وتربيت فى بيت والدى الغالى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان . وكنت الى جانبه ، انا وشقيقى ناصر خان ، فى عام ١٩٤٩ ، عندما انتخب عضوا فى لجنة الدفاع عن السلام ، وكنا نتعلم منه هذا الفن المعقد ، الا وهو النشاط الاجتماعى . وبدون النشاط الاجتماعى ، يبقى عمل الرجل ايا كان دينه ، غير كامل ، وغير مؤات لتلك الرسالة الخاصة بتوجيه الناس التى كلّفنا بها الله تعالى . وبعد وفاة والدى ، قمت بمواصلة قضيته . وان شكرى له لا يعادله شكر على ما اخذت عنه من دروس عظيمة .

يرتفع مستوى نشاطنا الدينى والاجتماعى من يوم لآخر ، وتتوطد علاقاتنا الخارجية الواسعة مع اخواننا فى الدين ، ومن كل الناس ذوى الارادة الطيبة ، وكل من يرغب فى اقامة علاقات الصداقة والتعاون معنا . وفى هذا المجال ، نستفيد من النتائج المثمرة التى تترتب على العلاقات الودية بيننا وبين غبطة البطريرك بيمن بطريرك موسكو وسائر روسيا . وكثيرا ما نشارك مع صاحب الغبطة ، فى بحث الحّ قضايا عصرنا . وان غبطته بعث للاشتراك فى هذا اليوبيل بمساعده ، وهو سيادة المطران يوفينالى رئيس دائرة العلاقات الخارجية ، الذى وجه الىّ كثيرا من العبارات الحارة ، واننى لشاكر له . ويمثل هنا سيادة المطران هو ومرافقه ، النبى عيسى (عليه السلام) الذى كما هو معروف كان دائما يدعو الناس للسلام والاخوة والمحبة .

ايها الاصدقاء الاعزاء ! اتوجه بالشكر الجزيل الى كل من عبر لى عن المشاعر القلبية الحارة ، لمناسبة العيد السبعين لميلادى . اتمنى لكم جميعا موفور الصحة والسعادة ، والتوفيق فى عملكم المثمر لما فيه خير وطننا وشعبنا .

ان تقليدى وسام الصداقة بين الشعوب يدعونى ويشجعنى للمزيد من الجهد والعمل . وليصبح وطننا اجمل ، ولترق حياة شعبنا .

يشهد الشعب السوفييتى فى الوقت الحاضر تحقيق انتصارات

جديدة فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى . وقد تـــم فى عام ١٩٧٧ المنصرم ، اقرار الدستور الجديد للاتحاد السوفييتى ، وهو اعظـــم الدساتير فى العالم واكثرها ديموقراطية . وهو يتضمن كل الحقوق الاساسية للانسان ، ويضمن حرية الضمير . وان احتفالنا هذا لاسطع دليل على صحة هذا القول .

اتمنى لكل المؤمنين بالله ، ولكل الناس ذوى الارادة الطيبـــة دوام الصحة والنجاح .

ندعو الله تعالى ، ان ينزل السلام والسعادة لكل الشعوب عـلى الارض .

لقد اصبحت الاحتفالات بمناسبة العيد السبعين لميلاد المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، حدثا لا ينسى فى حياة جميع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى . وقد عرضت امام العالم الاسلامى باسره ، مدى ازدياد النشاط الدينى والسلمى للادارة الدينية لمسلمى آسيـــا الوسطى وقازاخستان وارتقاء مكانة واحد من اكبر مؤسسيها ، وهـو المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، الذى اسهم بقسط لا يقدر بثمن ، فى رص صفوف المسلمين ، على اساس اسمى مثل السلام ، وحسن الجوار والصداقة بين الشعوب .

وقد تمت الاحتفالات بعيد الميلاد المجيد ، فى عشية حلول القرن الخامس عشر الهجرى ، ذلك الحدث العظيم بالنسبة للمسلمين الذى كان سماحته ، كسائر المؤمنين ، يتطلع اليه بسعادة وامل . فاصبح هذا الحدث كما – سبق واشرنا – دافعا جديدا وعاملا ملهما يشجع المسلمين لتنشيط دورهم الايجابى فى اهم مجالات حياة البشرية المعاصرة ، وقبل كل شىء ، فى الحركة الجماعية من اجل السلام . وبمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى ، عقد مسلمو الاتحاد السوفييتى مؤتمرا دوليـا فى سبتمبر (ايلول) عام ١٩٨٠ بطشقند ، شعاره «يجب ان يغدو القرن الخامس عشر الهجرى ، قرن السلام والصداقة بين الشعوب» (انظر الباب ٧) ، كما ساهموا بنشاط فى اعداد اعمال المؤتمر العالمى بموسكو عام ١٩٨٢ تحت شعار «رجال الدين من اجل انقاذ الحياة الهبة المقدسة من الكارثة النووية» (انظر الباب ٩) .

لقد اصبح مؤتمر موسكو العالمى لرجال الدين فى عام ١٩٨٢ ، المنبر العالمى الرفيع الاخير ، الذى صدحت منه كلمة المفتى ضيـاء الدين خان بن ايشان باباخان ، الخادم الوفى والمخلص لمثل الحق

والخير والسلام . فتوفاه الله بعد المؤتمر بفترة قصيرة فى يوم ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٢ ، غير ان قضيته لم تمت معه ، فهى تعيش فى تلاميذه الكثيرين ، وفى كل الناس ذوى الارادة الطيبة .

ان المسلمين السوفييت اذ يقتدون قدوة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى النشاط والاجتهاد يصونون التقاليد التى ارساها هذا المعلم البارز ، ويطورون ويعمقون تراثه الدين الغنى ويوسعون سبل السلام والصداقة مع الشعوب الاخرى ، تلك السبل التى مهدها المفتى ضياء الدين خان ، ويستمرون كما كان عليه وهو على قيد الحياة ، فى المشاركة بانشط الصور ، فى عدد كبير من المؤتمرات الدولية التى تبحث الحّ قضايا هذا العصر .

وقد كان لكاتب هذه السطور شرف المشاركة بصفته خليفا للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، فى اعمال اجتماع مجلس السلام العالمى فى مدينة براغ تحت شعار «من اجل السلم والحياة ، ضد الحرب النووية» ، وكذلك فى اعمال مؤتمر تضامن بلدان آسيا وافريقيا الذى عقد عام ١٩٨٤ فى الجزائر ، ثم فى مؤتمر انصار السلام لعموم الاتحاد السوفييتى المنعقد بموسكو عام ١٩٨٥ .

وقد تضمن جدول اعمال المؤتمر الاخير ، تقرير اللجنة السوفييتية للدفاع عن السلام ، وكلمات المندوبين والضيوف ، وانتخاب اللجنة الجديدة . وحضر المؤتمر السيد روميش تشاندرا رئيس مجلس السلام العالمى ، وضيوف يمثلون اكثر من ٢٠ لجنة وطنية معادية للحرب فى مختلف دول العالم .

واكد التقرير ان المواطنين السوفييت ، سجلوا كثيرا من الصفحات الرائعة فى سجل نضالهم من اجل السلام ، ولابد من الاشارة الى تزايد عدد المشاركين فى التظاهرات الجماهيرية ، التى قام بها السوفييت بما فى ذلك المسلمون ضد الحرب . وقد اصبح انتخاب المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان عضوا فى اللجنة السوفييتية للدفاع عن السلام ، تجسيدا لاعتراف الاوساط الاجتماعية بالدور المتزايد للمسلمين فى قضية حماية السلام .

وقد ساهم نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان الشيخ يوسف خان شاكر فى اعمال المؤتمر الدولى ، الذى عقد فى دلهى عام ١٩٨٢ تحت شعار «فى سبيل السلام والامن فى آسيا وفى منطقة المحيط الهادئ» ، اما فى عام ١٩٨٣ ، فمثل المسلمين

السوفييت فى اللقاء التمهيدى لجمعية فانكوفر ، وفى اغسطس (آب) نفس هذا العام ، حضر جلسات الجمعية العامة السادسة لمجلس الكنائس العالمى بفانكوفر (كندا) . وفى عام ١٩٨٣ شارك المفتى طلعت تاج الدين رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفييتى وسيبيريا ، فى اعمال الندوة الدورية السنوية «الفكر الاسلامى» المنعقدة فى الجزائر . وفى عام ١٩٨٤ كان المفتى محمود حقى ضيفا حضر جلسات مجلس الكنائس العالمى المنعقد فى براغ . وفى عام ١٩٨٥ شارك شيخ الاسلام الله شكر باشا زاده رئيس الادارة الدينية فى القفقاس فى «ايام آذربيجان» بالمانيا الاتحادية .

ومما يثير قلقنا الخاص اليوم ، المخططات الاجرامية الجنونية ، الرامية الى نشر سباق التسلح فى الفضاء الكونى ، ونشر الاسلحة النووية هناك . وقد اكد النداء الذى وجهته هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى الى المشتركين فى دورة المجلس (عام ١٩٨٥) ، على ان نشر السلاح الهجومى فى الفضاء ، ليس بمشروع المستقبل البعيد انما هو خطر يهددنا الآن . اما الادعاءات حول الطابع الدفاعى لهذا المشروع ، فيجب الا تضلل احدا . ان الولايات المتحدة الامريكية تنوى تغطية نفسها «بدرع كونى» وفرض حالة الهلع على كل العالم ، واملاء ارادتها على الشعوب . غير ان غدر من يسعى لاشعال حرب نووية حرارية ، يبدو بشكل اوضح فاوضح امام ذوى الارادة الطيبة ، بصرف النظر عن معتقداتهم الفكرية والسياسية والدينية . ومن واجبهم اليوم ، ان يوحدوا جهودهم دون اى تأجيل ، فى النضال من اجل حماية الحياة بالذات ، التى هى الهبة المقدسة من خالقنا . ومن المعروف جيدا ان القوى الفاشية ، استطاعت شن الحرب العالمية الثانية التى اودت بحياة خمسين مليونا من البشر ، لسبب ان قوى السلام والقوى المعادية للفاشية وللحرب ، لم تتمكن من توحيد صفوفها فى الوقت اللازم . ومن هنا ، لا بد من ان نستخلص العبر التى لايمكن نسيانها او تجاهلها باى شكل من الاشكال .

ومع الاسف ، لم يتيسر لكل القوى المعادية للحرب ، ان تلتف حول اهداف وبرامج واضحة فى سبيل درء الخطر النووى . اما مشعلو الحروب ، الذين لايزالون يجنون ارباحا طائلة من انتاج الاسلحة الفتاكة ، فيبذلون كل ما فى وسعهم لدق اسفين وزرع البلبلة بين الشعوب المحبة للسلم ، وبين مختلف فصائل حركة التحرر الوطنى . ومما يثير فينا قلقا

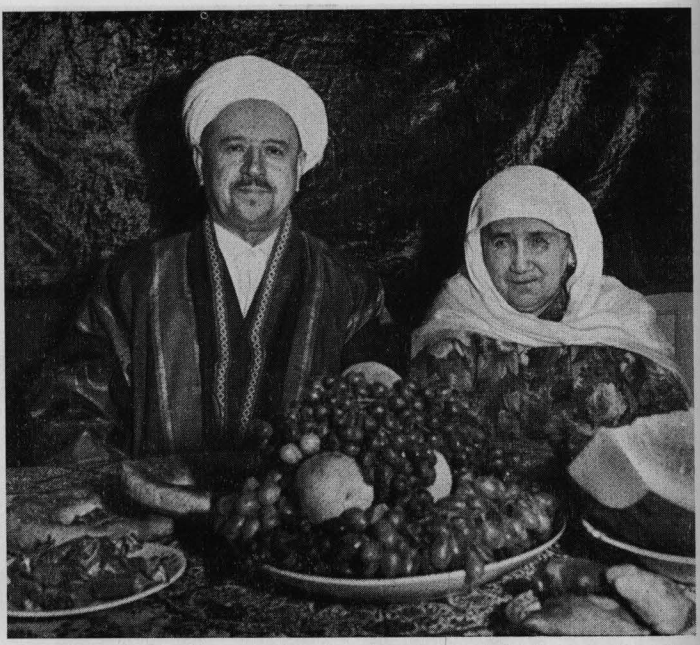

سماحة المفتى مع والدته سلامت خان

مؤسس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان واول رئيس لهـــا ، المغفورله المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان يتوجه الى المسلمين السوفييت بنداء السلام ، والى يساره ابنه ضياء الدين سنة ١٩٥٢

الدكتور سيف الدين كيتجلو عضو مجلس السلم العالمى ، رئيس اللجنة الهندية للدفاع عن السلام فى ضيافة المفتى ايشان باباخان سنة ١٩٥٢

القاضى ضياء الدين خان عضو هيئة رئاسة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، بين طلاب مدرسه «مير عرب» (بخارى) سنة ١٩٥١

المغفور له المفتى ايشان باباخان بر عبد المجيد خان مع هيوم جونسوك الشخصية الاجتماعية المسيحيـــة الانجليزية ، رئيس جمعية الصداقة «انجلترا – الاتحاد السوفييتى» سنة ١٩٤٦

ضيوف اجانب يتعرفون على المخططات التى اهداها ايشان باباخان لمكتبة الادارة الدينية سنة ١٩٥٤

السيدة اليانورا روزفلت ارملة الرئيس الامريكى السابق فرانكلين روزفلت فى اثناء زيارتها للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان سنة ١٩٥٧

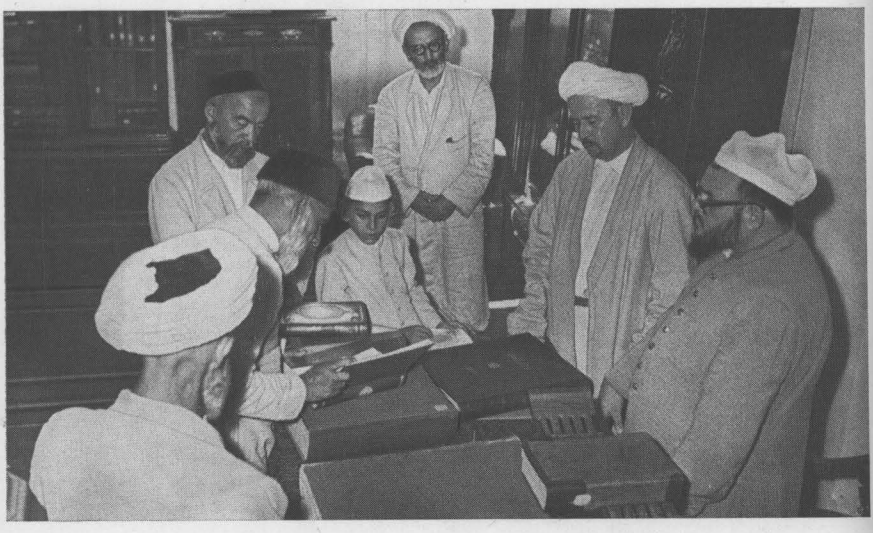

حديث سماحة المفتى ضياء الدين خان مع طلاب مدرسة برقخان فى طشقند عام ١٩٥٧

مفتى الهند عتيق الرحمن عثمانى (الثانى من اليسار) مع الضيوف الهنود وسماحـــة المفتى ضياء الدين خان يتعرفون على طبعة جديدة للقرآن الكريم المطبوع فى طشقند عام ١٩٦٣

يفتتح ممؤتمر «الامام البخارى والعصر الحديث» فى سمرقند عام ١٩٧٤

مؤتمر طشقند الاسلامـــى الدولى : «القرن ١٥ الهجرى يجب ان يكون قرن السلام والصداقة» عام ١٩٨٠

الوفد الاسلامى برئاسة المفتى الاكبر بجمهورية سوريا احمد كفتارو فى مكتبة الادارة الدينية فى طشقند عام ١٩٧٤ .

مصافحة ودية بين سماحة المفتى ووزير الاقاف المغرب السيد احمد بركش
سماحة المفتى مع وفد المسلمين من توغو برئاسة الوزير محمد بن حسين ، فى الادارة الدينية فى طشقند عام ١٩٦٣

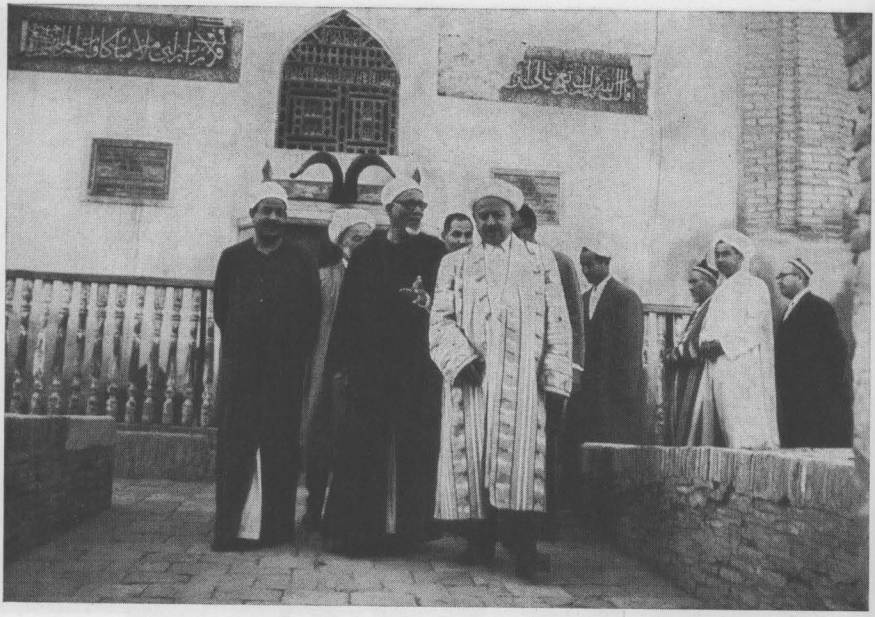

وفد رجال الدين المصريين برئاسة الدكتور محمد الفحام فى زيارة لضريح الامام القفال الشاشى فى طشقند عام ١٩٧٠

سماحة المفتى ضياء الدين خان يستقبل وفد علماء الدين المصريين برئاسة شيخ الازهر الدكتور محمد الفحام فى سمرقند عام ١٩٧٠

سماحة المفتى مع بعض المشاركين فى المؤتمر العالمى «رجال الدين من اجل سلم وطيـــد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب» موسكو ، عام ١٩٧٧

سماحة المفتى يعرف الضيوف الاجانب بمصحف عثمان ، فى متحف التاريخ فى طشقند ، عام ١٩٧٦

ساحة المفتى يلقى خطبة فى مسجد موسكو امام الضيوف الاجانب .

سماحة المفتى ضياء الدين خان مع انصار السلام السوفييت ، عام ١٩٧٤
السيد محمد محمد الخطيب وزير الاوقاف السورى يهنئ سماحة المفتى ضياء الدين خان بنجاح اختتام مؤتمر طشقند الاسلامى : «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب» عام ١٩٨٠

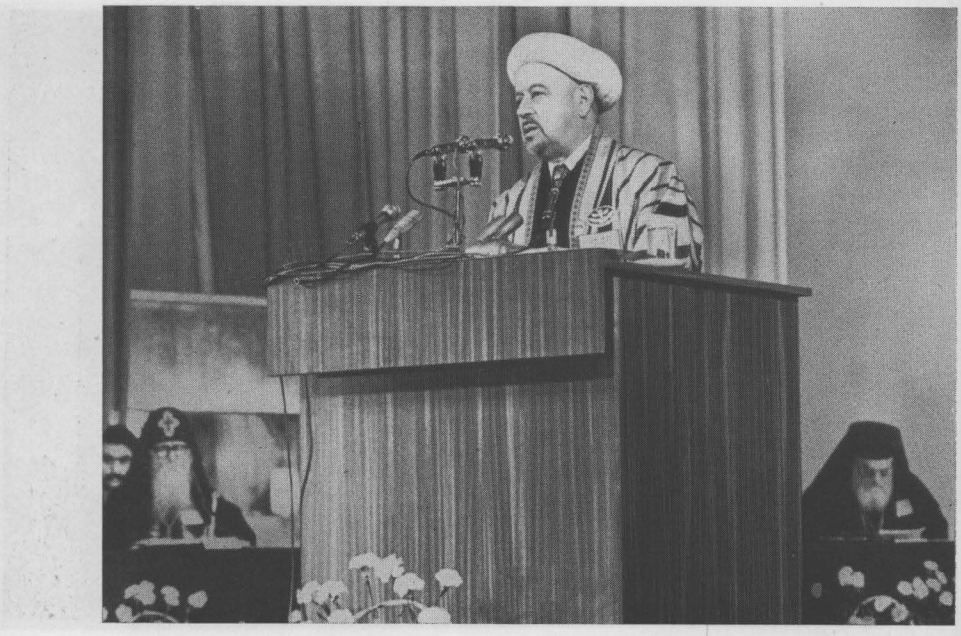

سماحة المفتى فى مؤتمر «رجال الدين من اجل السلام ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب» موسكو ، عام ١٩٧٧

سماحة المفتى مع مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، عام ١٩٧٤

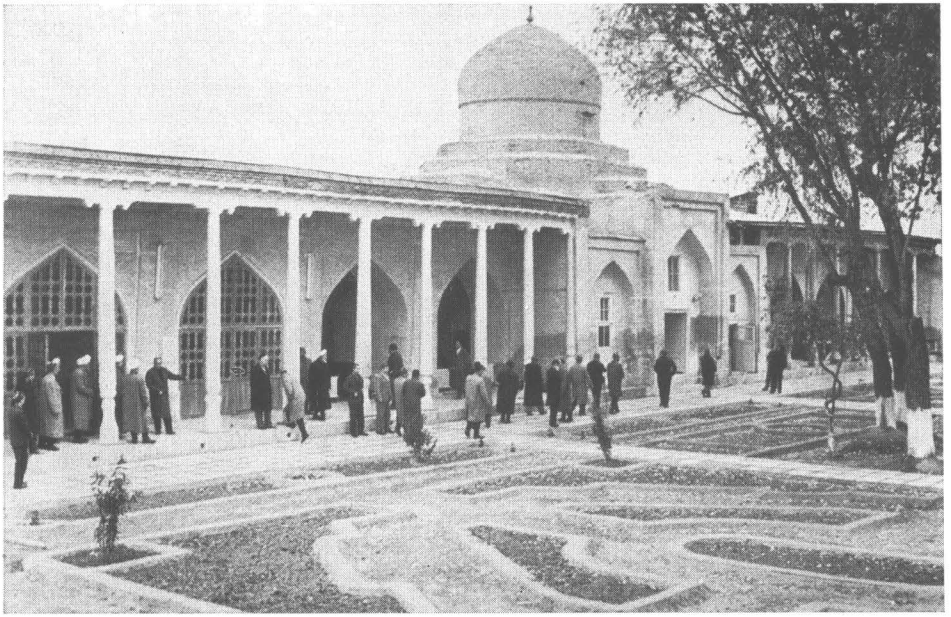

طشقند . معهد الامام البخارى .

سماحة المفتى مع ضيوف من البلدان الاسلامية فى المعهد الاسلامى فى طشقند عام ١٩٧٧

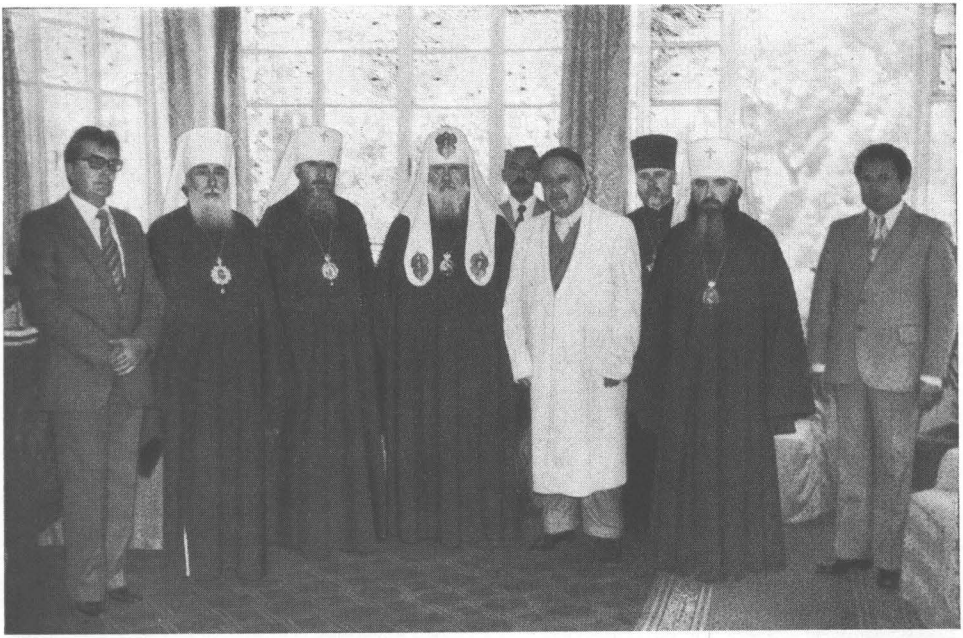

سماحة المفتى مع قادة الكنيسة الارثوذوكسية فى موسكو برئاسة البطريك بيمين بطريك موسكو **وسائر** روسيا ، عام ١٩٧٧

حديث ودى بين سماحة المفتى وضيفه سماحة مفتى لبنان الشيخ حسن خالد ، عام ١٩٧٧

سماحة المفتى فى ضيافة الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٧٨

وفد المسلمين الفنلنديين مع سماحة المفتى ضياء الدين خان فى سمرقند سنة ١٩٧٥

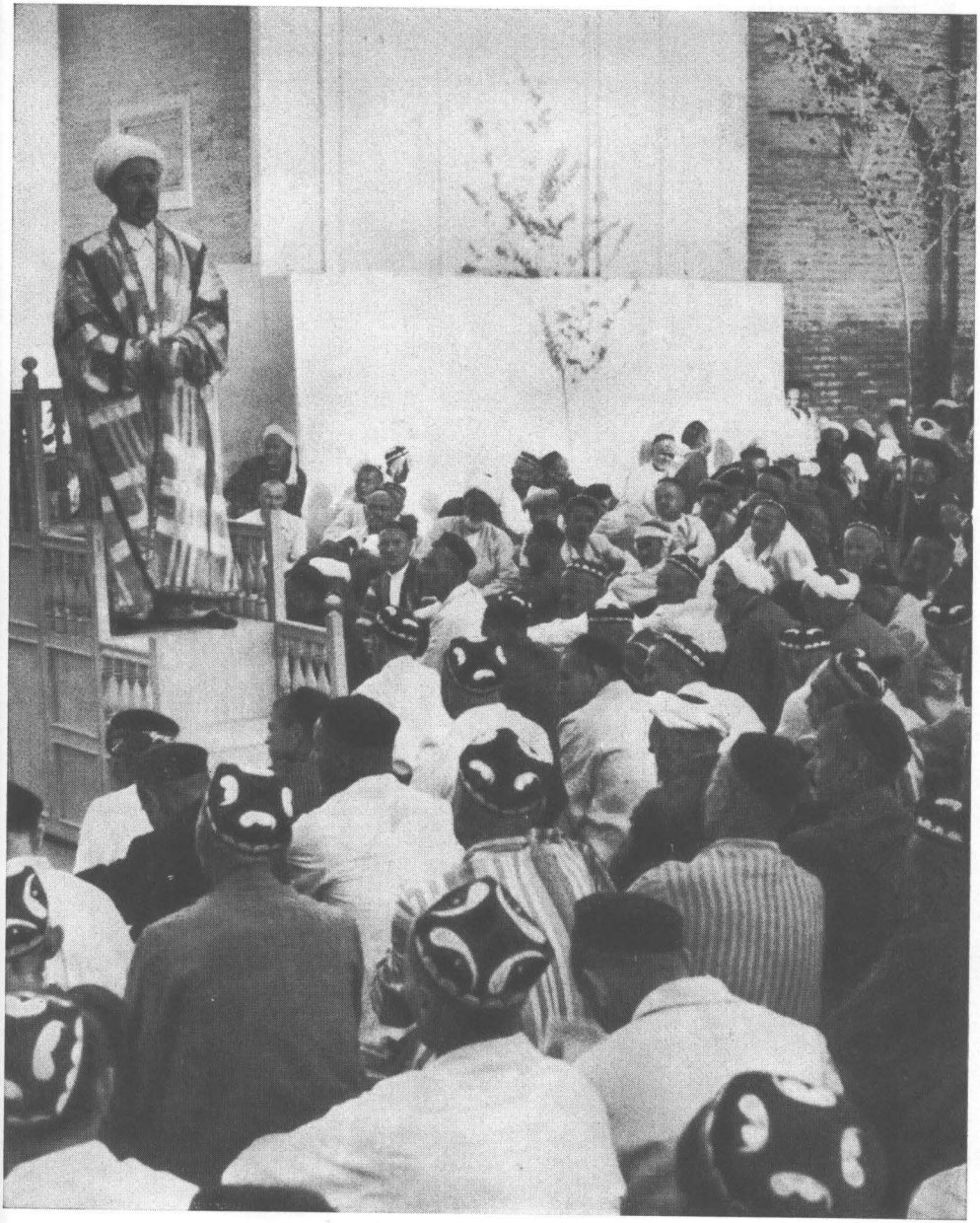

خطبة العيد فى مسجد «ظلا شيخ» فى طشقند ، عام ١٩٧٠

سماحة المفتى يلقى خطبة فى مسجد «زين الدين» فى طشقند عام ١٩٧٤

سماحة المفتى يعقد القران فى مسجد الامام البخارى فى محافظة سمرقند عام ١٩٧٦

سماحة المفتى بين نشطاء اللجنة الاوزبكية للدفاع عن السلام ، عام ١٩٧٢

سماحته فى اثناء منحه «وسام الشرف» لمناسبة بلوغه الستين من العمر

الدكتور شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان مدير المعهد الاسلامى فى طشقند ، عضو هيئةرئاسةالادارة الدينية فى حفل تخرج دفعة من طلاب المعهد سنة ١٩٧٩

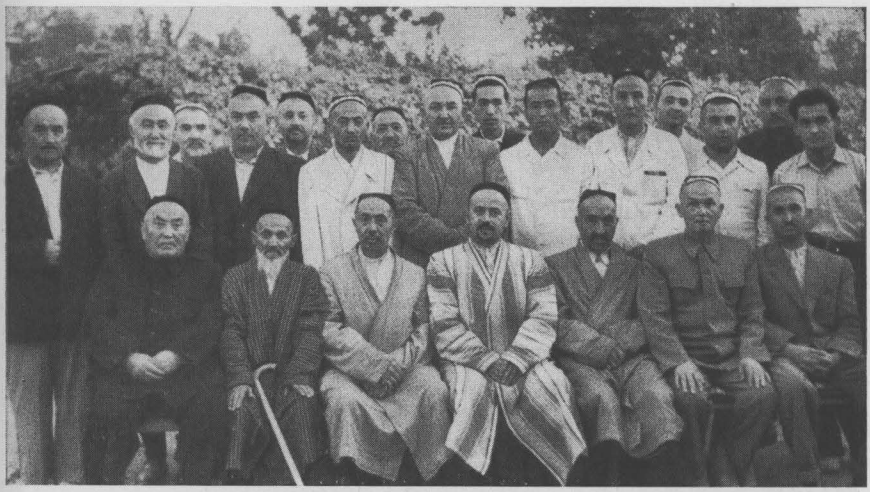

سماحـــة المفتى ضياء الدين خان بين
اصدقائه عام ١٩٦٠

مع حفيدته

خاصا ، كون الامبريالية تنجح حتى فى زرع الخلاف والانشقاق بين البلدان والشعوب الاسلامية ، وتحريفى بعضها على البعض ، حيث يبلغ الامر احيانا الى النزاعات المسلحة والحروب الدامية المزمنة .

ان المسلمين فى الاتحاد السوفييتى – شأنهم شأن كل الشعب السوفييتى – استوعبوا دروس التاريخ المأساوية ، ولن تخدعهم الدعايات الامبريالية مهما تفننت فى اساليبها . وهم يدعون اخوانهم فى الدين ، فى كل العالم الى اقصى حد من اليقظة ، والى تبادل خبرات التصدى لهذا العدو الشرس المشترك . ومن اكثر الطرق فعالية المؤدية الى حل هذه القضية البالغة الاهمية ، اقامة اوسع العلاقات المتعددة الاشكال والصلات الشخصية . وقد قامت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان وهى تعى هذه القضية كل الوعى بتحقيق عملية التبادل النشيط للاداء مع المؤمنين فى الخارج ومع كل الناس ذوى الارادة الطيبة فى مختلف دول العالم .

تستقبل مدينة طشقند وغيرها من مدن جمهوريتنا عشرات الالوف من السياح سنويا . والكثير منهم يزوروننا فى الادارة الدينية ويهتمون بحياة المسلمين السوفييت ، وبوضع الاديان بشكل عام فى بلادنا المتعددة القوميات . ويوجهون الينا اسئلة عديدة حول اعداد رجال الدين عندنا ، وحول ما يجرى فى المساجد ، وحول نظام نشر الكتب الدينية . ونحن نجيب عن كل هذه الاسئلة بصراحة واسهاب . ونتيجة ذلك نجد الكثرين من الضيوف الاجانب قد غيروا تصوراتهم المشوهة ، حول حياة المسلمين السوفييت ، مما يؤدى فى نهاية المطاف ، الى تعزيز اسس التفاهم والعلاقات الودية بين الشعوب .

ومن جهة اخرى يقوم المؤمنون فى بلادنا ، بزيارات كثيرة للدول الاجنبية ، حيث يعقدون لقاءات مع اخوانهم فى الدين ورجال الدين والشخصيات الاجتماعية ، ويزورون المساجد والمراكز الاسلامية ، ويتحدثون هناك حول حياتهم . وهذه الزيارات تخدم هى الاخرى ، قضية السلام والتفاهم والاحترام المتبادل والتعاون بين الناس .

وليس سرا على احد ، ان قضية السلام بحاجة الى الدعم المادى . فان المسلمين السوفييت ، وهم يتفهمون هذه الحقيقة ، يتبرعون بسخاء الى صندوق السلام السوفييتى . لقد دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، الى ان يعيش الناس فى ظل السلام والوفاق وحسن الجوار . وصندوق السلام يخدم هذه الاهداف النبيلة بالذات ،

لذلك ليس صدفة ان معتنقى الدين الاسلامى فى بلادنا ، يساهمون بقسط ملحوظ فيه ، حيث ان المنظمات الاسلامية والافراد من المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاخستان ، تبرعوا لصندوق السلام بما يزيد على مليون ونصف المليون روبل ، خلال السنوات الثلاث الاخيرة وحدها .

ونحن المسلمين السوفييت ، نعى بكل وضوح ، ان مساهمتنا هذه فى صندوق السلام السوفييتى ، ستدعم اخواننا فى لبنان الذى يتألم ويتعذب كثيرا ، والشعب الفلسطينى ، الذى شرد من ارض اجداده ، والفلاحين فى اثيوبيا ، الذين تعرضوا للجفاف وغيرهم الكثيرين ممن بحاجة ماسة الى هذا الدعم ، والتأييد والتعاطف . ولذلك نعتبر واجبا مقدسا علينا ، ان نساهم بكل الوسائل فى نشاط صندوق السلام السوفييتى ، المدعو لاداء دوره فى انقاذ هبة الله المقدسة الا وهى الحياة على وجه الارض . جاء فى القرآن الكريم «**ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها**» (سورة الاعراف ، الآية ٥٦) . ان هذا النداء من ربنا تعالى ، يكتسب اهمية خاصة فى ايامنا هذه حيث نواجه الخطر الفعلى لشن حرب نووية – من شأنها ان تقضى على البشرية باسرها . ولهذا السبب بالذات يشهد العالم كله اتساع حركات السلام فى سبيل درء سباق التسلح ، وتجميد المخزونات النووية ، وتقليصها ثم تصفيتها نهائيا . ويعود للمسلمين فى الاتحاد السوفييتى دور ملحوظ فى حركة القوى المحبة للسلام . ويتجسد هذا الدور مثلا ، فى مشاركة المسلمين بنشاط فى كل التظاهرات واللقاءات السلمية العالمية ، وسعيهم باستمرار لتوطيد الصلات والعلاقات المباشرة مع اخوانهم فى الدين وكل الناس ذوى الارادة الطيبة ، وتبرعاتهم السخية فى صندوق السلام . وفى مواعظنا نوحى للمؤمنين عندنا ، انه لا يحق لاحد اليوم ، ان يقف موقفا حياديا وسط الصراع بين قوى الشر وقوى الخير ، وان يبقى لا مباليا امام الانتهاك الماكر الذى يلهمنا الله تعالى بان نكافحه طبقا لتعاليم ديننا الحنيف . وهو يحذرنا بقوله : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» . وبمشاركتنا فى هذه اللقاءات المهمة ، ننفذ هذه الوصية المقدسة ، ونحن نستمد الخبرة الثمينة والعلم والمعرفة من التراث الغنى الذى نجده فى الممارسة الحية ، والاعمال النظرية لمعلمنا الخالد المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رحمه الله .

الباب العاشـــــر

بدل الخاتمـــــــة

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «**اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له**» (متفق عليه) . تعاود ذهن الانسان هذه الكلمات الحكيمة ، كلما تعرف مرة بعد مرة الى حياة وابداع مشاهير الناس ، وكذلك عندما يلح عليه السؤال التالى : ما السبب فى كون الزمن لا يفعل فعله مع هؤلاء العظماء وتبقى ذكراهم خالدة ؟ ويعجز المرء عن الوصول الى جواب شاف وكاف . ذلك انه لا يضع يده على مكمن الانطلاق . لان كل انسان بارز يقدم الى هذا العالم شيئا ما لا يتكرر لدى معاصريه ولا حتى لدى الشخصيات التى تأتى بعده . وهذا ما يبقى مصدرا للحكمة والخبرة . وفيه يمكن دائما البحث بلا نهاية ، وايجاد بذور النور والمثال الملهم . ان عظمة الانسان الحقيقية ، تظهر فى آن واحد ، فى موهبة طبيعتـه الفطرية ، وفى القدرة الخارقة على جمع الافكار الاكثر غنى وشمولية ، التى تستمر فعاليتها عصورا كاملة . وبفضل هؤلاء الناس يصبح تفهمنا لهذا العالم اكثر كمالا . وكذلك بناؤه الربانى وكماله . وتتعمق اكثر ، امكانية اقامة علاقات انسانية حقيقية بين الناس والشعوب . لقد وهـب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حياته الساطعة كلها ، لخدمة هذا الهدف العظيم بصورة بناءة . ومما لا شك فيه ان كل خطوة جديدة تخطوها البشرية فى طريق تحقيـــق هذا الهدف ، هى هدف من اهداف نشاطه وعمله . وفى ذلك ينحصر ضمان خلود ذكراه فى قلـــوب المعاصرين والاجيال القادمة . ان هذا الاستنتاج مدين بولادته ليس فقط للمشاعر الحارة لدى قلب ابنه المحب ، بل يستنتج منطقيا من واقـع الاشياء الموضوعى ، الذى يؤكد التقديرات العالية التى استحقها المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان من معاصريه ، وكدليل على ذلك ، قررنا نشر بعضها بمثابة خاتمة للمتاب الذى يتحدث عن حياته .

اننى بصفتى مؤلف هذا الكتاب ، وابن المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وخلفه ، اعتقد ان من واجبى توجيه الشكر العميق الى كل الشخصيات الدينية والاجتماعية ، والى زملائه واخوانه على الذكرى الطيبة لوالدى ، الذى لا انساه ، وعلى التقدير اللائق لعمله المبارك لخير المسلمين وكل الناس الشرفاء ، ومساهمته المتواضعة فى تعزيز السلام والاخوة والتعاون والصداقة بين الشعوب ، ونشر الحقيقة عن وطننا العظيم .

سماحة المفتى أحمد كفتارو
فى ذكرى سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ،
رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان

بسم الله الرحمن الرحيم

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» (سورة الاحزاب ، الآية ٢٣) .

قلة من الناس فى الارض استطاعت ، قبل ان تصل الى نهاية حياتها وتنقل من الحياة الدنيا الى الآخرة ، ان تترك اثرا ساطعا فى صفحات الحياة التى قضتها . ولا يزال الناس يذكرون بطيبة امثال هؤلاء ، ويسطرون صفحات مضيئة عنهم وتخفق قلوبهم بالحب . انهم احياء فى كل الازمنة والعصور وهم فى الحياة الدنيا فضل الله للناس وفى الآخرة لهم اجر كريم .

ان سماحة المفتى ضياء الدين خان من عداد هؤلاء الناس القلة ، الذين عرفهم العالم الاسلامى باسره ، كشخصيات اسلامية بارزة ، وامناء الله فى الارض .

وانا شخصيا عرفت فى شخصية سماحة المفتى ضياء الدين خان انسانا كرس حياته كلها لدعوة الاسلام فى المنطقة الشاسعة التى عاش فيها .

وقد الهمه الله العظيم حكمة ، وعقلا راجحا ، وقلبا واسعا ، ومعارف غنية . واستطاع بفضل هذه الخصال ، ان يستنبط من التراث الاسلامى الدينى ، حقيقة دامغة لا يستطيع احد نفيها . ان النشاط

الحكيم الذى قام به المفتى ضياء الدين خان ، هو بمثابة مشعل الاسلام فى الاتحاد السوفيتى .

لقد كان ، رحمه الله ، عالما لا يضاهى ، قويا فى ايمانه ، نشيطا فى دعوة الناس الى الطريق المستقيم . ووهب نفسه كلية لخدمة معتقداته ودافع عنها ، وهذا بدون شك سيترك اثرا لا يمحى فى قلوب جميع المؤمنين فى الاتحاد السوفيتى . ان الادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان كانت تخدم فى حياته ، خدمة مثالية لقضية الاسلام والمسلمين . انه اظهر رعاية ابوية تجاه الطلبة فى مدرسة «مير عرب» فى مدينة بخارى . ويعتبر سماحة المفتى ضياء الدين مؤسس معهد الامام البخارى الاسلامى فى طشقند ومرشده .

ان المفتى ضياء الدين رحمه الله ، كان عالما كبيرا . وكان جميع الذين يحيطون به ، ينظرون اليه بحب عظيم وكانوا يتمتعون دائما بخطابته وموهبته فى المنطق . وان ما يميز هذا الانسان ، هو اخلاقه الرفيعة ، وادبه الكبير واستقامته . لقد ورث ، رحمه الله ، الحرص على تنفيذ وصايا الخالق الكريم فى حياة البشرية ، من ابيه الاكرم ، المفتى ايشان باباخان ، رحمه الله ، الذى اتاحت لى الفرصة لزيارة قبره فى طشقند . ومن المؤكد ان امامنا ، مثال ساطع يتحدث كيف ينتقل بالوراثة من الاب لابنه ، حب التعاليم الدينية .

هذا وتتجلى ايضا الخدمة الكبرى لسماحته ، فى انه كان خلال جولاته الكثيرة الى بلدان العالم الاسلامى ، ينقل بلا كلل من خلال احاديثه وخطبه البارعة الحقيقية عن حياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى الى سكان هذه البلدان . وبفضل خدماته الكبيرة ، اصبح المؤمنون بعيدا خارج الاتحاد السوفيتى يعرفون عن حرية العقيدة الكاملة للمواطنين السوفيت ، ويعرفون كيف ترمم الجوامع القديمة ، وتشيد جوامع جديدة ، وكيف يمارس المسلمون فى الاتحاد السوفيتى شعائرهم الدينية وقضايا اخرى كثيرة .

وجدير بالذكر ان المفتى ضياء الدين ترك اثرا خالدا فى قضية اعادة تعمير وترميم الكثير من الاثار الثقافية الاسلامية البارزة فى آسيا الوسطى وقازاخستان .

وقد الف ، رحمه الله ، كتابا مشهورا جدا فى العالم الاسلامى ، يتحدث فيه بوضوح وشمولية ، عن حياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

لهذا السبب بالذات ، ترتبط قضية الاسلام اليوم فى هذا البلد العظيم ، باسم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . واليوم ، يغمر الاسلام ، كما يخيل لى ، ارواح مسلمين كثيرين من خيرة المواطنين فى الاتحاد السوفيتى وذلك بفضل عنايته الدائمة وبفضل التعاون الوثيق بين الادارات الدينية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

ومن الصعب تقدير الجهود الخيرة ، التى بذلها فى تنظيم واجراء المؤتمر الدولى لرجال الدين ، الذى عقد فى موسكو عام ١٩٨٢ . وفى هذا المؤتمر ناقش رجال الدين الذين يمثلون معتقدات دينية مختلفة جدا ، قضايا العصر الملحة – الحفاظ على السلام فى العالم باسره ، وسبل درء الكارثة النووية . وتحول لقاء موسكو هذا الى نقطة انطلاق لجميع المسلمين ، فى حل الكثير من القضايا العملية . وفى الوقت الراهن ، لايزالون يتمسكون بالسياسة التى وضعها المؤتمر .

لقد كان سماحته يهتم اهتماما تاما بالدعوة الاسلامية . وحرصا منه على تطبيقها ، لم يبخل بقواه ، وعمل من اجلها مستخدما جميع السبل والامكانيات المتوفرة ، وقاد بشجاعة بالغة وبالحكمة ، سفينة الدعوة الاسلامية الى شواطىء السلام والحب فى بلده .

هذا وتكمن احدى خدماته ، رحمه الله ، فى اعتقاده الراسخ ان مهمة عصرنا الرئيسية هى اقامة السلام بين جميع الشعوب ، وتحقيق الأمن بين جميع سكان المعمورة . وقد حظى نتيجة لذلك بثقة كل مسلمى بلده .

وكان طيلة حياته كلها الاب الروحى لهم ، وكان يشاطر الناس فى السير طبق مقتضى الايمان والتقوى . ونتيجة اعتزازهم بمعارفه الواسعة بالحياة ، التفوا دائما حوله . وفى الحقيقة يتجاوب كل هذا مع نص وروح التعاليم الاسلامية .

لقد كان المفتى ضياء الدين خان فى اثناء جولاته الى البلدان الاسلامية المختلفة ، لايكل فى حرصه الكبير على تعزيز صلات مسلمى الاتحاد السوفيتى مع اخوانهم المسلمين الكثيرين فى الخارج .

نسأل الله تعالى ان يتغمد سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان برحمته ، واسكنه بحبوحة جنانه بجوار الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين !

الشيخ احمد كفتارو
المفتى العام فى الجمهورية العربية السورية .

ذكريات المفتى احمد زباره

بسم الله الرحمن الرحيم

سررت جدا عندما وصلتنى رسالة من سماحة المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشن باباخان ، علمت منها انه سيصدر بعد فترة قريبة كتابا عن حياة والده العظيم ، ونشاطه الدينى والاجتماعى ، ونشاطه فى سبيل توطيد السلام . وفى هذه الرسالة ، يطلب منى سماحته كتابة ذكرياتى عن علاقاتى مع المفتى المرحوم .

لقد التقينا اول مرة فى عام ١٩٦٠ ، وذلك فى اثناء زيارتى للاتحاد السوفيتى ، التى استمرت ستة ايام وقد رافقنى شخصيا والناس الذين يصحبنى فى جولاتنا فى هذا البلد العظيم . بعد ذلك التقيت معه فى القاهرة واليمن التى زارها لمدة اسبوعين ، زار خلالها مدن صنعاء وتعز والحديدة ومدنا اخرى غيرها . وقد التقينا غير مرة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

واقول بصراحة ان الكتابة عنه هى واجب عظيم ، وهذا ما يسرنى جدا . والآن ساكتب عنه بصورة موجزة ، وآمل ان شاء الله ان اكتب عنه الكثير فى وقت لاحق .

ولد المفتى ضياء الدين خان عام ١٩٠٨ فى مدينة طشقند فى عائلة متدينة ، وكان والده المفتى ايشان باباخان رجل دين كبير . وعاش نحو مئة عام ، وكرس حياته كلها لخدمة مثل الاسلام العظيمة ومصالح المسلمين . ان المفتى ايشان باباخان دافع دائما عن شرف وكرامة مسلمى بلده ، وبذلك قدم لهم خدمات جليلة . وفى فترة رئاسته للمسلمين ، نقل مصحف عثمان من لينينغراد الى طشقند ، وقد نظمت بهذه المناسبة مراسيم كبيرة . واعيد افتتاح مدرسة «مير عرب» وغيرها من المراكز الاسلامية .

وكان والد المفتى ايشان باباخان ، عبد المجيد خان ايضا احد المحدثين والمفسرين البارزين فى عصره .

اما بخصوص المفتى ضياء الدين خان ، رضى الله عنه ، فقد كان صاحب معارف واسعة وهذا ليس غريبا ، اذ انه استقى معارفه من علماء بارزين كثيرين فى آسيا الوسطى والعربية السعودية ومصر وسوريا . وقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وكان قراءته موافقا تماما بالتجويد . وكانت مؤثرة جدا للمستمعين . وفى اثناء زيارته

لليمن قبل ما يزيد عن عشر سنوات ، طلب منه المسلمون فـــى الجوامع قراءة القرآن . وكان المستمعون يبكون تحت تأثير قراءته . ولم يتصوروا انه يوجد فى الاتحاد السوفيتى مثل هؤلاء القراء .

والقى المفتى ضياء الدين خان فى الحفلات التى اقيمت تكريما لـــه كلمات جميلة . وفى الجمهورية العربية اليمنية استقبلـــــه رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، والقادة الحكوميون الآخرون وعلماء البلد الكبار . فى عام ١٩٥٧ ، تقلد منصب والده المرحـــــوم كرئيس الادارة الدينية والمفتى . هذا وانتخب لهذا المنصب بالاجماع فى مؤتمر مسلمى هذه المنطقة من الاتحاد السوفيتى .

وطيلة حياته كلها ، عندما كان المفتى ضياء الدين خان فى هذا المنصب الرفيع ، كان المبادر لعقد العديد من المؤتمرات الدينيـــة الاقليمية والدولية ، المكرسة لاكثر قضايا العصر الحاحا . هذا ويمكن الاشارة ، على سبيل المثال ، الى مؤتمرى طشقند عامى ١٩٧٣ و١٩٧٦ ، ومؤتمر سمرقند عام ١٩٧٤ المكرس للذكرى ١٢٠٠ على ولادة الامام البخارى ، والمؤتمرين اللذين عقدا بمناسبة الاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجرى فى دوشنبه وطشقند . وساهم المفتى ضيـاء الدين خان ايضا ، فى مؤتمرات عديدة لرجال الدين ، المكرسة للنضال ضد انتشار الاسلحة النووية . وبدعوة منه زار علماء كثيرون من العالم الاسلامى الاتحاد السوفيتى ، بهدف الاطلاع على حياة اخوانهم المسلمين ، منهم شيخ الازهر الكبير ، الدكتور محمد الفحام ، والدكتور عبـــد الرحمن بيصار ، والمقرئ الشيخ محمود خليل الحصرى ، والشيخ عبد السلام الشبراوى ، والشيخ سيد سابق ، والدكتور ابراهيم الطحاوى (مصر) ، والشيخ صفوت السقا الامينى ، والدكتور عبد الصبور مرزوق (العربية السعودية) ، والمفتى العام احمد كفتارو ، ووزير الاوقاف ، الدكتور محمد محمد الخطيب ، والدكتور بشير النبى (سوريا) ، والمفتى الاعلى حسن خالد ، والدكتور صبحى الصالح ، والشيخ نديم الجسر (لبنان) ، وزير الاوقاف والمقدسات الدينيـــة الاسلاميـة ، والدكتور عبد العزيز الخياط ، والدكتور كامل الشريف ، والشيخ عبد الحميـد السائح ، والشيخ ابراهيم القطان (الاردن) ، والامين العام لرابطـــة «الدعوة الاسلامية» والدكتور محمد احمد الشريف ، والشيخ عبد الحميد الديبانى (ليبيا) ، ووزير الاوقاف احمد بركش ، ورئيس رابطة العلماء الشيخ عبد الله كنون ، والدكتور عبد الهادى التازى (المغرب) ، ومدير

الشؤون الدينية لـــدى الرئيس ، والشيخ مصطفى كمـــال التارزى ، والمفتى فضل بن عاشور (تونس) ، ووزير شؤون الاديان لطفى دوغان ، والدكتور اكمل الدين ايخان اوغلى (تركيا) ، ووزير الاوقاف الدكتور فضل بن منصور ، والمرحوم المفتى عبد الله حاتم (جمهوريـــة اليمن الديمقراطية الشعبية) ، ووزير الشؤون الاسلامية مولانـــا عبد الولى حجت ، والدكتور سعيد افغانى (افغانستان) ، والسكرتير العام للمؤتمر الاسلامى العالمى الدكتور انعام الله خان ، والشيخ عبـــد الله البخارى (باكستان) ، والمفتى العام فى بلغاريا محمد توبتشييف وغيرهم مـــن الشخصيات الحكومية والاجتماعية والدينية فى العالم الاسلامى .

وكان المرحوم عضوا فى عدة منظمات اسلامية عالمية ، مثلا ، منظمة «رسالة المسجد» فى مكة المكرمة . وفى كل مرة يصل فيها العربية السعودية بقصد الحج ، او المشاركة فى المؤتمرات ، كان يستقبل دائما استقبال الضيوف الكبار . وفى احدى المرات صرح عندما قاربت زيارته على الانتهاء ، انه يتمنى القيام بالعمرة . عندها توجهنا بهذا السؤال للمرحوم الملك فيصل ، وبعد فترة قصيرة جدا ، حصلنا على الموافقة له ولمرافقيه . وفى مطار جدة استقبل العاملون فى الجامعة الاسلامية العالمية الوفد السوفيتى ضيفا عزيزا ومحترما ، وقام الذين ادوا العمرة فى مكة المكرمة بزيارة المدينة ، وبعد ذلك سافروا الى الرياض بدعوة من الملك فيصل للالتقاء به .

ان الوفد السوفيتى زار العربية السعودية لمدة اسبوعين بصفته ضيفا على الرابطة . واكتسب اعضاء الوفد فى اثناء هذه الزيارة اصدقاء كثيرين فى العربية السعودية ، واستقبلهم الملك فيصل والتقوا بقادة الدولة الآخرين والعلماء . وبعد هذا الحدث ، شارك ممثلو رابطة العالم الاسلامى فى مؤتمر سمرقند المكرس للاحتفال بالذكرى اليوبيليـــة ١٢٠٠ على ميلاد الامام البخارى ، وكذلـــك فى الندوة التى عقدت فى دوشنبه لمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى .

وتم تحت الاشراف المباشر لسماحته بناء عدة مساجد ، وترميم بعضها الآخر التى تشرف عليها الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وهو يعتبر مؤسس المعهد الاسلامى فى طشقند ، الذى يحمل اسم الامام البخارى . وقد تخرج من هذا المعهد ومن مدرسة «مير عرب» علماء كثيرون . وهو ايضا من كان يرسل الطلبة للدراسة فى الجامعات الاسلامية فى البلدان الاجنبية ، مثلا ، جامعة الازهر التى درس

فيها ابنه وخليفته سماحة المفتى شمس الدين خان . هذا وقد حصل الطلبة السوفيت على التعليم فى المؤسسات الدراسية الاخرى فى البلدان العربية : الجامعة الاسلامية فى الاردن ، وجامعة دمشق ، وجامعة ليبيا ، وجامعة القرويين فى المغرب .

وزار سماحة المفتى ضياء الدين خان بلدانا كثيرة فى العالم وجميع البلدان الاسلامية ، وقام بفريضة الحج الى مكة المكرمة وزيارة المدينة مرات عديدة . لقد ساعدت هذه الزيارات على ان يعرف العالم بصورة متزايدة عن الوضع الجيد للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

والتقى المفتى فى اثناء زياراته للعالم ، بقادة الدول المختلفة والشخصيات المسؤولة والعلماء . لقد اراد الله فى اواخر حياته باصابة عينيه والله لا يضيع اجر المحسنين .

ان المصيبة الاليمة التى المت به لم تمنعه عن ممارسة نشاطه الدينى والاجتماعى بصورة حيوية . وتابع مشاركته فى المؤتمرات ، واستقبلنا وودعنا فى مطار مدينة طشقند ، ورافقنا فى زيارتنا الى مدينة انديجان فى وادى فرغانه ، حيث القى عددا من الخطب امام المسلمين . وكان المرحوم المفتى يقضى الثلث الاخير من كل ليلة فى عبادة الله وقراءة القرآن عن ظهر قلب ، ومما لا شك فيه ، ان المفتى ضياء الدين خان يعتبر بالنسبة لمسلمى الاتحاد السوفيتى شخصية عظيمة . وكان المرحوم حكيما وسياسيا بارزا ، وذا شهرة كبيرة لدى الحكومة السوفيتية وحكومة جمهورية اوزبكستان ، وهو بذلك قدم خدمات لا تقدر بثمن للمسلمين ، وساهم فى تعزيز العلاقات بين حكومة بلده ، وحكومات البلدان الاخرى وخاصة حكومات البلدان العربية .

فى ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٨٢ ، بعد حياة مديدة ومجيدة ، لبى نداء ربه لينتقل الى جوار الانبياء والصالحين ، الذين وهبوا حياتهم لقضية الدين . وقد دفن المفتى الى جوار قبر والده العظيم ، وقبر الامام قفال الشاشى فى طشقند ، قرب مبنى الادارة الدينية . لقد قمنا بزيارة هذا المكان ، الذى يزوره دائما المسلمون المحليون والوفود الاجنبية . فنسأل الله تعالى ان يرضيه برحمته ويجعلنا بجواره فى الجنة . ومن الضرورى بحق نشر سيرة حياته لتكون مثالا ساطعا للاجيال الاسلامية الناشئة .

وللشيخ ضياء الدين خان ٧ اولاد منهم ٣ بنات واربعة بنين ، اكبرهم شمس الدين خان من مواليد عام ١٩٣٧ ، وهو خير خلف لخير

سلف كمفتى ورئيس الادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان ورئيس مكتب العلاقات الدولية فى المنظمات الاسلامية السوفيتية .

سماحتكم ، الابن التقى ، المفتى شمس الدين خان بن المفتى ضياء الدين خان زاد الله عمركم لخدمة الاسلام والمسلمين ، آمين .

الشيخ احمد بن محمد زباره
المفتى الاعلى فى الجمهورية العربية اليمنية
٢ ايار (مايو) عام ١٩٨٥

الدكتور محمد محمد الخطيب
سماحة المرحوم ضياء الدين خان – الاب ، والاخ ، والصديق

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفت فى سماحة المرحوم مفتى الاتحاد السوفيتى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان عالما بارزا ، اذ التقيت به مرارا وبمناسبات مختلفة فى دمشق وموسكو وطشقند ، وفى الاماكن المقدسة فى اثناء الحج وفى بلدان اسلامية اخرى . عرفته عالما يلجأون اليه طلبا للاجوبة على المسائل المختلف فيها ، ويحصلون على شرح وافر وجواب واف . وعرفته ايضا مسلما حقيقيا ومواطنا مخلصا ، يتمتع بعقل نير ، ووعى رشيد ، وسلوك لا يؤخذ عليه . ونسجت بيننا علاقة صداقة حميمة وحب متبادل . وكانت وجهات نظرنا فى العديد من القضايا ، التى تهم الاسلام والمسلمين تلتقى ، واعتقد ان ذلك ساعد على توطيد علاقات الصداقة بين البلدين الصديقين – الجمهورية العربية السورية والاتحاد السوفيتى . ان هذا الانسان البارز وعالم الاسلاميات الكبير ، اوحى لى بشعور المحبة وعاملنى كابنه ، صديقنا الغالى ، سماحة المفتى الدكتور شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان ، ورئيس قسم العلاقات الدولية فى المنظمات الاسلامية السوفيتية .. لقد انتقل الحب والصداقة الى الدكتور شمس الدين خان من والده المرحوم . «الولد صنو ابيه» ، كذا ورد فى احد الاحاديث . انه عالم شاب ، اكن له الصداقة والمحبة ، وبودى ان تستمر هذه المحبة وتزدهر مثل صداقتنا .

اننى اتمنى ان تكون صداقتنا منارة تهدينا الى الطريق ، لتحقيق آمانى المسلمين عموما ، ومسلمى بلدينا خاصة ، منارة فى طريق تحقيق آمال الشعوب والبشرية جمعاء الطامحة للتحرر والتقدم والسلام والتخلص من الاستعمار والامبريالية ، وازالة خطر الحرب النووية ، التى تهدد الحضارة والجنس البشرى ، وتحقيق نزع السلاح . وحظر الاسلحة النووية تماما .

ان المحروم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، يعتبر مثالا لانسان وهب نفسه بصدق ، لقضية السلام والدين . وكانت محاضراته واحاديثه دروس خير للجيل الصاعد . وحيثما حل كان يخلق حوله جو صداقة ومحبة . لقد كان المرحوم انسانا ذا روح كريمة ، ونشاط كبير ، وعالم متبحر فى يديولوجية الاسلام . وعرف جيدا قوانين الشريعة الاسلامية . وقرأ وشاهد الكثير ، واجاد اللغة العربية وقواعدها النحوية بطلاقة . وكان فصيحا يتحدث بصورة ممتعة جدا ، وكان مؤدبا بشكل رائع . وكانسان ، كان خيرا وطيبا وتميز بخصائص رائعة كثيرة اخرى . ولم يكن المستمعون يملون حديثه . ان المرحوم الشيخ ضياء الدين خان ، هو احد علماء عصره المشهورين ، واحد القادة المسلمين العظام فى العالم الاسلامى . وكان صوته يدوى ، سواء فى الاتحاد السوفيتى او فى المحافل الاسلامية العالمية المختلفة . لقد كان الناس يتوجهون اليه حاملين معهم قضاياهم الدينية والدنيوية . وهم لجأوا اليه طلبا للحقيقة والايمان والمحبة والاخلاص والشكر . هذا وقد الف المرحوم المفتى عددا من المؤلفات القيمة ساهمت فى تلاحم صفوف المسلمين ونجاح قضاياهم .

ان الاسلام فى عصرنا فقد بموت الشيخ ضياء الدين خان ، عالما كبيرا . وهو القائد الوحيد من نوعه بين اولئك الذين اشتغلوا فى اصدار الفتاوى ، لانه كان يتصرف بطريقة ترضى الله وتجلب النفع للناس . فينبغى الاقتداء به والاهتداء بهديه . ومما لا شك فيه ان وفاته خسارة كبيرة ، وكانت خسارة مفجعة ، الا اننا على ثقة انابنه الدكتور شمس الدين خان ، سيكون خير خلف لخير سلف ، وانه سيسير على على هدى والده ، وانه سيتخذه مثالا فى جميع اعماله . ومما لا شك فيه ان الدكتور شمس الدين خان ، هو احد العلماء ، الذين كان والده واحدا منهم . انه انسان نبيل ، يعرف اللغة العربية والادب العربى جيدا ويجيد عدة لغات اخرى . اننا نعرفه من خلال اللقاءات والمؤتمرات المختلفة

انسان دين وعلم . انه انسان صادق وولد بار . لقد اكتسب كل هذه الخصال من والده المرحوم . عفا الله عـــن المرحوم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وادخله جنته ، ويعطى النجاح وريثه وابنه المفتى شمس الدين خان فى عمله لخير المسلمين عموما والمسلمين السوفيت خصوصا ، وايضا فى تعزيز علاقات الصداقة بين بلدينـــا سوريا والاتحاد السوفيتى .

الدكتور **محمد محمد الخطيب**
وزير الاوقاف فى الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٨ حزيران (يونيو) عام ١٩٨٥

الدكتور انعام الله خان

خادم الاسلام الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

بشعور الامتنان الكبير ، وصلنى ان الابن المبجل للمرحوم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمـــى آسيا الوسطى وقازاخستان ورئيس قسم العلاقات الدولية فى المنظمات الاسلامية السوفيتية ، الدكتور شمس الدين خان ، الذى يعتبر فى الوقت الراهن ، الخلف المناسب فى هذه المناصب يحاول ان يجدد حياة ونشاط والده .

لقد كان لى الشرف والسعادة بالتعرف الى المفتى ضياء الدين خان منذ ذلك اليوم المذكور ، عندما شاركنا فى الندوة الاسلامية الدولية ، التى عقدت فى لاهور (باكستان) عام ١٩٥٧ ، والتقينا ايضا فى اثناء انعقاد الجمعية الاسلامية الخامسة للمؤتمر الاسلامى العالمى عام ١٩٦٢ فى بغداد ، وكذلك فى اللقاءات والمحافل الدولية المختلفة والندوات والمؤتمرات ، وهذا ما اتاح لى التعرف عن كثب وشمولية الى صديق حميم .

لقد كان المرحوم ضياء الدين خان عالما كبيرا ومفكرا عميقـــا وشخصية معروفة وخادم الاسلام الاكبر . اضافة الى انه كان من انصار السلام الحقيقيين .

فى عام ١٩٧٧ سافرت الى موسكو للمشاركة فى المؤتمر العالمى

لرجال الدين ، الذى عقد تحت شعار «من اجل سلم وطيد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب» . وبعد المؤتمر ، قمت بزيارة طشقند . وفى اثناء تأدية احدى الصلوات الخمس ، اصابتنى فى جامع «طـــلا شيخ» نوبة قلبية مفاجئة . وبسرعـــة نقلونى الى المستشفى . هذا ويستحيل على الكلمات مهما كانت ، ان تصور مدى العناية الاخويـــة والرعاية غير المحدودة ، التى عاملنى سماحته بها خلال السبعة اسابيع التى قضيتها فى احدى مستشفيات طشقند .

وبدعوة من سماحته قمت فى وقت لاحق بزيارة اماكن مختلفة من الاتحاد السوفيتى مرتين ، وزرت جوامع كثيرة وتحدثت فى اللقاءات مع اخوانى فى الدين . وقد جلبت معى من هناك عدة نسخ من القرآن ، صادرة هناك وايضا كتبـــا مثل «اصول الدين» ، و«الادب المفرد» ، و«الجامع الصحيح» وغيرها .

اننى على ثقة كبيرة بان سماحته اعتبر نفسه حلقة وصل عظيمة بين المسلمين فى الاتجاد السوفيتى ومسلمى بقية العالم اجمع .

ان ابن سماحته المفتى شمس الدين خان هو جزء من ابيه ، وهو عالم كبير مثله . واننى على ثقة انه سيتابع بجدارة قضية ابيـــه العظيمة ، وسيظل حتى نهاية حياته يرفع مع مساعديه الشيخ يوسف خان والشيخ عبد الغنى ، الشعلة عاليا ، هذه الشعلة التى اوقدها المفتى ضياء الدين خان لخدمة الاسلام ، وهم بذلك سيسترشدون بمهمتـــه النبيلة – اقرار السلام الشامل والعدالة بدون اية اختلافات تمييزية . وان من شأن ذلك حقا ، ان يبعث السرور والرضا فى روح المرحوم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان .

طاب الله ثراه ورزق مسلمى الاتحاد السوفيتى صبرا جميلا فى تحمل هذا المصاب العظيم ، انا لله وانا اليه راجعون .

الدكتور انعام الله خان
السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى العالمى
رئيس المؤتمر العالمى «الدين والعالم»
مكة ، العربية السعودية
٢ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٤

الدكتور عبد الهادى التازى
لقاءاتى مع المرحوم الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم قدير وانسان رائع ، الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان هو من اصدقائى ، الذين ظلوا مدى الحياة كما تصورتهم فى اول تعارف لنا . وسأظل اذكر دائما ابتسامته الوديعة ، التى كان يلاقينى بها عندما كنا نلتقى سواء فى الاتحاد السوفيتى او المغرب . وكان حريصا جدا على اقامة جسور صداقة جديدة بين مسلمى آسيا الوسطى والمغرب البعيد . وكان يرافقنى غالبا فى اثناء زياراتى الكثيرة لمنطقته التى كانت فى كل مرة تفتح قلبى لانطباعات رائعة جديدة .

اننى ارى فى شخص المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، مثالا للقائد المحترم الذى كان يسمع صوته ورأيه دائما باهتمام خاص . وقد حظى بالتقدير والمكانة له ولزملائه وتلاميذه الكثيرين الذين كان بالنسبة لهم الاب الحبيب والمرشد الصادق فى حياتهم اليومية .

وتميز الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان اضافة على اسئلة بمواضيع متنوعة جدا . وكان دعامة متينة للمنظمات الاسلامية ، وصوتا عاليا لها فى بلده .

واخيرا ، تحلى ايضا بفكاهة نادرة ، وشعور المرح ، وكان بسيطا فى معاملته ، وكان يعتقد ان الحياة بلا مرح ظلام كليل بلا ضوء . وفى احد الايام تحدثت معه عن انطباعات الرحالة المغربى المشهور ابن بطوطة ، عن البطيخ الاصفر فى سمرقند وما يمتاز به من رائحة نادرة وطراوة وحجم كبير . عندها سألته هل مازالت مثل هذه الاصناف موجودة ؟ واجاب مازحا انه لم يتغير فيه اى شىء . وللبرهان على ذلك جلب لى فى يوم سفرى بطيخة تزن ما لا يقل عن ٢٠ كيلوغراما فى حقيبتى وقال : «خذ هذه البطيخة معك الى وطن ابن بطوطة ، كذكرى عن البطيخ الاصفر السمرقندى !» .

ان صديقنا المرحوم المجيد اكتسب فى المغرب الكثير جدا من الاصدقاء القريبين والمعارف . واستطاع الجميع ان يشاهدوا فيه بأم أعينهم مثالا رائعا على الشخصية الكبيرة ، وانسانا لم يبتعد عن الطريق القويم الذى سار عليه مدى الحياة . وقد تحدث مرارا عن علاقات الدم

التاريخية التى تجمعنا ، ويمكن للمغرب بحق ان يعتبره احد ابنائه ايضا .

وقد تلقى زملاء الشيـــخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الكثيرون ، نبأ وفاته المفاجئة بألم كبير ، وهم يأملون كثيرا ان ابنه الشيخ شمس الدين خان سيتابع طريقه بشرف .

المغرب ، سنة ١٩٨٥

الشيخ حسن خالد وحديثه عن المفتى ضياء الدين خان

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المفتى الشيخ شمس الدين خان بن ضياء الدين حفظكم الله !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

علمت بسرور ان الادارة الدينيـــة لمسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان اقرت اعداد كتاب لطبعه ، مكرس لابيكم المرحوم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، العلامة المتبحر فى علوم الاسلام فى عصرنا هذا ، والذى ساهم بنشاطه النبيل ، بقسط قدير فى توطيد ديننا الحنيف ، ورفع سمعته فى العالم كدين السلام والصداقة والتعاون بين الشعوب .

ان سماحة المفتى ضياء الدين خان كان يحوز بشهرة واسعة كقائد اسلامى عظيم ، وكمناضل لا يعرف الكلل من اجل السلام . لقد كرس حياته النيرة كلها لخدمة هذا الهدف النبيل خدمة متفانية ، وكان من بين الاوائل الذين كشفوا امام العالم كله ، خلاعـــة وخطورة سباق التسلح النووى الحرارى ، لان استخدام هذا السلاح سيؤدى الى فناء الحياة فى الكرة الارضية ، حيث وضع الله العلى العظيم مسئولية الحفاظ عليها ، على عاتق الانسان ذاته . ولم يشعر بالكلل فـــى هذه الرسالة العظيمة ، التى كان يذكرنا بها جميعا والدكم المحترم ، اخونا وصديقنا الخالد الذكر .

وكان من حسن حظى ان استمرت لسنوات عديدة صداقتنـــا الحميمية ، التى اغنتنى ، كرجل من رجال الاسلام وكانسان ، حيث فتحت امامى آفاقا جديدة فى المعارف والخبرة . فلقد ولد وعاش فى ارض آسيا الوسطى ، الشهيرة بشخصياتها العديدة من علماء الاسلام العظماء ، وكان يستوعب تراثهم العلمى . وعلى اساس متين يستند الى هذه المعارف الواسعة كان يطور الفكر الاسلامى المقبول لعصرنا هذا ، ويقوم

بنشاط تنظيمى كبير فى منصبه الرفيع كرئيس للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان – المركز الدينى الرئيسى لعشرات الملايين من المؤمنين فى هذه المنطقة الشاسعة للاتحاد السوفيتى المتعدد القوميات . وهذه المنطقة ، كغيرها من المناطق الاسلامية للبلاد السوفيتية ، كانت قبل الحرب العالمية الثانية فى الواقع ، منطقة بعيدة عن مثال المسلمين الاجانب ، حيث كانت غالبيتهم تعيش فى بلدان تابعة لاستعمار ، او شبه استعمار الدول الامبريالية ، التى لم تبخل بشىء لعزل السوفيتى وشعوبه عن بقية العالم . ونحن نتذكر بشعور من الامتنان ، انه بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، الذى تميز بنهوض حركة التحرر الوطنى ، قام الشيخ ضياء الدين خان بدور المنادى باقامة علاقات مباشرة واتصالات بين مسلمى بلاده والمؤمنين بنفس الديانة فى البلدان التى بدأت تتحرر الواحدة تلو الاخرى ، فى آسيا وافريقيا . وبفضل ذلك بدأت عشرات الالوف من الناس ، تتعرف الى نشاطكم وحياتكم . ويسعدنى جدا ، انكم يا صديقنا العزيز الشيخ شمس الدين خان ، شغلتم بجدارة منصب ابيكم المرحوم ، منصب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وتكرسون انتباها كثيرا لقضية توسيع وتوطيد العلاقات مع المؤمنين فى البلدان الاجنبية ، ومع جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، وتشتركون بنشاط فعال ، فى انبل واكرم حركة ، ألا وهى السلام العام . ومؤتمر كافة المسلمين الذى سينعقد فى خريف عام ١٩٨٦ بمبادرة منكم ، والمكرس للقسط الذى يساهم به المسلمون فى هذه الحركة ، سيحتل دون شك ، مكانه اللائق فى جهود جميع الناس ذوى الارادة الطيبة ، من اجل تحويل عام ١٩٨٦ الى عام حقيقى للسلام وفق قرارات هيئة الامم المتحدة .

بارك الله هذا المؤتمر وجازاه الله احسن جزاء . ادعو الله تعالى ان يتغمد والدكم المرحوم برحمته وغفرانه ، كما ادعو الله عزوجل ان يبارك لاولائك الذين يواصلون عمله المجيد ، والذين يحذون حذوه ، ويواصلون طريقه ، متحملين كافة المسئولية والامانة .

اتمنى لكم مرة اخرى نجاحا كبيرا فى رسالتكم الرفيعة والنبيلة . ان الله لا يضيع اجر المحسنين .

مع فائق الاحترام :

الشيخ حسن خالد ، المفتى الاعلى فى لبنان .

معلمـــى

بسم الله الرحمن الرحيم

معلمى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . انسان ذو ثقافة عالية ولطف كبير . مربى جيل كامل من المعلمين الكبار والخطباء العظام . وهو استاذ امتلك موهبة كبيرة . ونحن نعتبره مربيا حاذقا . وعندما نتوجه اليه بصفته اقرب انسان الينا باى سؤال ، نعرف حتما اننا سنحصل على الجواب الصحيح والسند الضرورى . ونحن تلاميذه وبعد ذلك طلبته ، كنا نحتاج اليه كى يشرح لنا اسرار ديننا الحنيف – الاسلام .

واننا نتمنى جدا نحن تلاميذه ان نكون شبيهين به ، وقد سعينا ان يكون لنا مثالا فى كل شىء . بيد انه علمنا ان يكون لنا رأى خاص وكامل حول العالم المحيط بنا ، وان نرفع على الدوام مستوى معارفنا . وكان يشير دائما الى ان كل انسان ، بصرف النظر عن عقيدته ، يجب ان يكون مواطنا ووطنيا لبلده .

اننا نحن تلاميذ الشيخ ضياء الدين باباخان نفتخر اننا كنا نسمع منه مباشرة ، الكلمات الملهمة التى يكتنفها شعور المحبة للناس ، والدعوة الى الصداقة والتعاون بين شعوب الارض . لقد زرع فينـــا شعور الاحترام ازاء هموم ومشاغل كل انسان ، مؤكدا على القيمة التى لا تتكرر لكل حياة بشرية . ودعا الى الوحدة الاسلامية ، وكان يحذرنـــا دائما من خطر الطوائفية المميت ، والذى كان يفسره بانه مأساة الدين . وقد درس عند هذا المربى الفاضل فى صف واحد ، طلبة السنة والشيعة ولم يخطر ببال احدهم الى اى مذهب ينتمى .

لقد كان يسود فى صفوف مدرسة «مير – عرب» وفى المعهـــد الاسلامى فى طشقند مذهب واحد هو المذهب الاسلامى . وربما كان هذا لنا جميعا احد الدروس الرئيسية . هذا ونحمل نحن التلاميذ الاوائل مدى الحياة ، وصية معلمنا الاكبر . واليوم يعتبر جميع رؤساء الادارات الدينية الاقليمية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى بما فيهم كاتب هذه الاسطر ، تلاميذ المرحوم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان .

اننى افتخر بكونى تلميذ هذا المنظم العبقرى والشخصية الدينية البارزة فى عصرنا ، التى سيظل اسمها خالدا فى ذكرى واعمال اجيال كثيرة من المؤمنين فى بلدنا . وكان المسلمون فى جميع مناطق القفقاس

يعرفونه جيدا ، وكان الكثير من المؤمنين عندنا ينظرون اليه كصديق ورفيق اكبر منهم وقريب جدا منهم . وترك لدى كل واحد شاهده او سمعه ولو مرة واحدة ، انطباعا لا ينسى .

كان يفتخر بنا نحن تلاميذه ويفرح لنجاحاتنـــا ويكدر شديدا لاخفاقاتنا وهفواتنا . وكان يحذرنا فى جميع مواعظه : «اذا شئتم ان يحترمكم الشعب ، وان يرضى الله عن افعالكم ، احترموا انفسكم وفكروا بمكانتكم الخاصة ، وخافوا الله وقوموا باعمال صالحة ، ولا تدنسوا الاسم الرفيع للانسان واتقوا الاعمال الشريرة . التقوى يزين المسلم – اذكروا ذلك الى الابد» .

ولن انسى ابدا حديثى مع المفتى ضياء الدين خان ، بعد التخرج مباشرة من المعهد الاسلامى فى طشقند ، عندما ذكرنى باضطراب ابوى بالعودة الى الوطن . اذكر سؤاله : كيف سيستقبلونك فى اذربيجان حيث يعيش فيها السنة والشيعة ؟» . واجبته اننى بمعونة الله العظيـــم ومعارفى التى اكتسبتها خلال اعوام الدراسة مستعد لاختبار قوة كلمتى . وعندها قال : «ادعوا الناس الى اسلام واحد ، لان فرض افكارك على افكار الآخرين هو سلوك خاطئ . لانك ستعمل مع اناس مختلفين» .

وحقيقة ، اضطررت للعمل كثيرا ، وتحدثت كثيرا فى مساجـــد آذربيجان وارمينيا وجورجيا ، وشاركت فى الجدالات واوردت البراهين والمقتطفات ، ونظمت علاقات شخصية واجتماعات لممثلى الطائفتين .

مرت الاعوام وتحققت أمانى معلمى . ففى منطقة القفقاس يصلى الشيعة والسنة فى نفس الجوامع ووراء امام واحد . وهكذا اختفت نهائيا الخلافات بين الطائفتين الاسلاميتين ، التى حسب الاعتقاد الراسخ للمفتى ضياء الدين خان ، لم تمس فى اى وقت من الاوقات اسس ديننـــا الواحد . ان هذا يبعث السرور فى نفوس اصدقائنـــا ويعترف به خصمنا . واذا كان لى فضل صغير فى ذلك فاننى انسبه جميعا للشيخ والانسان الرائع ضياء الدين خان بن ايشان باباخان – نور الله قبره بنور رحمته واسكنه فراديس جناته ، آمين .

شيخ الاسلام **الله شكور باشا زاده**
رئيس الادارة الدينيـــة
لمسلمى القفقاس

حياة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ونشاطه ، مثال رائع لتلاميذه وخلفائه

بسم الله الرحمن الرحيم

اننى انتمى الى ذلك الجيل الجديد من مسلمـــى الاتحاد السوفيتى الذى دخل فى دروب الحياة بعد الحرب العالمية الثانية . وقد تيسر لى ، ان اتضطلع بعلوم ديننا الحنيف ، على يد سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، حيث كنت اتلقى المعارف ، مع الطلاب الشبان الآخرين من مختلف المناطق الاسلامية لوطننا ، تحت اشرافه المباشر فى بخارى المجيدة ، فى مدرستها الدينية الشهيرة «مير عرب» .

والمقابلات مع المفتى ضياء الدين خان لا تمحى . فكان – عـــلى الرغم من انشغاله التام فى وظيفته الرفيعة كرئيس للادارة الدينية للمسلمين – يجد الوقت لالقاء المحاضرات علينا ، وكذلك الاجتماع معنا شخصيا بحيوية . وكانت موهبته مدهشة فى ايجاد مسلك الى قلب المرء . فنصيحته الحكيمة والطيبة ، وعنايته الابوية بنا ، نحن طلاب المدرسة الدينية ، وكذلك مساندة المرء فى اللحظات الصعبة ، وقدرته على غرس الثقة فى النفوس ، كل هذا كان يبعث فى كل منا قوة وطاقة اضافيتين ، فى دراستنا الشاقة ، وكان هذا حافزا ملهما لنجتهد بنزاهة غير مغرضة فى سبيـــل الاسلام ، ولخير وطننـــا المحبوب المتعدد القوميات .

كان المفتى ضياء الدين خان يحب القول : «ان افضل الناس بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، هو من يتعلم ويعلـــم غيره» . وكان يتمسك بهذا المبدأ طوال حياته المديدة والنيرة . وكان تعطشـــه للمعرفة ، من المبادئ التى لم يخنها ابدا ، وترافقه اينما حل ودوما . وفى هذا العمل المقدس بالنسبة الى كل مسلم مؤمن كل الايمان ، لم يكن المفتى ضياء الدين خان ، يعرف الكلل ولا الحدود . فحتى فى سنه الطاعنة ، عندما اصبح ذا سمعة رفيعة ، كان يستفيد من كل دقيقة حرة لاغناء معارفه . وبسبب تدهور بصره بحدة ، لم يستطع القراءة طويلا ، وكان جميعنا يعرف ، كم من سعادة يستطيع كل منا ان يهديها له ، اذا زاره دون دعوة خاصة ، ليقرأ عليه من المصادر التى تهمه مواضيعها وتقلقه . اتذكر مثلا ، كيف كنا – نحن الذين فازوا بشرف مرافقته فى القطار الى بلغاريا الصديقة للاشتراك فى الاحتفالات بمناسبـــة مرور

١٣٠٠ عام على تأسيس الدولة البلغارية – نقرأ خلال الاوقات الخالية من الاجتماعات الرسمية والمقابلات ، كتاب التفسير للمفتى الموقر الذى اخذه معه فى هذه الرحلة المشهودة .

كان المفتى ضياء الدين يحب وطنه بحنان تام ، وكان يفتخر لواقع ان فى وطنه بالذات ، اتحد فى عائلة متحابة واحدة ما يزيد عن مائة شعب وقومية كبيرة وصغيرة . وكان يرى فى ذلك بوضوح ، تحقيق ارادة اللـــه العلى العظيم : **يأيهـــا الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** . . . . (الحجرات ، آية ١٣) . وتحقيق هذا المبدأ الاساسى للاسلام ، كان يخضع لكل نشاطه العملى والنظرى ، الذى قدر بكل جدارة من قبل المؤمنين والرأى العام السوفيتى والاجنبى الواسع . واحسن ما يشهد على ذلك ، المكافآت والاوسمة الرفيعـــة المتعددة ، التى منحن بجدارة للمفتى ضياء الدين خان ، بما فى ذلك فى البلدان الاسلامية . ونحن مسلمى الاتحاد السوفيتى ، استقبلنا بشعور من السعادة والرضى منحه واحدا من اسمى اوسمة وطننا – وسام الصداقة بيـــن الشعوب . وهـــذا الوسام الذى صادف منحه عيـــد ميلاده السبعين ، جاء تقديرا مستحقا لنشاطه المتحمس مـــن اجـــل توطيد الصداقة والتعاون بين شعوب بلادنا ، وكذلك بين شعوب العالم كله . فهو كان انشط واشهر مشترك فى نضالها العام من اجل الامن والسلام .

وقد اظهر المفتى ضياء الدين خان بوضوح خاص ، طباع الخادم الغيور للاسلام ، والمناضل من اجل السلام والصداقة بين الشعوب ، فى الايام الواصلة بين القرنين الهجريين الرابع عشر والخامس عشر التى لاننساها . وعلى الرغم من مرضه العضال ، وفقدان بصره كاملا تقريبا اصبح المبادر والملهم فى العديد من التدابير الضخمة ، المكرسة لهذا الحدث العظيم . وهو بالذات الذى انطلاقا من دعوة الله العلى العظيم : «**يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة** . . .» (سورة البقرة ، آية ٢٠٨) – اقترح عقد مؤتمر طشقند الاسلامى عام ١٩٨٠ ، تحت شعار «فلنحول القرن الخامس عشر الهجرى الى قرن السلام والصداقة بين الشعوب !»

وبالنسبة الى هذا فان المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان عزيز علىّ كمعلم حكيم ، ومرشد امين . وافخر لكونه هو بالذات الذى المع بحضوره ، الاجتماع الموسع لرجال الدين من القسم الاوربى للاتحاد

السوفيتى وسيبيريا عام ١٩٨٠ ، حينما انتخبت مفتيا ورئيسا للادارة الدينية لمسلمى هذه المنطقة الواسعة من بلادنا . ويسعدنى اننى حظيت على المباركة الابوية لجهدى فى هذا المنصب المسئول ، من يدى هذا العلامة الاسلامى العظيم ، الذى كان بالنسبة الينا ، نحن ممثلى الجيل الجديد من المسلمين ، وسيبقى مثالا ملهما لخدمة ديننا الحنيف ، وخدمة البشرية جمعاء .

وسيبقى اسم المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان واعماله فى قلوبنا الممنونة ، وفى قلوب اجيال المسلمين القادمة ، وفى ذاكرة جميع الناس ذوى الارادة الطيبة .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم
الاوربى وسيبيريا — المفتى **طلعت تاج الدين** .

المطران يوفينالى

ذكرى انسان صالح

لقد سررت وانشرحت جدا عندما علمت انه تجرى الاستعدادات ، لاصدار كتاب عن المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وبسعادة اسطر على صفحات هذا الكتاب ذكرياتى وانطباعاتى عنه . يرتبط اسم المفتى ضياء الدين خان بمرحلة نشيطة من الاعمال المشتركة لرجال الدين السوفيت ، فى الدفاع عن السلام . ونظرا لان اهمية التعاون الدولى فى هذا المجال ، تتعاظم بسبب سباق التسلح الجنونى المنفلت من عقاله ، ونظرا للخطر المحدق بالعالم ايضا نتيجة الاستعداد لما يسمى «بحرب النجوم» ، فانه من المهم جدا بمكان ان يعرف رجال الدين من الاديان المختلفة عن خبرة التعاون بين الاديان فى بلدنا ، وان يحفظوا ذكريات طيبة عن المتحمسين والملهمين وصانعى السلام ، وذلك كى «لا تضيع ذكراهم حتى عند الاطفال» كما جاء فى الكتاب المقدس (السفر ٩ر ، ٢٨) . ان اتباع الدينين المسيحى والاسلامى فى الاتحاد السوفيتى ، يعدون بالملايين ويعتبرون من الناحية الدينية بمثابة عائلتين قريبتين ، تعيشان فى جو من الصداقة والاخوة ، وتساعد على وجود جو

ملائم فى بلدنا ، للاحترام المتبادل التام ، والعلاقات الطيبة بين اتباع الاديان المختلفة ، السلطة التشريعية السوفيتية ، التى تنص على انه «يضمن لمواطنى الاتحاد السوفيتى حرية العقيدة ، اى حق اعتناق اى دين . . . .» ويحظر «اثارة العداء والكراهية على اساس المعتقدات الدينية . . .» (المادة ٥٢ من دستور الاتحاد السوفيتى) .

فى مثل هذا الوضع ، هب اتباع ورجال الدين من الاديان المختلفة ، للدفاع عن ارض الوطن ضد النازيين الهتلريين فى عام ١٩٤١ ، عندما شن العدو الغادر والدئيم هجومه على الوطن السوفيتى ، واظهروا وطنيتهم ودافعوا باخلاص عن الوطن ضد المحتلين الاجانب .

ولم تكن المرحلة التى اعقبت النصر فى عام ١٩٤٥ ، اقل مسؤولية ، اذ اندلعت «الحرب الباردة» التى سممت عقول ملايين الناس ، وبثت الكره والشك ازاء شعوبنا المحبة للسلام ، ووضعت العالم على شفا «حرب ساخنة» . فى تلك الفترة التاريخية العصيبة ، اوجد الرب من بين اتباع الاديان المختلفة صانعى السلام ، الذين بذلوا جهودا لا سابق لها فى التاريخ باسره ، فى سبيل خدمة البشرية بصورة مشتركة ، وذلك لسد الطريق على اهوال حرب جديدة . وكان من هؤلاء فى الكنيسة الارثوذكسية غبطة البطاركة الكسى وبيمين ، ورجال الدين البارزون – مطران كروتيتسكى وكولومينسكى نيقولاى ، ومطران لينينغراد ونوفغورود نيكوديم وغيرهم كثيرون . وباسم ملايين المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، قد خدموا قضية السلام معهم فى جو من الاخوة والوئام ، امثال المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان – الرئيس الاسبق للادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان والمفتى شاكر خيال الدين – الرئيس السابق للادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا والشيخ اسماعيل مخدوم ساتى – النائب السابق لرئيس الادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان وطبعا ، المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . ففى مطلع تطور التعاون بين الاديان ، كان فى الصفوف الاولى لرواده ، ومناضلا لا يفتر فى سبيل السلام وسعادة البشرية . وبقى على هذه الحالة حتى نهاية حياته الساطعة .

ان عام ١٩٥٢ يعتبر بداية شكلية فقط للتعاون المنظم بين الاديان فى بلدنا ، فآنذاك عقد فى ضواحى موسكو فى المجمع الدينى للقديس سيرغيوس والثالوث المقدس مؤتمر لجميع الكنائس والمنظمات

الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، مكرس لقضية الدفاع عن السلام . وقد القى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان آنذاك ، كلمة حماسية فى هذا المؤتمر . وصرح قائلا : «النضال من اجل السلام – واجب كل المؤمنين فى جميع الاديان والمعتقدات . وفى اللحظة الراهنة من تعقد الموقف السياسى ، عندما يواجه البشرية كابوس خطر حرب جديدة ، يرفع المسلمون المخلصون للقرآن الكريم ، صوتهم من اجل السلام وتعزيز الصداقة بين شعوب العالم باسره» .

ومازلت اذكر كيف ساهمت وكان عمرى آنذاك ٣٠ سنة بصفتى رئيس الاساقفة فى المؤتمر العالمى ، الذى عقد تحت شعار «من اجل السلام والاستقلال الوطنى ونزع السلاح الشامل» الذى عقد فى تموز (يوليو) عام ١٩٦٥ فى هلسنكى عاصمة فنلندا . ان الحرص على وضع حد لتطور الاحداث المعاصرة الخطر على السلام الدولى ، والمساهمة فى اقرار سلام وطيد ومنشود فى الارض هما اللذان وحدا فى هذا المحفل اناسا ذوى آراء اجتماعية وسياسية ودينية مختلفة . فى تلك الفترة تعرفت الى المفتى ضياء الدين خان ، ونزلنا فى الفندق بغرف متجاورة وكنا نتعاشر كثيرا كاخوة . وفى احد ايام المؤتمر اجتمع المشاركون الدينيون فى لقاء خاص كان بينهم المفتى ، حيث القى كلمة رائعة امام المجتمعين . وقد اتفق المؤتمرون على نداء يوجه الى جميع المؤمنين والكنائس والمنظمات الدينية وكل الناس الشرفاء . وقد جاء فى هذا النداء «تفرقنا المسافات والحدود المختلفة والحواجز السياسية ، ولكن بفضل تقارب قلوبنا ، ومساعدة الرب الجبارة ، نستطيع ان نصبح موحدين فى خدمة الناس . فالغربة التى استمرت قرونا والتقسيم الدينى بيننا مازالا حتى الآن ، ولكننا جميعا ابناء رب واحد واخوة ، ويجب علينا الآن بالذات ان نفتح صدورنا واسعة لبعضنا البعض باسم الرب ومن اجل نيل محبته .. عندما تسفك الدماء البريئة ونتجاهل آلام البشر ، فان صلواتنا لا يمكن ان ترضى الرب ، لانه بسكوتنا وعدم انكارنا ذلك ، نصبح وكأننا نضع السيف القاتل فى ايدى مشعلى الحروب . لذا نتوجه لربنا بادعية حارة لاقرار السكينة على البشرية ، ونحن كمواطنى كوكبنا الارض ، نقوم بكل ما يمكننا القيام به لابعاد العداء والكراهية وحروب الاخوة من حياة الناس» .

لقد كنت خلال عقدين من الزمن تقريبا ، ومن عام لآخر ، شاهدا ،

كيف لا يسئم هذا الرئيس الدينى وصديقنا العزيز من المشاركة فى مؤتمرات كثيرة مكرسة لخدمة قضية السلام ، سواء فى بلدنا او بعيدا خارج حدوده . ويستحيل ايضا ذكر كل ما كنت شاهدا عليه كى لا يمل القارئ . ولكن بودى التنويه الى مشاركة المفتى ضياء الدين خان بصفته رئيسا للادارة الدينية لمسلمى اسيا الوسطى وقازاخستان فى مؤتمر ممثلى جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى «فى سبيل التعاون والسلام بين الشعوب» ، الذى انعقد عام ١٩٦٩ فى ضواحى موسكو فى المجمع الدينى للقديس سيرغيوس والثالوث المقدس . وقد تشرف بحضور المؤتمر شخصيات دينية بارزة كثيرة من ٤٤ بلدا فى آسيا وافريقيا وامريكا واوربا ، بمن فيهم الممثلون البارزون للعالم الاسلامى . واذكر كيف استمع المندوبون والضيوف بانتباه شديد الى التقرير الرائع بعنوان «مشكلة الشرق الاوسط» .

ان التعاون الدولى بين الاديان ازداد وقوى . وقد ساهم المفتى الموقر ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بصورة هامة فى هذه الاعمال النبيلة . ففى عام ١٩٧٥ قدم البطريرك القديس بيمين فى الاجتماع الدورى لرؤساء وممثلى الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، اقتراحا يتعلق بعقد مؤتمر عالمى ، لاتباع الاديان المختلفة ، لمناقشة القضايا الملحة ، خدمة لاقرار السلام . وقد شكل هذا اللقاء لجنة تحضيرية حظيت بشرف رئاستها .

وقمنا باعداد هذا المؤتمر عامين بعد تلك الفترة ، الى ان انعقد فى الفترة بين ٦ و١٠ حزيران /يونيو/ عام ١٩٧٧ تحت شعار يوحدنا جميعا «رجال الدين — فى سبيل سلام وطيد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب» .

عامان لا انساهما من العمل التحضيرى وذلك لاننى ، وهذا هو السبب الرئيسى ، كنت سعيدا بعلاقتى الوثيقة بالمفتى ضياء الدين خان ، الذى لا تنسى ذكراه حيث كان آنذاك احد اوصياء الشرف فى المؤتمر ، وكان مطلعا بالتفصيل على جميع دقائق الاعداد له ، وساهم مع المفتى نعمل كأخين من اجل نجاح الاجتماع التاريخى العظيم لرجال الدين فى العالم المعاصر .

هذا وقد ساعدت السمعة الكبيرة للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، والطاقة التى لا تنضب لدى الزهاد المقربين منه ، على تمثيل العالم الاسلامى بمستوى عال . لقد حضر المؤتمر اتباع الاديان

الرئيسية من ١٠٧ بلدان .. وتكليف المؤتمر المفتى ضياء الدين خان ، القاء التقرير الرئيسى ، هو تعبير عن التقدير العالى لجهود المفتى الموقر فى اقرار السلام . وقد أدى هذه المهمة الفخرية والمسؤولة بنجاح بارع .

ان العمل المشترك لخير السلام شدنى الى المفتى ضياء الدين خان بعرى صداقة ومحبة ، وكنت من خلاله اشعر بالاخوة والصداقة مع كل المسلمين فى العالم .

وفى عام ١٩٧٨ ساعدنى الحظ وشاركت فى الاحتفالات اليوبيلية ، التى اقيمت فى طشقند بصفتى ممثل قداسة البطريرك بيمين والكنيسة الروسية الارثوذكسية ، بالذكرى السبعين لميلاد المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان . وكانت اعز الانطباعات التى تركت أثرها فى ، اننى وجدت فى صديقى الغالى راعيا حقيقيا ومحبا للمؤمنين ، وداعيا كبيرا الى التوحيد كما يقال الآن . وكان المسيحيون الارثوذكس كاخوة ، يحظون بمحبة المسلمين ، ويعيشون معهم فى جو من الصداقة الاخوية فى المناطق الذين هم اقلية بالنسبة للمسلمين – آسيا الوسطى وقازاخستان . شاهدت كل ذلك بأم عينى ، وعن ذلك حدثنى آنذاك فارفولومى ، مطران طشقند وآسيا الوسطى الارثوذكسى . ان المفتى ضياء الدين خان الخالد ، نشر هذا المناخ الطيب .

واذكر اللقاء الحار الاخير مع المفتى المحترم والعزيز جدا على قلبى فى أوديسا ، حيث وصل الى هناك بقصد المعالجة ، وانا وصلت كى اقدم تقريرا الى قداسة البطريرك بيمين الذى كان يستجم . ودعانا قداسة البطريرك الى تناول الغداء .

وكانت هذه المناسبة فرصة لتبادل الاحاديث الاخوية الشيقة . وآنذاك لاحظت ان القوى العضلية لهذا الانسان العظيم بدأت تضعف ، الا انه تميز بالنشاط الروحى والصفاء الفكرى .

وفى ايار (مايو) عام ١٩٨٢ ، انعقد فى موسكو المؤتمر العالمى «رجال الدين من اجل انقاذ الهبة المقدسة الحياة من الكارثة النووية» .

وسمعنا كوصية اخيرة فى هذا المحفل العالمى وللمرة الاخيرة ، كلمة تحية المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان على لسان ابنه الحبيب وخلفه فى الاعمال المكرسة للسلام – فى الوقت الراهن ، رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، المفتى شمس الدين خان : «ان الحاجة الى السلام اعظم من اى وقت مضى ، نظرا لان

الكارثة النووية هـى خطر مميت يهدد البشرية جمعاء . والحرب تتعارض بشكل صارخ مع ارادة الله الخالق . . . سأل رجل الرسول محمد صلى الله عليه وسلـــم : هل يمكن للشر ان ينتصر على الخير ؟ فاجاب الرسول : كلا ، يستحيل . الخير يغلب الشر» . ان المؤتمر هو تأكيد على ان الرب العظيم دعانا جميعا لنقوم بالخير ، واتاح للانسان فرصة ورغبة خدمة الخير من خلال اعتقاده بالرب العظيم . ان الكلمات الاخيرة هذه ، للعلامة العظيم من بلدنا ، الاخ والصديق الحبيب ، تناشدنا فى الوقت الحاضر القيام بالنشاط المشترك من اجل الحفاظ على السلام والحياة فى الارض والعالم الرائع والصداقة بين الشعوب .

عضو المجمع الكنسى المقدس
للكنيسة الروسية الارثوذكسية
مطران كولومنسكى وكروتيتسكى ، **يوفينالى**
موسكو ٢٠ اب (اغسطس) عام ١٩٨٥

ان سيرة حياة الانسان لا تنقطع بمماته اذا استمرت اعمالـــه الكبيرة او الصغيرة التى تغنى العقل والقلب ، والتى هى ملك الشعب والبشرية جمعاء . تتحدث عن هذا الابيات الشعرية الرائعة التى اهداها الشاعر لذكرى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رضى الله عنه :

العقل السليم والرأى المستقيم
يحكمان بان بعض الاحياء اموات
واما البعض حى ولو جسمه رميم
فذاك انسان خالد ليس له ممات .

الفصل الثانـــــى
فتاوى ومواعظ المفتى ضياء الدين خـــــان
بن ايشان باباخان وتلامذتـــه

فتـــــوى
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول شرعية المهر وعدم السماح بدفع بدل الزواج لعقد القران ـ النكاح

بسم الله الرحمن الرحيم

ان القران المنعقد بين الرجل والمرأة هو اساس استحرارية الجنس البشرى ، وطبيعى ان تحث الشريعة الاسلامية اليه بكل السبل وتشجعه ، اذ به يقوم ويزداد عدد سكان الارض . علما بان الشريعة تحدد شروط عقد القران بحيث يجعله ميسرا لكل انسان الى اقصى حد . ومن الادوات الفعالة لتنفيذ مبدأ الاسلام المذكور عملا هو دفع المهر – احد الشعائر التى تؤدى لعقد القران .

والمهر تقليد احتفالى يقدم العريس الى عروسه قبيل عقد القران ، مبلغا من المال او الحلى الثمينة والملابس ، ويـــرمز هذا الاجراء الى استعداد زوج المستقبل للحياة العائلية المشتركة النزيهة ، المفعمة بالوفاق المتبادل والمحبة ، ويتفق هذا كليـــا مع ما جاء فى القرآن

الكريم : «**وآتوا النساء صدقتهن نحلة**» (سورة النساء ، الآية ٤) . ويتبين فى الكلمة الاخيرة ، كل الجوهر العميق الذى يتسم به المهر . فيجب على العريس والعروس اللذين قررا اقران حياتهم بالزواج ، ان ينطلقا بالدرجة الاولى من المشاعر الطيبة ، والتفاهم المتبادل ، والمحبة والمودة ، والاستعداد لتحمل عبء الحياة الزوجية غير الهين فى وفاق حميد ، ودعم متبادل . اما بقية المشاعر والمقاصد والاعتبارات ، فهى ثانوية ، ولا فضل لواحد منهما على الآخر . لهذا كان يعلمنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ، بان لا نغالى فى المهر الى اقصى حد ، ناهيك عن تحويله الى المعيار الرئيسى الذى يحكم بموجبه على استعداد العريس للزواج او عدمه . والشىء الاساسى فى المهر هو التعبير عن مشاعره وموقفه من عروسه بصفتها زوجة المستقبل ، اى ربة البيت .

لقد امر النبى صلى الله عليه وسلم ، ان يقدر المهر فى حدود امكانيات العريس ، والا تتجاوز نفقات الزفاف عموما امكانيات المتعاقدين المادية . فعلى سبيل المثال ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يزوج عليا من فاطمة الا بعد ان حدد مهره لها . وحينما قال على انه لا يملك شيئا قال : «آت درعك للمهر» .

وجاء حديث آخر يقول : «**من اعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل**» (رواه ابو داود) . ويدل هذا الحديث الرائع دلالة بالغة ، على ان المهر لا يشترط ان يكون من النقود الذهبية او الفضية ، وهو من حيث المبدأ قد يكون اى شىء او أية مادة ، او اى مبلغ نقدى ، يقدر على دفعه الزوج . ونؤكد مرة اخرى بان الشىء الاساسى ليس الجانب المادى للمهر ، بل الشعور الذى يقدمه العريس به وتتقبله العروس . ولا نجد فى القرآن الكريم ، ولا فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، مقدارا معينا للمهر . وحدد العلماء – المحدثون فيما بعد فقط مقداره تقريبا انطلاقا من ظروف العصر الملموسة طبعا .

وعلى سبيل المثال حدده ابو حنيفة – بعشرة دراهم من الفضة او درهم من الذهب ، والامام مالك – بثلاث دراهم من الفضة وربع درهم من الذهب ، والامام الشافعى والامام احمد – ذكرا مبلغا اقل من هذا . ويتضح من كل ما اوردناه ان الشريعة الاسلامية ، عندما اوجبت المهر حددته بان يكون فى استطاعة كل شخص . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**ان اعظم النكاح بركة ايسره مؤنة**» (رواه احمد) . واسترشادا بهذا الحديث امر الخليفة عمر بالتزام المسلمين بهذا الحد .

ومن يتجاوز مقدار ما قدم الى ابنة النبى صلى الله عليه وسلم ، اخذه ورده الى بيت المال .

كما وتحدد الشريعة طقوس الزفاف ، علما بانه توجد اشارات واضحة بصدد طابع نفقات الزفاف الممكنة ، وترد فى الاحاديث النماذج التقريبية لها بمراعاة الامكانيات المادية والمالية للناس . فجاء فى كتاب «صحيح البخارى» : ان النبى صلى الله عليه وسلم نكح احدى ازواجه برطلين (حوالى ١ كيلو) من الشعير . وفى زفاف آخر قدم الى الناس الرطب والزبد وبعض المأكولات الاخرى التى كان عنده آنذاك . وتدل المصادر الموثوق بها حتى على غياب اللحم والخبز فى ذلك الزفاف . وامر النبى صلى الله عليه وسلم مرة واحدة فقط ، بذبح شاة فى وليمة النكاح . وهذا يدل على ان الزفاف لا ينبغى ان يتحول الى وليمة جامحة ، والى مظاهرة للتبذير والاسراف الطائش الذى ينهى عنه العلى القدير : «**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**» . (سورة الاسراء ، الآيتان ٢٦–٢٧) .

ولكن رغم تحذير البارى عز وجل ، بدأ المسلمون فى بعض الاقطار باقامة حفلات زفات فخمة وصاخبة ، وازداد حجم المهر الى مقادير مذهلة . وفى واقع الامر ، صارت تنبعث تحت واجهة المهر عادة الجاهلية قبل الاسلام ، فى بيع وشراء البنات بدل الزواج . اما فى بلادنا – والحمد لله – فبعد اقامة السلطة الشعبية ، تسنى استئصال هذه العادة الضارة كليا تقريبا . ومع هذا تتجلى اصداؤها هنا وهناك احيانا . ويمس هذا كافة جمهورياتنا – اوزبكستان وقيرغيزيا وقازاخستان وطاجكستان وتركمانيا – وبالمناسبة انها تلفت النظر على الاخص فى الجمهوريتين الاخيرتين . فقد سجلت هناك وقائع يقوم فيها الادعياء الجهلاء باسم علماء الدين ، الذين يضلون الناس البسطاء ، غير المطلعين على دقائق الفقه ، بتصوير هذه العادة الجاهلية كأنها من اركان الشريعة السمحاء . والغاية الحقيقية والوحيدة لهؤلاء الاشخاص ، الذين لا انصاف فيهم هى كسب المنفعة المادية الشخصية ، بشكل لصفقة آثمة لبيع وشراء الفتيات .

وفى الفترة الاخيرة بدأت ترد الى الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، شكاوى من المؤمنين ، بان بعض الاشخاص ينفذون تقاليد اخذ المهر الهائل بصورة غير صحيحة اذ يجبرون

العريس على دفع مهر كبير وتحمل نفقات مالية ومادية كبيرة للغاية . وبنتيجة ذلك يعجز الزوجان الشابان بعد الزفاف ، ولفترة طويلة ، عن تسديد الديون الثقيلة العبء ، وغالبا ما يصبح نفس وجود الاسرة ، التى تكونت لتوه ، ولم يصلب عودها ، فى خطر .

واخذا بعين الاعتبار ان هذه الاعمال المنافية للشريعة يصورهـا القائمون بها وكأنها من اركان الدين الحنيف ، لقد وجدنا من الضرورى اصدار هذه الفتوى لايضاح جوهر المهر بالنسبة للمؤمنين .

ان المهر هدية يقدمها الخاطب الى مخطوبته . اما دفع المهر غاليـا مع كافة اشكاله ، فهو ممنوع بالشريعة السمحاء . وعقد القران ، الذى يعتمد على دفع بدل للزواج يعتبر غير شرعى . جاء فى القرآن الكريم «**ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**» (سورة البقرة ، الآية ١٨٨) . ان الافراد الذين يأخذون بدلا للزواج ليسوا من المؤمنين الصادقين . ويجب على المؤمن الحقيقى ، ان لا يعترف ببدل الزواج نفسه ، وينبغى لـه تحذير الآخرين منه لكونه اثما مبينا . وان زوج الوالدان الفتاة بالاكراه ، دون موافقتها ، يعتبر هذا النكاح باطلا بالشريعة . اما كافة العادات الخرافية التى مازالوا يتمسكون بها احيانا ، لدى اداء شعائر الزواج فهى لا تتفق مع احكام ديننا الحنيف .

ونحن نوصى جميع المؤمنين ، بان يتجنبوا العادات الخرافية بعد الآن ، وان يتبعوا بثبات الاحكام الصحيحة للشريعة . ثبت الله اقدامنا على الصراط المستقيم .

والحمد لله رب العالمين .

فتـــــوى
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول اجتناب البدع والخرافات فى المآتم

بسم الله الرحمن الرحيم

من اصناف تبذير الاموال الشائعة لدى مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان اقامة احتفالات فى بيوت المتوفين على فترات بعـــد ٣ ، ٧ ، ٢٠ ، ٤٠ يوما من يوم وفاتهم ، وكذلك بمناسبة الذكرى السنوية .

لقد جاء فى كتاب الفتاوى «البزازية» «ان اقامة اى نوع من الولائم والعزائم فى بيت الفقيد فى اليوم الاول والثانى والثالث وبعد اسبوع وفيما بعد ، فكل ذلك بدعة وأمر حظرته الشريعة حظرا مطلقا .

وورد فى كتاب «خلاصة الفتاوى» ما يلى : «لا يجوز اقامة الولائـم تكريما للمعزين خلال الايام الثلاثة الاولى بعد الدفن» .

وجاء فى كتاب «نبراس العقول البارقة فى شرح الطريقة المحمدية : «اما فيما يتعلق بالولائم التى يقيمها اهل الفقيد من اجل المعزين فى اليوم الثالث واليوم السابع ، فهى من بدع الجاهلية ، حيث لم توجد مثـــل هذه العادة فى صدر الاسلام . ولم يستحسنها السلف والخلف من علماء المسلمين . لذا ينبغى على كل مسلم ان يمتنع هو ويمنع الآخرين عن الاشتراك فى ولائم المآتم ، علما بان القائمين بها يأثمون امام الله» .

ان الشريعة الاسلامية توجب على اقرباء المتوفى بعد وفاته القيام بما يلى :

١) غسل جثمان الميت ؛
٢) اداء صلاة الجنازة عليه ؛
٣) الدفن ؛
٤) سد ديون المتوفى .
٥) تنفيذ وصاياه المطابقة للشريعة .

ومن الافعال الحميدة لتكريم ذكرى الفقيد ، علاوة على ما ذكرناه ،

اقامة علاقات ودية مع اقرباء المتوفى واصدقائه . وجدير بالثناء عندئذ ان تقدم ، حسب المستطاع ، المساعدة المعنوية والمادية الى المحتاجين منهم ، والدعاء لروح المتوفى بين حين وآخر .

تشير احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الى ان الاموات ينتفعون بالاعمال الصالحة التى يقوم بها اولادهم .

وللاسف ففى بعض مناطق بلادنا لا تزال تجرى وقائع تدل على العكس . فمثلا بدلا من القيام بالاعمال الصالحة ، يعمد الورثة الى الانفاق بلا تفكير وبطيش ، على شعائر المآتم الفخمة ، التى تتجافى مع مبادئ الشريعة ، ولا ينفقون من تركة الفقيد فحسب ، بل وممتلكاتهم ايضا فى غالب الاحيان . وكثيرا ما يجلب لهم ذلك فيما بعد العوز المادى المديد الذى يعانى به اهل الميت .

كما يعتبر من البدع الممنوعة على الاخص – ولا بد وان يعرف هذا كل مسلم – سؤ استغلال اموال اليتامى ، وهو ما يعاقب الله عليه اذ قال : «**ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**» (سورة النساء ، الاية ١٠) .

ان الاوزبك والقازاخ والتركمان والقرغيز وكثير غيرهم من الاقوام القاطنة فى منطقتنا الواسعة ، ينتسبون الى ما يسمى بالشعوب التركية القريبة من بعضها البعض فى المنشأ واللغة والعادات .. ومعروف ان طقوس الافراح والاتراح لدى الترك القدماء ، كانت تتسم بطابع استعراضى واضح ، ويرافقها اظهار المشاعر بصورة عاصفة . فمثلا ، من اجل التعبير عن التعزية لاقارب المتوفى ، كان الناس (وبالاخص النساء) يخدشون وجوههم حتى تسيل منها الدماء بالنياحة والصراخ . وقد سادت مثل هذه العادة لدى العرب القدماء قبل الاسلام . لكن الاسلام حرم بصرامة ، مثل هذه العادة الضارة جدا غير الخليقة بالانسان : فان نياحة الصاخب قد يتسبب حتى لغضب الله تعالى . وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا فى كثير من احاديثه «**لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور**» (رواه ابن ماجه) . وهذه النياحة من جهة اخرى تولد بسلوكها هزة عصبية لدى المحيطين بها . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «**لعن الله النائحة والمستمعة**» (ابو داود) . والنائحة هى تلك التى تثنى على الفقيد بصورة مبالغة وغير مترابطة ، وغالبا ما تضفى عليه صفات لم يكن يمتلكها . لهذا تحرم الشريعة الاستماع الى النياحة ، والثناء على الميت معتبرة اياه من عادات

الجاهلية ، ولهذا يحذر النبى صلى الله عليه وسلم بكل حزم من تلك الظواهر المخالفة للشرع الشريف ، اذ قال : **اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الانساب والنياحة على الميت**» (رواه احمد ومسلم) . وقال ايضا : «**ليس منا من سلق ولا من حلق ومن خرق**» (رواه النسائى وابو داود) .

«**عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى سيف القين وكان ظئرا لابراهيم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وانت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال صلى الله عليه وسلم : ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون**» (رواه البخارى ومسلم) . فهل يجوز بعد هذا التحذير الشرعى الصبر منا على استدامة النياحة والصراخ ، وتخديش الوجه ، وغير ذلك من العادات الضارة ، التى لا تزال تلاحظ فى بعض البيوت الاسلامية ؟ ان هذا النوع من البدع لهو من بقايا الجاهلية قبل الاسلام . وقد اشار ابو بكر جابر الجزائرى فى كتابه «منهاج المسلم» الصادر فى المدينة المنورة ، بأسف ، قائلا : انه تسود فى اوساط المؤمنين احيانا ، شعائر ابتدعها افراد لا يفهمون تعاليم الدين الاسلامى الحنيف . واورد على سبيل المثال عادة اقامة الولائم فى بيت الفقيد ، بشكل يجعلها تتحول فى الواقع الى حفل صاخب . ويمكن تقديم التعازى الى افراد اسرة الفقيد لدى لقائهم فى الشارع او فى المقبرة عند مراسيم الدفن . كما يسمح بزيارة بعض الافراد لبيت الفقيد فى الوقت المناسب لهم ، ولكن دون تجمعات خاصة فى ايام معينة . ويستحب بحكم الاسلام ايضا قيام الجيران والاقربين باعداد الطعام لافراد اسرة المتوفى ، حيث انهم غالبا ما يكونون فى وضع لا يسعهم الا السكوت عن الكل . لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصاب اسرة جعفر مصيبة بوفاة رب الاسرة مخاطبا الى الاقارب والجيران : «**اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد اتاهم ما يشغلهم**» (رواه احمد وابو داود) .

وينهى الاسلام عن قيام ورثة الفقيد انفسهم بتهيئته لان هذا يضايقهم معنويا وماديا . اما اذا جاء الى بيت الفقيد ضيوف من اماكن

بعيدة ، فيجب ان يعد الطعام لهم الجيران او الاقارب الابعدون ، وليس افراد اسرة المتوفى .

ويقول الشيخ الامام عبد الغنى النابلسى فى شرح كتاب «الطريقة المحمدية» : ان الولائم فى بيت المتوفى التى تقام فى ايام معينة ، واشعال الشموع او المصابيح فوق القبر ، هى كلها من البدع والخرافات التى لا علاقة لها بالدين الاسلامى .

مابرحت سائدة فى اوساط المسلمين بآسيا الوسطى وقازاخستان عادة اقامة الولائم الفخمة ولمرات عديدة فى بيت الفقيد بعد ٧ ، ٢٠ ، ٤٠ يوما من وفاته ، وكذلك فى ايام عيدى الاضحى والفطر .

بيد انه طبقا للشريعة يجب على افراد اسرة الفقيد ان يسددوا ما عليه من ديون فقط ، وان ينفذوا وصيته ان لم تكن تخالف احكام الدين الاسلامى . كما ينبغى على الاقربين وفى حالة غيابهم ، فالجيران ، القيام بغسل الجثمان وتشييع الجنازة والدفن . ولهذا فان كافة الشعائر الاخرى ليست من واجبات الدين ، وتعتبر بدعا محضة لا يزال يعمل بها ، وللاسف ، كثير من المسلمين .

يسمح الاسلام بتعزية اسرة الفقيد من قبل الاصدقاء والاقارب وغيرهم من الناس المقربين للاسرة ، بشرط عدم تحديد ذلك فى يوم معين ، والا ترافقها اقامة ولائم فخمة تتطلب نفقات كبيرة . واسترشادا بتعاليم الرسول فقد تحرر المسلمون فى كثير من البلدان ، ومنذ امد بعيد من مثل هذه المحدثات . ولا يزال يوجد عندنا حتى اليوم اناس يوصون المؤمنين بان يكرروا ٧٢ الف مرة «التهليل» (لا اله الا الله») فى يوم وفاة الفقيد زاعمين أن هذا نافع لروح المتوفى اذا اهدى ثوابه له . ومثل هذه الشعائر السخيفة لا علاقة لها بالاسلام ، نظرا الى عدم ذكرها او الدعوة للقيام بها فى احاديث الرسول ولو مرة واحدة .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : «صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له»** (البخارى) .

فنوصى الائمة – الخطباء فى جميع مساجد المنطقة بان يدرسوا هذا الفتوى بجد وباسهاب ، وابلاغ محتواها وفحواها الى كل مسلم ، باذلين اقصى الجهود من اجل تنفيذ الاحكام الحقة للشريعة الاسلامية السمحاء .

والله المستعان الوهاب واليه المرجع والمآب .

فتـــــوى
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول بطلان اقامة الولائم لمناسبة طقوس الختان

بسم الله الرحمن الرحيم

تستمر بين مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان تقاليد اقامـــة الولائم بمناسبة طقوس الختان ، وقد ورثنا هذا التقليد من العهود الغابرة المظلمة . ويرافق هذه الولائم اهدار فى النفقات ، على عدد كبير مـن الضيوف المدعوين ، وكثيرا ما يقترب عددهم من الف شخص او اكثر .

وبناء عليه ، قررنا اصدار فتوى خاص ، مـع توضيـح احكام الشريعة فى هذا الموضوع الهام لنمط حياتنا .

ان الختان فى الشريعة هو من جملة الطقوس التى وردت فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم . فمن المعروف ان الختان هو قطع القلفة بعملية بسيطة للطفل فى عمر مبكر .

واذ تستحسن الشريعة عملية الختان ، فانها لم تسمح للناس ابدا باقامة الولائم بهذا الصدد .

روى عن الامام الحسن البصرى ، من كبار التابعين انه قال : دعى عثمان بن عبد العاص احد صحابة الرسول مرة الى وليمة بمناسبة حفلة ختان ، لكنه امتنع عن الحضور اليها ، مستندا الى عدم استحسانه لها ، بدليل ان الرسول نفسه لم يشارك اطلاقا فى مثل هذه الطقوس ، ولم يستحسنها ، واذ علم الناس بذلك ، كانوا يمتنعون من دعوته اليها . وامثال هذه الوقائع كثيرة . ومن هنا نحصل على الاستنتاج الواضح بما فيه الكفاية ، وهو ان ولائم الختان ، التى ترافقها نفقات باهظة ، وتقام فى جو يتخلله الرياء ، ليس لها اساس لا فى الشريعة ولا فى التقاليد الاسلامية العريقة .

انه لأثم كبير واسراف باذخ لا معنى له ، ويدفع الناس شاءوا ام ابوا الى المنافسة فى الرذيلة ، وهو ليس الا مظاهرة لتبيـــان الثروة والغنى . وما هو ضار بشكل خاص هنا ان هـذه العادة السخيفة ، تجبر

الناس على انفاق اكثر مما فى حوزتهم وامكانياتهم المادية فى الواقع . وكثيرا ما تغرق الكثير من العائلات بالديون الكثيرة ، ولا تقدر على تسديدها خلال كثير من الاعوام السود . وثمة حالات تكون فيها هذه العائلات ، على حافة الافلاس بكل ما يتبع ذلك من آثار ثقيلة الوطأة بما فيها الانهيار .

فمن غير الصائب وغير المسموح به ، ان ينفق المرء ما لديه من خيرات مادية ونقود على اشياء لا فائدة منها ولاغراض غير عقلانية ، وعلى بهرجة مدمرة لا مغزى لها . وقد جاء فى كتاب البارى عز وجل بهذا الصدد : «**ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**» . . واندر فى آية اخرى » . . . **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**» (سورة الاعراف ، الاية ٣١) .

يدعو نبينا محمد صلى الله عليه ويلم فى كثير من احاديثه الناس الى الاعتدال فى الصرف . وتغدو كلماته حكمة وعلما اذ يقول : «**ما عال من اقتصد**» (رواه احمد) ، وقد اكد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بان الانسان سوف يسأل عن اربع قبل دخول الجنة : عن عمره كيف قضاه ، وعن شبابه فيم افناه ، وعن علمه ، أعمل به ام لا ، وعن ماله كيف جمعه وعلام صرفه .

ولكن مع الأسف لا يزال يواصل الناس تمسكهم بالعادات والتقاليد المبتدعة ، بالرغم من آيات القرآن الكريم وسنن نبينا الهادية . كل ذلك راجع الى ضعف طبيعتهم البشرية وفقدان صلابة الروح المعهودة . فالبعض تغره بهرجة الدنيا فى اقامة الولائم ، وينجذب الى المنافسة فى اظهار الاكتفاء المادى والثروة ، ويتمسك البعض الآخر بتلك العادات ، للتخلص من لوم الاقربين والمقربين ، بحجة خشية «خرق» تقاليد الاجداد الغابرة ، ويرى القسم الآخر من هؤلاء فى هذه الطقوس ، قمة الآمال المشبعة بحب الذات ، وهم مستعدون لتبذير كل ما لديهم ايضا لذلك .

ان هذه الانواع الثلاثة من الناس ، لعلى ضلال مبين فيما يعتقدونه ، وقد جاء فى القرآن الكريم وصفا للنوع الاول منهم : «**يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**» (سورة البقرة الآية ٣٦٤) .

اما النوع الثانى فتنطبق عليهم الآية التالية : «**وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون**» (سورة الزخرف الآية ٣٣) .

واننا اذ نشجب تصرفات النوع الثالث من اولئك الناس ، علينا ان نتذكر دائما ، ان الله سبحانه وتعالى يجازى فقط اولئك الذين يقومون باعمال الخير ، وليس اولئك الذين يواصلون تقاليد البهرجة الدنيوية المدمرة . وبهذا الصدد ، جاء فى القرآن الكريم : «**ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير**» (سورة البقرة الآية ٣٦٥) .

يتبين مما تقدم ان كل الولائم بمناسبة الختان تختلف مع نصوص الشريعة الاسلامية ، وان من يواصل تلك العادات الضارة يغامر فى خاتمة المطاف ولا يحظى برحمة ربه ، ولذلك فاننا نهيب بالائمة وعلماء الدين ، ان يقوموا بعمل توضيحى واسع بين مسلمى اصقاعنا لاجتثاث مثل هذه العادات والتقاليد من حياتنا .

اننا ندعو البارى عز وجل ان يعيننا على عمل الخير ويبعدنا عن الاسراف والتبذير .

فتـــــوى
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول مكروهية الجمع بين صلاة الجمعة والظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

يؤكد القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم على مشروعية صلاة الجمعة .

وقد جاء فى القرآن الكريم : «**يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**» . (سورة الجمعة الآية ٩) . وقد حدد الرسول الاعظم بدقة طابع اجراء هذه الصلاة فقال : «**الجمعة حق واجب على كل مسلم**» (رواه ابو داود) .

تمت صلاة الجمعة الجماعية لاول مرة فـــــى تاريخ الاسلام ، فى مسجد الرسول بالمدينة المنورة ، اما الثانية ، فكانت فى مسجد عبد القيس بقرية جوائى فى البحرين وقد جاء فى الحديـــث : «**ان اول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجوائى من البحرين**» . (رواه البخارى وابو داود) .

ويشترط ان لا يكون عدد المصلين فى صلاة الجمعة اقل من اربعة اشخاص . تلكم احدى قواعد صلاة الجمعة الاحتفالية للمسلم .

ان بعض قليلى الخبرة والمعرفة من الناس يحاولون عادة ، بعد صلاة الجمعة ، اقامة صلاة الظهر ايضا ، ويعتقدون ان مثل هذا العمـــل يستحق التقدير ويرضى به الرب ويتفق مع سنة رسوله . اما الحقيقة فبعكس ذلك ، فحسب اقوال موثوقة ، فان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده واتباعهم الاوفياء ، لم يقوموا بصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة . ولذلك لا ضرورة لاقامة صلاة الظهر بالنسبة لنا ايضا . وقد جاء فى كتاب «البحر الرائق» لابـن النجم الحنفى : «انى قد انكرت مرارا فى تعليقاتى صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، لان لا يقع الشك فى فرضيتها» .

اما الرسول ، فقد تجنب بنفسه وحذرنا ايضا من بذر الشكوك بين المسلمين . ومن هنا يتضح ان اقامة صلاة الظهر في يوم الجمعة ليس مكروها فحسب ، بل هو بدعة منكرة ايضا .

وبما ان هذه المسألة ، بقيت حتى الآن مادة لخلافات ونقاشات لا طائل من ورائها بين مسلمينا ، فقد قررنا توضيحها والتخلص من الشكوك المهلكة بالنسبة لنا .

نسأل الله العلي القدير ان يهدينا الى الطريق القويم ، وهو على كل شيء قدير .

فتـــــوى
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول عدم شرعية اداء صلاة الجنازة بغير وضوء

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الفترة الاخيرة ، وفى بعض المساجد ، يلاحظ جلب الحاضرين الى صلاة الجنازة ، من ذوى الخبرة القليلة او الشباب الذين لا معرفة لديهم بذلك . وكثيرا ما توكل هذه الطقوس الهامة جدا وغير السهلة من وجهة نظر الشريعة الاسلاميـــة ، الى اناس طارئين تمامـــا . فمن المعلوم ان صلاة الجنازة تعادل من حيث اهميتها الصلوات الخمس ، وينبغى ان تتم وفقا للقواعد المحددة لها . ومن اهم شروط الجنازة ، ان يكون المصلى على وضوء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**» (رواه مسلم) .

فلذلك يجب على من يريد ان يصلى صلاة الجنازة ، ان يتوضأ وضوءه للصلوات الخمس .

ثمة فى صلاة الجنازة عدة افعال مثل افعال سائر الصلوات . وقد جاء فى «صحيح البخارى» : «**سماها النبى صلى الله عليه وسلم صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ولا يتكلم فيها . وفيها تكبير وتسليم . . . وقال الحسن : ادركت الناس واحقهم على جنائزهم من رضوهم لفرائضهم واذا احدث يوم العيد او عند الجنازة يطلب الماء . . .**» (رواه البخارى) .

وهكذا يتضح من هذا المصدر الاسلامى القويم ، ان الوضوء قبل صلاة الجنازة ، هى الزامية ولا غنى عنها ، كالصلوات الخمس . وتنعكس هذه الاحكام ايضا فى كتاب «فقه السنة» ، حيث اشار الى ان كل انسان يشارك فى صلاة الجنازة ، يجب ان يتوضأ ، ويتوجه نحو القبلة ويستر عورته . وقد اشار الى مثل هذه اللوازم ، الامام مالـــك ، والامام الشافعى ، وعبد الله بن عمر . فقد اكد الجميع على وجوب كون الانسان طاهرا من الجنابة والحدث قبل الشروع بصلاة الجنازة .

ويتضح من كل ما قيل ، ان الطهارة هى شرط الزامى يسبق صلاة

الجنازة ، وبدون مراعاتها تكون الصلاة فاسدة . وتنظر تعاليم الشريعة الى الصلاة بدون طهارة ، كخروج عن الدين ، ويغضب به البارى عز وجل . ولذلك فان الذين يدعون الناس الى صلاة الجنازة بدون طهارة ، يعرضون انفسهم الى معصية الله تعالى .

وقد جاء فى الكتب المشار اليها ، وغيرها من الكتب والمصادر الاسلامية الموثومربها ، ان مجرد مرافقة المتوفى الى مثواه الاخير ، هى بحد ذاتها عمل يرضى الله عنه ، وان القيام بصلاة الجنازة ، هو جزء منه لان صلاة الجنازة «فرض الكفاية» . وهذا يعنى اذا قام البعض بها سقط عن الباقين . ويجب ان تكون هذه الاحكام الاساسية ، واضحة ومفهومة بدقة لكل مسلم ، لكى لا يقع فى موقع المذنب . وعليه ان يتذكر ان كل من يضع اولئك الذين رافقوا الجنازة الى مثواها الاخير فى صف واحد ، مع من يصلى صلاة الجنازة يعصى الله تعالى ولا تقبل الجنازة ايضا عنده .

اما فيما يخص سنة الرسول فقد جاء فيها : «انه اذا صلى على الجنازة اربعون رجلا يؤمنون بالله ولا يشركون به غفر للميت» . ويشير هذا الحديث الى ان صلاة الجنازة هى دعاء واستغفار للميت . ولكن ينبغى على كل مشارك فيها ، ان يكون طاهرا قبل الشروع فيها . وقد اشار اليه كتاب «المبسوط» و«البدائع» وغيرهما .

ولمناسبة اصدار هذه الفتوى ، فاننا نلزم جميع خطباء المساجد والائمة ومن ينوب عنهم ، بتطبيقها فى المساجد وفى اماكن تجمع المسلمين ، وايصال مثل هذه وغيرها من احكام الشريعة الاسلامية الى كل مسلم ، ليكف الجميع من اداء صلاة الجنازة بغير وضوء . ويجب ان يوضح للناس باستمرار وبشكل منظم ، ان صلاة الجنازة ، لابد ان تتم فى كل مكان وفقا لاحكام الشريعة وبلا اكراه ، اى على اساس طوعى تام وصحيح . وفضلا عن ذلك ، فاننا نرجو من كل امام – خطيب ان يخبر الادارة الاسلامية بآراء ومقترحات ورغبات المسلمين فى اماكنهم ، لكى تدرس وتعتبر فى الفتاوى القادمة .

اننا نسأل الله تعالى ان يهدينا الى الطريق الذى يحبه ويرضاه .

فتـــــوى
سماحة المفتى شمـــس الديـــن خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان حول زيارة القبور والضرائح وما يقترن بذلك من مبتدعات

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بين الله تعالى فى كتابه العزيز ، الى اكمال دين الاسلام حيث قال : «**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** (سورة المائدة الآية ٣) .

من الواضح ان اهل واقارب كل انسان ، سيغادرون هذه الدنيا عاجلا ام آجلا ، بارادة اللـــه تعالى . واذ يحتفظون بالذكرى النيرة للاموت ، ويدعون لهم سائلين من الله الرحمة والمغفرة ، فان هذه الاعمال تطابق بتعاليم الشريعة الاسلامية . وقد جاء فى القرآن الكريم : «**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان . . . .**» (سورة الجمعة الآية ١٠) . «**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**» (سورة الاسراء الآية ٣٤) . وتبعا لذلك فان واجبنـــــا ان نذكر بالخير آبائنا وامهاتنا الذين غادرونا ، وكذلك الاهل والاقرباء والاصدقاء والاصحاب ، وان نتضرع اليه سبحانه وتعالى ان يغفر لهم ذنوبهم .

ان زيارة القبور بين فترة واخرى ، هو عمل موافق للشريعـــة الاسلامية ، وثمة فى هذا الصدد احاديث نبوية كثيرة ، منها : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» (مسلم) وورد : «كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقول قائلهم : «السلام عليكم اهل الديار عن المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ،

أسأل الله لنا ولكم العافية» تحدد الاحاديث المذكورة بدقة ووضوح الهدف الذى يقصده المسلم من زيارة المقابر . انها دعاء الى الله للميت وخشوع لله ، وتأملات بسر الحياة والممات . ففى مثل هذه الحالة فقط ، تكون زيارة المقابر والمزارات جائزة .

لقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم ، الاستعانة من الموتى ، وان يطلب منهم مساعدة الاحياء فى اعمالهم الدنيوية . وقد ورد فى الحديث : «**لا تتخذوا قبرى مسجدا ، لا تجعلن قبرى وثنا ، لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد**» (رواه ابو يعلى) .

ونستنتج من ذلك بوضوح ، ان تحويل مقابر الموتى ، او ضرائح الاولياء ، الى مكان العبادة هو عمل تحرمه الشريعة الاسلامية .

فعلى كل مسلم حقيقى ، ان يعرف ان العبادة بحد ذاتها تنقسم الى قسمين : عبادة معنوية ، وعبادة بدنية . فالقسم الاول ، هو الوضوء والصلاة وصوم رمضان الكريم وغيره من الصيام ، اما الثانى ، فيتعلق بالزكاة وغير ذلك من انواع الصدقات والتبرعات . وعندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «**لا تتخذوا قبرى مسجدا**» كان يقصد كلا النوعين .

يجب علينا ان نعلمكم ايها المسلمون ، بمزيد من الاسف ، انه بدأت تظهر فى بعض الاماكن مقابر واضرحة ، يعلن عنها زورا وبهتانا بانها مقدسة . ويتوجه اليها الزوار ، وتقدم لها الضحايا من الاغنام والماعز والنقود . ومن المعروف ان مثل هذه الظواهر غير الطبيعية ، تظهر بسبب عدم ادراك جوهرها الباطل . وان الشريعة تحرم مثل هذه العادات . وان من يحاول محو ذنوبه ، ويغطى اعماله غير الشرعية التى ارتكبها ، بتقديم مثل هذه التبرعات الى الاضرحة ، او الى ما يسمى «الاماكن المقدسة» هنا ، فانه لعلى ضلال مبين ، لان كل مسلم حقيقى ، يجب ان يتوجه الى البارى عز وجل فقط فى طلب الغفران . اما التوجه بطلب العون من المتوفى ، وهو ميت فى القبر ، فهو عمل لا يتفق مع روح الاسلام ، بل هو نوع من الشرك ، نعوذ بالله من ذلك .

لقد حرم اعلام الاسلام والعلماء الكبار ، تقديم الهدايا الى «الشيوخ» فى تلك الاماكن ، بقصد الشفاعة والاستعانة منهم . وقد شجب القرآن الكريم اولئك الذين يضفون على انفسهم لقب شيخ الضريح ، لكى يطمع اموال المسلمين وسماهم أكالين للسحت . وبهذا الصدد جاء فى احد الاحاديث النبوية : «**من سأل الناس اموالهم تكثرا**

فانما يسأل جمرا فليستقل او يستكثر» (رواه احمـــد ومسلم وابن ماجه) .

يتفق كبار اعلام الاسلام والفقهاء العظام فى الرأى على ان الموتى ، لا يستطيعون التأثير فى احداث الدنيا ، وهم اشباح وارواح فى عالم البرزخ .

ولا يخفى على احد ، ان بعض المسلمين عندما يصابون بمصيبة ، او عندما يشرعون فى عمل ذى شأن ، ينذرون نذرا بقولهم مثلا : اذا تم كل شىء بالتوفيق ، واذا توصلت الى اغراضى ، فاننى ساقدم قربانا ، رأس شاة او نقودا الى مزار كذا . يفعلون هذا كله خلافا لتعاليم الشريعة الغراء . ورد فى شرح «درر البحار» «اذا ذهب احد الى مقبرة ولى وقال : «اذا قضيت حاجتى نذرت بان اذبح شاة او تصدقت نقودا «فلا يكون ذلك نذرا مقبولا ، بل يأثم الناذر بتشفيعه غير الله تعالى فى الامور الغيبية . اذ النذر لله فقط .

وقد كتب الامام القرطبى فى كتابه «المفهم» يقول : اذا قدم انسان صدقة واشترط على الله تحقيق مبتغاه ، فانه غير مخلص لله ، لان الله لا يحتاج الى اموال الدنيا ، واذا طلب ذلك بشفاعة ولى مـــن الاولياء ، فان ذنبه يتضاعف فان النذر لا يجوز الا لوجه الله تعالى فقط .

وجاء فى حديث آخر : «**من نذر ان يطيع الله فليطع ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه**» (رواه البخارى واصحاب السنن) . وقال الامام النووى شارح صحيح مسلم : «من ذبح شاه عند مقبرة ولى ونوى بذلـك ارضاء روح الولى فانه يأثم به» .

وجاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخص بتقديم الضحايا للمقابر : «**لا عقر فى الاسلام**» (رواه ابو داود) .

وقد كانت مثل هذه العادات موجودة لدى العرب قبل الاسلام ، لكن الاسلام الغاها .

وليكن معلوما لديكم ، ان الناس قد يحولون الاماكن المقدسة الى منطقة للراحة والعرض . فمثلا مزار سلطان اويس بابا ، ومزار نارينجان آتا ، فى منطقة قرة قالفاق ، وكذلك ضريح الغوث الاعظم فـى قرية غوث بمحافظة سمرقند ، ومزار حضرة عكاشه فى محافظة تشيمكنت بقازاخستان ، وفى تركمانيا مزار يوسف الهمدانى وغير ذلك . ان مثل هذه الافعال ليست مستحسنة ، وان القائمين بها هم العصاة الغافلون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم ، فان تسليمكم يبلغنى اينما كنت**» (رواه ابو يعلى) .

فاذا فسرنا هذا الحديث بعمق ، فاننا سنفهم بالتأكيد ، ان تحويل المقابر والاضرحة الى اماكن اللهو والتنزه ، يعنى عـــدم احترام ذكرى الموتى ، لان من يذهب للتنزه يلبس ملابس العيد ، ويتصرف طبقا لذلك ، وهذا لا يرضى ارواح اجدادنا بل يحزنهـــا ، فان الافراح والاحتفالات ، يجب ان تقام بعيدا عن اماكن قبور الاهل والاقرباء ممـــن سبقونا فى الحياة الدنيا .

واود ان اخبركم بمزيد من الاسف ، عن نشوء اماكن جديـــدة للزيارة فى الفترة الاخيرة . اذ ان البعض من شرار العلماء الذين يهتمون باكتساب الثروة الشخصية اكثر واكثر ، يحاولون تحويل بعض الاضرحة والمزارات غير المعروفة فيما قبل الى اماكن مقدسة . ان هذه المحاولات ضلال واضلال لا غير . وهكذا ، يزعمون مثلا : ان لسعد بن ابى وقاص مقبرتين واحدة فى سمرقند والاخرى فى محافظة سرخان دريا . وان ضريح خالد بن الوليد موجود فى نفس الوقت ، فى منطقة زامين بمحافظة جيزاخ وفى تركمانيا . والحقيقة ان الشخصيتين الكريمتين قد دفنا فـى الشام .

ان الامثلة المذكورة اعلاه تعتبر غير طبيعية ، من وجهـــة نظر الشريعة الاسلامية ، وان الناس الذين يثقون بمثل هذه الاباطيل ، هم ضالون ومذنبون ايضا . جاء فى حديث الرسول الاعظم «**من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها**» (رواه ابن ماجه) . وبنـــاء على هذا ، فان الذين يخترعون اماكن مقدسة جديدة لاغراضهم الشخصية ، فلهم وزرهـــم واوزار من اضلوهم واتبعوهم .

لقد ذكرنا فى هذه الفتوى واقع ان تقدير ذكر آبائنا وامهاتنـــا واقاربنا ، واصدقائنا ومعارفنا عمل خيرونبيل . ومع ذلـــك فقد تحدثنا واثبتنا ان تحويل مقابر الاولياء او المزارات الى اماكن مقدســة والنذور اليها ، امر يخالف ما جاء فى الشريعة ، ويستنكره حديـث نبينا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

نسأل الله تعالى ان يرزقنا اتباع الحق واجتناب الباطل ويهدينا الى ما يحب ويرضاه ! آمين .

فتـــــوى
المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول العقاقير الباطلة والاطبـاء الجهلـــة والعرافين والمنجمـين والتعاويذ وموقف الشريعة من كل هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أنعم البارى عز وجل على عباده فى هذه الدنيا نعما لا نهايـة لها ، الا ان اكبر نعمة وأسماها هى الصحة والعافية .

ان الصحة نعمة كبرى وسعادة عظمى ، ولا يعلم قدرها الا الانسان الذى جرب بنفسه هذه العلة او تلك ، وذاق مرارتها . وبالرغم مـــن محاولة الانسان بكل السبل ، صون نفسه من الاصابـة بشتى الامراض والعلل ، والتعرض الى المصائب والنوائب ، فانه على اية حال بوسعـه النجاة من الوقوع فيهـــا . وهذا طبيعى . وتعالج الامراض المختلفـة باشكال مختلفة وسبل ووسائل شتى . فقد ورد فى الحديـث الشريف للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : «**عباد الله ، تداووا ، فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء الا داء واحدا الهرم**» (رواه الترمذى وابـو داود) .

وفى حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لكـل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله**» (رواه مسلم) .

ويتضح من هذين الحديثين ، ان كل داء له دواء ولكل علة طريقـة للشفاء . بيد ان ذلك يتطلـــب ان يقوم به شخص من ذوى المعرفـة والدراية . ولهذا أعاد أصحاب الحكمة حقا من الناس منذ الزمان القديم ، عناية كبيرة الى الطب .

وفى آسيا الوسطى وقازاخستان ، كما هو الشأن فـــى اليونان واوربا عموما وفى بلاد العرب وارجاء العالم الاخرى ، كان منذ الزمـــن السحيق كثير من العلماء والاطباء الذين اسهموا بقسط جليل فى قضية

استكمال رعاية صحة البشر فى العالم كله . وتحظى من بينهم بذيوع الصيت ، وانتشار الشهرة عالميا ، اسماء أعلام عظام مثل الشيخ الرئيس ابى على بن سينا ، وابى نصر الفارابى ، وابى ريحان البيرونى ، ومحمد شاه خواجة طشقندى بن الشيخ خواند طهور ، ومحمد اميـــن الخادم الخوارزمى ، وابـــى الغازى خان الخوارزمى ، وجنيد الله بن شيـــخ الاسلام الحاذق ، وميرزا خيـــر الله ناصر الخوقندى ، ومحمود حكيم يايفانى وكثير غيرهم .

وقد اجاب النبى صلى الله عليه وسلم على سؤال الصحابة : هـل يغير الدواء القضاء ؟ بقولة : «بل الدواء من القضاء والقدر» .

ولم يرد اى نص فى الشريعة ، يؤكد على ان الطبيب الذى يعالـج المريض ، يجب ان يكون مسلما . وعلى سبيـــل البرهان يمكن ايراد الحديث بانه حين مرض سعد بن ابى وقاص أرسله الرسول للعلاج الى حكيم نصرانى هو الحارث بن كلدة .

وخلال القرن الماضى بفضل العدد والعديد من الاكتشافات ، بدأ تطور عاصف للطب ، علما وممارسة ، مما أدى الى انخفاض ملحوظ فى مستوى الاصابات بالامراض وحالات الوفيات بين الناس . وتطور علـم الطب تطورا جديدا ثوريا فى عصرنا ، وبخاصة فـى الاتحاد السوفيتى . فقد استؤصلت لدينا مثلا علل معروفـة كالتيفويد والطاعون والملاريا وغيرها من الامراض الوبائية الوبيلة . وهذا ايضا أحد الشواهد الدالة على شفقة الخالق تعالى لعبادة . ولكن مع الاسف الشديد لا يزال يوجد فى أيامنا – حين بلغ تقدم العلم مثل هذه الذرى – بيـــن بعض المؤمنين اشخاص على درجة من الجهل ، بحيث يفضلـــون على الاطباء المؤهلين المتخصصين ، اطباء اميين وعرافين ومنجمين والكهنـــة والمشعوذين اى اولئك الذين ينشرون الخرافات والترهات والخزعبلات ، وهو أمر تدينه الشريعة وتشجبه . وثمة ايضا بين المسلمين من يقصدون طلبا للشفاء الى ما يسمى بالعتبات والاماكن المقدسة وأضرحة الاولياء . وهم يظنون لدى ذلك ، انهم انما يتبعون بهذا تعاليم الاسلام ، غيـــر عارفين بان تصرفهم هذا مخالف ومناقض لاوامر الله العلى القديـر ، ووصايا رسوله محمد صلوات الله عليه .

وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم جواز الاشتغال بما لا يحسن من الطبابة فقال : «**من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهـو ضامن**» (رواه ابن ماجه) .

فاى نوع من الاطباء الجهلة الذين يتولون بلا حق معالجة المرضى ، من المغرر بهم والسذج البسطـــاء ، وبهذا يستجلبون الاموال ويجمعون الثروة على حساب المرضى ، فانهم يرتكبون اثما عظيما ومعصية كبيرة . ومن يؤمن بهم ويصدق بقولهم ويسعى اليهم طالبا عونهم ناقص العقـــل والدين .

وتبلغ الينا معلومات بانه قد ازداد خلال الآونة الاخيرة بين السكان المسلمين من أهالى المدن والريـــف ، عدد هؤلاء المشعوذين الذيـــن «يعالجون» جميع العلل والامراض ، ويدعون مقدرتهم على شفاء كل داء . ومن العجيب الغريب ان العديد من هؤلاء «الاطباء» هم من النساء . ولهم ولهن الكثير من الوسطاء ، الذين يروجون بالتواطؤ معهم ، كافـــة انواع الشائعات والاراجيف ملبسين اياها ثياب الحقيقة وكأنها وقائـع ثابتة ، عن قدرتهم المدهشة الخارقة ، وكونهم نجحوا فى شفاء كثرة كاثرة مـــن الامراض ، التى استعصت على أهل الطـــب الحاذقين ، وكبار رجالـــه وعلمائه المعروفين والمشهورين ، وحتى الاعلام من ذوى الباع الطويـــل فى هذا الباب والمجال . ويذهب بعضهم فى القول الى حـــد الادعاء بان هؤلاء الاطباء جالبى الويل والشقاء كانوا قد اصيبوا هم انفسهم سابقا بمرض ما عضال ، وانقذتهم منه قوى مزعومة مما وراء الطبيعة والزمتهم بعلاج وشفاء الآخرين المصابين بعلل يعانون وطأتها . وهم يشعوذون على المرضى ، ويتلون التعاويذ ، ويأمرون الزوار بتقديم الاضحيـــــة والقرابين الى المزارات وأضرحة الاولياء والصالحين ، كرأس من الضأن أو المعز . اما المرضى فيحدوهم الأمل فى الشفاء العاجل ، الى فعل كل ما يؤمرون به .

وقد نشرت فى الصحافة المحلية مقالات كثيرة جدا ، فضحت الاعمال الذميمة لهؤلاء الاطباء الكذبة ، وتحدثت كذلك عن عواقـــب «معالجتهم» بأساليب جاهلة وبعيدة عن محجة المعرفـــة ، وتردى احوال اولئـــك المرضى ، وفى عدد من الحالات بلغ الامر الى الوفاة بهذا السبب .

وعلى الرغم من ذلك ، يواصل بعض المؤمنين مراجعـــة السحرة والعرافين والاطباء المزيفين ، وبهذا يصبحون ضحاياهم المتطوعين كما يسعى طوع اراته الى حتفه بظلفه . ولهذا السبب نعتبر ان الاوان قـــد حان لكى نفضح ونعرى امام جميع المسلمين وذوى الاعتقاد الصحيح من المؤمنين الاعمال الدنيئة لهم .

وتبين الحياة ان المشعوذين الذين «يعالجون» الناس وفقا لغاياتهم المغرضة من اية أمراض كانت لا على التعيين لا يتورعون عن اية وسائل

لبلوغ تلك الغايات ، ولا يكلفون انفسهم مشقة التفكير فـــى العاقبة الوخيمة ، التى قد تبلغ حد الكارثة مـــن جراء تصرفاتهم . ومع الاسف ليس من النـــادر ان يتخذ الناس حيال هؤلاء الاطباء موقـــف الاجلال والتكريم . واذا شعر المريض بانه قد أضحى أحسن حالا ، يقع عادة فى أسر الاعتقاد الكامل بقدرة «منقذه» مروجا الاشاعات عن قوته الخارقـة . اما اذا حدث العكس ، اى حين تزداد صحـــة المريض تدهورا او حتى تدركه المنية ، ففى هذه الحالات ايضا ، قليلا ما يجرؤ أحد على تحميـل المسؤولية على المداوى ، بل يرد ما حدث الى القضاء المكتوب . ولكن ما أشد الجرم فى هذا ، اذا تذكرنا ان امثال هذه الحالات تعتبر وفـــق مفهوم الشريعة بمثابة اراقة الدم من غير ذنـــب ، وقتل النفس المحرمة بغير وجه حق .

ولقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم فى حديثـــه : «**من اتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقـه بما قال يكفر**» (رواه الطيرانى) .

وعلى هذا ، فان السحرة الذين يتنبأون رجما بالغيـــب ودون اى استناد الى معارف العلوم المعترف بها ، كاشفين طوالع الناس ، ويدعون معرفة المستقبل المجهول ، ويبينون درب السعادة والشقاء ، وكذلك كل الذين يؤمنون ويصدقون بهؤلاء الجهلاء ، فان جميعهم سواء فـى ارتكاب المعصية الكبيرة .

ان العرافين هم اخوان الشياطين ، وهم من الكفرة الملحدين ، وهم انفسهم غير مؤمنين بكتاب الله ولا بسنة رسوله الا انهم كثيرا مـــا يرددون فى اثناء فتح الفأل بخسارة غيـــر المتحرج ، اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والامام على بن ابى طالـــب (كرم الله وجهه) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) والاولياء الصالحين ، ومنهم بهاء الديـن النقشبندى وغيرهم . وحين يسمع الناس هذه الاسماء المقدســة تزداد ثقتهم بهؤلاء المحتالين الماكرين .

وينصح كثير من اصحاب السحروالخز عبـــلات مريديهم قائلين : «لعل بعض الاعداء الاشرار قد وضعوا فى بيتـــك شيئا ما يجلب الضر والشر ، وينبغى العثور عليه ونبذه خارج البيـــت بأسرع ما يمكن» . وسرعان ما يشرع صاحب البيت فى البحث عن ذلك الشيء ، وحين يعجـز عن ذلك بعد التقليب ، يخف الى هذا العمل ذلك الكامن نفسه . وعندمـا يتوجه الى ذلك البيـــت يخطف معه صرة معقودة عـــلى قلامات الاظفار

وكسارات صدئة من الحديد ، وثلمة من الصابون ، وشعرات وما شاكل ذلك . ويتظاهر فى البيت بأنه يبحث وينقب فى الزوايا عن الخبايا وبغتة تنبعث منه صرخة زاعقة ، وينتشل من مكان ما متظاهرا صرته التي أحضرها معه ، ويعرضها بزهو المنتصر على صاحب الدار ، الذى يكاد يطير فرحا وينثال بالشكر والثناء على «الساحر» الطيب ، الذى خلصه من الشر المستطير وكان له خير بشير وكفاه شر عين الحسود ، أو نوايا الاعداء الاشرار ، دون ان يلاحظ لدى ذلك ، انه قد أصبح هو نفسه ناقص العقيدة وصاحب الزلة والضلال المبين . فكيف لا تتعجب من هؤلاء المغرورين ، الذين يرون كل يوم ويشاهدون على عجب الصناعات المعاصرة ، فكيف يصدقون باكاذيب السحرة الجهلة .

ان الانسان المعاصر البالغ ، بل وحتى الطفل حين يشاهد فى السيرك عجائب السحر المدهشة الاسطورية حقا ، لا يساوره الشك فى كونها نتيجة المهارة واتقان فن الشعوذة السحرية ، فهو من ذلك على يقين . ولكن المستغرب هو ان ذلك الشخص ، الواقع تحت تأثير النصاب او المحتال من الاطباء والسحرة المشعوذين ، واصحاب القيافة والعيافة وذوى التعاويذ والحجب والطلاسم ، لا يريد التفهم ان هذا السحر من تلك المشعوذة ولكن بأسوأ معنى لهذا التعبير .

ومن الجدير بالذكر هنا ان بعض العلماء المتعصبين ، كانوا قد ادعوا فى الزمان القديم ان علم الطب مخالف للدين الاسلامى ، وان أى مرض يصيب الانسان انما هو بقدر أنزل به الله عقابا عن الذنوب ، وان العلاج من الامراض فيه انحراف عن قوانين الشريعة الاسلامية . ان هؤلاء كانوا السبب فى ملاحقات العديد من الاطباء العظام وكبار العلماء والحكماء الاعلام . ولكن المصادر الاسلامية الاساسية ، وهى القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة النبوية المطهرة ، تعترف بالطب الحقيقى وتتضمن كثرة كاثرة من الشواهد الدالة على تقييم أفضاله وتقديرها حق قدرها .

جاء فى آى الذكر الحكيم «. . . **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . . .** (سورة الاعراف الآية ٣١) ولقد اعتبر كبار ائمة الدين والعلماء هذه النصيحة دوما ، من أهم القوانين الاساسية للحفاظ على الصحة . وبالفعل ، فان الممارسات الحياتية وخبرة الاجيال تبين ان عدم الاعتدال فى الاكل والشرب ، وعدم الانتظام واختلال النظام فى تناول الطعام ، هى اسباب العديد من العلل والامراض . ومن مضامين الحديث قوله –

عليه الصلاة والسلام – : «**المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء**» وقوله : «**واعط كل بدن ما عودته**» . وقد ورد فى كثير من احاديث النبى صلى الله عليه وسلم حث على علم الطب وبيان الادوية من النباتات والخضروات وغيرها .

ان المحدثين الكبار كالامام البخارى والامام مسلم والامام الدارمى والامام ابن ماجه والامام النسائى والامام أبى داود لدى تدوينهم احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتاليفهم كتب الصحاح ، أفردوا بشكل خاص أقواله عن الطب .

وقد اعتبر كبار العلماء الذين عاشوا فى عصر صدر الاسلام وايام انتشاره ، تدوين علوم الطب والحكمة واجبا مشرفا . حتى لقد اوصى بعض علماء الدين الناس بعدم السكنى فى المدن والقرى التى تخلو من الاطباء .

وقد فتحت فى الوقت الحاضر بنواحينا وجميع مدننا وقرانا – والحمد لله رب العالمين – مؤسسات علاجية كثيرة مزودة بالملاكات الطبية المؤهلة بالتخصص العالى . وتشرف على عملها هيئات السلطة السوفيتية .

تعلن المادة ٤٠ من دستور جمهورية اوزبكستان السوفيتية : ان مواطنى اوزبكستان يملكون الحق فى السهر على صحتهم والعناية بها ، وان هذا الحق مكفول بتأمين المساعدة الطبية المتخصصة والمجانية والمؤسسات الرسمية للرعاية الصحية ، وزيادة عدد المؤسسات الخاصة بصيانة وتعزيز صحة المواطنين وبالاخص الحرص على رعاية صحة الجيل الطالع والتطوير اللاحق لاعمال البحث العلمى الرامية الى الوقاية من الامراض ، وضمان طول العمر للمواطنين .

وبالتالى لا بد ان يراجع المريض الطبيب عند احساسه بظهور أول أعراض الاصابة بمرض . غير انه لا يزال بين المؤمنين عدد غير قليل من اولئك الذين لا يثقون بالاطباء المعاصرين المؤهلين ، ولا يؤمنون بمفعول المستحضرات العلاجية . وبعد تناولهم الدواء مرة واخرى ، يكفون عن تعاطيه ويأخذون فى بث الشكوى قائلين : «ها هم اولاء يكتسبون لك الوصفات بكل انواع الدواء ، ولكن ما من جدوى عنها ولاشفاء» . ولن يكفل حسن العلاج وضمان الشفاء من الداء سوى الاتباع الدقيق للنظام الذى أوصى به الاطباء .

ورد فى صحيح البخارى حديث : «**ان رجلا اتى النبى صلى الله**

عليه وسلم فقال : اخى يشتكى بطنه . فقال : . فقال اسقه عسلا . ثم اتى الثانية . فقال : اسقه عسلا . ثم اتاه الثالثة . فقال : اسقه عسلا . ثم اتاه فقال : فعلت . فقال صدق الله وكذب بطن اخيك ، اسقه عسلا . فسقاه فبرأ» (رواه البخارى)

ويؤكد هذا الحديث ايضا فكرتنا بان الادوية والعقاقير والمستحضرات التى يوصى بها الاطباء ، لابد من تناولها بانتظام وفى المواعيد المحددة ، وتنفيذ كافة الاجراءات المطلوبة ، ثم الابتهال الى الله العلى القدير بالدعاء أن يمن على عبده المطيع بعاجل الشفاء .

ان صيانة الصحة ، وهى نعمة وهبها الله تعالى وجاد بها المولى علينا ، واجبة على كل انسان . وموقف اللامبالاة وعدم الاكتراث من قبل انسان ازاء صحته ذنب كبير . فان الانسان لكى تتسنى له اداء واجباته أمام الله وحيال الناس ، لابد له ان يكون قبل كل شىء موفور الصحة والعافية .

وختاما اسمحوا لى ان اؤكد انه فى عصرنا الذى تطورت فيه العلوم ، وبضمنها الطب بهذه الوتائر العاصفة ، وقد وضعت تحت تصرف الاطباء أحدث الاجهزة العصربة والمعدات والادوات العلاجية ذات التأثير المعجز كالسحر ، والتى تتيح فرصة النجاح فى مكافحة أى مرض وبيل وعضال ، وحين نشعر نحن معاشر المسلمين المؤمنين المسلحين بأحاديث نبينا العظيم ، التى تشهد على ان كافة العلل والامراض قابلة للشفاء ، تعتبر مهمتنا العامة المشتركة وذات الاولوية والعاجلة ،النضال بلا هوادة ضد كافة انواع المحتالين والنصابين ، من ذوى الشهرة الواسعة والصيت الذائع بين بعض الغافلين والجاهلين او غير المتعلمين من المسلمين .

وعلى الأئمة – خطباء الجوامع عندنا ، ان يشرحوا على نطاق واسع ضمن مواعظهم وخطبهم وأحاديثهم مع المؤمنين ، جميع احكام فتوانا هذه ، وأن يشنوا حملة جدية من النضال ضد الخزعبلات ، وجمود العقل ، ومظاهر الجهل ، والخرافات .

والله الموفق المستعان واليه الانابة والتكلان .

فتـــــوى
المفتى محمود حقى بصدد تحريم الخمر وكافـة المـــواد المسكرة والمخـدرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى حرم الخمر وعده رجسا من عمل الشيطان .

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : «كل مسكر خمر وكـــل خمر حرام» .

ان الخالق البارى جل وعلا ، قد وهب الانسان صفة خاصة ، تميزه عن جميع المخلوقات الاخرى ، حين أعطاه العقـــل لكى يستطيع تمييز الحسن من القبيح ، والنافع من الضار ، والمعقول من السىء . أوحى الله العظيم الى وعى الانسان بكيفية بناء العالم ، وجعله خليفته فـــى الارض وقال له : «**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**» (سورة الاسراء آيـــة ٧٠) .

ويجب على كل فرد يريـــد أن يكون عضوا لائقا وكامل الحق فـى المجتمع ، ان يسعى الى النحو الذى أمره الله تعالى به . ان سلوك الناس الحسن ، وتصرفاتهم المحمودة ، خير تعزيز للمجتمع الذى يبنونه . .

ولكن ثمة ايضا من لا يفقه على الوجه الصائـــب آيات الله ، ولا يسعى للسير فى الطريق القويـــم والصراط المستقيم . وهؤلاء الناس يجازفون بأن يقعوا فى حالات محرجة ، بل وحتى مهلكة ، غير شاعرين بأن هذا ، نابع من عدم تربيتهم الصحيحة وتصرفهم الطالح .

وفى حالة ترك هؤلاء الناس دون عنايـــة ودون ارشادهم الى درب الصواب ومحجة الحق ، قد يلحقون الضرر لا بصحتهم وهنائهم فحسـب ، ولكنهم يشكلون خطرا كذلك على المجتمع كله . واذا لم يتم فى الوقـت المناسب ايقاف أمثال هؤلاء الناس عند حدهم ، فانهم قد يصبحون قدوة سيئة ، واسوة غير حسنة للآخرين ضعاف الارادة من الناس ، ويغدون جذر الشر الذى سوف تنمو من حوله العيوب والعلل والداء ، الذى يسرى بالعدوى . الحمد لله الذى يحذرنا من هذا بقوله : «**ولو اتبع الحـــق**

اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» (سورة المؤمنون ، آية ٧١) .

وينبغى على المؤمنين عدم الاكتفاء باتباعهم هم أنفسهم السير على الدرب الصائب ، بل عليهم ايضا ايصال الحقيقة الى أذهان الخاطئين ، وهداية الضالين ، وضرب الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة بالعمل الصالح ، والكلمة الحسنى للناس غير العارفين . وهذا عمل ممدوح يقره خالقنا . وفى نجاح هذا العمل ضمانة صحة المجتمع الروحية والمعنوية والبدنية . ولقد أوصانا به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحث على فعل الخير بقوله : «**الدين النصيحة**» (رواه النسائى) .

ينبغى تذكير أنفسنا مرة ومرة اخرى بضرر تعاطى المشروبات المسكرة . وهذا واجب عام ، وهو واجبنا الالزامى حيال ديننا الحنيف ، وازاء وطننا الحبيب .

فلنسأل أنفسنا : ما الذى حدا الى تحريم الخمر قبل ألف واربعمائة عام ؟ وهل كان هذا عملا طيبا أم غير طيب ؟ ورغبة فى اسداء الخير للخلق ام الحاق الضرر بهم ؟

الجواب معروف جيدا . ان الله لا يريد ابدا للناس الضرر ويريد بهم اليسر ولا يريد لهم العسر . انه لا يريد لهم الا السعادة والتوفيق والخير والنعيم المقيم ، وهو الذى زودهم بالقدرة على مقابلة كل ضرر وشر بالخير ، وتأثيره الطيب . ان الانسان يكره كل عمل ، وكل ما يؤدى الى الهلاك وسؤ المآل ، حتى وان لم تكن الى ذلك اشارة صريحة واردة فى محكم التنزيل ، أو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن ضررهما معروف حتى ولو لفرد واحد ، ومابالك اذا كان للمجتمع كله .

والناس مسؤولون عن افعالهم ، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . ويجب عليهم ان يتذكروا دائما وأبدا ، منع الشرع لكل ما هو مضر بالصحة ، ويشكل خطرا على الحياة كالخمر والتدخين والمخدرات وغيرها من المواد التى تسكر وتخدر . ان روح الانسان هبة ممنوحة من الله وعائدة اليه وقد منحت الى الانسان ، وعليه الحفاظ عليها فى طهر ونقاوة ، وصونها من الفساد حتى يوم الدين والحساب . ولا يحق لاى أحد الحاق الاذى لا بنفسه ولا بالمجتمع . وكل ما يحيط بنا ، ويكتنفنا وما نتمتع به ونستخدمه ، قد أعطاه الله لنا الى اجل مسمى . وما وهبه الخالق البارى ، لا يجوز استخدامه الا لنفع المجتمع ، وفى الامور الخيرة .

وسوف نسأل يوم الحساب عن كل ما فعلناه ، وكل ما كان بعهدتنا فى هذه الحياة . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ان الانسان سوف يسأل عن اربع قبل دخول الجنة ، عن عمره كيف قضاه وعن شبابه كيف افناه وعن عمله ، أعمل به ام لا وعن ماله كيف جمعه وعلام صرفه» .

ان الحكمة فى الآيات القرآنية المباركة وأحاديث السنة النبوية العطرة ، التى حرمت الخمر ، يؤكد عليها حاليا علم الطب الحديث ، الذى يبين بكل صرامة مدى الضرر الفادح والجسيم ، الذى تلحقه المشروبات الكحولية بصحة الانسان البدنية والروحية ، وكيفية تحطيمها شخصيته بلا رحمة ولا شفقة ولا رأفة . ورغم ذلك يوجد بيننا اشخاص لا يتحلون بنعمة العقل والحكمة ، وهم يعتبرون أنفسهم مسلمين ، ولكنهم مع الاسف الشديد لا يعيرون التفاتا الى التحريم الصارم على الكحول والمواد المخدرة الاخرى سواء فى ديننا الحنيف أو فى العلم الحديث .

وقد يكون ثمة اشخاص يزعمون انهم يتعاطون الخمر ويشربون الفودكا على حد ادعائهم لاغراض علاجية . وكم هو من المؤسف ، ان يكون ثمة اناس على مثل هذا الضلال المبين .

لقد خلق الله الشراب لارواء العطش فحسب ، ولكن الانسان فى غروره ودعواه يحاول ان يتعالى فوق هذه الحقيقة الناصعة ، ويبحث فى الشرب عن مطلب آخر وهذا خطيئة لا تغتفر فهل يشرب النبيذ أو أى نوع من الخمور انطلاقا من مثل هذه الحاجة الطبيعية ؟ كلا بالطبع ثم كلا . ان المسلم الحقيقى لا يجد فى نفسه اية حاجة تحدوه الى الدنو من اى نوع من انواع الخمور . ولو كانت الخمر مرضية عند الله تعالى لكان هو وروسوله قد أخبرا الناس بهذا ، ومن المعروف ان الرسول قد تجنب كل من يتعاطى الخمر وتقادى شاربى الخمور وابتعد عنهم كل الابتعاد .

ولدى الناس – والحمد لله – الكثير من الانواع النافعة المجدية وطيبة الطعم والمذاق المختلفة ، من المشروبات كاللبن الحليب والعسل وشتى أصناف العصير . وهى كلها حلال مطلق . ونحن ندعو ونرجو خالقنا العظيم ، ان يحفظنا من ارتكاب المعصية وأن يصون نفوسنا عن الميل الى المحرمات ويهديها الى صيانة الحرمات والتوق الى الحلال ونبذ الحرام . «**يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون** (سورة البقرة ، اية ١٧٢) .

كيف يمكن ان يحدد بين جميع الانواع المتعددة من المشروبات :

أيها داخل فى المحرومات ، وأيها من الحلال ؟ تعلمون ان أى نوع من المشروبات يؤدى الى السكر والشعور بخدر العقل البشرى – خمر . وليس من المهم لدى ذلك ، من اى شيىء يصنع ذلك النوع سواء من القمح اوالشعير اوالذرة اوالعسل اواللبن أو غيرها من المواد الغذائية . ان الاسلام لا يفرق بين الكحول السائل والصلب اى الافيون . قال الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ان الخمر هى ما يسلب العقل .

وقال نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : **الخمر كل ما يسكر وكل خمر حرام** . ويروى عنه ايضا قوله : **كل ما أسكر كثيره فقليله حرام** .

الضرر الناجم عن الكحول

ايها الاخوة فى الدين .

لاحد للضرر الناجم عن الكحول ، على صحة الانسان وماله وشرفه وكرامته .

ان السكير يلحق ضررا لا يعوض باسرته وأقربائه والمجتمع . وهو كثيرا ما يتحول الى شخص شرير خانق ، تملأه النوازع المسمومة والبغضاء دون سبب ، والنقمة على المحيطين به . واذا لم يعالج فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان ، فان ذلك الشر يمكن ان ينتشر ، فيعم المجتمع بأسره ، ولكن يتعرض له بالدرجة الاولى بنوه وذووه ومن أقرب الناس اليه .

دعا عمر بن الخطاب : رضى الله عنه : «اللهم اشرح لنا اضرار الخمر ، فانه يضر العقل والمال ويلقى العداوة والبغضاء بين الاحباب ويذهل الناس عن ذكر الله وعن الصلاة . انه يجعل الناس غلظاء وهو مفتاح كل شر . فان مدمن الخمر يشيب سريعا ويموت عاجلا وعاصيا . اللهم طهرنا عن الخمر» .

تحريم الخمر والكحول فى الشريعة

شرع الله تعالىّ الدرب نحو الشرب . وكان الناس قبل الاسلام يشربون ويمرحون سكارى . وكان ذلك لديهم عادة جارية ولهذا لم يكن جائزا تحريم الخمر رأسا . وقد أنزل الله درجات التحريم على الخمر

تدريجيا ، لئلا يصعب الأمر على الناس ويركبوا منه مركبا صعبا . فـي البداية وردت الاشارة الى الخمر والكحول فى القرآن الكريـم باعتبارهما من الممنوعات والمحظورات وبنفس الوقت مسموح بها الى درجة ما «**ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان فى ذلـك لآية لقوم يعقلون**» . (سورة النحل ، آية ٦٧) ولكن حيـن رأى اصحاب النبى مدى الضرر الناجم عن الكحول على الصحة والمال ، سألوا النبى عن هذا الامر ، وعندئذ نزلت الآية الكريمة : «**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبـر من نفعهما**» (سورة البقرة ، آية ٢١٩) . ولكن عقب نزول هذا التحذير الكبيـر من العلى القدير ايضا ، واصل بعض الناس اقبالهم على الشرب زاعمين انهم انمـا يشربون من اجل تلك «المنافع» .

وقد حرم الله شرب الكحول ايضا لكونه يحول دون اقامـة الصلاة على النحو الصحيح المطلوب فهو يقول فى كتابه العزيز : «**يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا مـا تقولون**» . (سورة النساء ، آية ٤٣) .

وينقل الينا الترمذى رواية عن جماعة من الصحابة قالوا : دعانـا عبد الرحمن بن عوف الى وليمة عنده وشربنا الخمر وسكرنا ثم حل موعد اقامة الصلاة فقدم ابن عوف احدهم لكى يؤمهم فقرأ فى الصلاة بدلا مـن «قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين» – «قل يـا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن عابدون ما انتـم عابدون وكان هذا الغلط بسبب السكر . وعندها أنزل الله الآية القرآنية بالنهى عن اقامة الصلاة فى حالة السكر ، وتحريم كل ما يسكر ويخدر العقل ، وكذلـك نزلت الآية : «**يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكـم تفلحون** . (سورة المائدة ، اية ٩٠) .

وهكذا فان نشوة الشرب التى كانت فى البداية مسموحا بهـا موقتا ، حرمت فى خاتمة المطاف تحريما صارما . وكبار العلماء موافقون على هذا . ومن يزعم العكس ، ويواصل الشرب ، فانه مذنب وذلـك لان الله ، قد حرم شرب الخمر بشكل قاطع . والخمر كما اكد نبينا الهادى مصدر جميع الذنوب ومن اكبر العيوب .

هل يمكن المعالجة بالكحول ؟

من أقوال النبى العظيم ، يظهر أن الكحول لا يمكن ان يكون عقارا يداوى به . وهو قوله ان «**الخمر داء لا دواء**» وقولـــه : «**ما جعل الله الحرام دواء**» .

وقد أراد بعضهم الحصول من النبى على سماح باستخدام الخمـــر كدواء لتهدئة النفس ، ولكنه رفض طلبهم هذا رفضا باتا ، اما الطـــب المعاصر فقد أثبت نهائيا ان الكحول ليس عقارا بل هو سم .

قرار حول شرب الجعة (البيرة)

كل نوع من انواع الجعة (البيرة) يحتوى بالتأكيد على مقدار معين من الكحول . وعليه فانها محرمة فى ديننا الحنيف . وقـد أدخلها الاطباء والحقوقيون فى عداد المشوربات الكحولية . ولا يفرق الله ، كما نعلم ، بين انواع المواد التى تسكر الانسان وهو يعتبرها جميعا من الحرام .

وذكر جابر بن عبد الله ، ان رجلا من أهل اليمن سأل النبى صلى الله عليه وسلم : «نحن نصنع الخمر من الذرة فهـــل شربها مباح ؟» فأجابه النبى بان هذا محرم .

ان دولتنا تكافح السكر وادمان الكحول . وعلينا جميعا ان نؤيـد هذا النضال الصحيح ، لكى نستأصل نهائيا ونجتث من الجذور عروق شر الادمان من مجتمعنا . وما حذرناكم منه يجب ان يكون كافيا لدى اولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل ، ووضع فى رؤوسهم أدمغة تفكـــر وتعى وتدرك . ونحن جميعا ملزمون بأن نجتنـــب قطعيا تعاطى الكحول بأنفسنا ، ونحذر بكل السبل الآ خرين من هذا الداء . وقد أوصانا نبينا صلى الله عليه وسلم بعدم التزام جانب الصمت بصدد هـذا الموضوع . وقال لنا : «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا اضعف الايمان**» . وقـــد اطاع الصحابـــة والتابعين هذه النصيحة الحكيمة وعملوا دوما على تطبيقها فى كل وقـــت وأوان .

ايها المسلمون المؤمنون

اعملوا فقط كل أمر حسن ، وتجنبوا كل سيىء لكى يكون مجتمعنا معافا ونظيفا ، ولكى يزدهر وطننا ، ويتعزز سعادة جميـــع الناس ذوى

الارادة الطيبة فى هذه الارض . – اننا نؤيـــد بحزم التدابير الحكيمة لحكومتنا ، فى مكافحة السكر وادمان الكحول . وخلال شهـر ايار (مايو) من السنة الحالية ، صدر قرار خاص بهذا الصدد . وهذه قضية طيبة جدا ونافعة . وهى تنسجم تماما مع وصايا وتعاليم ديننا الحنيف . ونحـــن نؤيد هذا ونرحب به . وانما اصدرت الادارة الدينيـــة لمسلمى شمال القفقاس هذه الفتوى طبقـا لقوله تعالى : **«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»** .

اننا نبتهل الى الله تعالى سائلين العـــون والمغفرة وهو ارحـــم الراحمين .

مواعظ
المفتی ضیاء الدین‌خان بن
ایشان باباخان

موعظة

المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول كفارة ذنوب الانسان الذى ابتلى بشتى المصائب

فى جامع «الخانقاه» بمدينة مرغيلان (جمهورية ازبكستان السوفيتية الاشتراكية) سنة ١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها المسلمون ، الاخوة فى الدين !

فى هذا اليوم المبارك نسأل الله تبارك وتعالى ، ان يمن علينا بالصحة الموفورة ، وعافية الجسم والروح ، ويعزز همتنا وعزائمنا ، ويحقق آمالنا ، ويرسخ عقديتنا ، ولا يجعلنا ابدا ننسى واجبنا أمامه وحيال الناس . بارك الله لنا جميعا كل أعمال الخير ، وندعوه ان يحفظنا ويصوننا ويحمينا من النوايا الشريرة آمين يا رب العالمين .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : «**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**» . (سورة الشورى ، آية ٢٩) . ومع ان الله تعالى يخاطب فى هذه الآية الكريمة صحابة النبى صلى الله عليه وسلم فان نداءه هذا موجه ايضا الينا نحن .

وعليه فاننا حين تحل بنا مصيبة ما ، أو تنزل نازلة وتنوب نائبة من النوائب ، يجب علينا حتما ، ان نبحث عن سببها الاول قبل كل شيئ فى أنفسنا ذاتها ، وفى طراز حياتنا وسلوكنا وتصرفاتنا ، وعندئذ نكتشف بالتأكيد ، اننا لم نتصرف على النحو اللازم بل على نحو غير لائق بالمسلم الحقيقى ، او فى مكان ما لم ننفذ على الوجه الصائب الصحيح أوامر الله

العلى القدير . ومن يدرك هذا جيدا ، ويتفهمه ويبحث عن سبب متاعبه ، واخفى مصاعبه قبل كل شيىء فى نفسه ذاتها لا فى الآخرين ، فانه سوف يستحق بالتأكيد رحمة ربه الرحمن الرحيم ورأفته وهو الرؤوف المنان .

ولكن ذلك الشخص لابد بالضرورة ان يقوم بتحوط وتأن جوهرى . قد يحدث انه تنزل فى الاسرة نفسها المصائب واحدة تلو الاخرى . فأحد افرادها يصاب بمرض ، وآخر يموت فجأة ، وقد يشب فى دارها حريق . وهنا لا يحق لنا التسرع فى لوم رب البيت او اى واحد من افراد اسرته ، زاعمين بان جميع هذه المصائب والنوائب مصدرها منهم . وما أقل الجدوى من امثال هذه الدروس الاخلاقية والتعزيزات «على عجل» . زد على ذلك كونها ضارة أصلا . والأولى فى امثال هذه الاحوال ، تركيز ابصارنا مرة اخرى على أنفسنا ، والتأمل فى التفكير بأخطائنا وخطايانا . وهذا صحيح خصوصا ، حين نقتنع بان الانسان الشقى ، حتى بدون تذكيراتنا ، نادم على ما ارتكبته يداه مظهرين التسامح الاسلامى والامل فى العفو والسماح والغفران ، ومتذكرين كلمة الله النصوح للانسان فى قوله جل جلاله : «**وما ابرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم**» . (سورة يوسف ، آية ٥٣) .

وقال ايضا : «**ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون**» (سورة البقرة ١٥٥ ، ١٥٦) .

وذات مرة دعا نبينا صلى الله عليه وسلم عليا بن ابى طالب كرم الله وجهه وقال له : يا على يجب ان اوصيك بوصية وعليك ايصالها الى امتى» . وفرح على بهذه الثقة الكبرى واخذ ينصت بكل اهتمام وأردف النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : «قل لى يا على اية آية من آيات الله العظيم اكثرهن وضوحا وفهما للناس وأيها اقرب لهم وانفع ؟ أجاب على : الله ورسوله اعلم . وحينئذ قال النبى عليه الصلاة والسلام : انها الآية الكريمة القائلة «**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**» . وبعد تلاوة هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل انه اذا حلت بعباده مصيبة جليلة وبلية من البلايا او أصابهم مرض أو جرفهم سيل عارم أو فيضان أو حريق او زلزال فليلوموا أنفسهم وينسبوا ذلك الى افعالهم ومساويهم . فاذا كان الامر على هذا النحو ، بالفعل فان ويلاتهم وشقاءهم ودموعهم تمحو ذنوبهم وخطاياهم ويتحررون منها . اذ ان الله العزيز القدير اذا ابتلى عبده مرة ومرة ثانية فى هذه

الدنيا وامتحنه بمحنة فانه سوف يكفر بها عن ذنوبه فى الآخرة ولن يجعله فيها عرضة للعذاب وما يعاش فى الدنيا ويعانى يحسب للمرء فى آخرته . الا ان الله رب العالمين كريم ورحيم وبوسعه غفران ذنوب الناس دون تعريضهم للويل والعذاب واذا غفر الذنوب فى هذه الدنيا فانه لن يحاسب عليها فى يوم القيامة . وقد وردت هذه الاقوال للنبى الكريم فى «مسند» الامام احمد بن حنبل ، وفى كتاب «الجامع الصحيح» للامام الترمذى .

لبشرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بانه اذا اصيب أحد بصداع او ظهر فى جسده جرح أو الم وبالايجاز اذا ألم به مرض خفيف أو ثقيل او علة من العلل مما يسبب الكثير من الويل فان ذلك يكون كفارة لذنوبه . ولهذا عليه ان يتقبل هذه من نصيبه ويشرع فورا فى الندى والاستغفار لذنبه وجرمه يتوب لكى يغفر له . فانه يستجيب لنا الدعاء ويمنحنا الغفران عن الذنوب ، التى نعترف بها ونندم عنها ونتوب توبة نصوحا . ولهذا السبب ، لا ينبغى لنا فى ا ىوقت ان نتأوه ونشكو ونبكى ، فان من شكا وبكا فقد استحق بالبلوى . ومهما حدث من أمر فى هذه الحياة الدنيا لنا أنفسنا أو اقربائنا او المقربين الينا ، ومهما حل بنا من بلاء او مصيبة ، يجب ان نتذكر باننا على اية حال من الاحوال «. . . **انا لله وانا اليه راجعون**» .

نسأل الله تعالى ان يهدينا الى طريق الخير والرشاد ، وينزل الرحمة والمغفرة فى الدنيا والمعاد .

خطبـــة

الجمعة للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان «حول الحق والباطل»

جامع «الشيخ ايشان» بمدينة نمانغان فى ازبكستان سنة ١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوة المحترمون !

يجب على الانسان فى اية لحظة واية حالة – فى الافراح والاتراح والبهجة والحزن وعند الغضب وانبساط النفس – الحفاظ على رباطـــة الجأش وعدم فقدان الاتزان والسكينة وبرودة الاعصاب وابداء منتهـــى ضبط النفس والارادة الحديدية وصلابة الروح وثبات الطباع .

قال الله عز وجل فى محكم كتابه : «**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام**» (سورة البقرة الآية ٢٠٤) .

نعم ، بيننا اناس مختلفون . فمنهم اولئك الذين تتكون منهم اغلبية المجتمع الطيب ، والعيش معهم يطيب وهم امناء فى القول والعمل . ولكن ثمة ايضا مع الاسف اولئك الذين يستدعون بسلوكهم وتصرفهم وعادتهم ، فى اللباس على اقل تقدير ، شعور الاستغراب ولهم لدى ذلك فى كل مرة مهما قالوا وفعلوا ، يشهدون الله تعالى على مـــا يقولون ويفعلون . ان الآية الكريمة التى اوردناها ، تمس قبل كل شيىء وبالدرجة الاولى بالذات ، أمثال هؤلاء الناس وتصلح للآخرين عبرة وتحذيرا وتذكيرا ، بضرورة ابداء اليقظة الدائمة والصمود بوجه جميع مغريات هذه الدنيا الفانية .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه اوصى يوما لابى ايوب الانصارى ، باصلاح ذات البين فان فساد البين هى الحالقـــة ولا يليق بالمؤمنين .

ان هذه الوصية لهى وصية للامة الاسلامية جمعاء .

اذا بدا بين اقربائكم وجيرانكم ومعارفكم شيىء من التباعد ، ناهيك عن نشوب النزاع والخصام ، فان مهمتنا المشتركة نحن واياكم ، هى العمل على ازالتها بأسرع ما يمكن لئلا تتحول الشرارة مهما بدت صغيرة وضئيلة فى البداية ، الى شعلة نار سوف تستعصى فيما بعد على الاطفاء ، حتى عند بذل قصارى الجهود .ولهذا بالذات أولى نبينا الكريم الى اية سعادية طيبة

لاصلاح ذات البين واجراء المصالحة بين الناس ، كل هذه العناية الكبرى ، ودعا الى انجاحها دون تاخير او غفلة . وذلك لان فقدان المحبة ما بين الناس ، والاحترام المتبادل والتعاطف والتعاضد والمودة ، ينطوى على أخطر وأوخم العواقب لهم ، وكثيرا ما يحدث بعدها ما لا تحمد عقباه .

فمن الذين يعتبرهم خالقنا العظيم المسلمين الحقيقيين والمخلصين له ، وا ى مجتمع يراه رعيته الاوفياء المقربين ؟ الجواب بسيط . انهم كل من يؤمن بالله حق الايمان وعن عقيدة صادقة ، ثم بالطبع يتبع بنفس مفتوحة وقلب طاهر أوامره الحكيمة ويطيعها دون زيغ ، وينفذ ارادته العلية الطيبة السامية . وما الذى يأمر به الله عز وجل الناس وما الذى يريده لهم ؟ الجواب عن هذا السؤال ايضا بسيط ، وبين لكل ذى عينين . انه يريد لهذا العالم كله ، الخير العميم والرخاء المقيم ، ويريد لنا السلام والتعاون ، وتبادل الاحترام والمحبة ، والتكاتف والمودة وحسن الجوار .

اما اولئك الذين يتخاصمون بسبب صغائر الامور وسفاسفهـــا ، وبسبب الوشايات الحقيرة والسعايات الصغيرة ، ويتقاطعون مع اخوتهم واشقائهم وأخوتهم وهم على استعداد حتـى لاشعال نار العداوة والبغضاء حيالهم ، فان البارى عز وجل لا يعتبرهم مسلمين صادقين ولا ينظر اليهم بنظر رحمته .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**» (رواه الترمذى) .

وتذكروا ايها الاخوة الموقرون وايتها الاخوات الصالحات من أين تأتى عداواتنا ونزاعاتنا وخلافاتنا . انها فى الاساس ناجمة عن الصغائر ، فهذا مثلا غفل عن توجيه الدعوة ، وهذا بدا له ان الآخر قد اساء اليه اذ لم يهيئ له ما كان ينبغى ، ولم يعطه ما وعده به ، او كان يجب عليه فعله . ولكن هذا كله من السفساف والاباطيل ، وهذه احاسيس تافهة واعتراضات غير ذات بال ، وهى ليست فى سبيل الله ، وانما هى ترهات تتطلبها النفوس الصغيرة والاهواء الحقيرة لنفوسنا المقصرة والقاصرة . علينا ان نتحلى بالحكمة ، ونعترف بشرف وصدق ، بان الامر على هذا النحو بالذات ، لا يليق بالمسلمين المؤمنين فى اية ظروف وأحوال ، لان كل هذه الامور والشؤون الصغيرة لا يقرها ولا يرضاها لنا خالقنا وبارينا جلا وعلا .

واليكم ايها المسلمون حديثا آخر من احاديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم : «**من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه**» (رواه ابو داود) .

كان احب الناس الى نبينا الكريم هو من يسعى للعيش تحت ظلال وارفة من السلم والوئام مع الجميع . انه يؤكد مرارا وتكرارا ان المسلم الكامل ، والانسان المرضى عنه عند الله ، هو من يزرع الخير والمحبة والاحترام ومن يسعى للتقريب ما بين الناس وتقارب نفوسهم وائتلافها ، ويتجنب الشر ويتفاداه وينفى العداوة والحقد والشنآن . كيف كان موقف نبينا حيال الذين سمموا جو الثقة المتبادلة والمودة الصادقة وعكروا صفو الوئام والوفاق ؟ تحدثنا عن هذا رواية من السنة النبوية تقول انه نظر مرة الى اربعة من الصحابةهم ابو الدرداء وابو امامة وواصل بن الاصقع وأنس بن مالك وهم يتجادلون بعنف فيما بينهم حول تفسير احدى آيات القرآن الكريم وكل واحد منهم يصر على تأويله لكلام الخالق القدير ولم يكن اى واحد منهم يصغى الى قول الآخر منصرفين بكليتهم الى تأكيد كل واحد منهم لمـــا يعتقده . وتوجه عليـــه الصلاة والسلام ، الى المتجادليـــن المتخاصمين وقال : «**انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب**» (رواه مسلم) .

قال عليه الصلاة والسلام مخاطبا فى نفس الوقت صحابته وجميع الاجيال القادمة من المسلمين بمن فيهم نحن وانتـــم : «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا – واشار الى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» (رواه مسلم) .

ايها الاخوة المسلمون !

تلك هى الاهمية التى يعيرها الى السلام والعدل والمودة بين الناس ربنا وخالقنا ونبينا الكريم صلوات الله عليه وسلامه ، وهما يعلماننا عدم الانعزال جانبا حين تنجم بين الناس خلافات ما وخصومات ، وعدم اللجؤ الى طمأنة النفس بالعبارات المرائية من قبيل : «لا أعرف شيئا عن هذا ، ولست اريد ان أعرف ، وليس لى بهم شأن فليمزقوا بعضهم بعضا ، فأنا منهم بمعزل وكفى الله المؤمنين القتال !» . وفى حالة اتخاذ مثل هذا الموقف المتسم بقصر النظر ، نكون بعداء بلا منتهى وأقصياء ، بمسافات شاسعة عن ذلك الطريق المستقيم ، الذى يجب علينا جميعا سلوكـــه فى هذه الحياة ، ولن نكون جديرين بالرحمة والرأفة والبركة من الله تبارك وتعالى .

وهذا الموقف من حيث جوهره قائم على الهدم الذاتى ، ومخالف على طول الخط لما أشار به علينا نبينا الكريم ، حين شبه مجتمعنا بالسفينة ، وناسه بركابها المتوزعين على سطحها ، وشتى مواضعها . وفى الزمان القديم ، كثيرا ما كان الماء يطغى على السفينة ويتكاثر على سطحها وفى قعرها ، فان لم يتعاون الجميع على اخلائها منه ، غرقوا كما ان من ثقب سفينة فى موضع تسبب فى هلاك الجميع ، ان لم يأخذوا على يده ويوقفوه عند حده . ولهذا السبب علمنا دوما وأبدا دعم بعضنا البعض ومساعدته ، وحثنا على التعاضد والتكاتف والوقوف صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، وأمرنا بفعل الخير واجتناب الشر واحترام الحقيقة وفهمها ، ونبذ الكذب والباطل وراء ظهرنا . ومن يبحث عن الحقيقة ويدافع عنها ويحميها وينكر الكذب ويستنكره ، فانه يسير فى درب الصواب ومحجة الحق ، وهو من يصون السلم والوفاق ، ويزرع الخير والمحبة ، ويعزز بين الناس شعور الاخوة الصادقة والمودة الاخوية .

نسأل الله العلى القدير ان ينزل فى نفوس جميع المسلمين العزم والهمة وصلابة الروح ورباطة الجأش وتبادل الدعم والاحترام والود والوئام والتعاون على البر والتقوى وفى سبيل الخير العام . آمين يارب العالمين .

خطبـــة

المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى موضوع رمضان المبارك

مسجد «طلا شيخ» سنة ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوة المحترمون .

اليوم هو آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك . لعلكم تذكرون اننا تكلمنا فى اول جمعة من هذا الشهر ، عن نزول القرآن الكريم فى هذا الشهر الكريم . وسنتكلم اليوم عن حكمته التى لا حدود لها وعن عظته العميقة : «**اللهنزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد**» (سورة الزمر ، الآية ٢٣) .

ان القرآن هو كتاب حياة المسلمين ، وقد اكدت القرون صحتـــه وصوابه ، وكذلك التجارب التاريخية القاسية . فالفائدة التى لا تنضب ، والتى يحصل عليها الناس من اطيب كلمة واعمقها من كلام الرب ، لا يمكن مقارنتها من حيث تأثيرها على عقول وقلوب المؤمنين بشيئ . فقد انزل القرآن فى ليلة القدر اى فى ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك . ونقل الرسول خلال ثلاثة وعشرين عاما آياته الى الناس .

فحسب اعتراف المفسرين والمعلقين على القرآن ، كانت اول سورة انزلت على محمد صلى الله عليه وسلم هى سورة العلق : «**أقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، أقرا وربك الاكرم . . .**» (سورة العلق ، الآية ١) .

اما الآية الاخيرة التى انزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع له فهى : «**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم**» (سورة المائدة — ٣)

وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصايا خالدة حين وقف على جبل عرفات حيث قال : «**لتأخذوا مناسككم ، فانى لا ادرى لعلى لا احج بعد حجتى هذه**» (رواه مسلم) .

عندئذ نزلت الآية الاخيرة عليه . وبذلك اشار الله العظيم الى استكمال القرآن واختتام آخر آياته وسوره . ومنذ ذلـــك الحين ادرك المسلمون دينهم واتبعوه ، وعمقوا اطلاعهم على مضامينه ومغزاه الآلهى . وقد فرح المسلمون اولا بروحهم البسيطة حين علموا ان دينهم قد اكتمل ، وان الله العلى العظيم قد انعم به على المسلمين . وفى هذه اللحظة من لحظات الابتهاج العظيم ، بكى ابو بكر الصديق بكاء شديدا . وعندما اقترب عمر منه ، سأله عن سبب البكاء فى هذا اليوم المشهـــود فاجابه : «ان هذه الآية الكريمة تشير الى ان الرسول قد اتم رسالتـــه وانه سيموت عن قريب» .

وبعد ٨١ يوما بالضبط ، غادر محمد صلى الله عليه وسلم الحياة الدنيا للقاء ربه . وهكذا فقد غادر الحياة اعظم الانبياء ، لكنه ترك للناس تعاليمه الكريمة ، ونصائحه الطيبة فى البحث الدائم عن المعرفة ، واستلهام خبرة الاجيال الماضية ، وادراك حكم جميع الانبياء الصالحين ، كما يدل عليه القرآن الكريم .

لقد اكتملت جميع آيات الله العزيز ، وهى مرتبطة مع بعضها البعض . ولذلك فان من يذكرها ويطبقها يغدو انقـــى واطهر ، حتى اولئك الذى اضلوا السبيل . جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم رجل يدعى دعثور يريد قتله . وعندئذ قرأ رسولنا الكريم الآية التالية : «**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون**» . وعندما سمع الرجل هذا الكلام هرب مرتعبا ومرتبكا . وعندما سألوه عن سبب هروبه اجاب : «نطق محمد بكلمات سماوية خفت منها» .

اجل بهذا الشكل تساعد آيات القرآن المؤمن الصالح عندما يحملها فى قلبه . ان جميع سور القرآن وآياته هى قمة الكمال والجمال . وهى تترك اعمق الانطباع فى الروح الكريمة لكل مسلم ، وتكشف عن تقواه الصالحة وصبره الجميل . واذ يقرأ المسلم القرآن . يأمل ان يسمعه الرب ويقترب منه ويدرك بعمق وصاياه العظمى فى حماية كل ما هو مخلوق على الارض ، ويساعد المحتاج ، ويرفع من منزلة الناس ويقويهم بكلمات طيبة ، لكى يعيشوا معا فى سلم ووفاق . اجل ان قراءة القرآن تأتى بنبل المشاعر والافكار للانسان القارئ .

ايها الاخوة .

علينا ان نعير فى هذا اليوم الكريم اشد الاهتمام بالآيات المتعلقة بالصيام .

لقد امرنا الله جميعا ، كما امر من قبلنا بالصيام فى شهر رمضان . ومن المفروض ان بعض الطوائف ، قبل الاسلام ، كانت تصوم ايضا . لكنهم كانوا يتصرفون حسب رغباتهم بامر الله . فاذا صادفهم رمضان صيفا نقلوه الى الشتاء . وكانوا يصومون ٤٠ يوما بدلا من ٣٠ . ان ذلك لزندقة وخروج عن اوامر الله تعالى . اما نحن فننفذ والحمد لله جميع وصايا واوامر الرب وآياته المنزلة ، وهذا عمل كريم ويتجاوب وروح الاسلام .

كان لدى البعض من الاخوة بعض الشكوك ، باننا بدأنا بالصيام قبل يوم من موعده . لكننا سمعنا من الاذاعات وبارتياح ، ان العالم الاسلامى كله ، مثلنا ، بدأ الصوم فى الخامس عشر من الشهر الحالى . وهكذا كان الامر فى البلدان العربية وتركيا . وقد سبقنا بالصوم بيوم واحد ، مسلمو القسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، وذلك بامر من ادارتهم الدينية ، لان الطبيعة الجغرافية وخطوط العرض تختلف عندهم عما نحن عليه ، اى بيوم واحد عنا . لماذا نراعى بدقة مواعيد صيامنا ؟ لان الله سبحانه وتعالى ، لا يأمرنا بالصيام فحسب ، بل والامتناع التام عن كل الموبقات وكل ما هو ضار فى هذا الشهر الحرام ، والامتناع التام عن الاكل والشرب . وهذا اختبار نبيل للمسلم منزل من ربنا سبحانه وتعالى ، ولمعرفته مدى قوة روحنا وايماننا به ، ولكى نكون فى بحر ثلاثين يوما ، فى امتحان الله غير ميالين الى طريق ابليس ومغرياته . انها لحكمة الله العظمى فى اختبار تقوانا وطهارتنا ، وبدونهما نكون قد ابتعدنا عن الخضوع والخشوع ، وعن طلب مغفرة الرب وانقاذه لنا من معاصينا . وعلينا جميعا ان نطبق احكامه فى السحور واوقات الافطار ، والامتناع عن المحرمات ، مهما كانت المغريات الكبيرة والصغيرة التى تعترضنا ، وتنفيذ ارادة الله بدقة وانتظام .

وكما يعلمنا محمد صلى الله عليه وسلم فان الله اذ يأمرنا بالصيام فذلك خير لنا ، ففيه كثير من الفوائد والمنافع . ويقوم ملائكة السماء بحساب دقيق لكل اعمالنا ، ويحصل كل انسان ما يستحقه . بيد ان الله تعالى يذكرنا ان الصيام له ، وهو يجزى به . ولذلك فان نبينا يعلمنا جميعا ضرورة مراعاة جميع الشروط ، وبخاصة التأكيد على التصرفات الوقورة فى اثناء الصيام ، والامتناع التام عن التصرفات المتطرفة ، فى اطار العائلة ومع الاصدقاء والمجتمع . ان تصرفات المسلم الحقيقى فى اثناء الصيام ،

يجب ان تكون من حيث الاصول ، كتصرفات المسلم فى اثناء الحج ، اذ لا يجب ان يتكلم عن الجوانب الغرامية من حياته الخاصة ، ويجب ان يكون بعيدا عن القضايا التى تحرمها الشريعة ، وقبل كل شيىء عن التخاصم مع الاهل والاقربين والاصدقاء ومع الآخرين من الناس . ويدعونا نبينا جميعا ، ان نتمسك باقصى الاتزان فى اثناء الصوم ، وان نتكلم مع الآخرين بود ، والا نرفع اصواتنا على الغير . والا نقذف الناس بكلمات نابية ، لان حالة الناس فى اثناء الصيام تكون متوترة عادة ، وان مجرد رفع صوت الآخرين عليهم او الصياح ، يبدو لهم كاهانة ، ويمكن ان يخرجوا من اطوارهم . فاذا حدث واهانكم البعض ، فتجنبوا الخصام ، وقولوا نحن صيام ولا نستطيع الرد ، لكى تحافظوا على قدسية الصيام . هكذا يعلمنا نبينا صلى الله عليه وسلم . ولكن من المؤسف ان البعض من الناس ، لا يعترفون باى قانون ، ويتناسون حلول شهر رمضان الكريم ويواصلون التلفظ بكلمات بذيئة ويتبادلون الشتائم والسباب . وان صيام مثل هؤلاء غير مقبول عند الله ونبيه الجليل ، اى ان الصيام وحده لا يكفى ، بل يجب ان تكون اخلاق الصائم قويمة . ويتبين من ذلك ان تصرفاتنا الاخلاقية يجب ان تكون رزينة بشكل صارم وبسيطة ومفهومة . وان من يصوم يجب عليه ان يتصرف فى كل مكان بوقار واتزان ، فى بيته ومع الناس وحين يحل ضيفا على احد ، ولا ينظر الى النساء نظرات شهوانية ، ولا يدخل فى مماحكات كلامية ، وان يكون رابط الجأش دائما ويجب عليه ان يصون كلامه ، ويبتعد عن البذاءة . وفى حالات عندما يسمع الصائم كلمات الانتقاص والعتاب والافتراء ، ويتحول فى هذه الحالة الى مستمع «صابر» ، فاذا عجزتم عن وضع حد لمثل هذه الاحاديث البذيئة ، فابتعدوا عنها . فعلى المسلم الحقيقى ان يحصن نفسه بصرامة من ذلك ، ويعتبر تلك التصرفات من اكبر الذنوب .

لا يجب على الصائم ان يتناول كمية كبيرة من الطعام فى اثناء الفطور ، وهذا يخص البالغين بالعمر بخاصة ، فالشراهة فى الاكل تعيق الانسان عن قراءة القرآن وتحبس انفاسه وحركاته . ولذلك ننصحكم نصيحة طيبة ، لا تفرطوا فى تناول الطعام ، وابتعدوا عن الشراهة ، وتذكروا انكم ستتناولون طعام السحور ، ويجب ان يكون الصائم معتدلا فى كل شيىء ، وليس فى تناول الطعام فقط . وذلك مفيد لنا جميعا . لانه سيساعدنا على النقاء الجسدى والاخلاقى والروحى .

ان الاعتدال فى الاكل ، لدى جميع الشعوب ، يكون بمثابة حصانة

من شتى الامراض والعلل . وعندما امرنا الله بالصيام ، فانه كان يهتم بصحتنا وتقوية اجسادنا ، قال تعالى : «**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون**» (سورة البقرة ، الآية ١٧٩–١٨٠) .

ان الله تعالى اذا امرنا بالصيام اشار الى انه كان مكتوبا على الاقوام التى سبقتنا . لكن لم يكن البعض منها قد وجد لديه قوة روحية كافية ، للتمسك بصرامة ، بكل قواعد واحكام الصوم ، فكثيرا ما كانت تخرق اوامر الله ، لضعف ارادتهم وايمانهم .

ومن المعروف ان الله قد كتب علينا الصيام فى العام الثانى من هجرة رسولنا من مكة الى المدينة فى شهر شوال . ومنذ ذلك الوقت بدأ الرسول واصحابه ، يطبقون احكام الصيام . وقد مضى على ذلك اكثر من الف عام ، وخلال تلك الحقبة الطويلة من الزمن ، يواصل المسلمون فى العالم كله ، التمسك باحكام الصيام ، والحمد لله ، ويهتدون بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثمة من يراعى احكام الصيام خلال ثلاثين يوما ، وثمة من لا قدرة له على ذلك لاسباب وجيهة ، وثمة ايضا من يعانى من مرض او من هو على سفر ، ومع ذلك يصومون ارضاء لله ! غير ان البارى عز وجل ، قد ساعد امثال هؤلاء على ايجاد السبيل الصحيح فقال : «**شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**» . (سورة البقرة ، الآية ١٨١) .

وهكذا نرى ان الصيام يمكن ان يؤذى حتى اولئك الذين يعانون من وعكة ، او ألم خفيف . ولذلك يسمح الله لهؤلاء ان يؤجلوا صيامهم الى وقت مناسب . وثمة من يعانى من امراض السكر او الضغط الدموى ، وعلى هؤلاء ان يتناولوا الدواء او يحقنوا فى الوقت المناسب ، واذا صاموا فانهم سيعجزون عن القيام باى شيئ ، اى لا يستطيعون تأدية العبادة اللازمة . ان هؤلاء قد اعفاهم الله من الصيام .

واذ علم الله تعالى ان البعض من الناس لا يستطيع فى اثناء شهر رمضان ان يضعف من قواه ، اذ يعمل وهو المعيل الوحيد لعائلته ، وتقى

يخاف الله ، فما العمل فى هذه الحالة ؟ . ان الله تعالى يساعد هؤلاء ايضا ، ويأمرهم بدفع الفدية بدلا من الصيام ، حسب المقاييس المتبعة . مثل كيلوغرام من القمح او الدقيق او الخبز . وتعطى الفدية الى الانسان المحتاج اليها جدا فى ذلك الوقت ، ونؤكد هنا ان من يرغب بدفع الفدية بمقاييس اكثر من المقرر ، يحظى باستحسان ديننا الحنيف . والافضل هو مراعاة احكام الصيام ، وذلك محسوب كله يوم القيامة .

وتقنعنا سنن الرسول صلى الله عليه وسلـــم ، بخير وفائدة رمضان العميمين . ويحظى الافطار فى وقته المعين باهتمام فى هذه الحالة .

ايها المسلمون المحترمون ، ايها الاخوة الاعزاء ،

نعيش الآن شهر رمضان الكريم . فالايام العشرة منه هى رحمة ، والايام العشرة الثانية هى مغفرة والايام العشرة الاخيرة هى عتق من النـــار .

ذلكم هو رمضان الكريم الذى نعيشه . ايها الاخوة ، فلنبتهل الى الله سبحانه وتعالى هذا الشهر العظيم سائلين رحمته الواسعة وغفرانه . آميـــن .

خطبـــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
بصدد الحج الى الاماكن المقدسة

فى مسجد «طلا شيخ» ، طشقند

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها المسلمون المحترمون !

لقد امتلأ بالفرح والسرور ذلك اليوم الذى غادرنا فيه طشقند الى موسكو مع اخواننا ، الذين عزموا على تأدية فريضة الحج ، من شتى اصقاع بلادنا من طاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا وآذربيجان وداغستان وتتاريا واماكن اخرى . فمن موسكو حلقت بنـــا الطائرة الى القاهرة العريقة ، حيث تقع جامعة الازهر ، احد مراكز التعليم الاسلامى الكبرى ، التى اعدت خلال اكثر من الف عام من وجودها ، اعدادا غفيرة من كبار العلماء والفقهاء والشخصيات الاجتماعية ليس لمصر وحدها .

لقد زرنا هذه الجامعة باعجاب كبير ، فكل حجر من احجارها يشهد على الاسلاف العظام والتربويين الذين درسوا وعملوا فيها . واذ رغب شيخ الازهر رؤيتنا فيها ، اشار الى انه قد علـــم مسبقا بسفر الحجاج مـــن الاتحاد السوفيتى الى مكة عبر القاهرة ، وانه كان ينتظر لقاءنا بفارغ الصبر . وفى اللقاء الذى جرى على شرفنا ، عبر هو وغيره من علماء مصر ، وبكلمات طيبة ، عن شكره لمسلمينا واعترافه بالجميل لهم على حمايتهم ومضاعفتهم للتراث الاسلامى الرائع ، الذى خلفه اعلام الاسلام فى بلادنا ، كالامام البخارى ، والامام الترمذى ، والامام النسفى ، وابن حبان ، والقفـــال الشاشى ، وعبد الخالق غجدوانى وكثير غيرهم ممن خدموا الاسلام باخلاص ونزاهة ، والذين مجدوا اصقاعنـــا الى الابد ، بوصفهم من كبار دعاة الاسلام والفكر الاسلامى . وكقلعة راسخة دعمت الاسلام وصانته من الشوائب وحافظت على نقاوته وعلى تعاليم القرآن الكريم وسنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

آنذاك وبمزيد من الارتياح ، علمنا ان شيخ الازهر قد انجز توا كتابه عن حياة ابى اليزيد يزدانى والذى ذكر فيه غير مرة ، اسماء اعلام الاسلام من بلادنا واستند الى شخصياتهم المرموقة كمصادر امينة .

اننا ، والحمد لله ، لم نجابه فى مصر اية عقبات ، وحالفنا النجاح . ولغرض الحصول على تأشيرة الدخول الى المملكة العربية السعودية ، ذهبنا الى سفير هذه المملكة فى القاهرة ، وقابلنا باحترام كبير ، ومن حديثنا معه تبين انه يعرف بلادنا جيدا ، كما يعرف اعلام الاسلام فيها ، وقال فى الختام ، انه بايعاز من الملك السعودى سيعد تأشيرات الدخول وبسرعة لنا جميعا . وفى الواقع اعد كل الوثاءق الضرورية لنا فى يوم واحد . ولم نبق بانتظار الطائرة مدة طويلة ، فبعد ساعة ونصف الساعة من التحليق ، وصلنا الى مدينة جدة الكريمة . ان هذه المدينة اصغر من طشقند كثيرا ويعيش فيها الآن زهاء مليونى نسمة . لكن يؤم جدة فى موسم الحـــج زهاء مليونـــى حاج ، ومعظم هؤلاء يصـــل بالطائرة . وقد وصلنا مكة المكرمـــة فى الوقت المحدد . وكان القسم الاعظم من الحجاج قد استقر توا . وكان عدد الناس كثيرا ، وقد اكتظت الاماكن . ومع ذلك لم نجابه اية صعوبات فى اماكننا الجديدة . واننـــا نشكر المرافقين والادلة الذين أرفقوا بنا ، وهم من اكبر منظمة اسلامية فى العالم ، رابطة العالم الاسلامى . وكان المرافق هو فيض الله البخارى ، كما قال . وبفضل عنايته سافرنا بالباصات بسرعة ، ووصلنا الى فندق الجامعة ، حيث نزلنا ضيوفا على هذه المؤسسة الاسلامية . وقبل هذا ، لم يحظ الحجاج السوفيت بمثل هذه الراحة التى وفرت لنا . فسابقا كنا ننزل فى بيوت خاصة ، لم تتوفر فيها اسباب الراحة ، كالافرشة وغير ذلك ، وكانت ضيقة . اما الآن فالامر يختلف تماما .

عندما وصلنا الى مكة المكرمة ، قبل صعودنا الى جبل عرفات ، بقينا ثلاثة ايام . وقد صادف وصولنا الايام الاخيرة من عمل الدورة الثامنة لرابطة العالم الاسلامى ، وقد دعينا الى اجتماعاتها . وقد شارك فى الدورة الكثير من علماء الدين الاسلامى من مختلف بلدان العالم . وجرى فيها حديث جدى عن حقوق الانسان . واذكر جيدا ، على سبيل المثال ، كلمة رجل الدين المعروف الصواف الذى تطرق الى نفاق سياسة قادة الولايات المتحدة الاميركية الذين يثرثرون عن حقوق الانسان ، لكنهم فى الواقع ينتهكون هذه الحقوق بفظاعة .

وذكر ، كمثال ، اوضاع الزنوج الاميركان ، والبطالة الواسعة ،

والطرد من العمل ، واحوال المشردين الذين ينامون فى المزابل وعلى مقاعد الشوارع وعلى شبكات التهوية وغيرها من الاماكن غير الصالحة اطلاقا لمعيشة لائقة بالانسان .

بعد ذلك تكلم الامين العام لرابطة العالم الاسلامى السيد محمد على الحركان حيث تحدث بالتفاصيل عن نشاط الرابطة وعن بناء المدارس والمساجد فى البلدان الاسلامية وتزويدها بالكوادر الاسلامية .

ايها الاخوان المحترمون ! اننى لسعيد ان اتكلم امامكم ، واقول انه بعد انتهاء الدورة من اعمالها ، استقبلنـــا ، مثل بقية المشاركين فى الدورة ، وزير الحج والاوقاف فى المملكة العربية السعودية ، السيد عبد الواسع عبد الرؤوف ، وهو من ابناء بلدنا ، حيث ولد فى فرغانة . كان استقبالا سيبقى فى ذاكرتنا الى الابد . فقد دعانا الوزير الى جدة ، وقدم لنا الغداء على متن باخرة تبحر فى البحر الاحمر . وكان المطعم يقع فى الطابق الثامن من الباخرة ويتسع لالف وخمسمائة شخص . وقد اعدت مائدة الطعام فيه للضيوف . وتركت هذه الحفاوة لدينا اطيب الانطباعات . وبعد ذلك عدنا الى منى حيث يقع الفندق ، ومن هناك ، ومع حجاج من اليابان ورومانيا ، توجهنا الى جبل عرفات ، وكانت سيول البشر بمختلف اللغات تمور كالنهـــر ، موحدة فى تيار واحد ، تيار ديننا الاسلامى الواحد ، والكل ينطق باسم الله سبحانه وتعالى .

لقد صعد رسولنا الكريم على جبل عرفات فى العـــام العاشر من الهجرة ، وقبل ذلك كان قد ادى العمرة ، ولم تكن الفرصة متاحة لـــه للحج . والسؤال : لماذا عاش الرسول فى المدينة عشر سنين ، ولـــم يستطع زيارة مكة خلال ذلك الوقت ؟ لقد تبين ان المسيحيين وغيرهم كانوا يحجون فى مكـــة الى جانب المسلمين ، وكان كل فريق يسجد لمعبوده .

وقبل ان يحج الرسول فى مكة ، بسنة واحدة ارسل النبى اثنين من اصحابه ، وهما ابو بكر الصديق ، ثم على بن ابى طالب (رض الله عنهما) وكلفهما بقراءة الآية الكريمة : «**يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم**» (سورة التوبـــة ، الآية ٢٨) .

وعلى هذا النحو منع الرسول المسيحيين وعبدة الاوثان من زيارة مكة المقدسة ، اما الكعبة والارض المحيطة بها فقد اضحت للمسلمين

كليا . وبعد ذلك اعلن الرسول الاعظم ، انه سيحج فـــى العام العاشر الهجرى . وبعد ان سمع الناس بذلك النبأ ، بدأوا يتقاطرون على المدينة من شتى الجهات ، وارادوا من ذلك الوصول اليها قبل الوقت الذى سيحج فيه النبى .

ففى شهر ذى القعدة ، وفى العاشر منه بالضبط ، قام الرسول صلى الله عليه وسلم مع ١٢٠ الفا من صحابته واتباعه ، ومنهم من لم ير محمدا من قبل ،برحلته من المدينة الى مكة ، وقطعوا ثمانية ايـام مشيا . وعند مجيئه اليها لم يبق فيها لا المسيحيين ولا عبدة الاوثان .

واذ جاء الرسول بالناس الى الكعبة فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، توجه الى جبل عرفات ، ذلك ما ثبته قبلنا فى الاحاديث الامام البخارى والامام الترمذى والامام مسلم . ونقرأ عليكم ايها المسلمون المحترمون الآن بعضا من تلك الاحاديث . كان رسولنا قد توجه آنذاك الى الناس من جبل عرفات ، ومن على ظهر الجمل ، طلب من احد اتباعه واسمـــه ربيعة ، الذى كان له صوت قوى ، ان ينقل كلماته الى الناس من اعلى قمة فى الجبل : **فعن جابر يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يرمى على راحلته يوم النحر ويقول : «لتأخذوا مناسككم فانى لا ادرى لعلى لا احج بعد حجتى هذه . . . ان دمائكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعـــة ، وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع . واول ربا اضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب ، فانه موضوع كله .**

فاتقوا الله فى النساء ، فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح . ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله . وانتم تسألون عنى فما انتم قائلون ؟ قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت . فقال باصبعه يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس : اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! ثلاث مرات» ذلك بعض ما سمعه الناس فى ذلك اليوم على جبل عرفات . وكانت كلمات رسول الله قد اثارتهم وتوغلت الى قلوبهم ، واثرت مضامين هذه الكلمات قبـــل الجميع الى ابى بكر

الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، حيث بكيا كثيرا ، لان الرسول عندما كان راكبـــا على جمل ابيض على جبل عرفات نزلت الآية التالية : «**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم**» وعندما نقل الرسول هذه الآية الى مسامع المجتمعين ، عمهم الفرح .

واكد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصاياه الخالدة على جبل عرفات ، ان ذلك اليوم كان يوم الجمعة المباركة ، الذى انزل فيه القرآن ، وانه اتم تبليغ رسالته ايضا فى هذا اليوم السعيد وانه لن ينزل بعد هذا اليوم سورة ولا آية من السماء .

وبعد هذه الكلمات بدأ ابو بكر وعمر بالبكـــاء . وبدأ الناس يسألونهما : «لماذا تبكون حيث لا مكان للبكاء ، بل هذه بشرى للمؤمنين اذ اكمل الله دينه واتم نعمه . اجاب ابو بكر بان هذا اشارة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الواقع ، وبعد نزول الآية المذكورة بواحد وثمانين يوما غادر النبى صلى الله عليه وسلم الحياة الدنيا .

ايها الاخوان الاعزاء . ذلك هو باختصار عما اوصانا به رسولنا فى تلك الخطبة المشهودة ، وهى موجهة الى كل مسلم فى كل العصور . وعلينا ان ننفذها جميعا ونسترشد بها فى حياتنا اليومية .

اننا نبتهل الى الله تعالى ، لكى يمدنا بالصبر وبالتفاهـــم وقوة الروح ، لتنفيذ كل ماجاء فى القرآن الكريم وسنن رسولنا صلى الله عليه وسلم .

ايها المسلمون المحترمون .

اود ان اختتم حديثى هذا واقول ، اننا كنا سعداء جدا بزيارتنا مكة المكرمة وصلاتنا امام الكعبة ، ولذلك فاننا ابتهلنا الى الله تعالى ورجوناه قائلين : «يا رب لقد جئنا الى هنـــا باسم ملايين المسلمين السوفيت ، ونرجو ان تغفر لهم ذنوبهم وتوفقهم على العمل الصالح ، وان تغفر لاولادهم ولاهلهم ولاقربائهم ولاجيالهم القادمـــة ، التى ستأتى الى مكة وتصلى فى جبل عرفات لوجهه الكريم .

تقبل حجتنا يا رب العالمين . آمين .

خطبـــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
بصدد رحلته الى تركيا وتفسير بعض الآيات الكريمة

فى مسجد «طلا شيخ» ١٥-١٢-١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها المسلمون المحترمون .

اننا على اعتاب شهر الاضحى المبارك ، نصلى صلاة العيد وصلاة الجمعة ، وقد عزمنا على السفر الى الجمهورية التركية ، ليجعل الله طريقنا خيرا وليوفقنا واياكم .

انكم تعرفون ان الادارة الدينية ، ابتداءا من سنة ١٩٤٦-١٩٤٧ شرعت باقامة العلاقات مع البلدان الاجنبية لتقوية الصلات بين علماء المسلمين والائمة ورجال الدين والشخصيات الاجتماعية ، ودعوتهـــم ليزوروا بلادنا . ولم تكن لنا علاقات حتى الآن مع تركيا . وانكم تعرفون جيدا ، انها لعبت فى حينها دورا كبيرا فى العالم الاسلامى ، وفيما مضى كانت مصر وسوريا والاردن وكثير غيرها واقعة بشكل مباشر فى فلك تركيا .

ومع ان ادارتنا الدينية لم تكن لها علاقات لمدة طويلة مع الاتراك ، الا ان بلادنـا كانت تقيم علاقات متنوعة ، سياسية واقتصادية مـــع الجمهورية التركية . وقد شيدت فى تركيا المصانع والفبارك بمساعدة اختصاصيينا ، وجرت تبادلات تجارية نشطة فيما بين البلدين . ويغدو انعدام العلاقات بين المنظمات الاسلاميـــة فى البلدين ملحوظا . واذ اخذنا ذلك بعين الاعتبار ، توجهنا الى العديد من الشخصيات الاسلامية فى تركيا ، ودعوناهم لزيارتنا والتعرف ببعضنا البعض . وقد وجدت مبادرتنا ، والحمد لله ، صداها الايجابى من لدن الاخوان الاتراك فى الدين ، وقد وصل بلادنا كما تعرفون ، وزير شؤون الاديان فى تركيا السيد لطفى دوغان . كما زار بلادنا علماء الدين الاتراك ايضا . وتفقدوا

مساجدنا وتعرفوا بمكتبة الادارة الدينية ، واجروا لقاءات عديدة واحاديث شيقة مع مسلمينا ، وزاروا سمرقند وبخارى وقازاخستان وآذربيجان .

وبعد مضى مدة من الوقت ، وصلتنـــا دعوة منهم للمشاركة فى مؤتمر يعقد فى نوفمبر هذا العام . وقد شاركنا ، والحمد لله فى هذا المؤتمر . فماذا دار فى المؤتمر ؟ جرى الحديث عن ان المسلمين فى مختلف بلدان العالم يستقبلون شهر رمضان المبارك باوقات مختلفة ، اى ليس فى يوم واحد معين . وكذلك عيد الاضحى . ان هذا الموضوع مختلف فيه منذ زمن بعيد . فهل من الممكن تنظيم وتعيين موعد بذاته لاستقبال رمضان والاعياد الاسلامية فى العالـم ، لكى يحتفل جميـــع المسلمين فى العالم معا فى يوم واحد ؟ بشرط ان تؤخذ بعين الاعتبار معطيات الارصاد الفلكية .

اجل ، لقد ناقشنا هذا الموضوع الهام والضرورى فى المؤتمر . ان المسلمين السوفيت فكروا منذ مدة طويلة بهذا الموضوع ، وكنا على اتم الاستعداد للاشتراك فى مثل هذه المناقشة . وتبين ان هذا الموضوع كان محط انظار العلماء ورجـــال الدين من دول كثيرة . وقد تكلموا جميعا وعرضوا افكارهم وطرحوا مقترحات ملموسة فى هذا الموضوع . وكانت محصلة المناقشات هى : ان المسلمين جميعا يطمحون الى المراعاة الصارمة الدقيقة ، لمواعيد بداية ونهاية اعيادنا المقدسة . وقد اثارت كلمتنا مشاعر الارتياح والاستحسان لدى المشاركين فى المؤتمر ، حيث اكدنا على اننا عندما نحدد هذه المواعيد نقيم علاقات مباشرة مع المراصد الموجودة فى بلادنا ، والمجهزة ، كما هو معروف ، بادق اجهزة الرصد الفلكية . وقد اشرنا الى ان هذه الاجهزة تخدمنا فى جميع الاوقات وبدقة ، دون الرجوع الى كتب الهرطقة من امثال «تارو مارو» «اهجزدبود» واكدنا بان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تسامح فى ايام رمضان ، ولم يشدد فى تعيين اوله او آخره بل احال علمه الى المسلمين مقيدا برؤية الهلال .

استمر هذا المؤتمر فى تركيا خمسة ايام ، وقد التقينـــا فيه اصدقاء قدامى ، وعقدنا صداقات جديدة مع آخرين . واردنا ان نعود الى بلادنا من اسطمبول مباشرة . بيد ان كثيرا من العلماء وشخصيات الدولة رجونا بالحاح ان نحضر حفل الاستقبال الخاص فى انقره ، عاصمة تركيا ، والتى تضم العديد من المراكز الاسلامية .

اجتمع فى انقرة ائمة الدين والعلماء ، وجرت بيننا شتى الاحاديث

الدينية ، كما جرت مناقشة بعض القضايا الآنية التى يمر بها العالم الاسلامى اليوم . واتفقنا مع كثير من الشخصيات الاسلامية على تبادل المؤلفات والمطبوعات الاسلامية وتبادل الوفود . وان جميع هذه الاعمال الصالحة ، تشهد على مواصلة توسيع وتوطيد العلاقات بين مسلمى مختلف البلدان ، الامر الذى يساعد بلا شك ، على تمتين علاقات حسن الجوار والاحترام المتبادل والتعاون البناء .

* * *

قال تعالى فى سورة الملك : «**هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**» .

عندما كنا نشرح هذه الآية سابقا ، لاحظنا بعض الصعوبات فى استيعابها . اما الآن فالحياة ذاتها ووتائر تطورها السريعة والتنقلات الدائمة لاعداد كبيرة من الناس بين البلدان والقارات ، تساعد على توضيح مغزاها العميق . وتنتصب هذه الآية الكريمة امامنا كاشفة عن ابعاد جديدة وجديدة من الحكمة والعمق الذى لا حد لهما . جعل الله الانسان مالكا للارض ، وعلى الانسان ان يكون جديرا بذلك ، عليه ان يرعاها وان يعمل فيها ويتحرك عليها ، وان يبتعد عن الكسل . لقد خلق الله الانهار والبحار والجبال والبحيرات ، ليس لعزل الناس عن بعضهم البعض ، وحجب العالم عن شعب من الشعوب . ويمكن السفر عبر الانهار والبحار والبحيرات وتذليل الجبال ، وفتح الطرق والدروب فيها . اى ان الانهار والجبال خلقت لكى يستثمرها الانسان ويسخرها ، لا لتكون عائقا امامنا ، انما خلقت لكى نتآخى ونتصادق فيما بيننا ، مهما كانت اعمارنا وقبائلنا وعنصرنا وقوميتنا . علينا ان نزور بعضنا البعض ، ونتعرف ببعضنا البعض ، ونعقد الصداقة ونتعاون وآنذاك نستطيع تذليل الصعاب والجبال والانهار والبحار .

اذا عزمتم على السفر فلا تفكروا كثيرا ، فسيروا على بركة الله تعالى . سابقا وفى العهد القيصرى كانوا يتكلمون عن سيبيريا كمنطقة الجوع والبرد الازليين ، كمكان للمسجونين والمنفيين . وها هى سيبيريا فى عهدنا ، تحولت الى اصقاع مزدهرة غنية ، ولذلك فان من يزمع على السفر الى سيبيريا الآن ، سواء للعمل او السياحة او لاحياء اراضى جديدة ، لا يفكر بالجوع والبرد الازليين هناك . وسيجد هناك كل ما تشتهى نفسه .

يلهمنا الله ويوقظنا فى آياته الجليلة المنورة ، الى السعى فى رؤية الجديد والجديد من الاماكن غير المعروفة لنا فى الارض . ويحذرنا فى الوقت نفسه من الغرور ، كالقول اننا كنا فى اماكن عديدة وعرفنا كل شيىء واصابنا الملل من كل شيىء . اننا فى خاتمة المطاف نعود الى الله تعالى ، واليه المصير . ولذلك عليكم ان تذكروا الله اينما كنتم فى حلكم وترحالكم . وان تؤمنوا بـــه بصدق وان تأملوا منه العطاء والرأفة والرحمة .

ينصحنا رسولنا بالسفر والتعرف بالمجهول من المناطق والاصقاع وعدم المكوث بمكان واحد ، حتى لو شعرنا بمرض وتوان ، فالله هو الذى يرعانا ويكفل خبزنا ولا يتركنا فى المصائب . اننا اذ نسافر نجد الشفاء من الامراض والكآبة والضجر ، ونشاهد فى السفر حتما مناطق جديدة ونتعرف بمختلف الناس ، وبذلك نغنى ونوسع معارفنا ، وننمى مداركنا ، ونكتسب خبرة حياتية جديدة .

ثمة من بينكم ايها المسلمون من زار اصقاعنا ومدننا وقرانا مثل : سمرقند ، وبخارى ، وحيوا ، واندیجان ونامنغان ، وقد شاهدتم فى كل مكان ، المساجد والمدارس وغير ذلك من العمارات الجميلـة والاماكن الرائعة . ورأيتم الناس فى حياتهم وعملهم ، وزرتم الاماكن المقدسة ، وعدتم بانطباعات غنية ، وزدتم علما وثقافة . ولهذا بالذات وهبنا الله الارض والانهار والبحار ، لنمد عليها الجسور والطرق وبناء السفن ، لكى تكون وسيلة للسفر من اجل التعـــارف والحياة السلمية والاخوة والوفاق .

يقول بعض العلماء : اذا ادلهمت بك الخطوط واصابك الضجر فما عليك الا بالسفر فهو الذى يساعدك .

ايها الاخوان ، صدقونى ان الانسان لو سافر لمدة ثلاثة ايـــام فقط ، لاكتسب من الانطباعات ما يكفيه لمدة سنة كاملة . اجل هذه هى فوائد السفر ، انها تبديل الجو العام والهواء والاختلاط باناس جدد ، وهذا لعمرى لايقارنه اية ثروة او مال .

فكونوا خفافا فى حركتكم ، امدكم الله بالصحة وحقق آمالكم انه لسميع مجيب .

خطبـــــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول مولد النبى صلى الله عليه وسلم وترجمة الامام القفال الشاشى وقصة عام الفيل

(طشقند ، ١٩٧٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاساتذة والمدرسون والطلاب فى المعهد الاسلامى العالى . انكم تعلمون جيدا ان المكان الذى يقع فيه معهدكم العالى يسمى بحضرة الامام . وقبالة معهدكم يقع ضريح الامام القفال الشاشى ، والمعروف فى الاوساط الشعبية بـ «حضرة الامام» .

ان الامام الشاشى معروف فى العالم الاسلامى كله . ولمعارفـــه العميقة واعماله الجليلة لقب بلقب الامام الكبير .

انه ولد فى شاش (طشقند حاليا) وامضى فيها اعوام الطفولـــة والصبا . درس على الهيثم بن كليب المحدث احد ائمة الدين المعروفين فى عصره . وبعد حصوله على التعليم الضرورى ، سافر كثيرا الى بلدان الشرق العربى ، وعاش ردحا طويلا من الزمن فى بغداد . واستقبل علماء بغداد الشاشى ، بمزيد من الفرح ، لانهم عرفوه عالما مشهورا وضليعا فى مختلف العلوم الاسلامية . وجاء فى كتاب «طبقات الشافعية» ان الامام الشاشى اكتسب معارف دينية واسعة فى مسائل الاسلام الاساسية لدى علماء معروفين ، وقام بتعليم العديد من الائمة .

لعب الامام الشاشى دورا مرموقا فى نشر المعارف الاسلامية واللغة العربية فى اصقاعنا ، وفى ترسيخ الاسس الصحيحة فى علم الفقـــه الاسلامى .

وفى اثناء رحلاته الى البلدان العربية ، كان منكبا على تعميق معارفه ومارس تدريس كثير من العلوم الاسلامية . وقام بدور بارز فى بعث كتاب «علم الجدل» المشهور فى حينه والمنسى مدة طويلة . والف العديد

من الكتب العلمية الاصيلة منها : «جوامع الفصائل» و«محاسن الطبيعة» . كما ان بعض مؤلفاته موجودة فى مكتبة ادارتنا الدينية . والاخرى موزعة فى اصقاع العالم . واستطعت ان اعثر على جزء من مؤلفاته فى مكتبة «الظاهرية» فى سوريا . وحملت معى من هناك ميكروفيلم لمؤلف «جوامع الفضائل» .

لقد دفن القفال الشاشى هنا ، قبالة معهدكم . اما الضريح فقد بناه حفيد الامير تيمور غلام حسين . مضى على ذلك خمسة قرون . وكما ترون فان الزمن لم يؤثر فى الضريح ، وهو قائم بالكامل وقد حفظ بعناية . اننا نشكر دولتنا التى اسهمت بقسطها فى ترميم هذا الاثر ، وخصصت له مبالغ طائلة . وقبل بضعة اعوام اخذت ادارتنا الدينية على عاتقها حماية الضريح والعناية به .

ان فى مكتبتنا الحالية عاش انسان معروف هو خواجه احرار عبيد الله الطشقندى السمرقندى . وكانت تقع هنا ايضا المدرسة المعروفة «موى مبارك» حيث كان يدرس فيها جد والدى المرحوم ايوب خان يونس خان ، والذى لقب فيما بعد بشيخ الاسلام . درس جدى الملا عبد الله برهان ايشان فى بخارى ، وقبل مجيئه الى طشقند درس فى مدرسة «موى مبارك» ودرس والدى على والده اولا ، وبعد ذلك ذهب الى بخارى وواصل تعليمه . وقد رباه هناك الامام البعثى وسعيد المدنى وهما من كبار الائمة .

ذكر خواجه احرار قائلا : «ان مدرسة موى مبارك ومسجد طلا شيخ عرفا سابقا بتمسية واحدة «محوطة ملايان» اى مجمع العلماء القادمين من مختلف بلدان العالم .

اتذكر حادثة . زارنا قنصل من افغانستان ، وهو انسان عالم وسأل : هل مكان «محوطة ملايان» موجود ؟ الحمد لله ، تذكرنا لهذا المكان ووصفنا بتاريخه . فاخذنا الضيف واريناه هذا المكان الذى كانت فيه مدرسة «موى مبارك» والمسجد القديم «طلا شيخ» . وزار ضيفنا الافغانى هذا المكان وكان مشدودا به . وبعد ان تفقده فكر وقال «لقد علمت من الكتب ان خواجه احرار ولى درس هنا فى «محوطة ملايان» والحمد لله على انى استطعت الآن مشاهدة هذا المكان بعينى» .

لماذا عاد خواجه احرار من سمرقند الى طشقند ؟ لانه اولا ، اراد ان يكون قريبا من القفال الشاشى ، وثانيا ، لانه ولد فى طشقند .

وبالمناسبة فان المكان الذى نتكلم فيه الآن كان فيما مضى تابعا لابوى خواجه احرار .

كان خواجه احرار معروفا فى العالم الاسلامى . وقد ورد اسمه فى كتابى «الشقائق النعمانية» و«العثمانية» وبواسطة هذين الكتابين ، علمنا ان خواجه احرار برز فى تركيا ، كعالم كبير وانسان عليم بالاسلام . وهذا شيء طبيعى ، فاينما قدر لهذا العالم الجليل ان يكون ، بقى مخلصا فى خدمة العلم والمعرفة ، وحظى باحترام عام واعتراف الجميع . وقد احبه شاعر الشرق الكبير الجامى . وثمة قصة عن علاقتهما : عندما كان عبد الرحمن الجامى يقرأ بكتاب «الاربعين» خفى عليه بعض مضامينه ، وفكر بعمق : ما هو السبب ؟ وبعد مدة التقى الجامى بخواجه احرار فى سمرقند ، وجرى بينهما حديث ، استمر فيما بعد فى حجرة الجامى ، وفى مدرسة ميرزا اولوغ بك ، وطال حديث هذين العالمين الكبيرين . وبعد مساعدة خواجه احرار استطاع الجامى فك رموز كتاب «الاربعين» ، واكتشف باعجاب ان الحديث الذى اجراه مع خواجه احرار ، قد كشف ما كان مشكلا على الجامى ، وهكذا نشأت معرفة الجامى بهذا العالم الجليل واخذ يوقره ويقدر معارفه . وكرس له قصيدته الرائعة «تحفة الاحرار» .

نشأت آنذاك علاقات صداقة ودية بين الجامى وعلى شير نوائى ، وكثيرا ما كانوا يزورون خواجه احرار للتحدث معه . وكانت النتيجة ان نوائى شغف بخواجه احرار ، ومنحه عواطفه الصادقة . ونشأت بينهما صداقة ابداع كبرى ، وكانت لقاءاتهما مملوءة باحاديث ودية وبمناقشات فى شتى المواضيع الدينية والاجتماعية والعلمية . وبطلبه خواجه احرار ، ترجم على شير نوائى كتاب الجامى «نفحات الانس» وسماه بـ «نسائم المحبة» . واود ان اخبركم ايها الاساتذة والطلاب المحترمون ، ان هذين الكتابين ، الاول باللغة الفارسية والثانى باللغة التركية هما فى مكتبتنا ، وبامكانكم الاطلاع عليهما لتعميق معارفكم .

لقد مر فى هذه الاماكن اكثر من عالم جليل ، مثل الهيثم بن كليب مدرس ومربى الامام القفال الشاشى ، وكان علامة كبيرا بآسيا الوسطى . وكانت فى هذا المكان اضرحة ابن كليب ووالد خواجه احرار – محمود الشاشى والامام المانى . ومن المؤسف ان الزمن لم يرحم بتلك الاضرحة . ولكى نحافظ على هذه الاماكن المجيدة ، اقمنا حديقة هنا وزرعنا الاشجار والزهور ، اذ ان ذكرى اسلافنا العظام يجب ان تكون مقدسة لدينا .

ففى مكان المسجد الحالى كانت تنتصب اربعة مساجد جامعة . وكانت

هذه الدائرة كلها تسمى سابقا بضاحية سيبزار . وكان الناس يؤمون هذا المكان من اماكن بعيدة وقريبة لتأدية فريضة الصلاة . واطلق على هذا المكان ايضا «المصلى» وكانت منائر هذه المساجد تزين بوابات المساجد الرائعة ، ويلتقى المؤمنون فى الفناء الفسيح المزروع بالورود والاشجار ، وكان الانسان يحس ببهاء وجمال الطبيعة الرائعين . بيد ان الزمن القاسى قد ازال تلك الآثار المعمارية البديعة . ونحمد الله تعالى بمساعدة السلطة السوفيتية لنا ، حيث خصصت المبالغ المالية والمواد الضرورية لاعمال الترميم واعادة ما خربه الزمن من آثار . وها نحن نجلس اليوم معكم فى البناية التى اعيد ترميمها . فقد حصل اكثر من جيل على المعارف الدينية هنا ، وانشاء الله ستحصلون فى هذا المعهد على الشهادة ، وتشقون طريقكم فى الحياة بنجاح . ونحن نستعد لهذا العيد الكبير .

انكم تعرفون جيدا لماذا يحمل معهدكم اسم الامام البخارى . ولا داعى للتوقف كثيرا عند هذا الموضوع . اذ ان ابن بلدنا العظيم ، وجامع احاديث الرسول ، لا يحتاج الى تعريف ، فهو اشهر من نار على علم . لكن البعض فيما مضى وبخاصة السلطات القديمة لم ترغب بذكر اسمه . فالامراء لم يقدروا خدماته الجليلة للاسلام . بيد ان المسلمين والعلماء الصالحين ومواطنيه هم الذين رفعوا شأنه .

اما فى العهد السوفيتى الحالى ، فاننا نواصل القضية المجيدة لجميع علمائنا واعلام الاسلام الكبار فى بلادنا ، ونحن نعتز بترميم ضريح الامام البخارى فى سمرقند .

ان هذا الانسان الجليل الذى يحمل معهدكم اسمه ، يجعلكم تعتزون وتقدرون دائما ذكراه ، وعليكم ان تبرروا بسمو كونكم قد تخرجتم من المعهد الاسلامى العالى فى طشقند الذى يحمل اسم البخارى . وبغية ان تدرسوا جيدا وان تحصلوا على المعارف الدينية ، وان تحاطوا بالعناية وان تتوفر لكم اسباب الراحة وكل مستلزمات الدراسة الناجحة ، فان ادارتنا الدينية سوف لا تبخل بشيئ من اجل ذلك .

واجد من المناسبة هنا ان اعبر عن اعتزازى الابوى ، بكون ابنى شمس الدين يرأس معهدكم . واننا نضع آمالنا الكبار عليه انشاء الله .

ايها الاساتذة والطلاب المحترمون . علينا ان نعرف تاريخنا ، وتاريخ هذا المكان الذى نحن فيه . اذ ان الانسان اذا لم يقدر ماضيه ويعتز به ، فانه عاجز عن التفكير بالمستقبل . انظروا حولكم ، وفكروا

بمن يحيطكم ، فمن جهة القفال الشاشى ، هذا الانسان الجليل الذى يحظى باعماله الكبيرة بحب وتقدير كبيرين فى العالم الاسلامى اجمع ، ومن جهة اخرى تحيطكم المدرسة حيث عاش ودرس فيها العالم الجليل والمعروف خواجه احرار . ان هؤلاء وغيرهم من الائمـــة والعلماء ، قد خدموا العلم والثقافة والاسلام خدمة نزيهة وجليلة . وكم من الناس جاء الى هنا من مختلف انحاء العالم ليقدر اسلافنا الكرام ؟ الحمد لله على تزايد الناس من يوم لآخر ، اولئك الذين يفهمون هذا من الرجال والنساء .

اننا الآن على اعتاب شهر ربيع الاول ، الشهر الذى ولد فيه الرسول الاعظم . لقد تشاورنا وقررنا اقامة احتفالات المولد فى جميع الجوامع .

لم يخلق البارى عز وجل جميع اصابع اليد متساويـــة ، وهكذا الناس ، من الرجال والنساء ، فلا يستطيع كل الرجال الاحتفـــاظ حتى النهاية بكرامتهم ، ونجد كثيرا من النساء اكرم من الرجال واكثر منهم تقوى . ومثال ذلك حاجى آنا التى ستبلغ الثمانين قريبا ، انها من النساء الورعات ، والتى تحاول بكل جهد مضاعفة عمل الخير ، وتحاول ان تترك اثرا حميدا بعدها . واننا اليوم ، بفضـــل جهودها سنحتفل بعيد المولد النبوى الشريف هنا ، وسنتلو آيات الذكر الحكيم وندعوه تضرعا .

فى مرة من المرات قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم خطبـــة على النساء فقال : «يا معشر النساء تصدقن فانى اريت النار فرايت اكثر اهلها من النساء . . انهن قاصرات العقل والدين . ثم بين ان قصـــور العقل فى الشهادة وقصور الدين فى الحيض والنفاس واكثـــار لعنهن وايذاء ازواجهن . وبهذه الكلمات فتح الرسول ثوبا على الارض ، وانهالت عليه الاقراط والاساور والمحابس وغير ذلك من ادوات الزينـــة التى تخلصن منها حاملاتهن لكى يتقين نار جهنم . اننا نرى فى وليمة حاجى آنا لمناسبة المولد النبوى كقربان لوجه الله وكفدية وكفارة . رحمهـــا الله رحمة ويوفقها ببلوغ اهدافها وآمالها . آمين .

عام «الفيل» وارتباط ذلك بمولد الرسول الاعظم

اننا نحتفل اليوم بعيد مولد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم . واننا اذ نحتفل بهذا الحدث المشهود ، نقدم اجل احتراماتنـــا واعمق تقديراتنا لذكراه الخالدة ، واعماله العظمى ، ونصائحه الحكيمة .

اننا جميعـــا نعرف ان محمدا ولد فى هذا الشهر بالذات ، ويروى انه ولد فى يوم التاسع من شهر ربيع الاول ، وفى رواية اخرى فى اليوم الثانى عشر منه . لقد قررنا نحن الاحتفال فى التاسع من ربيع الاول ، وبهذه المناسبة دعينا الى هذا الاحتفال بعض مقرئى القرآن والطلاب ، لكى يتلوا علينا آيات الذكر الحكيم . وقررنا الاحتفال بعد صلاة المغرب ، وليس فى النهار اذ قد تحضر فيه جنازة ، والناس يشتغلون فى النهار ، ولدى كل شخص اهتماماته . اما الآن فهو الوضع الاكثر لياقة . نسأل الله ان يهدينا الى الطريق المستقيم ، يزيد باخلاصنا لسنن النبى والقرآن الكريم .

فمن المعروف ان رسولنا ولد سنة ٥٧١ م ، ووافق ذلك حدث تاريخى ، عرف فيمـــا بعد بـ «عام الفيل» ، وذلك مذكور فى القرآن فى سورة «الفيل» .

كان عبد المطلب جد الرسول ، كما هو معروف ، واحدا من السادة وقادة قريش ، عاش فى مكة المكرمة . والحادثة التى نرويها حدثت فى حياة عبد المطلب . شيد الملك ابرهه فى اليمن كنيسة لجذب الناس اليها ، صرف تبرعاتهم المخصصة من مكة اليها . وبذلك الحق اهانـــة بمشاعر العرب . وان احدا من قريش رمى نجسا على الكنيسة ، الامر الذى اثار غضب ابرهه ، وسأل عن الشخص الفاعل . فقالوا له ، انهم العرب . وجن جنون ابرهه وامر بجمع عساكره وامتطاء الفيلة وتنظيم حملة لهدم الكعبة ، بيت الله فى مكة . توقفت عساكر ابرهه الكثيرة على مشارف مكة للاستراحة ، وقد رأى ابرهه قطيعا فى مرعى . فامر بنهب القطيـــــع كغنيمة . وكانت تسرح فى الحقل ايضـــا ابل جد النبى عبد المطلب ، وعددها ٢٠٠ ، وغنمت الابل ايضا . وعندما علم عبد المطلب ، استعد للقاء ابرهه ، واخبروه بان القادم اليك من اكثر القرشيين احترامـــا . واعتقد ابرهه ان عبد المطلب جاءه طالبا بعدم تحطيم الكعبة . لبس درعه وملابسه القيصريـــة واستقبل عبد المطلب بغرور وقح . جرى حديث بينهما . ذهل ابرهه من صمود وبسالة وشجاعـــة عبد المطلب . وقرر ابرهه انه اذا طلب منه عبد المطلب ورجاه بعدم تحطيم الكعبة فانـــه سيلبى ذلك الطلب . بيد ان عبد المطلب طالب بماشيته .

– قال عبد المطلب : لقد جئت لآخذ ما يعود لى من ماشية وابل

– اجاب ابرهه : هل لك طلبات اخرى ؟

– كلا ، اجاب جد محمد .

– لماذا لا تسأل عن الكعبة ؟

– اننى انسان بسيط وصاحب ٢٠٠ بعير ، اما الكعبة فلها صاحبها وهو الذى يجيب . وهنا جمع عبد المطلب ماشيته وقادها الى اماكنها .

بعد ذلك غضب ابرهه وجمع عساكره وافياله وقرر الهجوم على الكعبة . وهنا حدث ما لم يكن بالحسبان . وقف فجأة الفيل الذى كان يتقدم الحملة ، وكان ضخما جدا ، وقف كأنه مسمر بالارض لا يقوى على السير . بدأ العساكر يحثون الفيل على السير وقدموا له العلف ، لكنه بقى مسمرا لا يتحرك . وهنا اظهر الله ارادته وجبروته ، فوجه الى جيوش ابرهه قافلة من الطيور تحمل فى براثينها ومناقرها احجارا تثقب الانسان والحيوان اذا وقعت عليه . بدأت الطيور تحلق فوق جيوش وافيال وخيول ابرهه ، وترمى عليها الاحجار الثاقبة وتقتلها ، وما هى الا لحظات حتى امتلأت الحقول بجثث الناس والفيلة والخيول . وحاول ابرهه الاختفاء والهرب الى مكانه ، لكنه فشل فقد رمى الطير على رأسه حجرة ثقبته ثقبا . وهكذا هلك ابرهه التعيس . ان هذه القصة هى قصة الفيل . آنذاك ولد رسولنا ، ولهذه المناسبة بالذات حمى الله بقدرته الكعبة من الدمار .

ان عبد الله بن عبد المطلب هو والد رسولنا . وقد امتاز عبد الله بين اقرانه بانه كان ممشوق القامة ، طويلها ، جميل الطلعة ، عاقلا وحسن السلوك . وحلم كثير من زعماء قريش ان يكون لديهم مثل هذا الصهر . ولكن حدث ما كتبه الله . تزوج عبد الله بنتا اسمها آمنة بنت وهب ، ام محمد . وبعد ولادة محمد اعتدلت آمنة تماما ، واذهلت الجميع بالتغيرات التى طرأت عليها . لم تكن فى بدايتها جميلة ولم تكن تمتاز بشىء عن الاخريات . اما بعد الولادة فغدت جميلة وزاهية ، وتمشى محاطة بهالة من نور ، وبعد مرور فترة من الوقت ، انتقل النور الى الطفل ، الى رسولنا المقبل .

وكان لدى العرب عادة تغطية الوليد حتى يأتى شخص محترم بين القوم يرفع عنه الغطاء . عندما ولد محمد كان جده عبد المطلب يصلى فى الكعبة . واخبروه بمولد الحفيد . جاء الى البيت وسحب الغطاء من على الطفل ، وبهر عندما رآه فقال : انى سميته محمدا لانه ستحمد عقباه .

واخذه معه الى الكعبة ليشكر الخالق ، بعدها اعاد الطفل الى البيت وسلمه الى المربية ، وعندما ارادت تقميطه تمزق القماط اربا اربا وتطاير

الى مختلف الجهات ، وقد اذهلت هذه الحادثة جميع الحاضرين ، لانهم لم يروا مثل هذا المشهد سابقا .

عند ولادة نبينا انطلقت اصـــوات تصيح : «ولد الهدى ، ولد الرسول» .

وحين ولد محمد لم يكن والده على قيد الحياة ، اى ان نبينا ولد يتيما .

وحسب عادات العرب ، كان الوليد يعطى الى مرضعة . عندئذ بدأت آمنة وامها تفتشان عن مرضعة للطفل فلم تجدا . وبقى الطفل اليتيم بلا مرضعة لان المرضعات كن يفضلن اطفال الاغنياء من الناس .

واخيرا جاءت الى آمنة امرأة اسمها حليمة السعدية التى لم تعثر على اطفال آخرين ، وقررت ان ترضع محمدا . ودع اقارب محمد حليمـــة السعدية وعادوا الى بيوتهم . ولكن فجأة انقطع الحليب لدى المرضعة . وكان الوقت عصيبا ، فكان الجفاف عاما يعانى منـــه البشر والبهائم . ما العمل اذا بكى الطفل ، واراد ان يرضع ؟ قررت حليمـــة شراء معزة ، واشترتها بالفعل . وتبين ان المعزة عير حلوب . وحان وقت ارضـــاع الطفل . قررت تقديم ثديها للطفل ، واحست بانهمـــا مملؤان بالحليب وتنفست الصعداء . كانت حليمة ترضع محمدا وطفلا آخر . وظهر الحليب لدى المعزة ايضا . عندئذ شعرت بان الله تعالى يرعى محمدا ويحميه .

مرت الاعوام ، وبدأ محمد يلعب مع اخيه فى الرضاعة . ومرة كانا يلعبان على الهضاب ، وفجأة نزل اثنان من السماء بملابس بيضاء وصعدا مع محمد الى السماء . وعندما علمت حليمة السعديـــة بذلك هرعت الى الهضاب ، ورأت النبى هابطا ، اسرعت اليه وحضنتـــه وسألته : «ماذا حدث ؟ «اجابها محمد : نزل اثنان من السماء واخذانى ، وشقا صـــدرى واخرجا بعض ما فيه ثم ارسلانى» . ذهلت حليمة السعدية واصابهـــا القلق ، لانها لم تسمع ابدا بمثل هذا .

نود هنا ان نوضح الامور قليلا : قيل فى بعض المصادر هكذا : جاء الى النبى ملائكة ، اخذوه وطهروا كل ما هو سىء منه ووضعوا بدلا من ذلك المعارف والحكم وغسلوه بماء «زمزم» .

وقررت حليمة السعدية المرتعبة ، وتخلصا من المسؤولية ارجاع الطفل الى امه . وكان عمره آنذاك خمسة اعوام . وحين بلغ السادسة من العمر توفيت امه ، واضحى يتيم الام والاب . واعطوه الى جده عبد المطلب لتربيته ، وقد احبه اكثر من اولاده ورباه على خير التقاليد . مضى الوقت ،

واصبح عبد المطلب عجوزا على حافة الموت . عندئذ جمع جميع اولاده وكلف ابنه ابا طالب بتربية محمد الذى بلغ الثامنة من العمر .

حين بلغ محمد الثانية عشرة من العمر ، توجه ابو طالب على رأس قافلة تجارية الى الشام . وقرر اخذ محمد معـــه . وسافر ابو لهب (عم النبى) وابو جهل ايضا وكانا كلاهما من عبدة الاوثان . وفى منطقة بصراء جرى لقاء مع الراهب الذى قرأ مرة فى احد الكتب الدينية ان الانبيـــاء فقط يتوقفون تحت هذه الشجرة . ولكنه لم يعرف متى سيحدث هذا . ولكنه كان ينتظر الموعود . وحين رأى القادمين اطرق فى التفكير مليا ان هؤلاء هم الذين كان ينتظرهم طويلا ، وقرر دعوتهم جميعا لضيافته . لقد فكر هكذا لان صبيا كان مع القافلة ، وكانت سحابة تظل فوقـــه . وعندما توقف تحت الشجرة توقفت الغيمـــة فوقه . وهنا تذكر الشيخ الوقور ان من يقف تحت الغيمة هنا سيكون آخر الانبياء .

وافق ابو لهب وابو جهل على دعوة الشيخ ، لكنهما لم يأخذا معهما محمدا وامراه بحراسة الجمال ، وجاءا الى الشيخ ، لكن الغيمة بقيت معلقة فوق الشجرة حيث وقف محمد . عندئذ قال الشيخ : «ينقصكما شخص» ، اجل «اجاب ابو جهل» لقد ابقينا شخصا يحرس الجمـــال . عندئذ اخذ الشيخ محمدا وجاء به الى الناس ، وقبل كل شىء توجه الى ابى طالب عمه قائلا : «يا عرب حافظوا عليه ، انه ناموس كناموس موسى ، فقد جاءت صفاته فى الكتب المقدسة ، واذا لم تحافظوا عليه فان اليهود سيقتلونه . «يا ابا طالب انصحك بعدم اخذه معكم بعد ، عودوا الى بيوتكم» . وبعد ذلك باع ابو طالب كل بضاعته هناك وعاد الى مكة المكرمة .

ان نبينا الصبى قام برحلة اخرى ، الى اليمن ، الذى كان اميرها آنذاك مسطورا ، وكان محقا ايضا مثل العجوز الشامى وقال ايضـــا «انصحكم بعدم السفر مع هذا الانسان لان القبائل اليهودية ستحرمـــه الحياة» . كان عمر محمد آنذاك ١٧ عاما .

وسافر نبينا آخر مرة الى الشام عندما كان يعمل عند خديجـــة ، وكانت الرحلة موفقـــة جدا . وجلبت كثيرا من الربح ، وكانت نادرة من حيث نجاحها . آنذاك كان عمر محمد ٢٠ سنة ، اما خديجـــة فقد بلغت الاربعين .

خديجة الكبرى ارملة غنية بقيت بلا زواج ، وبقيت مدة طويلـــة يعبث بها القدر ، وها هو نبينا التقاها ، وقد احبته بحرارة واخلاص ، وكانت هى نفسها ترسل اليه من يخطبه لها ، معلنة انها كانت متزوجة ،

لكنها لم تحب فى حياتها مثله ابدا ، ولذلك تريد ان تكون له زوجة . وبعد مشاورات مع اهله واقاربه ، تزوج خديجة ، وقد انجبا ٥ اولاد و٤ بنات ، ولم يبق منهم جميعا الا فاطمة ، حيث زوجها النبى من على بن ابى طالب .

وكان من بين اقرباء نبينا ، والى جانب الناس المخلصين له ، البعض ممن سبب له الكثير من المشاكل والمنغصـــــات كابى لهب وابى جهل وعقبة ، فقد وقف هؤلاء مواقف عدائية ضده . وقتل العديد من خصومه فى معركة بدر ، وبعد ذلك تحسن وضع محمد وحصل على نجاحات كثيرة .

لقد ذكر سبحانه وتعالى فى كتبه المقدسة التوراة والانجيل واخيرا فى القرآن الحكيم كثيرا عن صفاته وموقفه من سائر الانبياء والمرسلين . قال الله تعالى : «**واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قـــال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين**» . (سورة آل عمران ، الآية ٨١) . ثم اشار الله تعالى فى آياته الى عظمة نبينا وافضليته على جميع الانبياء الذين سبقوه . واخذ الله عهدا من جميع الانبياء ، وذكرهم انه انزل فى كتابيه التوراة والانجيل الكثير من المعارف والحكم ، وذكرهم انه عندما يأتى آخر الرسل واسمه محمـــد ، يجب ان يساعدوه ويتبعوه لانه نبى على الناس جميعا . لقد كان جميع انبياء الله ارسلوا على قبائلهم وشعوبهم . الا ان الله ارسل نبينا محمدا الى كافة الناس ورحمة للعالمين .

اننا نعتبر نبينا محمد آخر الرسل واجلهم شأنا واعظمهم قدرا ، وعلينا ان نطيع وصاياه الخالدة .

اجل . هذا هو نبينا الذى نذكره اليوم بعظيم الشكر ، ونصلى فى يوم مولده الشريف ، مولد رسولنا وحبيبنا .

فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

الفصل الثالث

تقارير وخطب المفتى ضياءالدين خان بن ايشان باباخان

تقريـــــــــر
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى مؤتمر ممثلى جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى «مشكلة الشرق الاوسط»

زاغورسك ، ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قال : «**انا خلقناكم من ذكـر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**» (سورة الحجرات ، الآية ١٣)

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث برسالة الله الى خلقه اجمعين .

ان واجبنا الرئيسى فى نشاطاتنا ينطلق من القرآن الكريم ، وسنن النبى محمد صلى الله عليه وسلم . لقد علمنـــا الله فى آيته المذكورة هذه ، ان الناس جميعا سواسية فى الارض بغض النظر عن لون بشرتهم وعنصرهم واصلهم . انه يدعونا الى معرفة بعضنا البعض ، والى اقامـــة علاقات عادلة بين الشعوب ، والى الاحترام المتبادل ، والى تبادل الخبر ،

الى الود والصداقة . وبهذا الصـــدد فقد جاء فى حديث الرســـول : «. . . **لا فضل لاحمر على اسود الا بالتقوى**» (من حديث رواه احمد) .

اننى سعيد حقا فى اجتماعنا هذا ، الذى يضم ممثلى مختلف الاديان وضيوفنا الاعزاء فى هذا المؤتمر الذى يعقـــد فى هذا المكان الطاهر ، الذى قدم كثيرا من اعلام الدين المسيحى المعروفين . وان هذا المؤتمر يتناسب وروح القرآن الكريم وتعاليم رسولنا الذى كان يدعو الناس بلا كلل الى السلام والعدالة والمساواة والصداقـــة والتعاون النزيه فى اعمال الخير .

اننى اتضرع الى البارى عز وجل ، فى ان تكون قرارات مؤتمرنا هذا عاملا من عوامل توطيد السلم فى العالم اجمع ، وتقارب الشعـــوب التى تؤمن باديان شتى .

ايها المندوبون الكرام

ايها الضيوف المحترمون .

لقد اجتمعنا هنا لنعرب معا عن تضامن جميع المؤمنين فى الاتحاد السوفيتى مع السياسة السلمية لحكومتنا . وقد اجتمعنا فى ظرف يثير قلق البشرية من الاوضاع الجارية فى مناطق مختلفة من العالم . وبما اننا شخصيات ذات مسؤولية قيادية لاديان متنوعة ، فلا نستطيع ان نكون غير مبالين لاحداث تراق فيها دماء الابرياء .

ان الاوساط الامبريالية فى الولايات المتحدة الامريكية ، تواصل ولعدة اعوام ، حربها غير العادلة ضد الشعب الفيتنامى الباســـل . ان شعبنا السوفيتى ، بما فيه جميع المؤمنين ، قد اعرب غير مرة عن تضامنه مع الشعب الفيتنامى ، الذى يناضل من اجل حريته واستقلاله . اننا نطالب بانهاء هذه الحرب غير العادلة فورا .

اننا نشجب ايضا الاعمال العدوانية لبعض الدول الامبرياليـــة فى بعض البلدان الافريقية . فيحاول المستعمرون ، بشتى السبل ، الحفاظ على نفوذهم فى البلدان الافريقية النامية ، من اجل مواصلة ضغوطهـــا الاقتصادية والسياسية فيما بعد .

اننا نحن السوفيت لا نعرف التفرقة العنصرية ، والتناقضـــات الطبقية ، والنعرات القوميـــة ، واننا ندمغ بالعـــار العنصريين البيض ومأجوريهم ، الذين يواصلون تمزيق شعوب روديسيا وجنوب افريقيـــا وغيرهما من الشعوب الاخرى . ان العنصرية ، اينما ظهرت ، فهى اسود بقعة فى تاريخ البشرية .

ان الديانة الاسلامية لا تعادى اطلاقا الامم والاديان الاخرى . ولم يحدث هذا لا فى حياة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا بعده ولا فى عصر الخلفاء الراشدين . ان المسلم الحقيقى لم يلاحق ولم يضيق على احد ابدا . ففى بداية انتشار الاسلام ، عاش المسلمـــون بسلام مع اليهود والمسيحيين . وان العرب الذين اعتنقوا الاسلام لم يبادروا بالهجوم على احد البته ، ولم يرفعوا ايديهم على العزل من الناس ، وبخاصة على الشيوخ والاطفال والنساء ، وكانوا دائما يحترمون المعابد واماكن عبادة الديانات الاخرى ، ولم يدنسوها ابدا . وفى البلدان التى حكمها العرب روعيت حرية العقيدة ، واقيمت الضمانات لحماية حياة وشرف واموال بقية الشعوب والاديان .

يدعو القرآن الكريم ونبينا صلى الله عليـــه وسلم المسلمين الى الحياة السلمية ، فيما بينهم ومع الشعـــوب الاخرى . وهذا واحد من المبادئ الاساسية لديننا الحنيف . وان العرب الذين استرشدوا بهذه المبادئ سعوا دائما الى الحياة السلمية مع الشعوب الاخرى ، بما فى ذلك مع اليهود . ولذلك فان الهجوم الاسرائيلى الغادر على البلدان العربية ، يثير غضب كل من تعز عليه قضية السلام ، وبخاصة شعوب الاتحـــاد السوفيتى وبالاخص المسلمين السوفيت ، اجل ، انها تغضب لانه خلال ١٤٠٠ سنة من وجود الديانة الاسلامية وائمتهـــا العرب ، كانوا يبدون مشاعر التسامح الدينى والصداقة ازاء اليهود . ولكن كيف جابه اليهود الصهاينة العرب على ذلك الاحسان اليوم ؟ هل يمكن الا يغضب الانسان على اعمالهم الشنيعة ازاء العرب ؟

ان جميع الناس ذوى الارادة الطيبة فى العالم يدعمون بالاجمـــاع قرار مجلس الامن الدولى لدى الامم المتحدة ، الذى ادان بوضوح وصراحة العدوان الاسرائيلى . بيد ان الامم المتحدة ، عاجزة حتى الآن عن اجبار اسرائيل على وقف العدوان . ان المعتدين الاسرائيليين اذ يتجاهلون قرار الهيئات الدولية ، يواصلون تسعير الوضع فى الشرق الاوسط . ويقومون باعمال القرصنة فى الاراضى العربية المحتلة ، ويزهقون ارواح السكان المسالمين ويقتلون الاطفال والنســـاء والشيوخ ، ويستخدمون المعابد المقدسة لاغراضهم الحربية .

اننا نحن المسلمين السوفيت ، ندعم سياسة حكومتنا ونطالب بان تكف اسرائيل فورا عن اعمالها العدوانية فى الشرق الاوسط . اننا نعرب عن شجبنا الحاسم للعدوان الاسرائيلى وحماته امبرياليى الولايات المتحدة

الاميركية . ان الله سبحانه وتعالى ، لن ينصر الظالمين ابدا . فقد جاء في الحديث النبوى : «بيت الظالم خراب ولو بعد حين» «وان احدا منا لا يشك بصحة هذه الكلمات .

اختط القادة الصهاينة منذ اليوم الاول من وجود اسرائيل نهج العداء والمجابهة مع البلدان العربية المجاورة . فقد طردوا اعدادا لا تحصى من الناس الابرياء من بيوتهم وصادروا اموالهم واراضيهم . لقد شاهدت شخصيا الوضع المزرى للاجئين الفلسطينين ، وكيف يعيش الناس الذين طردوا من بيوتهم واوطانهم مع اطفالهم ونسائهم وشيوخهم في المخيمات ، وهم محرومون من ابسط مستلزمات الحياة اللائقة بالانسان . غير ان قلب المعتدى لا يرأف .

وتمتنع اسرائيل تماما عن اعادة بيوت اللاجئين التى اغتصبتها . زد على ذلك ان الاسرائيليين الصهاينة ، بدفع من الامبريالية الغربية ، هاجموا مصر في اكتوبر سنة ١٩٥٦ وبشكل غادر . وقد استقبل العدوان الثلاثى آنذاك على مصر بشجب عارم وغضب من قبل كافة الشعوب . وان الاتحاد السوفيتى انضم آنذاك الى حركة التضامن الطليعية ، ودعم بلا قيد ولا شرط النضال العادل للشعب المصرى الذى دافع ببسالة عن استقلال وطنه ، وخاض نضالا غير متكافئ ضد قوى العدوان الموحدة .

عملت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان باشراف المرحوم والدى المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، الكثير لتقديم العون للعرب المتضررين . ولم يبخل المسلمون بالاموال لاشقائهم العرب . اذ جمعوا لهم مائة الف روبل . وبفضل تضامن القوى المحبة للسلام ، وبالدرجة الاولى بفضل الدعم المباشر والثابت للحكومة السوفيتية ، تم لجم العدوان الثلاثى . وحل العار الابدى على مدبريه ، وانصبت لعنة الاوساط الاجتماعية عليهم ، واقتنع الشعب العربى اكثر فاكثر بنزاهة صداقة الشعب السوفيتى ، ودعمه الاقتصادى والمعنوى المخلص . واتسع التعاون الاقتصادى بين البلدان العربية والاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية . ويفرحنا نمو علاقاتنا الثقافية . ان توسيع وتمتين صداقة شعوب الاتحاد السوفيتى والبلدان العربية ، يثير حقد الامبريالية العالمية والصهيونية ، وهما يبذلان كل ما بوسعهما لعرقلة تطور العلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتى والبلدان العربية .

وفى الخامس من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، ارتكب المعتدون الاسرائيليون جريمة جديدة . فقد هاجموا مصر والاردن وسوريا . ونشبت

الحرب مرة اخرى فى الشرق الاوسط ، وحملت للعرب المآسى والكوارث والدموع ، وطالبت الاوساط الاجتماعية العالمية كلها بوقف العمليات الحربية فورا . واستقبل المسلمون السوفيت بغضب عارم ، انباء اراقة الدماء فى الاماكن المقدسة للمسلمين كافة ، دماء الناس الابرياء . وقد شجب المسلمون السوفيت بحزم اسرائيل لانها خرقت السلم مرة اخرى فى الشرق الاوسط . فقد كشف العدوان الذى اعد له المتطرفون الاسرائيليون مسبقا ، عن الوجه الحقيقى للامبريالية ، ملهمة المعتدين الرئيسية . وقد تطرقت عن ذلك فى بيان خاص اذيع من اذاعة طشقند وعبرت فيه عن حقد وغضب ملايين المسلمين على العدوان الاسرائيلى .

لقد جاء فى القرآن الكريم : «**واذا اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين . . .**» (سورة البقرة – ٧٣) . ان كلمات الله البينات هذه هى انذار خطير للاسرائيليين ، الذين لا يفقهون ولا يفهمون اوزار الذنوب التى يرتكبونها امام الخالق . وجاء فى الحديث النبوى الشريف : «**لزوال الدنيا اهون على الله من قتل رجل مسلم**» (رواه الترمذى) .

ولم يكن بمقدورنا ان نكون بلا مبالاة ونكتفى بمراقبة الاحداث ، والعدوان الغاشم الذى شنه المعتدى على البلدان الصديقة لنا . وجاء فى حديث آخر لنبينا صلى الله عليه وسلم : «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (رواه مسلم) ولذلك فقد عبرنا عن تضامننا فورا وبشكل كامل مع اصدقائنا العرب ، الذين دافعوا ببسالة عن شرفهم وكرامتهم . ان المسلمين فى الشرق السوفيتى ، كسائر المواطنين السوفيت يدعمون تماما بيان حكومتنا فيما يخص النزاع الجديد فى الشرق الاوسط ، وكذلك بيان البلدان الاشتراكية الاوروبية السبعة .

زد على ذلك انه اجتمعت ادارتنا الدينية فى جلسة موسعة ، وناقشت الوضع فى الشرق الاوسط . واتخذ المشتركون فى الاجتماع قرارا عبروا فيه عن غضب مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ضد العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط . وقد ارسل ذلك القرار الى كثير من البلدان الاسلامية ، ووجد تفهما كاملا واستحسانا من لدن اخوتنا فى الدين فى البلدان الاخرى .

وقد نشرت مجلة «العالم الاسلامى» الاسبوعية ، لسان حال المؤتمر

الاسلامى العالمى ، والتى يرأس تحريرها السيد انعام الله خان ، نشرت قرارنا هذا .

وقد شاركنا بنشاط ايضا فى كثير من الفعاليات ، التى قامت بها منظمات اخرى بصدد النزاع فى الشرق الاوسط . فبعد عدة ايام من العدوان الاسرائيلى الغادر ، شاركت شخصيا ضمن الوفد السوفيتى فى الدورة الاستثنائية للجنة التضامن الافرو – آسيوى فى القاهرة . والتقيت ، فى اثناء عمل الدورة الواسعة التمثيل هذه ، بالعديد من الشخصيات الدولية والدينية والاجتماعية ، وعبرت عن غضب المسلمين السوفيت ازاء المعتدين الاسرائيليين . وفى اكتوبر ونوفمبر من العام ذاته ، سافر ممثلو المسلمين السوفيت ضمن وفد انصار السلم السوفيت الى بلدان الشرق الاوسط ، وجرت فى جميع مدن الاتحاد السوفيتى ، اجتماعات احتجاجية ضد العدوان الاسرائيلى . وان اسبوع التضامن مع البلدان العربية ، الذى جرى مؤخرا ، اكد مرة اخرى ان الشعب السوفيتى يؤيد بقوة وحسم ، النضال العادل للعرب من اجل استقلالهم وسيادتهم الوطنية .

ونظمت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان جمع التبرعات لمساعدة البلدان العربية . وفى سنة ١٩٦٧ تم جمع (٧٧٨٠٠) روبل لهذا الغرض ، وجمع فى سنة ١٩٦٨ (١٦٩٠٠٠) روبل . وتستمر حركة جمع التبرعات حتى الآن .

واجبرت العسكرية الاسرائيلية على وقف العمليات العسكرية تحت ضغط الرأى العام العالمى ، وعاصفة الغضب من جانب القوى المحبة للسلام . ومع ذلك فقد مضى عامان ، الا ان المعتدين الاسرائيليين يواصلون طغيانهم على الاراضى المحتلة ، ويطردون السكان العرب بالقوة ويحرمونهم من مأواهم واموالهم واراضيهم .

ان الاوساط الاسرائيلية الحاكمة المغرورة بنشوة النصر المؤقت والسهل ، تعرقل بكل السبل التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . واذ يتبع المحتلون الصهاينة افكارهم المهووسة حول انشاء دولة «اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات» يواصلون بوقاحة عملياتهم العسكرية على خط وقف اطلاق النار ويقومون بغارات على المواقع الآهلة بالسكان فى مصر والاردن وسوريا ، كما وتم قصف مطار بيروت الدولى فى رابعة النهار .

ومما لاشك فيه ان خطط الاحتلال التى يبيتها قادة اسرائيل

ستفشل لا محالة ، لانها خطط اجرامية امام الله وامام الناس . لقد جاء فى القرآن الكريم : «**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون**» (سورة الانبياء – ١٠٥) . ان قادة اسرائيل اذ يتابعون سياستهم الهوجاء فانهم يتجاهلون اساسا كلام الرب .

ومما لا شك فيه ايضا ، ان العصابة الحاكمة الاسرائيلية ، لم يكن بمقدورها ان تتجرأ على التصرف الوقح هذا ، لو لم تكن تعلم بالدعم المباشر لها من جانب الاوساط الامبريالية فى الدول الغربية ، وبالدرجة الاولى الولايات المتحدة الامريكية .

اننا نحن وغيرنا من المتدينين ، يحز فى قلوبنا واقع ان الاماكن المقدسة فى القدس يدنسها المحتلون . اذ يستخدم المحتلون الاسرائيليون الآن مسجد عمر فى غزة ومسجد ابراهيم الخليل فى القدم وغيرهما من المقدسات ، كثكنات عسكرية ، ويمنع على المؤمنين من الصلاة فى هذه الاماكن المقدسة . وبهذا الصدد اورد لكم ما يلى : عندما وصل ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى فلسطين ، رجاه المسيحيون الذين عاشوا هناك ان يبقى لهم كنيسة . عندئذ ، وتقديرا منه لدينهم وحصانة حريتهم الدينية ، دخل الى الكنيسة واعلن انه مستعد لاداء الصلاة فيها . ذلكم هو المثال الرائع للتسامح الدينى للاسلام .

لقد ابدت شعوب البلدان العربية فى الحرب الاخيرة التى اعلنتها اسرائيل ضدهم ، حبها للسلام مرة اخرى ، واعلنت عن استعدادها الفورى لاحترام كافة احكام قرار مجلس الامن .

ومما يسعدنا نحن اصدقاء العرب ، واقع ان صفوفهم تترسخ يوما بعد يوم ضد الامبريالية العالمية .

اننى ابتهل الى الله عز وجل ، لكى تكون القرارات التى نتخذها فى المؤتمر ، مساهمة قيمة فى قضية توطيد السلم فى العالم اجمع ، قضية التقارب بين الشعوب التى تؤمن بديانات مختلفة . وفقنا الله الى ما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب .

خطـــــاب
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى المؤتمر الخامس لمنظمة التضامن
الافرو ـ آسيوى

القاهرة ، ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد ،

ايها السادة الكرام !

ايها الاخوة المحترمون !

اننا نحن علماء الدين نهتم بتعاليم الاسلام التى تتعلق بقضيـــة حماية السلم وامن الشعوب . ونحن لا نستطيع ان نكون غير مبالين بالاحداث المقلقة التى تمر بمختلف انحاء العالم ، وكذلك بمختلف انواع الخلافات والفتن بين بعض الشعوب ، التى كثيرا ما تسفر عن نزاعات مسلحة بين دولها وحتى عن حروب تغدو خطرة للغاية فى عصرنا النووى وعواقبه الوخيمة للبشرية جمعاء .

قال الله تعالى فى كتابـــه المبين : «**من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا**» (سورة المائدة ، الاية ٣٢) . اما رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اشار فى حديثه بهذا الصدد قائلا «**من لا يرحم الناس لم يرحمه الله**» (رواه الترمذى) . وانطلاقا من الآية الكريمة والحديث الشريف ، فان على كل شخصيـــــة دينية او اجتماعية ، ان يناضل فى المسجد وخارجه وبمثابرة من اجل قضيـــة السلام وتضامن الشعوب ، وان يدعوها الى التفاهم والبحث عن حلول سياسية لكافة القضايا المطروحة ، والنزاعات والاحداث ، والعمل بجد باسم اقامة الاخوة والصداقة بين الشعوب ، لكى يسود السلم العام ،

وتعمر قلوبنا بالآمال ، ولكى يحل الغد السعيد ، وعندما تتحقق أمالنا سترتاح قلوبنا .

ان عالمنا يحتاج ، اكثر من اى وقت مضى ، الى حماية السلام والامن ، اذ ان الانسان قد كدس مخزونات هائلة من الاسلحة القادرة على تدمير كل ما هو حى على الارض التى اشادها الله وذلك فى ساعات معدودات ، اى على كل ما صنعته ايدى الاجيال السابقة منذ وجود الانسان على هذه الارض .

ولذلك فاننا نتجه الى البارى عز وجل لكى ينقذ عباده ويؤلف قلوبهم ويهديهم الى الطريق القويم .

اننا نحن المسلمين السوفيت ، كالشعب السوفيتى كله ، ندرك بعمق ، الاهمية الكبرى لحماية ودعم السلام الثابت والامن العام ، لاننا لا نستطيع مطلقا ان ننسى فظائع الحرب الماضية ، التى عانينا منها . اذ لم تجف دموع امهاتنا فى عيونهن حتى الآن . واننا لا نبخل بالجهد فى نضالنا النشيط من اجل قضية السلام والحياة السلمية السعيدة لكافة الشعوب فى العالم . اننا ندرك اكثر من غيرنا ، ونحس ونفهم عن كثب ، معاناة اخوتنا العرب وبنتائج تلك الحروب التى تشن بين فترة واخرى ضدهم ، وتلحق المآسى والكوارث التى لا مثيل لها بالناس الابرياء وبالنساء والشيوخ والاطفال ، وينسى المعتدى الذنوب الكبرى التى يرتكبها امام الله والبشرية . واننا نحن المواطنين السوفيت ، بما فى ذلك المسلمون نعرب مرة اخرى عن تضامننا مع النضال العادل للشعب العربى ضد عدوان الصهيونية والامبريالية ، ونطالب بسحب جيوش المحتلين الصهاينة من الاراضى العربية المحتلة . ومن اجل خلق الشروط الضرورية لاقامة السلم فى هذه البقعة الملتهبة من الكرة الارضية ، واطفاء الحريق الذى يمكن ان يتحول الى بؤرة لحرب نووية شاملة .

ان المسلمين السوفيت ، كالشعب السوفيتى برمته ، تقلقهم جدا الاعمال الحربية ، الجارية فى فيتنام ولاوس وكمبوتشيا ، بسبب التدخل الاميركى المباشر فى الشؤون الداخلية لهذه البلدان التى تناضل من اجل حريتها الوطنية واستقلالها . وتقلقنا بخاصة كثرة قصف الطائرات الاميركية فى الفترة الاخيرة لمدن وقرى فيتنام الشمالية ، ذلك القصف الذى اسفر عن خسائر ضخمة بالمبانى السكنية والمستشفيات والمصانع والزراعة .

اننا نطالب بحزم ، بايقاف هذا القصف وسحب الجيوش الاميركية

من فيتنام ولاوس وكمبوتشيا ، لكى تقرر شعوب هذه البلدان بشكل مستقل وبلا تدخل من الخارج ، مصائرها وتحرير اراضيها ، ولكى يخيم السلم على سائر مناطق الهندالصينية .

ايها السادة المحترمون !

الاصدقاء الاعزاء !

اتسم الوضع فى اصقاع الهندالصينية فى نهايـــة العام الماضى بخطورة جديـــة ، حيث تهدد الحرب بالانتشـــار خارج نطاق البلدين المجاورين . وقد ساعدت على ذلك كما يتضح سياسة باكستان ، التى بدلا من ان تبحث عن حلول عادلة للمسائل المتنازع عليها ، والتى تمس اخواننا فى الدين فى باكستان الشرقية ، لجأت الى استخدام السلاح ضد السكان المسالمين ، واجبرت زهاء عشرة ملايين مواطن باكستانى على مغادرة بيوتهم والبحث عن ملاجئ فى الاراضى المجاورة .

اننا كعلماء الاسلام كنا نأمل بان يسترشد قادة الدولة الباكستانية بالحديث النبوى الشريف : «**لزوال الدنيا اهون على الله من قتل رجل مسلم**» و«**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» (رواهمـــا البخارى) .

لكن من المؤسف ان مضامين حديث رسولنا الحكيم والمحب للسلام لم تطبق . بل على العكس من ذلك ، فقد بدأوا بتسعير الهوس الحربى ، الذى نشأت بنتيجته الحرب بين البلدين الجارين . ومن المعلوم ان طابع العلاقات بين هاتين الدولتين ، يحدد بدرجة كبيرة الوضع فى منطقـــة المحيط الهندى الواسعـــة وامن الملايين والملايين من الناس الذين يعيشون هناك .

اما الآن وبعد توقف الحرب ، فاننا نأمل ان القضايا الناشئة بين الدولتين ، ستحل بوسائل سلمية لخير السلم فى تلك المنطقة ، وفى سائر المناطق الاخرى وباسم السلم فى العالم كله .

ان المسلمين السوفيت يأملـــون ان شعـــوب هذه البلدان سيسترشدون بوصايا البارى عز وجل ، ولا ينساقون الى اغراءات ابليس عدو الله والبشر : «**ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير**» . (سورة الملائكة ، الاية ٦)

اننى ابتهل الى الله سبحانه وتعـــالى ، لكى يوجهنا الى الطريق القويم ، ويبارك عملنا المشترك لخير البشرية كلها ، ربنا بارك لنا فى اعمالنا والف بين قلوبنا ، انك لسميع مجيب .

تقريـــــــــر
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى مؤتمر المسلمين السوفيت فى طشقند لدعم النضال العادل لشعوب البلـــــدان العربية من اجل تحرير اراضيها ونيل استقلالها الوطنى وتقدمها الاجتماعى

مدينة طشقند ، ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيـــه محمد وعلى آله واصحابه اجمعين ، اما بعد ،

ايها الضيوف المحترمون ، ايها المندوبون الاعزاء !

اننى ابتهل الى الله القدير واشكره على تمكينننـــا من عقد هذا المؤتمر ، للتعبير عن رأى مسلمى بلادنا وعن تضامنهم الاخوى ودعمهم النضال العادل لشعوب البلدان العربية ضد العدوان الاسرائيلى المدعوم من قبل الامبريالية العالمية .

يعتبر الله عز وجل ان خيرة عبـــــاده هم أولئك الذين يفكرون ويتشاورون قبل اقدامهم على عمل ما . واسترشادا بذلك واستنادا الى احكام القرآن وآياته الكريمة ، فاننا نحن ممثلى الادارات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، قد عقدنا هذا المؤتمر لكى نعرب عن تضامننا مع اشقائنا العرب فى نضالهم العادل ، ضد العدوان الصهيونى والامبريالية . وآمل ان صوتنا المدوى سيجد صداه فى العالم اجمع . وسيسهم هذا المؤتمر بقسطه اللائق فى قضية النضال من اجل اعادة الارض العربيـة السليبة ، وتحقيق الحقوق الشرعية للشعب العربى الفلسطينى ، وبالتالى توطيد السلم فى العالم اجمع .

لقد اجتمعنا اليوم فى ظرف حققت فيه القوى المحبة للسلم نجاحات واسعة ، وحل ظرف ضعف فيـــه التوتر الدولى بعد سنوات عديدة من

«الحرب الباردة» . اننا نحمد الله على ان الجهود المثابرة لملايين الناس من ذوى النية الحسنة ، بدأت تعطى ثمارها الطيبة . فبفضل جهود الشعوب المحبة للسلم ، تم وضع حد للحرب الدموية فى فيتنام . وقد لعب التضامن العالمى فى ذلك دورا هاما ، وبخاصة تضامن الشعب السوفيتى مع الشعب الفيتنامى البطل .

لكن الخلود الى الاطمئنان لا يزال مبكرا ، لان السلام لم ينتصر بعد فى كل مكان ، ففى بعض مناطق العالم ، وبخاصة فى المشرق العربى لا يزال الوضع ينذر بالانفجار ، وثمة اراض عربية واسعة لا تزال تحت اقدام المحتلين الاسرائيليين ، ولا يزال الشعب الفلسطينى يعيش حالة التشرد فى البلدان العربية .

لقد حذرتنا حكمة الحكومة السوفيتية بقولها : «ان قوى الامبريالية العدوانية لم ترم السلاح بعد ، ولم تطرأ تغييرات بعد على المغامرين الذين سعيا منهم الى مصالحهم الخاصة الجشعة ، يقدرون على اشعال حريق حرب جديدة . ولذلك فاننا نعتبر من واجبنا مواصلة السياسة بشكل لا تجعلنا المفاجئات مهما كانت فى حيرة وارتباك . ومن اجل التصدى الحازم لاية محاولة لاعادة العالم الى عهود «الحرب الباردة» . ان افضل شكل للدفاع عن السلام هو مواصلة سياستنا المحبة للسلام بنشاط ، ومواصلة هجومنا السلمى ، كما يقال .

وفى هذا السياق لا تبخل بلادنا بالجهود لبلوغ سلم راسخ فى العالم من اجل سعادة البشرية برمتها . والمثال الساطع على ذلك هو مؤتمر ممثلى القوى المحبة للسلم الذى عقد مؤخرا فى موسكو ، حيث عبر فيه رسل العديد من بلدان العالم وبالاجماع عن مطالب ملايين الناس البسطاء ، بحماية السلام باسم الحياة السعيدة والمثمرة ، باسم مستقبل البشرية جمعاء .

لكن بالرغم من شجب كل الشعوب المحبة للسلام فى العالم ، وبالرغم من العديد من قرارات مجلس الامن الواضحة وغيرها من المنابر الدولية المرموقة ، فان اسرائيل تواصل تجاهلها بوقاحة وباستمرار ، لكل المطالب العادلة لكثير من البلدان وكذلك للمنظمات الدولية . وتواصل اسرائيل خلال عشرات السنين سياسة الضم والالحاق ، وتحصل على دعم عسكرى واقتصادى كبير من الولايات المتحدة الاميركية بالدرجة الاولى ، وكذلك من المنظمات الصهيونية العالمية . فقد حول المعتدون فى تل ابيب اسرائيل الى معسكر حربى ، واقاموا مستعمراتهم المسلحة

فى الاراضى العربية المحتلة ، اما سياستهم ازاء العرب الذين يعيشون فى اسرائيل او فى الاراضى المحتلة ، فهى سياسة ابادة السكان الاصليين لا غير .

فبعد حرب ١٩٦٧ لم يتجاهل حكام اسرائيل قرار الامم المتحدة الذى ينص على اعادة الاراضى العربية المحتلة الى اصحابها الشرعيين فحسب ، بل يواصلون تسعير الهوس الحربى ويحلمون بتحقيق خططهم الجنونية باقامة ما يسمى بـ «اسرائيل الكبرى» ، على الاراضى العربية من النيل الى الفرات .

وتجد هذه الاعمال الاستفزازية الاسرائيلية ضد البلدان العربية دعما ثابتا من الاوساط الامبريالية فى الغرب ، اذ بدون الدعم الاقتصادى والسياسى والدبلوماسى من لدن الامبرياليين ، لم يكن بمقدور اسرائيل ان تتجرأ على مثل هذا الانتهـــاك الوقح لابسط مستلزمات العـــرف الانسانى ، وتنفيذ سياســـة ابادة السكان الاصليين الذى يرمى الى القضاء على شعب برمته ، وعلى ثقافته العريقة ، وحتى على اسمه .

واذ ازدرت اسرائيل قرار الامم المتحدة ، قامت باستعداد مسبق وتعبئة شاملة ، بارتكاب عمل عسكرى جديد فى السادس من اكتوبر ضد مصر وسوريا ، وهى واثقة تماما بالدعم الواسع واللامشروط من حماتها الامبرياليين .

رفض زعماء الصهيونية الاستماع الى صوت الحكمة ، وانتهكوا الحق الدولى ، وحولوا قرار الامم المتحدة الى مجرد ورق . فقـــد حاولوا مرة اخرى وبقوة السلاح فرض شروطهم على البلدان العربيـــة المجاورة ، والسير خطوة اخرى فى انشاء «اسرائيل الكبرى» من النيل الى الفرات . غير انهم لم يفلحوا بتكرار ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، فقد صمدت القوات المسلحة المصرية والسورية والحقت ضربات جوابية موجعة بالمعتدين الاسرائيليين . لقد استشهد فى هذه المعارك العادلة ، العديد من الجنود والضباط العرب ، اسكنهم البارى فسيح جناته ويخفف عن آلام اليتامى ومعاناة الجرحى .

لقد وجد النضال العادل والظافر لمصر وسوريا فى هذا الوضع التاريخى الجديد ، اصداء واسعة ليس من قبل اوسع الجماهير الشعبية فحسب ، بل ومن قبل جميع الحكومات العربية فى الواقع ، وقد ولدت فى ايام المحن القاسية بذور وحدة البلدان العربية . فقد ابدت الشعوب والحكومات العربية يقظة عالية ، وصمدت امام دسائس وتخويفـــات

الامبرياليين . فقد ارسل العديد من البلدان العربية قطعات عسكرية لدعم اخوانهم المصريين والسوريين ، ودافعوا بالسلاح عن شرف وكرامة ليس بلدانهم فحسب ، بل والعالم العربى كله . ومما له اهمية كبرى فى هذا الصدد ، استخدام بعض الدول العربية المنتجة للنفط العقاب الاقتصادى ضد المساعد المباشر للمعتدين الاسرائيليين ، اى الولايات المتحدة الاميركية . اعان الله عمل هذه الدول العربية فى موقفها هذا .

فبفضل المعارك البطولية لجيوش مصر وسوريا الباسلة وغيرها من جيوش الدول العربية الشقيقة ، وبفضل التلاحم الكفاحى الاخوى الحقيقى ، نال المعتدى الاسرائيلى ردا حاسما وموجعا . فلو كان لقادة اسرائيل عقل سليم لكانوا قد اقتنعوا بسخافة حساباتهم فى اقامة دولتهم على اساس الاحتلال وانتزاع اراضى الغير .

ان صداقة وتعاون الاتحاد السوفييتى مع البلدان العربية لهما تاريخ حافل ، وقد صمدا مرة اخرى فى ايام الامتحان العسير الذى جابهه العرب . اننا نحن المسلمين السوفيت نعتز بان بلادنا لم تتردد – فى الظروف الصعبة التى مرت بها البلدان العربية ، عن تقديم يد العون لاشقائنا بالدين العرب ، ودافعت عن مصالحها حتى النهاية . اننا ندعم بالكامل السياسة العادلة لحكومتنا الهادفة الى تقوية الصداقة والتعاون مع البلدان العربية ، السائرة فى طريق الاستقلال الوطنى ، والانبعاث السياسى والاقتصادى والثقافى .

الحمد لله على ان حصة المسلمين السوفيت كانت ضمن المساعدة العامة التى قدمتها بلادنا الى الاشقاء العرب . ونحن نعتز بان هذه المساعدة قدمت للقضية العادلة فى الدفاع عن السياسة الوطنية المستقلة ، والتطور الصناعى والاقتصادى ، والاستثمار المستقل للثروات الطبيعية للبلدان العربية ، ولازدهار وتقدم الشعوب العربية .

ان سد اسوان هو رمز خالد للصداقة بين السوفيت والعرب . كما ان المشاريع والمؤسسات الاخرى لها اهمية كبرى للبلدان العربية ، تلك المؤسسات التى بنيت بمساعدة الاتحاد السوفيتى . واننا نحمد الله على مشاركة مسلمى الاتحاد السوفيتى فى جميع مشاريع التعاون تلك ، اولئك الذين عملوا كمهندسين وفنيين وغير ذلك من الاختصاصات الرفيعة .

تقدم بلادنا ، كما هو معروف ، مساعدات كبرى للبلدان النامية بما فى ذلك الى البلدان العربية ، وذلك فى اعداد الكوادر المتخصصة ،

واننا نفخر بان معاهد طشقند وباكو وغيرها من معاهد البلاد تعد الوف الاختصاصيين من مختلف البلدان العربيـــة ، ويتقن هؤلاء فى بلادنا المتعددة القوميات اختصاصات الطب والهندسة الزراعيـــة والتعليم والهندسة ، ويسهمون بعد تخرجهم بقسط كبير فى التقدم الاقتصادى والثقافى لبلادهم .

تقوم العلاقات بين الدول العربية والاتحاد السوفيتى على تقاليد قديمة راسخة ، وعلى الثقة المتبادلة والمصالح المشتركة والنزاهـــة التامة . ان صداقتنا وتضامننا فى النضال العام ضد الامبريالية ، قد امتحنتا فى التجربة عبر الخبر التى تكدست خلال سنين طويلـــة من التعاون . وعندما يغدو هذا البلد العربى او ذاك ضحية لعدوان امبريالى او صهيونى غادر ، فاننا نحن المسلمين السوفيت ، لا نستطيع الوقوف مكتوفى الايدى غير مبالين . اذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم اوصى بقوله : «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (رواه مسلم) . والمثال على ذلك فقد جرت فى مدننا وقرانا اجتماعات واسعة شـــارك المسلمون السوفيت فيها بنشاط ، وذلك فى اثناء الاعمال القرصنيـــة الاسرائيلية ضد لبنان وسوريا وغيرهما من البلدان العربيـــة . ودعا الائمة الخطباء فى مواعظهم فى المساجد ، المؤمنين لرفع صوت الاحتجاج ضد مثل هذه الاستفزازات الخطرة ، التى تهدد قضية السلم العام .

وهكذا كان موقفنا هذه المرة ايضا ، فقد نظمنا مؤتمرا لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، ودعونا اليه شخصيات اسلامية مرموقة من البلدان العربية ، لكى يسمعوا بانفسهم صوت المسلمين السوفيت المدوى ، صوت الصداقة الصدوقة مع الشعوب العربية . اننا نبدى مرة اخرى تضامننا الاخوى مع المناضلين العرب ، ونبتهل الى الله ان يمتن من عزيمة جنودهم فى ساحة الوغى ، وان يساعدنا على مواصلة ترسيخ اخوتنا .

فبدون وحدة راسخة بين البلدان والشعوب العربية ، لا يمكن بلوغ سلم عادل ووطيد فى منطقة الشرق الاوسط . ان الوحدة هى خير كبير انزله الله علينا ، ويجب المحافظة عليها كما نحافظ على بؤبؤة عيوننا ، ويجب تقويتها والتمسك بها مدى الدهر . ولا يجب ان ننسى ابدا ان الوحدة هى قوة لا تقهر وضمانة لاستقلال جميع البلدان العربية وتقدمها الاقتصادى والثقافى . اننا نتكلم عن هذا الموضوع بثقة ، لاننا

اقتنعنا غير مرة من خلال تجربتنا بصحة وصواب فكرة الوحدة . فبفضل وحدة ورسوخ وطننا المتعدد القوميات ، انتصرنا فى حرب صعبة ضد عدو قوى غادر ، ضد المانيا النازية التى اخضعت فى حينها اوروبا كلها ، وبفضل ذلك الرسوخ والصداقة استطعنا خلال مدة قصيرة ، اعادة بناء المدن والقرى التى دمرتها الحرب ، وكذلك المصانع والمؤسسات فى اوكرانيا وبيلوروسيا وجمهوريات البلطيق وكثير من محافظات روسيا الاتحادية ، وتضميد الجروح الاخرى لتلك الحرب الاكثر دمارا فى تاريخ بلادنا . لكن الصداقة والتراص المثمر والعمل البناء ، الهادف الى السلم وخير الناس ، ساعدتنا على بلوغ اهدافنا .

وكما تعرفون ، فخلال خمسين عاما من وجود دولتنا الاشتراكية ، ذهب العديد من الاعوام على الحروب التى اشعلها المعتدون الاجانب ضدنا ، اولئك الذين لم يعجبهم نظامنا ونمط حياتنا ومثالنا الساطع . وكانت اعوام العمل السلمى قليلة لبلادنا ، اقل بكثير من الخمسين عاما . لكن حتى فى هذه الفترة القصيرة جدا ، استطعنا ان نضاعف حجم المنتوجات الصناعية ٣٢٠ مرة . فهل كان بالامكان ان نبلغ مثل هذا النمو الهائل ، دون توطيد وحدة شعوبنا الكثيرة القاطنة فى بلادنا ! ان توحيد شعوب بلادنا فى اتحاد اخوى ، كان ضرورة قصوى ومقدمة لجميع انتصاراتنا التاريخية ، ولنأخذ على سبيل المثال جمهوريتنا اوزبكستان . فقد خرجت من اسر الاقطاعية ، وبلغت خلال نصف قرن قمم التقدم المعاصر . ان اوزبكستان السوفيتية اليوم هى جمهورية ذات صناعة جبارة ، واقتصاد زراعى ممكنن ، وثقافة مزدهرة ، وعلم متطور . فقد نما حجم الانتاج الصناعى عندنا خلال سنى السلطة السوفيتية زهاء ٢٤٠ مرة . واستطاع الكثير منكم ان يرى بام عينيه ، كم هى عظيمة نجاحات اوزبكستان السوفيتية فى سائر المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية . وعلينا نحن سكان اوزبكستان الاعتراف باننا لو اعتمدنا على قوانا الخاصة فقط ، لما استطعنا بلوغ كل ما بلغناه خلال هذه الفترة التاريخية القصيرة . اذ ان نجاحات جمهوريتنا هى محصلة لصداقة وتعاون شعوب بلادنا كافة وكل الجمهوريات السوفيتية .

والشىء ذاته يمكن ان يقال عن قازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان وتركمانيا واذربيجان وتتاريا وروسيا واوكرانيا وكل شعوب بلادنا قاطبة . فقد كانت دائما معا فى الافراح والعمل البناء ، وفى المعارك القاسية ضد الاعداء ، وفى الصمود البطولى ضد قوى الطبيعة المدمرة .

والدليل الساطع على ذلك هو العون الذى قدمته كل شعوب بلادنا الواسعة ، فى القضاء على آثار الهزات الارضية العنيفة سنة ١٩٦٦ ، عندما اصاب الدمار طشقند والعديد من مدن وقرى آسيا الوسطى . فقد استطعنا آنذاك خلال فترة قصيرة ليس بناء الشقق المهدومة فقط ، بل وشيدنا فى الواقع مدينة جديدة تماما ، وقد شاهدتم مدينتنا بانفسكم ، حينما تفقدتم معالم طشقند . فبدون المساعدة الاخوية النزيهة من قبل شعوب بلادنا ، لم نكن نحلم باعادة البناء وبوتائر عالية . ان جمهوريتنا شاركت بنشاط فى تقديم العون الى الجمهوريات الشقيقة الاخرى عندما كانت تتعرض الى كوارث طبيعية ما . واننا نحمد البارى عز وجل ، على تلك الصداقة الراسخة والثابتة ، القائمة بين شعوب بلادنا ، وعلى تعاونها الاخوى المتعدد الجوانب ، والمساعدة المتبادلة والدعم .

ايها المندوبون المحترمون !

ايها الضيوف الاعزاء !

يدرك اشقاؤنا العرب الآن وعلى نحو ساطع ، من يقدم لهم الخير ، ومن يقدم لهم الشر . ولذلك فان تعاون بلدان العالم العربى ، مع بلدان الاسرة الاشتراكية ، ومع بلادنا ، يقوى ويتطور بشكل امتن . واننا كمسلمين لا يسعنا الا ان نرحب بهذا النهج من اعماق قلوبنا ، لان هذا التعاون ، هو الاساس الراسخ لتطوير العلاقات بين مسلمى الاتحاد السوفيتى ، ومسلمى البلدان العربية وغيرها . ويطيب لى ان اخبركم بهذا الصدد ، انه خلال سنتين ونصف السنة فقط ، زار بلادنا بدعوة من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان اكثر من عشرين وفدا اسلاميا من مختلف بلدان آسيا وافريقيا . وثمة لدى كافة الشعوب عبارات وامثلة قريبة من بعضها البعض ومعناها ان الانسان اذ يرى مرة واحدة خير من ان يسمع مائة مرة . والقرآن الكريم يعلمنا هذه الحكمة ايضا حيث يدعو الى التبادل الواسع والمباشر للآراء ، لكى يفهم البعض البعض الآخر . تقول الآية : «**انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**» (سورة الحجرات ، الاية ١٣) . لقد خلقنا الله لذلك ، وليس لكى نتخاصم فيما بيننا . واننا قادة الادارات الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، اذ نسترشد بهذه الآية الكريمة ، فاننا نسعى دائما الى تقوية الصداقة وتطوير العلاقات الثقافية والودية مع مسلمى مختلف البلدان . وادارتنا الدينية فقط ،

تقيم علاقات ودية مع منظمات اسلامية وشخصيات اسلامية مرموقة فى اكثر من ستين بلدا .

ان الصحف والمجلات والمؤلفات الاسلامية التى ترد الينا من مختلف الجمعيات الاسلامية القومية والدولية ، تفتح امامنا امكانات اضافية ، لتعارف مسلمى بلادنا على اشقائهم فى الدين فى مختلف اصقاع العالم ، وكذلك التعرف على عاداتهم ونمط حياتهم واساليبهم فى التفسيرات الجديدة لمضامين ديننا الحنيف ، ازاء قرننا وازاء التغيرات الاجتماعية- السياسية والعلمية والتكنولوجية . وان مجلتنا الرسمية «المسلمون فى الشرق السوفيتى» التى تقرأ فى داخل بلادنا وترسل الى الوف القراء فى الخارج ، تقوم بدورها بتعريف القراء بحياة وثقافة وتاريخ المسلمين فى بلادنا وبنشاطهم البناء حاليا .

لقد اصدرنا غير مرة القرآن الكريم وغيره من المؤلفات الاسلامية ، مثل ثلاثيات الامام البخارى . وننشر كل عام التقويم القمرى ، ونصدر الالبومات التى تعكس الآثار الاسلامية التاريخية ، والكراسات المكرسة لحياة ونشاط اعلام الدين الاسلامى . وقبل مدة صدر كتاب «تاريخ مصحف عثمان» الذى الفه نائبى الشيخ اسماعيل مخدوم . ونرسل بعضا من هذه النسخ الى اخوتنا فى الدين فى البلدان الاخرى .

وقد اعد للطبع حاليا كتاب «الجامع الصحيح» للامام البخارى ، وهو عبارة عن مجموعة من الاحاديث النبوية ، تركها ذخرا لابناء وطنه . واننا ننوى اصداره لمناسبة ذكرى هذا المحدث العظيم فى كل العصور ولكل الشعوب .

اننا نثق بان العلاقات الواسعة وتبادل الآثار الادبية والدينية هى مفيدة لنا جميعا ، لانها توطد صفوف المسلمين ، وتمتن وحدتهم ، وتقربهم اكثر ، وتساعد فى خاتمة المطاف على تفاهمهم الاعمق .

بيد ان اقامة وتوطيد العلاقات الاخوية بين مسلمى بلادنا والعالم الاسلامى لاتعجب اعداء الاسلام الذين يسعون باقذر الوسائل ، وبواسطة الخداع والتزوير ، للاساءة الى صداقتنا واهدافها الشريفة . ويلجأ اعداؤنا حاليا الى اساليب جديدة اكثر مكرا ونذالة لتخريب علاقاتنا الودية مع مسلمى البلدان الاخرى . وعندما اصبحت حرية التدين فى بلادنا معروفة على نطاق واسع فى العالم ، بفضل سعة علاقاتنا ، انحدر اعداؤنا فى كل مكان الى مستوى سافل لدرجة انهم اخذوا يصدرون المنشورات المزورة عن وضع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى ، ويتهمون الدبلوماسيين السوفيت فى الخارج

فى كتابتها ، اى اولئك الذين يعملون فى البلدان الاسلامية بالذات . وهنا تظهر قذارة وغدر مثل هذه التزويرات المزيفة .

ففى الوقت الذى يقتنع الملايين فى العالم بصواب برنامج السلام السوفيتى ، وعندما يتم الانعطاف فى العالم من «الحرب الباردة» الى التعاون الدولى ، وتزداد سمعة الاتحاد السوفيتى يوما بعد آخر ، فى هذا الوقت يحاول اعداء الانفراج الدولى ، الاساءة بشتى الوسائل الى سياسة بلادنا . ومما يثير الانتباه ، ان المخربين الغربيين يحاولون تشويه سياسة الدولة السوفيتية فيما يخص الدين وعلاقتها بالمتدينين وفى القضية القومية ، ويقومون بهذه الدسائس فى البلدان الاسلامية بالذات . وكما اشرت ، يلجأ هؤلاء الى شتى الاساليب لتشويه سمعتنا .

ومثال ذلك يحاول اعداء وحدة المسلمين ، اعداء الصداقة بين الشعوب ، اتهامنا باننا نتطاول على القرآن ، ونطبعه بشكل مشوه ! اننا نطبع القرآن ، وهذا واقع ، وبالمناسبة ، فان هيئات الدولة لا تمارس طبع القرآن ، انما ادارتنا الدينية بالذات ، كيف لا وهو كتابنا المقدس . واننا نفهم جيدا وندرك المسؤولية التى تقع علينا عند طباعة القرآن الكريم . لقد اصدرنا خلال الاعوام الاخيرة القرآن الكريم اربع مرات ، زد على ذلك اننا ارسلنا الطبعة الثانية الى جامعة الازهر فى القاهرة للتدقيق . وفضلا عن ذلك يجب الملاحظة ، ان فى بلادنا الوف المسلمين الذين يحفظون القرآن غيبا ، ولو ورد خطأ واحد فى طباعة القرآن ، فان مسلمينا سيجدون قبل غيرهم هذا الخطأ الذى لم يحدث اطلاقا .

اننا لم نعرف من يثير تلك الاعمال الدنيئة ، لكننا نفهم شيئا واحدا ، وهو ان وراء هذا الافتراء القذر يقف اعداء الامم الاسلامية . كما ان اهداف هذه التزويرات واضحة لنا . انها ترمى الى تخويف الشعوب الاسلامية من التصادق مع المسلمين السوفيت بوسائل تشويه الواقع السوفيتى . وان هذه المساعى لا تخدم سوى الد اعداء الشعوب المحبة للحرية ، اى الصهيونية والامبريالية .

والواقع التاريخى هو ان السلطة السوفيتية اعلنت منذ اليوم الاول لوجودها سياسة السلام والصداقة والتعاون المتكافئ مع بلدان آسيا وافريقيا . ويعتبر «النداء الى جميع الكادحين المسلمين فى روسيا والشرق» واحدا من الوثائق الاولى للحكومة السوفيتية . واشار هذا النداء بوضوح تام الى الحرية التامة للشعائر الدينية فى بلادنا . وقد ثبتت هذه الاحكام فيما بعد فى الدستور السوفيتى ، الذى نص على حرية جميع

الاديان ، وهى كثيرة ويعتنقها عدد كبير فى بلادنا المتعددة القوميات . ولا اجانب الحقيقة اذا قلت ان بلادنا تضم ممثلى جميع الديانات قاطبة ، ويتمتع جميع هؤلاء ، بالرغم من عددهم ، بحقوق متساوية .

ان المزورين اعداء الاسلام ، اذ يلجأون الى مختلف السبل غير الشريفة ، يحاولون تشويه ليس السياسة السوفيتية فحسب ، بل وتشويه القانون الاساسى للشعب السوفيتى ، دستور دولتنا . ولكن فليعلم هؤلاء انهم ينفقون جهودهم عبثا ، وانهم سوف لا ينالون مآربهم . فقد ولى ذلك الوقت ، الذى كانت فيه شعوب كثيرة واقعة فى مخالب الدعاية الامبريالية .

وتغدو دعايتهم هذه كاذبة تماما ، عندما تجابه وقائع حياتنا الفعلية . وواقع حياتنا ، كما تعرفون ، هو ان مسلمى بلادنا لا يقيمون شعائرهم الدينية بحرية فحسب ، بل ويقيمون علاقاتهم الودية مع مسلمى البلدان الاخرى . وهم لا يقفون بعيدا عن الاحداث الدولية ، بل ويرفعون اصواتهم بشجاعة لدعم اخوانهم بالدين فى البلدان الاخرى .

نظمنا فى سنة ١٩٧٠ مؤتمرا تحت شعار «من اجل وحدة وتعاون المسلمين فى النضال من اجل السلام وضد العدوان الامبريالى» . وقد شارك فيه الى جانب المسلمين السوفيت ، اعلام الاسلام من ٢٦ بلدا من بلدان آسيا وافريقيا واوروبا . وكان موضوع المؤتمر الاساسى ، هو وحدة المسلمين بوجه عدوان الامبريالية الصهيونية ، والنضال من اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلى ، واعادة جميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل ، ومن اجل اعادة الحقوق الشرعية للشعب العربى الفلسطينى ، الذى عانى كثيرا . وقد نشرت وثائق هذا المؤتمر على نطاق واسع فى بلدان آسيا وافريقيا واوروبا واميركا ، وساعدت على توطيد صفوف جميع اعداء النهج العدوانى للصهيونية والامبريالية ، وكافة انصار الحل العادل للنزاع فى الشرق الاوسط .

وقد دعم مؤتمر طشقند افكار الشخصيات الاسلامية المرموقة فى البلدان الاخرى ، حول ضرورة اجراء لقاءات دولية منتظمة ، ومؤتمرات للشخصيات الاسلامية من اجل تبادل الآراء الواسع والحر ، فى شؤون النضال المشترك ، ضد دسائس الامبريالية وحماية السلام فى العالم اجمع . وان مؤتمرنا هذا ، هو تطبيق واقعى لتلك الافكار . وننوى اقامة ندوة اسلامية اخرى هامة فى بلادنا ، اى مؤتمر دولى مكرس للذكرى المائتين

بعد الالف لمولد المحدث العظيم الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، وسيعقد فى عام ١٩٧٤ .

وعموما فان نشاط ادارتنا الدينية ، كالادارات الثلاث الاخرى فى بلادنا ، هو نشاط واسع ومتعدد الجوانب . وبما اننا نقود الحياة الدينية لمسلمينا بالدرجة الاولى ، فاننا نعير فى عملنـــا اهتماما خاصا لاعداد الكوادر الجديدة من المسلمين ، وذلك لضمان التواصل المستمر للاجيال ، ولكى ينهض كل جيل جديد بمستويات ارفع من النمو الروحى ، بالمقارنة مع الجيل الذى سبقه ، ومن اجل ان يسهم مسلمو بلادنا بقسطهم اللائق فى تطوير وازدهار بلادنا العظيمة ، وبمواصلة تقدم الحضارة الانسانية برمتها . والى جانب مدرسة «مير عرب» الضهيرة فى مدينة بخارى العريقة ، حيث ستتعرفون بها مباشرة ، ثمة معهد اسلامى حديث لدينا فى طشقند ، يعد الكوادر الاسلامية الرفيعة الاختصاص . ونحن نشكر البلدان العربية الشقيقة التى فتحت ابواب معاهدها الاسلامية لطلابنا . وان طلابنا يدرسون الآن فى دمشق وليبيا والقاهرة . وننوى فى القريب العاجـــل ، ارسال طلابنا للدراسة فى المعاهد الاسلامية فى العراق والسعودية وغيرهما من البلدان العربية . وفقنا الله عز وجل المعاهد الاسلامية فى اعداد الكوادر الاسلامية .

ان تجديد وانبعاث الكوادر الاسلامية ، كما اشرت سابقا ، يلعب دوراهاما جدا فى حياتنا الاسلامية . كما ان خريجى المعاهد الاسلامية هم شخصيات دينية من نمط جديد ، يمتلكون ثقافة اسلامية رفيعة ، ويناضلون من اجل نقاوة ديننا الاسلامى ، وحمايته من الخرافـــات والاباطيـــل والتشويهات والتشتت . انهم قادرون على ان يقودوا بشكل صائب الحياة الدينية للمسلمين ، ولذلك فاننا نثق بهم تماما ونسلمهم المناصب الهامة ذات المسؤولية ، كاساتذة للمؤسسات التعليمية الاسلامية ، وكائمـــة لمساجد كبرى ، وممثلين للادارات الدينيـــة فى الجمهوريات المتحدة والمحافظات الكبرى وعاملين فى اجهزة الادارات الدينية .

اما فيما يخص دراسة طلابنا فى المعاهد الاسلامية العربية ، فثمة جانب ايجابى آخر لهؤلاء . اذ ان وجودهم هناك يساعد كثيرا على تقويـــة صداقتهم مع الدارسين معهم من بلدان عديدة . وحين يعودون الى وطنهم ، فانهم يواصلون علاقاتهم الودية مع تلك البلدان التى درسوا فيها . واننا نحيى ايضا اشكال تعاوننا لخير الاسلام والسلام ، ونبتهل الى الله لكى يتسع من عام لآخر .

وطبيعى ان ادارتنا الدينية ، بوصفها واحدة فى المراكز الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، تمارس فى نشاطها الدولى وبالدرجة الاولى ، وعلى الغالب ، مهمة اقامة العلاقات الدينية مع اخواننا فى الدين . زد على ذلك ، اننا نبذل كل ما بوسعنا من اجل ان ندلى بقسطنا اللائق فى توسيع وتعميق علاقات الصداقة والتعاون المتنوعة ، التى تسعى دولتنا لاقامتها مع بلدان العالم كافة ، وخاصة مع بلدان المشرق العربى . ان تعاون الاتحاد السوفيتى مع البلدان النامية ، لا يرمى الى اغراض انانية ، بل يهدف قبل كل شىء الى دعم هذه البلدان فى مسيرتها فى طريق التطور المستقل والمتحرر من كافة اشكال الاستغلال الامبريالى واملاء ارادة الغير . ان الاتحاد السوفيتى بوصفه من اكبر بلدان العالم تطورا ، مستعد دائما وبسخاء ان يتقاسم نجاحاته وخبراته مع الشعوب الاخرى وخاصة مع تلك التى شرعت توا بالسير فى طريق التطور المستقل . ان مثل هذه السياسة تتطابق تماما مع التعاليم الاسلامية . فقد جاء فى القرآن الكريم : «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**» وقد شجب رسولنا صلى الله عليه وسلم فى كثير من احاديثه ، الاغنياء الذين يستحوذون على كثير من خيرات الدنيا ولا يهتمون بجيرانهم الفقراء .

ان بلادنا هى بلاد محبة للسلم . انها ناضلت ولا تزال تناضل من اجل الانفراج الدولى ، وحماية السلم العام ودرء الفظائع المرتبطة باراقة الدماء والحروب المدمرة . وكانت المقترحات السوفيتية الجديدة ، التى استقبلها جميع الناس من ذوى الارادة الطيبة بالدعم ، حول تقليص الميزانيات العسكرية بنسبة ١٠٪ للدول الاعضاء الدائمة فى مجلس الامن ، واستخدام جزء من هذه الاموال لتقديم العون الى البلدان النامية .

اننا نحن المسلمين السوفيت ، كالشعب السوفيتى كله ، نساهم بنشاط واسع فى القضية النبيلة ، قضية توطيد السلام . اننا كزملائى ممثلى الادارات الدينية لمسلمى الاتحاد السوفيتى ، نشارك فى اعمال جميع المؤتمرات الدولية تقريبا لانصار السلام . واننا ، بوصفنا اعضاء فى لجنة الدفاع عن السلام ولجنة التضامن مع شعوب آسيا وافريقيا ومجلس السلم العالمى ، نرفع اصواتنا من اجل العدالة ، وضد اى مظهر من مظاهر العدوان ، وننا صر حتما البلدان العربية فى نضالها العادل ضد الدسائس الامبريالية والصهيونية . وان الدليل على ذلك هو مشاركتنا فى اعمال المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلم ، الذى عقد مؤخرا فى موسكو . واننا نقدم ايضا الدعم المادى الى المنظمات المناضلة من اجل السلم ، ونسهم

باشتراكاتنا فى صندوق السلام ، ونلقى الكلمات بالاذاعة والتلفزيون ونكتب فى الصحف ونصدر المؤلفات .

ايها المشاركون وضيوف المؤتمر الاعزاء !

ان موضوع مؤتمرنا آنى جدا وواسع ومتنوع . ومن الطبيعى اننى لا استطيع فى هذا التقرير ، ان الم بكافة القضايا المرتبطة به ، وآمل ان تصفوا فى تقاريركم بالتفصيل مواضيع اخرى وهى كثيرة جدا .

واود فى نهاية تقريرى هذا ان الفت انظاركم بخاصة الى المهام الاكثر اهمية .

ان غياب السلام فى الشرق الاوسط ، هو نتيجة لمواصلة احتلال اسرائيل للاراضى العربية ، وامتناعها عن تنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بالشرق الاوسط . وعلينا ان نشجب بحزم وبشكل قاطع ، السياسة الاجرامية لحكام اسرائيل . وعلينا ان ندعو معتنقى جميع الاديان وجميع ذوى الارادة الخيرة الى المشاركة النشيطة فى حملة الاحتجاجات ضد السياسة العدوانية الاسرائيلية ، المدعومة من قبل الاوساط الامبريالية فى الولايات المتحدة الاميركية . علينا ان نناقش سبل واساليب تعزيز الدعم للقضية العادلة لاشقائنا العرب ، الذين يناضلون من اجل الاستقلال الوطنى والسيادة الوطنية وسلامة الاراضى والتقدم الاجتماعى . زد على ذلك انه علينا بلوغ توسيع دائم لمظاهر التضامن الدولى مع البلدان العربية ، وتعزيز دعمنا للشعب العربى الفلسطينى المناضل من اجل حقوقه الطبيعية ، وحق تقرير المصير بما فى ذلك تكوين دولته المستقلة .

علينا ان ندعم ايضا برنامج العمل فى الدفاع عن السلم العام ، الذى اقره مؤخرا المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام فى موسكو . ان صوت المسلمين السوفيت ، وصوت جميع المؤمنين سيسمع فى جميع انحاء العالم .

اننا نطالب بتنفيذ قرارى مجلس الامن الدولى المتخذين فى ٢٢ و٢٣ اكتوبر سنة ١٩٧٣ فورا . اننا نطالب بالانسحاب التام للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضى العربية المحتلة .

واننا نطالب بعودة اللاجئين الى اراضيهم ، واعادة اموالهم المفقودة اليهم .

اننا نطالب بمعاقبة المعتدين الاسرائيليين على الجرائم التى ارتكبوها فى الاراضى العربية ، والقصاص الصارم من المعتدين .

اننا نطالب بسلم عادل ووطيد من الشرق الاوسط .

اننى ابتهل الى البارى عز وجل ، ليساعدنا على توطيد صفوفنا فى النضال ضد قوى الامبريالية الغادرة والصهيونية وشل ايدى المعتدين .

اننى ابتهل اليه تعالى ، لكى يوجه مسلمى العالم الى طريق الصواب ، طريق التفاهم والاحترام والتعاون .

اننى ابتهل الى الله لكى يبارك جهودنا الرامية الى اهداف نبيلة ، اى تلك التى اجتمعنا هنا من اجلها .

نداء

المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى مسلمى الاتحاد السوفيتى كافة لمناسبة الذكرى الثلاثين للانتصار على الفاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد ،

ايها الاخوة المسلمون !

اننا اذ نحتفل بالذكرى الثلاثين لانتصار الشعوب السوفيتيـــة على المانيا الفاشية ، لا تزال فظائع الحرب العالمية الثانية حديثة فى ذاكرتنا ، ولم تجف بعد دموع الناس الذين فقدوا الاهل والاقرباء . فقد اودت الحرب بحياة عشرين مليون من ابناء وبنات وطننا العزيز ، الذين وهبوا حياتهم من أجل شرف ومجد وطننا ، ومن اجل سعادة شعوب الاتحاد السوفيتى ، ومن اجل السلم فى العالم اجمع . لقد كانت الحرب اختبارا جديا لرسوخ صداقة واخوة شعوب وطننا الواسع المتعدد القوميات ، التى وقفت كمعسكر واحد للدفاع عن المكتسبات التاريخية ، فقد استعرض الشعب السوفيتى فى اعوام الاختبار القاسى ، عبر النار والحديد ، امام العالم كله ، ثقته التى لا حدود لها للاهداف والمهام التى قامت من اجلهـــا ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ .

ان المسلمين السوفيت الذين وقفوا بحزم الى جانب هذه الثورة ، وانخرطوا بنشاط مع بقية شعوب اول دولة اشتراكية متعددة القوميات فى العالم ، فى بناء الحياة الجديدة ، وكانوا فى اثناء الحرب الوطنية العظمى فى صف واحد مع المدافعين الابطال عن وطننا المقدس ، واراقوا دماءهم معا فى ميادين القتال فى اوكرانيا وبيلوروسيـــا وروسيا والقفقاس وجمهوريات البلطيق . ومنح مئات المسلمين لقاء بطولتهم الفذة ارفع الالقاب ، بطل الاتحاد السوفيتى واوسمة وميداليات الاتحاد السوفيتى .

وقد ادلينا نحن ائمة الاسلام ايضا بقسطنـــا فى قضية تقريب الانتصار العظيم ، حيث رفعنا روح مسلمينا واستنفرنا جميع قوانا لتحطيم

المعتدين الفاشست . ففى المساجد والاجتماعات ومؤتمرات المسلمين ، كنا نمجد المقاتلين فى الصراع المتفانى من اجل شرف وكرامة وحرية وطننا العظيم . ان الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، كبقية الادارات الدينية الاخرى فى بلادنا ، وكالشعب السوفيتى برمته ، اعتبرت نفسها مجندة فى الكفاح المقدس من اجل شرف وحرية وطننا الحبيب ، والكفاح من اجل تحرير الشعوب التى استعبدتها الفاشية . اننا نتذكر بفخر ، أن فى آسيا الوسطى وحدها جمعت اموال لانتاج نسق كامل من الدبابات . وقد استعرض المسلمون السوفيت ، مثل الشعب السوفيتى كله ، اخلاصهم اللامتناهى لوطنهم الاشتراكى ، وقد استحقوا بمآثرهم القتالية والعملية مباركة البارى عز وجل .

وقد ابدى الشعب السوفيتى برمته ، سواء فى جبهات الحرب ام فى الجبهة الخلفية ، آيات من البطولة والتضحية ، وسجل نهوضا لا مثيل له فى حب العمل ، الامر الذى اكسبه احترام واعتزاز كل الشعوب المحبة للحرية ، وتوج باذن الله العزيز القدير الذى منحه النصر وعاقب بقسوة المجرمين الفاشست ، الذين تحدوا بوقاحة ارادة الله ، حيث انتهكوا شرف واخلاق وكرامة الانسان الذى خلقه الله لحماية ما هو موجود على الارض .

وفى الجبهة الخلفية لم تنس النساء المجيدات والاحداث والشيوخ واجبهم تجاه الوطن . فقد اشتغلوا فى الفبارك والمصانع والكولخوزات والسوفخوزات بدل من ذهبوا الى جبهات الوغى من الآباء والازواج والاخوة والابناء ، واشتغلوا ليلا ونهارا باسم الانتصار ، وبفضل صمودهم المذهل وتضحياتهم ، تم تموين الجبهات بكل ما هو ضرورى .

وعندما نحتفل اليوم بالذكرى الثلاثين للانتصار العظيم ، فان الالم لا زال يعتصرنا حين نتذكر الخسائر البشرية والحرمانات التى حملتها هذه الحرب الغادرة للشعب السوفيتى كله ، ولشعوب اوروبا وآسيا وغيرهما من مناطق العالم . انها كانت اكثر الحروب دمارا فى تاريخ البشرية ، فقد اوقفت لعشرات السنين المجرى الطبيعى للحياة ، وعرقلت تقدم الحضارة الانسانية عموما .

ومنذ ثلاثة عقود ، يعيش الشعب السوفيتى فى كنف السلام . فقد ضمد جراحه الثخينة التى احدثتها الحرب القاسية . وحصل على نجاحات كبرى فى تطوير جميع فروع الاقتصاد الوطنى والعلم والثقافة ، ورفع من رفاهية الكادحين . ويفرحنا جميعا تطور صناعتنا وزراعتنا ، فقد ادخلت حيز العمل مئآت المصانع الجديدة لصناعة الحديد والمعادن غير الحديدية وبناء الماكينات

والكيمياء والطاقة ، ويعمل فيها جنبا الى جنب ابناء كل شعوب بلادنا ومسلمو بلادنا . وتفرحنا جميعا المشاريع الجديدة مثل مصنع السيارات فى كاما ، وخط سكك الحديد (بام) والمحطة الكهرمائية نوريك ، ونظيرتها سايانو – شوشينسكويه ، وغير ذلك من المشاريع التى غدت رموزا ساطعة للعمل السلمى الذى ينهض به الشعب السوفيتى ، وللصداقة الراسخة لجميع امم وشعوب وطننا الواسع . ويلهمنا ايضا الواقع الرائع ، وهو ان محصلة الانتصار على الفاشية ، كانت قد عجلت من مجرى نهوض حركات التحرر الوطنى ، وانهيار النظام الكولونيالى للامبريالية . وتبهجنا ايضا النجاحات الرائعة للبلدان التى تحررت من العبودية والكولونيالية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، والتى تسير بثقة فى طريق التطور المستقل .

ولكن لا يجوز لنا ان ننسى ان الطبيعة الحاقدة للامبريالية ، لم تتغير اطلاقا ، ولم تلق قوى الرجعية والعدوان سلاحها ، وهى تحاول عرقلة التعايش السلمى بين مختلف الشعوب والبلدان . ولذلك وانطلاقا من واجبنا ومسؤوليتنا من اجل حماية ما خلقه الله على الارض ، فان مسلمى الاتحاد السوفيتى ، قد انخرطوا بنشاط فى النضال من اجل السلام ودرء نشوب حرب عالمية جديدة . وهم ، الى جانب الشعب السوفيتى كله ، يسعون الى حل القضايا الدولية بوسائل سلمية ، انطلاقا من الآية الكريمة : «**فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم**» (سورة الانفال – ١) .

ان المسلمين السوفيت يقدرون تماما الجهود الرامية الى تقوية السلام والصداقة والتعاون بين الشعوب والحقد على المعتدى . وقد اوصانا الله بذلك حيث قال فى آيته الكريمة «**ان الله لا يحب المعتدين**» . اننا نشجب دائما وبحزم المعتدين الاسرائيليين الذين احتلوا الاراضى العربية ، ونثق بان الله سبحانه وتعالى عاجلا ام اجلا ، سيعاقبهم عقابا شديدا على ما ارتكبوه من جرائم واستباحات . ان صرخات وتأوهات الايتام والنساء والشيوخ سيسمعها الله . وان ثقتنا تبررها الخبرة التاريخية البعيدة والقريبة . اننا نعرف جميعا النتائج العظمى التى اسفرت عنها الجهود المشتركة ، لذوى الارادة الطيبة فى قضية لجم المعتدى فى الهند الصينية ، اى فى الاراضى الفيتنامية التى عانت كثيرا . ونأمل ان القوى المحبة للسلم ذاتها ، ستدين اسرائيل بارادة المجتمع الدولى كله .

ولهذا الغرض علينا ان نرسخ الصفوف مع الاخوة فى الدين ، وصولا الى تحرير الاراضى العربية والمسجد الاقصى ثانى القبلتين ، من المحتلين الاسرائيليين .

ففى عصرنا ، عصر التكنولوجيا الجديدة ، بما فيها العسكرية ، يكون النضال من اجل السلام واجبا مقدسا على كل انسان . ويعرف السوفيت ان العمل البناء والمنتج ، هو وحده الذى يوطد جبروت وطننا الحبيب – قلعة السلم العظمى فى العالم . فلاجل ازدهاره ورفاهية شعبه وامنه ، يجب على كل منا بذل كل ما لديه من الجهد . ان حياتنا كلها وعملنا كله ووجودنا ، يجب ان يعكس فينا نحن المسلمين السوفيت تلك المسئولية الرفيعة . فعلينا جميعا ان نشارك بنشاط اكبر فى العمل البناء العظيم ، الذى ينهض به الشعب السوفيتى كله . وذلك يضمن جميع نجاحاتنا ، وفى هذا ايضا ضمانة لحماية السلم العام ، الذى يشكل الشرط الضرورى لمواصلة تقدم البشرية جمعاء ، ولتقارب وتآخى وتعاون جميع شعوب العالم .

ان الواجب الوطنى للشعب السوفيتى والمسلمين السوفيت ، هو استقبال يوم النصر استقبالا لائقا ، وبنجاحات جديدة فى العمل ، وفى النشاط الاجتماعى والحياة الخاصة . وفقنا الله تعالى على تحقيق آمالنا واعاننا على اقامة السلم فى العالم .

تغمد الله برحمته اولئك الذين استشهدوا فى ساحات الوغى من اجل وطننا الحنين المحبوب .

تقريـــــــــر
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى مؤتمر المسلمين السوفيت والمكرس
للذكرى الثلاثين لتأسيس الادارة الدينية
لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان

(طشقند ، ٩ اكتوبر ١٩٧٦)

«تطبيق تعاليم القرآن والسنة فى حياتنا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم خاتم الانبياء والمرسلين ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد ،

اننا نحمد الله ونشكره على هذه الفرصة التى اتاحها لنا لاجراء هذا اللقاء الرائع . لقد اجتمع اليوم فى هذه القاعة للاحتفال بالذكرى الثلاثين ، لتأسيس ادارتنا الدينية ، اخواننـــــا فى الدين ووجوههم نيرة بالايمان والاخلاص للبارى عز وجل . وفقنا الله تعالى جميعا ، ويسر اتمام اعمالكم الكريمة وخدماتكم من اجل تمتين العلاقات الوثقى بين المسلمين .

ففى مجرى التاريخ الطويل للاسلام ، مرت على حياة المسلمين قرون تستحق التقدير والاحترام ، ومرت قرون اخرى لوحظ فيها انحطاط تطورهم الروحى والمادى . ولذلك اسباب داخلية وخارجية . فاذا تكلمنا عن الاولى فان المسلمين لم يكونوا يدركون دائما وكما ينبغى ، الوصايا الهادية لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء فى حديثه الشريف :«**تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسول الله**» (رواه مالك) . وفى الواقع لعب اخلاصهم للقرآن الكريم وسنن النبى دائما ، دورا هائلا فى مصائرهم . اما عندما ابتعد المسلمون عنها ، اخذوا يقتربون

من الجمود والذل ، وعندما اتبعوها بحزم وقناعة ، ابتعدوا عن الانحطاط والتعاسة .

لقد كان القرآن وسنن رسوله – ولا تزال – على امتداد قرون ، اسسا صالحة واساسية للشريعة الاسلامية . ولم يفقد اجدادنا الكرام ، الذين صنعوا الحضارة الاسلامية العظيمة هذه المنائر الخالدة ، التى تنير الطريق وترشد الى الصواب فى كل تقلبات الحياة . لقد قال ابو حنيفة ، الذى انتشر مذهبه بين مسلمى الاتحاد السوفيتى عموما وبين مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان خصوصا : «اننا نعتمد فى استخراج الاحكام اولا على نصوص القرآن ، ثم على سنة رسول الله ثم مذاهب وآراء الخلفاء الراشدين» .

احتلت السنة مكانا هاما فى التشريعات الاسلامية لانها هى المفسرة الاولى للقرآن الكريم وشارحة لمعانيها . ولهذا جاء فى القرآن الكريم : **«وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون»** (سورة النحل ، الاية ٤٤) و : **«قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السماوات والارض لا اله الا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون»** . (سورة الاعراف ، آلاية ١٥٨)

اشتهرت مدينة بخارى بحق بوصفها مركزا للنداء الاسلامى . زد على ذلك ، ومع مرور الزمن ، وخاصة فى مرحلة القرون الوسطى المتأخرة ، كانت الدروس الاساسية للعلوم الدينية كتفسير القرآن واصول الشريعة الاسلامية وغيرها ، محصورة بدروس اضافية كقواعد اللغة العربية وعلم البلاغة الخ . ودرس الطلاب فى بحر سنين طويلة هذه العلوم على الغالب ، ولم يعرفوا شيئا فى الحقيقة عن التفسير الحقيقى للقرآن الكريم والسنن . وقد ارتبط ذلك قبل كل شىء بالتأخر العام لمسلمى اصقاعنا ليس فى مجال الريف فحسب ، بل وفى ميدان الاقتصاد والثقافة . وعندما قام السائح الهندى عبد الرؤوف بالتجول فى ربوع آسيا الوسطى فى بداية القرن العشرين ، سجل فى كتابه الذى اصدره بعنوان «السائح الهندى» ما يلى : «اعطت بخارى للعالم ، العديد من العلماء ، امثال ابى على بن سينا ، والفارابى ، والبخارى . ولكن مع الاسف الشديد فقدت بخارى قيمها فى غضون ما يزيد على المائتى عام . واخذ العلماء فيها يمارسون اعمالا ثانوية ، بالرغم من ان الطلاب يدرسون ٢٠ عاما فى المدرسة ، وبعدها يتبوأون مناصب المفتى او القاضى ، وهم لا يستطيعون قراءة النصوص العربية . («السائح الهندى») ص ٣ ، دار النشر حكمت ، ١٣٣٠ هـ) .

هكذا كان الوضع عندما نشأت فكرة انشاء مركز علمى عام للمسلمين على اساس الاحكام الصحيحة لديننا الحنيف . ربما تسألونى هذا السؤال : الم يكن قبل ذلك منظمة او جمعية اسلامية ؟ اجل . اننا نعتبر انها لم تكن موجودة . لان تلك التى كانت لم تكن بمستوى وظيفتها . ولم يكن قادتها قد تسلحوا بالمعارف الحقيقية ، وفى الواقع لم يبرروا لقب العالم الدينى .

ومما يرضى الله ان المسلمين فى اصقاعنا الواسعة ، اعادوا الى الاسلام فى العهد السوفيتى ذلك المجد الضائع ، وجعلوا بلادنا قلعة للاسلام . وقد حدث ذلك فى حمى الحرب العالمية الثانية ، سنة ١٩٤٣ . فآنذاك زار عدد من العلماء المرموقين برئاسة والدى المرحوم المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ، رئيس جمهورية اوزبكستان السوفيتية يولداش آخونبايف ، وعبروا له عن آرائهم بضرورة انشاء ادارة دينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، على غرار الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، التى كانت موجودة آنذاك . وقد استقبل الرئيس آخونبايف بحفاوة زواره الاجلاء ، وايد فكرتهم واعطى موافقة رسمية على انشاء الادارة الدينية ، واقترح انشاء لجنة تحضيرية كاملة لانجاز هذه الفكرة .

ضمت اللجنة كبار علماء الدين فى اوزبكستان وقازاخستان وطاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا . وبعد ذلك عقدت اجتماعا موسعا ، دعى اليه ايضا الشيخ عبد الرحمن رسولى رئيس الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، والشيخ خليل الرحمن خطيب جامع موسكو ، والشيخ قيام الدين القادرى خطيب مسجد قازان ، وغيرهم من علماء الاسلام واعضاء الادارة الدينية لمسلمى القسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى وسيبيريا ، وحضرت كذلك وفود من جمهوريات آسيا الوسطى الخمس ، وترأس وفد قازاخستان الشيخ عبد الغفار شمس الدين ، ووفد قرغيزيا الشيخ عالم خان تورا شاكر ، ووفد تركمانيا الشيخ آتا ايشان ، والشيخ عبد الرحيم ووفد طاجيكستان الشيخ بابا كلان .

انتخب المشاركون فى الاجتماع اعضاء اللجنة التأسيسية وكلفونى ان اكون سكرتيرا . وبعد عمل تحضيرى مكثف ، اتخذت اللجنة قرارا بعقد مؤتمر لعلماء الاسلام فى آسيا الوسطى وقازاخستان فى اكتوبر سنة ١٩٤٣ . وارسلت رسائل دعوة الى اعلام الاسلام ، وعقد المؤتمر فى الموعد المحدد ، فى العشرين من اكتوبر سنة ١٩٤٣ وشارك فيه اكثر من ١٦٠ مندوبا من خمس جمهوريات فى منطقتنا ، وحضر المؤتمر بصفة ضيوف

علماء الاسلام من المناطق الاسلامية الاخرى فى بلادنا الواسعة .

وكانت من احداث المؤتمر التى تبقى فى الذاكرة ، اظهار مصحف عثمان – النسخة الاصلية التى كانت موجودة فى طشقند ، وحضر الوف المسلمين لمشاهدة المصحف جاؤا الى طشقند ، خصيصا لهذا الغرض من جمهوريات مختلفة ، وكذلك لتقديم التحايا الى المؤتمر .

استمر المؤتمر ثلاثة ايام ، واتخذ فيه قرار انشاء الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وتم انتخاب هيئة رئاسة الادارة وعددها ١١ شخصا ، كما انتخبت لجنة للرقابة من خمسة اشخاص ، وتقرر ايضا انشاء ممثلية للادارة الدينية فى كل جمهورية من الجمهوريات الخمس فى المنطقة . وقد انتخب الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان بالاجماع رئيسا للادارة الدينية ، واطلق عليه لقب مفتى المسلمين فى الجمهوريات الخمس ، وقد انتخبونى والمرحوم الشيخ مراد خواجه صالحى ، كنواب للمفتى ، وانتخب بصفة ممثلين للادارة الدينية فى الجمهوريات كل من : الشيخ عبد الغفار شمس الدين – قازاخستان ، والشيخ عالم خان تورا شاكر – قرغيزيا ، والشيخ صالح باباكلان – طاجيكستان ، والشيخ آتا ايشان – تركمانيا .

وقرر المشاركون فى المؤتمر بالاجماع ان المرشد الاساسى فى نشاط الادارة الدينية هو القرآن الكريم وسنة النبى . واقر المؤتمر النظام الداخلى للادارة الدينية ، كاعلى هيئة لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، ورسمت وظائف اقسامه فى المركز والاطراف ، وكذلك مشروع لمقر الادارة والالتزامات الوظيفية لتشكيلته .

وكلما كان عمل الادارة الدينية يتسع ويتنوع كانت سمعتها تكبر بعيون المسلمين واوسع الاوساط الاجتماعية فى اصقاعنا .

وبدأ حتى اولئك الذين كانوا يقفون موقفا حذرا من انشاء الادارة الدينية ، يبدون احترامهم وتقديرهم اليها . وانتعش النشاط الدينى بشكل ملموس فى الجمهوريات المجاورة ، فى قازاخستان وطاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا .

وفى بداية سنة ١٩٤٥ ترأس المفتى ايشان باباخان مجموعة الراغبين بالحج فى الاتحاد السوفيتى ، وسافروا الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج . واستقبل هذا الفريق بالحفاوة العربية السعودية ، وحظوا باستقبال الملك عبد العزيز بن سعود ، والتقى اعضاء الوفد مع كثير من اعلام الاسلام فى مكة والمدينة .

وفى سنة ١٩٤٥ ، عقدت فى طشقند دورة لعلماء الاسلام بمشاركة اعضاء الادارة الدينية ، ناقشوا فيها مسائل تنشيط دور العلماء فى الحياة الدينية لمسلمى المنطقة ، وكذلك مسائل تصليح وترميم بنايات والمساجد وغيرها . واستمع المشاركون الى تقرير الحجاج ، الذين عادوا توا من مكة ، عن نتائج الزيارة الى الاراضى المقدسة ، ورسمت الدورة سبل تعزيز مكافحة الوساوس والاباطيل التى لا علاقة لها اطلاقا بالمبادئ الفكرية الاساسية للدين الاسلامى .

وفى بداية سنة ١٩٤٦ اتخذ قرار بفتح مدرسة من نوع خاص فى بخارى تكون وظيفتها المركزية تعليم القرآن والاحاديث . واقيمت هذه المدرسة فى بناية مدرسة «مير عرب» العريقة .

ولمناسبة انقضاء مدة تخويل المنتخبين فى المؤتمر الاول ، جرت دعوة المؤتمر الثانى فى سنة ١٩٤٨ . وجرت اعادة انتخاب ممثلى الادارة فى الجمهوريات . وانتخب المفتى ايشان باباخان من جديد رئيسا للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . وناقش المؤتمر مسائل قيادة نشاط المساجد ، ودقق مجموعة من الالتزامات الوظيفية للأئمة – الخطباء ، فى قضية نشر وترسيخ المبادئ الاسلامية الصحيحة فى حياة مسلمى المنطقة . واوكلت مهمة الى الائمة – الخطباء ، واعتبرت الزامية لمراعاة دقة وصواب اقامة الصلوات الخمس ، وغير ذلك من الشعائر . والقيام بخطبة الجمعة ، وقراءة الموعظة امام المسلمين . والسبب هو انه خلال فترة طويلة جدا ، نشأت عادات فى بعض المناطق عندنا ، حلت قراءة النصوص الصوفية والتراتيل الدينية بدلا من الخطبة . اما الآن فعلى الامام – الخطيب ان يعير اهتمامه الرئيسى على الخطبة بالذات ، اى قراءتها امام المؤمنين وبلغةمفهومة لهم ، وتضمينها بآيات قرآنية مناسبة ، واحاديث نبوية مترجمة الى لغة المستمعين . ومنذ ذلك الوقت اخذت الادارة الدينية على عاتقها تعيين الائمة – الخطباء فى المساجد ، وذلك بعد التأكد الدقيق من معارفهم .

وقد اتسمت المحصلة العامة لاعمال مؤتمر الادارة الدينية ، بانبعاث الروح الاسلامية للمؤمنين فى الجمهوريات الخمس كلها . وازداد التردد على المساجد ، واخذ المسلمون يتخلصون بالتدريج من المخلفات الضارة . وازدادت مداخيل الادارة الدينية على حساب تبرعات المسلمين لاجراء التصليحات وتوسيع المساجد . وتم ترميم المبانى القديمة لمدرسة «مير عرب» فى بخارى ، ومدرسة «برق خان» فى طشقند ، وكثير غيرهما من

المباني ذات الاهمية التاريخية الكبيرة . ولمناسبة نمو مداخيل الادارة الدينية ، تحسنت الاحوال المادية لاساتذة وطلاب المدرسة .

انكم تعرفون جميعا ان الدين يعيش بفضل اخلاص المؤمنين به . وبهذه المناسبة اود ان اتوقف عند اسماء بعض الشخصيات الاسلامية ، وهم الاعضاء القدامى فى هيئة رئاسة الادارة الدينية والذين عملوا الكثير من اجل نشر التعاليم الحقيقية للقرآن الكريم والسنة فى مناطقنا . وهؤلاء هم : الشيخ عالم خان تورا شاكر ، الذى عمل قاضيا فى قرغيزيا اكثر من عشرين عاما ، والشيخ عبد الله عبد الغفار شمس الدين الذى عمل قاضيا لحقبة طويلة من الزمن فى قازاخستان ، والذى حل محله الشيخ ساكن حضرة غلمان ، والشيخ صالح باباكلان قاضى طاجيكستان ، ونائبى اسماعيل مخدوم ساتييف ، والشيخ مراد خواجه صالحى ، والشيخ شهاب الدين مؤمن . ان هؤلاء جميعا قد توفوا ، اسكنهم الله فسيح جناته . لكننا لا نستطيع نسيانهم هنا ، ونخصهم بكلمات الشكر على اعمالهم الجليلة .

اما لجنة الفتاوى الادارة الدينية ، فقد قامت باعمال كبيرة خلال هذه الاعوام فى اصدار مختلف انواع الفتاوى . ومن بين اعمالهم ، صدرت فتاوى هامة حول دور المساجد فى المجتمع الاسلامى ، وصلاة الجمعة ، وحول علاقات الشريعة الاسلامية بطقوس المولود ، وحول قواعد الزواج والطلاق ، وحول حقوق الارث وغير ذلك من المسائل ذات الاهمية الكبيرة فى الحياة الدينية للمسلمين .

وانتظمت مجموعات الحجاج الى بيت الله الحرام ، حيث يقومون ، فضلا عن اداء فريضة الحج بلقاءات مع اعلام الاسلام من العالمين العربى والاسلامى ، الامر الذى يساعد طبعا على تطوير العلاقات الدولية للادارة الدينية .

مضت الاعوام ، واتسع نشاط الادارة الدينية ونمت شهرة العاملين فيها . وبدأ فى بلادنا عمل نشيط من اجل حماية السلام فى العالم ، ووقف اراقة الدماء والحروب المدمرة التى بدأت تهدد بالقضاء على البشرية برمتها ، مع ظهور اشكال جديدة من الاسلحة . ان العلماء والمسلمين الذين يسيرون على المبادىء الاساسية لديننا الحنيف ، والذين يدعون الى السلم والصداقة والتعاون بين الشعوب ، انخرطوا فى هذا النضال النبيل وبنشاط ، حيث اسهموا بقسطهم اللائق فى قضية الدفاع عن السلام التى هى قضية الشعب العامة . ففى عام ١٩٥٥ كلفت بمهمة مشرفة حيث انتخبت عضوا الى مؤتمر انصار السلام فى هلسنكى ،

لامثل المسلمين السوفيت ، وانتخبت هناك عضوا فى مجلس السلم العالمى . وفى العام ذاته ، عقد فى الهند مؤتمر ممثلى جميع الاديان فى الهند ، مكرس للدفاع عن السلام . اننا اذ نشترك فى مثل هذه المؤتمرات نيابة عن الادارة الدينية ، نقيم بشكل ضرورى علاقات اخوية مع العديد من الشخصيات الدينية من البلدان العربية والاسلامية ، ونعرفهم بالاوضاع الحقيقية لمسلمى الاتحاد السوفيتى .

وعندما نظم الهجوم الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، وحد المسلمون السوفيت صوتهم الداوى مع اصوات الشعب السوفيتى كله ، الذى شجب بقوة هذا العمل النذل للامبريالية العالمية . واذ دعمت الادارة الدينية نضال الشعب المصرى ، قدمت مائة الف روبل لمساعدة المتضررين فى بورسعيد ومدن منطقة قناة السويس .

فى بداية سنة ١٩٦٧ ، ساءت كثيرا صحة المفتى ايشان باباخان ، وكان عمره آنئذ ٩٣ عاما ، وفى الرابع من ايار (مايو) من العام نفسه توفى رحمة الله عليه . كانت وفاة المفتى خسارة كبرى للمسلمين . وقد شيع المفتى الى مثواه الاخير الوف المسلمين ماشين وراء جنازته . وقد دفن بجوار ضريح القفال الشاشى . ووصل الى الادارة الدينية عدد كبير من رسائل وبرقيات التعزية .

وفى سنة ١٩٥٧ بعد وفاة والدى ، عقد المؤتمر الثالث للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، حيث اجتمع الوف المسلمين ، واستمعوا الى تقرير عن نشاط الادارة الدينية عن الفترة التى اعقبت المؤتمر الثانى ، وتمت الموافقة التامة عليه ، وقدر تقديرا لائقا خط توسيع علاقاتنا مع المسلمين فى البلدان الاخرى . وقد منحنى المؤتمر شرفا كبيرا حيث انتخبنى رئيسا للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، واصبح نائبا لى الشيخ اسماعيل مخدوم ساتييف .

وبما ان المهمة الاساسية للادارة الدينية تتركز على نشر تعاليم القرآن الكريم والسنة بين المسلمين قاطبة ، وارشادهم الى الطريق القويم لبلوغ السعادة فى الدنيا والآخرة ، فان المسألة الهامة فى نشاط الادارة الدينية ، هى اعداد الكوادر المناسبة ذات التأهيل الرفيع ، والقادر على حل مثل هذه المهمة الكبيرة . ولغرض التحسين النوعى لاعداد كوادرنا الاسلامية بدأت الادارة الدينية بارسالهم الى الجامعات الاسلامية المرموقة وخاصة الى جامعة الازهر بعد تخرجهم من مدرسة

«ميرعرب» . والى جانب ذلك وسعنا عملية بعث علماء مسلمينا الى الخارج لغرض تمتين العلاقات الاخوية مع مسلمى شتى البلدان .

واعرنا اهتماما خاصا طبعا لدعوة اكبر عدد ممكن من رجال الدين الى بلادنا ، للتعرف عن كثب بحياة مسلمينا . ففى المرحلة الممتدة من ١٩٥٧-١٩٦٢ ، زارت بلادنا وفود من أئمة الاسلام من سوريا ، برئاسة الشيخ ابو اليسر العابدين ، ومن المغرب برئاسة الشيخ عبد الحميد البدايونى ، ومن بلدان اسلامية اخرى . وقد اتيحت لهم امكانية جيدة للتعرف عن كثب بحياة مسلمى الاتحاد السوفيتى . ويجدر الذكر ان هؤلاء العلماء بعد عودتهم الى اوطانهم ، عملوا الكثير من اجل القاء الضوء على اوضاع بلادنا ، وساعدوا فى قضية نبيلة وهى تفنيد الافتراءات التى تنشرها الدعاية الامبريالية والصهيونية عن وطننا .

ان التوسع الحاصل فى العلاقات الدولية للادارة الدينية ، ادت فى خاتمة المطاف ، الى ضرورة انشاء مكتب مختص لممارسة هذا العمل الهام . وفى سنة ١٩٦١ تم انشاء قسم العلاقات الدولية لدى الادارة الدينية . وقد ساعدنا ذلك على رفع عملنا الى مستوى نوعى جديد ، فيما يخص تطوير العلاقات الدولية للمسلمين السوفيت مع اخوانهم من البلدان الاخرى . واتسم هذا العمل بطابع مكثف وهادف ، لتبادل الوفود والمواد الاعلامية والنشرات الدورية . بدأنا نستلم الكتب الاسلامية من جامعة الازهر وغيرها من المراكز الاسلامية .

وفى سنة ١٩٦٢ عقد فى طشقند مؤتمر موحد للادارات الدينية الاربع فى الاتحاد السوفيتى ، واتخذ المؤتمر قرارا بانشاء مكتب العلاقات الدولية فى موسكو ، لغرض مواصلة توسيع العلاقات الاخوية مع المسلمين فى الخارج ، وهذا ينطبق تماما مع ما جاء فى القرآن الكريم : «**انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**» . وجاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» (رواه البخارى) .

واصبح مكتب العلاقات الدولية اليوم ، مكانا تعج بحركة لقاءات اعلام الاسلام والعلماء من شتى البلدان ، حيث يحصلون على معلومات دقيقة عن حياة المسلمين السوفيت . واصدر المكتب فى الاعوام الاخيرة ، مجموعة من المؤلفات الدينية ذات الاتجاه العلمى ، بما فى ذلك القرآن الكريم والالبومات والعديد من الكراسات .

وتنفذ الادارة الدينية وظائفها بنجاح فى اصدار المؤلفات

الاسلامية . ففى سنة ١٩٥٧ طبعت لاول مرة منذ تأسيسها القرآن الكريم . وقد ارسلت نسخة من هذا القرآن الى جامعة الازهر حيث دققها كبار الاختصاصيين من لجنة القرآن . وفى سنة ١٩٦٠ قررنا طبع نسخة جديدة على اساس النص الذى قدمه لنا الازهر ، وكانت طباعة القرآن مرتين حدثا كبيرا فى الحياة الدينية لمسلمى بلادنا .

اما الطبعة الثالثة للقرآن ، فقد وقتناها مع الذكرى الاربعمائة بعد الالف لنزول القرآن الكريم . وقد طبع هذا القرآن بحجمين صغير وكبير وعندما نحتفل اليوم بذكرى تأسيس الادارة الدينية توجد فى المطبعة طبعة اخرى جديدة من القرآن الكريم .

وفى سنة ١٩٦٨ اتخذت الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان قرارا باصدار مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» ، وتلبية لطلب العديد من القراء الاجانب شرعنا باصدارها بعدة لغات : بالاوزبكية والعربية ، اولا ، ثم بالانجليزية والفرنسية فيما بعد .

وفى الاعوام الاخيرة ، اتسع مجال نشاط الادارة الدينية اتساعا اكبر . وقد وجد ذلك تعبيرا له فى النشاط الملحوظ لحركتنا ، والمرتبط باقامة العلاقات والصلات مع ممثلى الاديان الاخرى ، لاجل الحل المشترك للمعضلات البشرية فى عصرنا الراهن . وفى سنة ١٩٦٩ ، شرفت بالمشاركة فى اعداد واجراء مؤتمر جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى ، الذى عقد فى زاغورسك ، وكان هدفه تنسيق نشاط المؤمنين على مستوى بلادنا وعلى النطاق الدولى .

وخصصت فى المؤتمر مكانة هامة لمناقشة الوضع فى الشرق الاوسط ، والاعمال الاجرامية لاسرائيل فى الاراضى العربية . وقد اثار هذا الموضوع اهتماما كبيرا من جانب المسلمين والمسيحيين وغيرهم من ممثلى الديانات الاخرى فى المشاركين فى مؤتمر زاغورسك . وقد طالبوا جميعا بتحرير الاراضى العربية المحتلة فورا ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطينى . ونوقش كذلك الوضع فى الهند الصينية وغير ذلك من القضايا الراهنة .

لا يزال الم قلوبنا يحز فى نفوسنا من جريمة حرق «المسجد الاقصى» سنة ١٩٦٩ ، التى قام بها الصهاينة فى مدينة القدس . وقد اثار هذا الحدث المؤلم عاصفة من غضب مسلمى الاتحاد السوفيتى . وقد اصدرت الادارة الدينية آنذاك عدة بيانات جاء فى بعضها : «يشهد العالم مرة اخرى جريمة خطرة ارتكبها المعتدى الاسرائيلى ، ففى هذه

المرة تطاولوا على «المسجد الاقصى» اولى القبلتين وثالث الحرمين ، حيث اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء فـــى احد بياناتنا : «يعبر مسلمو بلادنا عن تضامنهم مع الشعوب العربية المناضلة من اجل تحرير اراضيها السليبـــة و«المسجد الاقصى» وغيره مـــن المقدسات الاسلامية . انهم يومنون بالعار المعتدين الاسرائيليين وحماتهم ويبتهلون الى الله القدير كى ينزل عقابه بالمعتدين الاسرائيليين ، الذين دنسوا الارض المقدسة وتطاولوا على شرف واستقلال الشعوب» .

اكتسب الدعم الذى قدمه المسلمون السوفيت الى اشقائهم مـــن الشعوب العربية المناضلة ضد العدوان الامبريالى طابعـــا ثابتا . وغدا عاملا هاما فى قضية الدفاع عن السلام . ففى الاعوام الخمسة الاخيرة ، نظمت الادارة الدينية ثلاثة مؤتمرات اسلامية ، اضحت ظاهرة مرموقة فى الحركة العالمية المحبـــة للسلام ، ولسائر القوى التقدمية والمحبـــة للحرية .

وقد شارك فى المؤتمر الذى عقد فى طشقند من ٦ الى ٨ اكتوبر عام ١٩٧٠ تحت شعار «من اجل وحدة المسلمين والتعاون فى قضيـــة الدفاع عن السلام» العديد من اعلام الاسلام من الاتحاد السوفيتى وكذلك من ٢٤ دولة اخرى . وقد القيت التقرير الاساسى للمؤتمر واشرت فيـه اشارة خاصة : «لقد اجتمعنا هنا للاسهمام بقسطنا فى قضيـة درء حرب جديدة ، والدفاع عن القضية رقم واحد فى يومنا هذا ، قضيـــة الدفاع عن السلام ، وهذا ما تمليه التزاماتنا الدينية لأن اى مسلم ، اينما كان لا يمكن ان يقف مكتوف الايدى ازاء الاوضاع فى الشرق الاوسط ، حيث يتحدى الصهاينة الاسرائيليون الرأى العام العالمى ، ويواصلون احتلال الاراضى العربية ، وبذلك يخلقون بؤرة حرب خطرة فى هذه المنطقة .

ايها الاصدقاء الاعزاء . ان الاحداث المريرة الجارية حاليا فـــى الاراضى اللبنانية ، تؤكد مرة اخرى للمسلمين على وجـــود دسائس الامبريالية العالمية ، التى تنوى خلق بؤر حرب خطرة فى مختلف مناطق العالم ، واحدى هذه البؤر موجودة منذ سنوات عديدة فى منطقة الشرق الاوسط ، وتحولت الى حرب ونزاعات عسكريـــة عدة مرات بجريرة الامبريالية والصهيونية» .

وكان المؤتمرون فى طشقند على حق تماما ، عندما اشاروا الى ان «الطغمة العسكرية الاسرائيلية تقوم ، بتخطيط مسبق بالتطاول على حقوق الشعوب ، لانها تثـــق بدعم حماتها من مختلـــف المنظمات الصهيونية

المتمركزة فى الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان الغربية ، حيث تتمتع بامكانيات غير محدودة سياسية واقتصادية . لقد اكدت الاحداث ان هذه القوى العدوانية ، تكيل الضربات ليس بالعرب فحسب ، بل وبالمسلمين كافة» .

وفى سنة ١٩٧٣ عقد فى طشقند مؤتمر آخر تحت شعار «المسلمون السوفيت يدعمون نضال الشعوب العربية من اجل تحرير اراضيها واستقلالها الوطنى والتقدم الاجتماعى» ودعا المؤتمر المسلمين كافة ، لتقوية وحدتهم القومية والدولية على اساس الكفاح المشترك ضد العدوان الاسرائيلى ودسائس الامبريالية . وقد استعرضوا مرة اخرى مشاعرهم الودية وحبهم وتضامنهم مع اشقائهم ، هذه المشاعر التى يكنها المسلمون السوفيت الى اخوانهم العرب .

وقد قلت فى خطابى فى المؤتمر : «لقد اجتمعنا فى وقت حقق فيه انصار السلام نجاحات كبيرة ، حيث لوحظ على كوكبنا انعطاف باتجاه الانفراج الدولى ، بعد مرحلة طويلة من الحرب الباردة . لكننا لا نستطيع البقاء على هذا المستوى الذى بلغناه ، اذ ان قضية السلام لم تتم بعد فى كثير من مناطق العالم . فهناك ثمة بؤر خطرة لا زالت قائمة وخاصة فى الشرق الاوسط . فمازالت بعض الاراضى العربية تحت الاحتلال الاسرائيلى وان ملايين الفلسطينيين لا يزالون فى الغربة . وجاء فى النداء الذى اقره المؤتمر والموجه الى جميع المسلمين وذوى الارادة الطيبة فى العالم : «فى المرحلة الراهنة ، حيث لوحظت اتجاهات تخفيف حدة التوتر الدولى ، وظفر مبادىء التعايش السلمى ، اخذ النشاط الاجرامى لاسرائيل والاوساط الامبريالية يشتد ، وتقف هذه الاوساط وراء اسرائيل . ان انعدام السلام فى الشرق الاوسط ، هو نتيجة مباشرة لاحتلال الصهاينة الاراضى العربية ورفض اسرائيل الصلف ، تنفيذ قرارات مجلس الامن الدولى للامم المتحدة» .

ايها الاخوان الاعزاء . ان الاعمال الخيرة التى يصنعها الانسان فى دنياه ، يجب ان تعطى فى خاتمة المطاف ثمارها الرائعة ولا تذهب سدى ، لان الله عليم قدير . اننا نثق بان قوى الشر والاجرام ستلجم حتما ، وسينتصر السلام والخير فى العالم . وان جميع الاعمال الطيبة التى قمنا بها تهدف الى خير المسلمين وجميع الناس فى المعمورة .

ايها الاخوة الاعزاء . اننى اذ حدثتكم عن بعض المؤتمرات التى عقدناها اود ان اشير الى انها ليست سوى جزء من النشاط الواسع ،

الذى تنهض به ادارتنا الدينية . حيث ركزت منذ ايام وجودها على مهمة نشر الاسلام ، وغرس تعاليمه بين المؤمنين ، ومهمة التغلب على مختلف الاباطيل والوساوس التى لا علاقة لها بالاسلام ومن ثم اجتثاثها . واننا لمسؤولون امام الله والناس فى عملنا هذا ولا ننساه ، ودليل ذلك هو المؤتمر الاسلامى الذى عقدناه سنة ١٩٧٤ فى سمرقند ، لمناسبة الذكرى المائتين بعد الالف لمولد ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى . ونقولها بلا ادنى مبالغة ان اهمية هذا المؤتمر الاسلامى العلمى ، قد غدت عالمية وليس على نطاق بلادنا فقط . فان هذا المؤتمر الذى جمع اعلام الاسلام من بلدان كثيرة ، غدا ظاهرة عالمية فى الواقع ، ولا مثيل له فى الماضى الغابر والقريب . وكما اشار رسولنا صلى الله عليه وسلم **«ان الله لا يجمع امتى على ضلالة»** (رواه الترمذى) .

اجل كان مؤتمرا كبيرا لاعلام الاسلام وجرى فى جو اسلامى صادق ، ورسم السبل الصائبة لنضالنا المشترك فى المستقبل . واكد نجاحه ان فى سنة الرسول مصادر لا تنضب للخبرة الاسلامية والمعرفة ، مصادر الالهام والتفاؤل لمسلمى العالم اجمع . ان النتائج المثمرة لهذه المؤتمرات ، تقنع المسلمين بصواب اجتماعاتنا ولقاءاتنا ، المكرسة للاحتفالات بذكريات اعلام الاسلام الكبار ، الذين قدموا خدمات جلى للاسلام . وذلك من شأنه ان يوقظ الاجيال الفتية المسلمة ، ويدعوهم الى حماية التقاليد الفضلى ، ومساعدتهم على ايجاد السبيل القويم فى الحياة .

لقد قدر المشاركون من البلدان الاخرى المؤتمر تقديرا رفيعا . فقد قال موسى ماخونغا مدير المدرسة الاسلامية فى تنزانيا : «ان هذا المؤتمر يبعث فى ارواحنا اعمال نبينا واحاديثه ، التى جمعها البخارى العظيم فى كتابه الجليل . فبفضل جهوده حفظت احاديث النبى لكى نتبعها من بعد» . وقال شقيقنا من السعودية محمد صفوت السقا الامينى : «اذا كان هذا المؤتمر قد استطاع جمع هذا العدد الغفير من العلماء ، فان بامكانه ان يربط الاجيال الحديثة باجدادها الغابرة والتعرف بكل نشاط مسلمى العالم» . وقال الشيخ عبد القادر آزاد مفتى البنجاب فى خطبته فى المسجد الرئيسى لمدينة لاهور : «ان شخصية الامام البخارى عزيزة ليس على المسلمين فحسب بل على الانسانية كلها ، اذ ان كل فروع العلم التى اجادها الامام البخارى ، هى عوامل هامة لرقى

وسعادة شعوب العالم ، ولذلك فان اعلاما كبرى كالامام البخارى تبقى دائما كشموع تنير الطريق للبشرية» .

وعبر بكلمات مماثلة ازاء شخصية الامام البخارى عدد كبير من علماء الدين ممن اشتركوا فى المؤتمر وضيوفه .

كما ان نشر كتابى «الجامع الصحيح» و«الادب المفرد» للامام البخارى هما حدث كبير فى حياة مسلمى بلادنا ، ويحتل هذان الكتابان مكانة مشرفة فى العديد من الاسر الاسلامية .

ايها الاخوان المحترمون ، اننى لا اود ان آخذ كثيرا من وقتكم ، بالرغم من اننى احس بانى لم اتطرق الى كل ما اردته ، وعليه اشكركم على انتباهكم ، بالرغم من ان السفر قد ارهقكم ، وجئتم هنا للمشاركة فى مؤتمرنا هذا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمـــــــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى الاجتماع الموسع للجنة التحضيرية
للمؤتمر الدولى لممثلى مختلف الاديان

مدينة موسكو ، ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد ، يا صاحب الغبطة بيمن بطريك موسكو وسائر روسيا !

ايها الضيوف الاعزاء ، ايها المشاركون فى هذا اللقاء !

ايها المندوبون ، ايها الاخوة والاصدقاء الاعزاء !

اسمحوا لى ان احييكم باسم مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وان انقل لكم تمنياتهم الطيبة بالنجاح لهذا اللقاء الواسع . لقد اجتمعنا اليوم لمناقشة العديد من القضايا الراهنة . وقد حضر هنا ممثلو مختلف الاديان وكل دين يثق بطريقته بوحدانية الخالق والكون . بيد ان هذه الفروق لا تعيقنا عن ممارسة نشاطنا الصالح ، وتساعد على اقامة العدالة فى الارض ، وتقوية الصداقة بين الشعوب ، وفى خاتمة المطاف اقامة مستقبل افضل للبشرية جمعاء .

لقد منح الله تعالى الانسان وضعا رفيعا فى الارض ، والقى على كواهله مسؤوليات كبيرة بصدد كل ما يجرى فى الارض . قال تعالى فى كتابه المبين : «**انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان**» ان مثل هذا الوضع الرفيع للانسان من بين مخلوقاته الاخرى مثبت فى القرآن الكريم . وهذا يعنى ان كل الخيرات فى الارض ، يجب ان تستخدم لخير البشرية فقط ، ولاجل بلوغ التقدم فى كافة مجالات حياتنا اليومية ، فى الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع . واذا لم نصغ الى ذلك واستخدمنا

الخيرات الارضية وما فى باطنها لاغراض اخرى ، فـــان افعالنا تصطدم بارادة الله ، وعندئذ تحل الكارثة على البشرية . ثمة مهمة الآن تواجـــه الناس فى جميع القارات ، وهى قضيـــــة الاستخدام الواعى والهادف للثروات الطبيعية لارضنا ، وحماية وتنظيم توازنها الطبيعى بوعى . ان لشعوب العالم ، بغض النظر عن الانتماءات القومية والعنصرية والدينية والسياسية المتنوعة لكل منها ، مصلحة اساسية فـــــى حماية خيرات الارض ، كوكبنا المشترك . وهـــــذا يعنى ان علينا الا نبخل بالجهد ، لتطوير التعاون النشيط والمتعدد الجوانب بين شعوب ودول العالـــــم كله ، وكذلك للاستخدام العقلانى للخيرات الطبيعيـــــة . وتشكل هذه القضية الجزء الاساسى لكل مشاكلنا اليـــوم ، التكنولوجية والاقتصادية والسياسية والفلسفية .

يطيب لنا ان نشير هنا ان العمل المبدع لعلماء بلادنا واكتشافاتهم الجديدة والجديدة ، ترمى الى خدمة الاهداف الانسانية النبيلة ، اهداف السلم الوطيد فى العالم ولاجل الازدهار الروحى والمادى ولاجل غـــــد سعيد ، غد الاجيال النامية .

ايها الاخوة الاعزاء . اننا نبتهل الى الله تعالى ونشكره لكى يثمـــر العمل المثابر والنشيط لكـــــل قوى السلام المناضلة من اجل الحرية والتقدم ، ويسفر عن انعاش الجو الدولى ويحسن العلاقات بيـــن الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . لقد تم بلوغ الانفراج الدولى نتيجـة للسياسة الخارجية السلمية الهادفة لبلادنا ، والدول الاخرى المحبـــــة للسلام .

لقد كان اجتماع قـــــادة دول وحكومات اوروبا للامن والتعاون الاوروبى ، الذى عقد فى هلسنكى فى آب (اغسطس) سنة ١٩٧٥ حدثا مفرحا ومثمرا من احداث عصرنا . ويدعم المسلمون السوفيـــت تماما ، كشعبهم برمته ، مبادىء هذا المؤتمر ووثيقته الختامية . فقد كـــان ثمرة للسياسة الحكيمة والطويلة النفس للقوى المحبة للسلم ، بما فيهـــــا دولتنا السوفيتية الكبرى .

ويطيب لنا ان نعلق هنا على ان بلادنا تطبـــــق بالكامل المبادىء الاساسية العشرة التى التزمت بها الدول المشاركة فى المؤتمر كنهج لها فى العلاقات فيما بينها .

لكن علينا الا نهدأ من النتائج التى تم بلوغها . فعلينا قبل كـــل شىء ، ان نسعى الى ان تكون خبرة هلسنكى قـــد انتشرت على القارات

الاخرى لتنتشر عليها روح التعاون والسلم والامن الجماعى . وقد تكلل النضال البطولى فى آسيا بانتصار شعـــوب فيتنام ولاوس وكمبوديا . واننا نشاهد الآن مجرى تحرر افريقيا من الاستعباد الكولونيالى . وقـد اقتنعنا مرة اخرى من مثال انغولا فى الدفاع عن استقلالها . لكم عظيمة الجهود التى يحتاجها الشعب للدفاع عن حريته وحقوقه وحق تقريـــر مصيره ؟

ان تحسين الجو الدولى له اهمية كبيرة فى قضية السلم العالمي ، وقد انعكس ذلك فى انتشار افكار التعايش السلمى وفى اضعاف خطـر نشوء حرب عالمية جديدة . وبالنتيجة نشأت ظروف مؤاتية لنجاح مثـل هذه المبادرات ، كعقد المؤتمرات حـــول تحريم وتصفية الاسلحـــة البكتريولوجية واجراء المباحثات السوفيتية الاميركية فى مواصلة تقييد الاسلحة الاستراتيجية ، وموافقة الجمعية العمومية للامـــم المتحدة على كثير من القرارات الهامة فيما يخص كبح جماح سباق التسلح ومنـــع اعداد وانتاج اشكال اخـــرى من اسلحة الابادة الجماعية ، وكذلـــك الاجراءات العديدة الرامية الى عدم نشر الاسلحـــة النووية فى كوكبنا واقرار الاقتراح حول دعوة مؤتمر عالمى لنزع السلاح .

والى جانب ذلك ، لا يجب علينا ان ننسى ان ثمة فى بعض مناطق العام بؤر نزاع خطرة ، زد على ذلك الاصطدامات الحربية الجارية . والآن حينما يلاحظ تحسن فى الجـــو السياسى فى العالـــم ، يحاول اعداء الانفراج ، وبكل السبل ، اعـــادة العالم الى الوراء ، الى اوقات «الحرب الباردة» ، وفرض ارادتهم على الشعوب وتصوراتهم حول كيفية بناء الناس لحياتهم . وقد كشفت الاحداث الاخيرة فـــى لبنان ، ان الامبريالية والرجعية المؤتمرة بامرها تلجأ ، لاغراضها الانانية ومراميها الحاقدة على البشر ، الى اساليب سافلة ونذلة ، حيث تزرع الشقاق وعدم الثقة بين الاشقاء وابناء الوطن الواحد . ومن المفهوم تماما ان المقصود هنا هـــو المؤامرة الامبريالية الصهيونية الموجهة ضد حركة التحرر الفلسطينية ، وضد وحدة الشعوب العربية . اننا نبتهل الى البارى عز وجل ، ان يوقف احتراب الاخوة واراقة الدماء فى هذه المنطقة الواسعة من العالم .

علينا ان نكون على يقظة باستمرار ، والا نضعف جهودنا للمحافظة على ما تم تحقيقه . وذلك يوقظنا لكى نعير اهمية قصوى بضرورة توحيد جميع القوى المحبة للسلام ، من اجل تقوية السلم فى كوكبنا ، ومقاومة

انصار «الحرب الباردة» ، والدعاية المأجورة التـــى تبذر بذور الخلاف والشكوك وعدم الثقة بين الشعوب .

ان بلادنا المخلصة لمبادىء التضامن مع نضال الشعوب من اجـل استقلالها وحقوقها ، قدمت وستقدم الدعم الضرورى والمساعدة للدول العربية ضحية العدوان الاسرائيلى ، فـــى قضيتها العادلة . ان اخلاص المسلمين السوفيت لواجبهم الاممى ، مثل جميع شعوب بلادنا ، جعلهـم يدعمون دائما وسوف يدعمون فى المستقبل ايضا المطالب الشرعيـة للشعوب العربية فى الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من الاراضى العربية .

لقد تأكد الموقف المثابر لبلادنا مرة اخرى فى بيان الحكومـــة السوفيتية بصـــدد الشرق الاوسط . وقد جاء فيـــه : «ان الاتحاد السوفيتى ، اذ يدعم القضية العادلة للبلدان والشعوب العربية المدافعة عن حقوقها الشرعية ، بذل كل ما لديه من الجهد ، بما فى ذلك فـــى مجلس الامن الدولى ، للمساعدة على بلوغ التسوية السياسية الشاملة والفورية فى الشرق الاوسط» .

ان المسلمين السوفيت يدعمون بالكامل بيان حكومة بلادنا المحبة للسلم ، ويطالبون بالحل الفورى للقضايا الجذرية الثلاث ، الضروريـة لاقامة السلم العادل والوطيد فى الشرق الاوسط : «سحـــب الجيوش الاسرائيلية من كافة الاراضى العربية المحتلـــة عام ١٩٦٧ . وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى ، واخيرا ضمان امن جميع دول الشرق الاوسط . اننا نطالب باتخاذ تدابير اكثر صرامة وواقعية من شأنها ان تجبر اسرائيل على احترام الرأى العام التقدمى العالمى .

ايها المندوبون الاعزاء !

مما يبعث على الاسف الشديد ، وجود بؤر متأزمة فى مناطق اخرى من العالم ، فى الوضع الدولى الراهن ، ومن جملة هذه البؤر قضيـــة قبرص . واننا لعلى قناعة انه من الممكن حل هذه القضية فقط فى ظروف الاخذ بعين الاعتبار مصالح وحقوق القبارصـــة والاتراك ، ولدى احترام الاستقلال والسيادة الوطنية وسلامة اراضى جمهورية قبرص .

تزرع النزاعات العسكرية والجوع وانعدام العدالة الاقتصاديـــة والاجتماعية والعوز والعمل المضنى والمرض ، وغير ذلك من المآسى فى مناطق كثيرة من العالم ، تـــزرع الموت والمعاناة والدمار ، وينبغى التخلص من هذه الاوضاع .

ان نزع السلاح الذى نرغبه ونتمناه ، لا يخلص الا البشرية من خطر حرب عالمية جديدة لاتبقى ولا تذر ، بل ومن شأنه ان يحمل فوائد جمة للبشرية فى سائر مجالات الحياة ، بما فى ذلك الاخلاقية والسياسية . ان نزع السلاح هام من وجهة النظر الاقتصادية ايضا لانه يحرر وسائل مادية هائلة ، يمكن استخدامها لزيادة الرفاه المادى لجميع شعوب الارض . وقد تمت البرهنة منذ زمن بعيد على انه لو تم توجيه كل موارد المجتمع المعاصر لاغراض مفيدة ، لكان قد قضى فى العالم على الجوع والفقر وغير ذلك من اشكال المعاناة .

وعليه فان النشاط الصالح للمؤمنين ينبغى ، كما نعتقد ، ان ينصب باتجاه الحركة العالمية للقوى المحبة للسلم ومن اجل القضاء بالدرجة الاولى على كل ما تبقى من البؤر الحربية ، وحل الاوضاع المتفجرة بوسائل سلمية فقط ، ويجب علينا طبعا دعم فكرة عقد معاهدة عالمية حول عدم استخدام القوة العسكرية فى العلاقات الدولية .

ايها الضيوف الاعزاء ايها الاخوة المحترمون

ان المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، اذ تعطى اهمية كبرى لقضية تعزيز التعاون بين الشعوب ، وتدرك دورها الكبير فى اقامة سلم وطيد فى العالم اجمع ، فانها تقوم بعمل دائب من اجل توطيد الصلات الودية مع المسلمين فى البلدان الاخرى . ففى الاعوام الاخيرة فقط ، وبدعوة من المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، زارت بلادنا عشرات الوفود من بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية واوروبا .

ولكى نضعكم فى الصورة نورد لكم هذا الواقع الذى يشير الى سعة علاقاتنا الدولية : ففى سنة ١٩٧٤ دعينا الى مؤتمر علمى مكرس للذكرى المائتين بعد الالف على مولد المحدث العظيم الامام البخارى ، الذى جمع احاديث الرسول الصحيحة . وقد شاركت فى هذا المؤتمر الدولى والذى عقد تحت شعار «الامام البخارى والعصر الحديث» ، وفود اكثر من ثلاثين بلدا .

وتقيم ادارتنا الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان اليوم علاقات ثقافية ودينية مع مسلمى اكثر من سبعين بلدا . وتوزع المؤلفات الدينية ، والمجلة الدورية «المسلمون فى الشرق السوفيتى» والتقويم القمرى وغير ذلك من المنشورات التى نصدرها فى طشقند ، الى مئات

العناوين فى كافة انحاء المعمورة . كما تصلنا العشرات من مختلف انواع الصحف والمجلات من المنظمات الاسلامية الاجنبية .

ويشارك ممثلو المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى بنشاط فى المؤتمرات الاسلامية الدولية ، ففى الفترة المنصرمة من العام الماضى ، شارك ممثلونا فى عدة مؤتمرات اسلامية دولية . وفى سنة ١٩٧٥ مثلا ، شارك وفدنا برئاستى فى المؤتمر الاسلامى الدولى فى بغداد . وفى صيف العام المذكور شارك وفد آخر برئاستى ايضا فى المؤتمر الاسلامى «رسالة المساجد» فى مكة المكرمة . وفى بداية العام الحالى ، شارك وفد برئاسة نائبى الشيخ عبد الغنى عبد الله ، فى مؤتمر دولى عقد فى ليبيا . وتمت زيارات اخرى الى بلدان اجنبية من قبل ممثلينا .

وتقوم بذلك لاغراض نبيلة وهى ، تقوية التعاون بين المنظمات الاسلامية فى مختلف البلدان ، وتبعا لذلك لتقوية التعاون بين شعوب العالم اجمع . واننا نثق ان مثل هذه العلاقات والصلات المباشرة تلعب دورا هاما فى تطوير وتقوية المبادىء والاهداف النبيلة التى اجتمعنا معكم هنا من اجلها .

واذ نأخذ بعين الاعتبار الوزن الكبير للمنظمات الدينية التى توحد بين صفوفها مئات الملايين من الناس ودورها الواسع فى تربية الانسان ومسؤوليتها ازاء مصائر السلام فى العالم ، فاننا نعتبر ان الدعوة لعقد مؤتمر عالمى للاديان مسألة ناضجة ، ومن شأن هذا المؤتمر ان يعطى دفعات جديدة لمواصلة تنشيط دور المؤمنين فى الحركة الصالحة العالمية ، وتعبئة المؤمنين فى النضال ، من اجل تعميق الانفراج الدولى واقامة علاقات عادلة بين الشعوب .

وفى الختام اود ان اؤكد لكم ايها المنظمون لهذا اللقاء باسم مسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، باسم مسلمى الاتحاد السوفيتى كافة ، اننا نحن المسلمين ، سوف لا نبخل بالقوى فى دعم واعداد المؤتمر العالمى «رجال الدين من اجل سلم وطيد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب» .

اسمحوا لى ان اعبر عن الثقة ، بان عمل المؤتمر العالمى القادم سيكون بلا شك مساهمة قيمة فى توطيد كل القوى المحبة للسلم فى العالم .

وفقكم الله على كل خير واحسان للبشرية جمعاء .

خطـــــــاب

سماحة المفتى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان القاه فى المؤتمر العالمى «رجال الدين المناضلون فى سبيل سلم وطيد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب»

موسكو ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الممالك والانام ، الذى دعانا الى الاصلاح بيننا بالسلام والوئام . والصلاة والسلام على من اوتى خير الكلام ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الكرام .

اما بعد ،

سيادة الرئيس واصحاب الفضيلـــة . ايتها الاخـــوات والاخوة الاعزاء !

اسمحوا لى أيها المشاركون فى هذا اللقاء الدينـــى الرفيع ، ان احييكم باسم اخوانكم واخواتكم المؤمنين فى الاتحاد السوفيتى بوجـــه عام ، وباسم اخوانكم واخواتكم المسلمين فيه على وجـــه خاص ، وان أتمنى لكم الخير والنجاح فى هذا اللقاء المبارك . اننى اشكركم عـــلى مجيئكم الى هنا ، تلبية لدعوتنا رغم بعد المسافة لكى تضموا جهودكـم الى جهود مؤمنى العالم كله من اجل حل اكثر مشاكل عصرنا اهمية ، ومن اجل اقرار السلام بين الشعوب ، واعطاء تحديد دقيق لكل ماهو أمامنا من واجبات محددة وتنسيق انشطتنا بدقة ، حتى تسير وفق تعاليـــم اديساننا كلها مثمرة ومحددة الهدف السامى . وارجو لكم النجاح الكامـل والالهام الدينى العميق فى هذا الاجتماع الكبير . لقد نما دور مجيد لم

يسبق له مثيل من قبل ، لاتباع مختلف الاديان فى عصرنا الراهن فى الحركة الواسعة للدوائر الدينية والمحبة للسلام فى سبيل سلم وطيد ، ونزع السلاح وعلاقات عادلة بين الشعوب . ويجب ان تظهر فى الوقت الحالى بوجه خاص مسئولية رجال الدين ازاء مستقبل البشرية جمعاء ، واستمرار الحياة على الارض ، والمحافظة على الطبيعة فى الحالة التى خلقها سبحانه وتعالى . فهو يقول : «**هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا**» فان الله قد خلق الانسان فى احسن تقويم ، وهو اكمل الكائنات عقلا على الارض ، وحمله مسئولية المحافظة على الحياة ، وكل الكائنات الموجودة على الارض . وعن هذه المسئولية بالذات جاء فى القرآن الكريم : «. . . **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان**» (سورة الاحزاب ، آية ٧٢) . تؤكد هذه الاية ان الانسان قد حمل نفسه أمانة عظيمة امتنعت عن حملها السموات والارض والجبال ، رغم ما قد يبدو من قدرتها بامر الله . وفى الوقت نفسه ، فقد ظهر ان الانسان لديه استعداد ليتمتع بقوة اكثر بكثير مما يبدو للوهلة الاولى ، وبالفعل ، امتلك الانسان هذه القوة الجبارة فى عصرنا هذا . ان مستقبل الحياة على الارض يتوقف على الانسان بالذات . ويجب على مؤتمرنا هذا ان يساعد على ادراك افضل اعمال البشر لمسئوليتهم تجاه مصيرهم .

ان مؤتمرنا المبارك هذا وفقا لشعاره سوف يناقش مجموعة من المشاكل الحيوية الهامة للبشرية المعاصرة ، التى جمعتها اللجنة التحضيرية الدولية فى ثلاث لجان بعنوان : فى سبيل سلم وطيد ، فى سبيل نزع السلاح ، فى سبيل علاقات عادلة بين الشعوب .

ايها الاخوة والاخوات المحترمون ، انطلاقا من هذا ، اعتقد انه من الضرورى ان نتوقف عند كل مشكلة على حدة .

١ — رجال الدين المناضلون فى سبيل سلم وطيد

كان رجال الاديان المختلفة فى كل عصور التاريخ البشرى مطالبين بان يكونوا حملة لاسمى الافكار الانسانية ، مثل الدعوة الى الهداية الحقة ، والحرية الحقيقية ، والرحمة الواسعة بين الشعوب .

واذا كان المؤمنون فى ما مضى من عصور التاريخ قد وجهوا جهودهم الاخلاقية من اجل تأكيد المثل الانسانية فى حدود كل ديانة ، وتطبيقا على طوائف وأقاليم وبلاد منفصلة او متصلة فى اغلب الاحيان ، ففى الوقت الحالى ونظرا للمدى الهائل الذى حققته وسائل الاتصال ،

وتقليل الحواجز التـــــى تحد اختلاط البشر من مختلـــــف الاجناس والقوميات ، فان مسئولية رجال الدين ، فى جعل المجتمع البشرى اكثر انسانية ، وازاء مصير السلام على الارض ، تزداد بشكل لم يسبق لـه مثيل من قبل . ان المقياس الاساسى لهذه المسئولية هو درجـة اهتمام رجال الدين بمشكلة دعم السلام والعدالة بين كـــل شعوب الارض . ودرجة الاهتمام هذه بالذات هى فضيلتنا الاساسية التى سيجزينا عنها الله سبحانه وتعالى يوم الحساب ان شاء الله .

ومن الجدير بالذكر ان الاديان المختلفة ، تتقارب فى مفاهيمها عن السلام اكثر من اى شىء آخر . ان تماثل تصور المؤمنين عـــن عناصر السلام رائع لدرجة انه يمكن عن حق ان نطلق على تعاليم السلام انهـــا قاسم مشترك بين كافة الاديان .

فالدين الاسلامى يولى الاهمية الرئيسية لحفظ السلام على الارض ، ويعتبر ان تحقيق السلام والامن اسمى مصالح البشرية ، اذ ان سبحانه وتعالى قد خلق الارض اصلا مقرا للسلام . ولذا ينهى القرآن الكريـــم «**ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعـــــوه خوفا وطمعا**» (سورة الاعراف ، آية ٥٦) وكذلك : «**الله يدعـــــو الى دار السلام**» (سورة يونس ، آية ١٢٥) . ان القرآن الكريـــــم يحوى نداء مباشرا من الله سبحانه وتعالى الى العالم بقولـــــه ، ونادى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين وارشد اليهم من اخلاق كريمـة : «**يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انـــه لكم عدو مبين**» (سورة البقرة ، الاية ٣٠٨) واذ رفـــع الله سبحانه وتعالى من مكانـــة السلم معناها العميق فى اعين عباده ، جعل من بيـــــن اسمائه الحسنى الملك القدوس السلام . كما سمى الجنة «**والله يدعو الى دار السلام**» . ولقد ذكر السلام فى القرآن الكريم اكثر من عشرين مرة .

ان كتاب المسيحيين المقدس ، «العهد الجديد» ، يدعو الى : توجيه الاقوام . . . الى طريق السلام «(لوقا ١ ، ٧٩) ويشهـــــد ان الاتقياء صانعى السلام سوف يكونون احباء للرب» (متى ٥–٩) . ومن بيـــــن النداءات العديدة للمؤمنين لاقامة السلام على الارض نجد من اهل الكتاب ما يلى «ابحث عن السلام واسع اليه» (بطرس ١١,٣) «السلام لكل مـــن يصنع الخير» (روما ٢ , ١٠) . «الى السلام دعاكم الرب» .

وكتب على اتباع الديانة اليهودية ان يحبوا «الحقيقـــة والسلام» ، وان يسعوا الى السلام من اجل الاباعد والاقارب . وجاء فى التلمود» ان

الكون يجب ان يقوم على أسس ثلاثة : «الحق والعدالة والسلام بين البشر» . (تعاليم الايلياء فى المجلد الاول ج ١ ، ص ١٨) .

وتحدد الديانة البوذية الهدف الاسمى للمؤمن فى السعى الى تحقيق السلام التام للروح ، وهو ما يسمى بحالة الـ(نيرفانا) . وعن طريق قهر الجهل ومحو الخطايا الناجمة عن الجهل فان الانسان ، حسب تعاليم بوذا ، يمكنه ان يحقق الراحة الابدية فى الـ(نيرفانا) كمقام يتميز بالروعة واللانهائية والبركة حيث لا يوجد موت ولا ذبول ولا معاناة ، وحيث ينفتح امام المؤمن الشاطىء الاخر لمحيط الحياة ، مرفأ النجاة المنشود ، الحقيقة والابدية . ان التعاليم البوذية تمقت الحرب والاغتصاب وتنكر جميع انواع الظلم .

والنصوص المقدسة للديانة الهندوسية «فيدا» تتحدث عن ارتباط تحقيق الانسان لرسالته السامية بمشاركة قلب المؤمن للبداية الكونية الآمنة . ان الذى يجد فى روحه الخاصة جزءا من الروح العالمية العليا ، ويمتلك الهدؤ الروحى يبلغ النعيم الاعلى ، واما الظالم فسوف يعاقب بقانون «كارما» .

وترتبط مع معنى السلام مفاهيم مثل : الحقيقة والمعرفة والحرية والامن والعدالة . والسلام كنظام الهى مثالى هو أمل كل المؤمنين وهدف جهودهم الاخلاقية . اما الشر فى مظاهره المتعددة ، فيعوق تحقيق النظام الاخلاقى المنسجم فى الوجود الخاص والعام ، بمايثيره من عدم الانسجام فى التنظيم الاخلاقى للحياة على الارض . ان الشر يشوه الافكار الرئيسية للسلام مبدلا بالحقيقة كذبا ، وبالمعرفة جهلا ، وبالحرية عبودية وبالطهر فسادا ، وبالامن فزعا ، فيحول السلام كنظام الهى الى فوضى اليأس . ان الجهود الهادفة الى الحيلولة دون انتصار الشر ومن اجل دعم الاركان الاساسية للسلام تملأ حياة المؤمن .

فهو بقوة اعتقاده الدينى ، خاضع فى حياته الشخصية ووسط المجتمع لتأثير ضميره الذى تتجلى فيه ارادة الله سبحانه وتعالى وتعاليم ديانته . وفى اطار كل ديانة ، فان المؤمنين يوحدون جهودهم فى العمل من اجل السلام مع اخوانهم فى العقيدة . ويشارك المسلمون فى التعاون بين الاديان على المستويين الاقليمى والعالمى ، من اجل اقرار سلام عام وعادل ووطيد على الارض كلها .

ان سعى اتباع العقائد المختلفة الى توحيد جهودهم فى العمل من اجل السلام ، يأتى بالطبع من طبيعة الفكر الدينى . وليس عبثا ما جاء

فى الاية الكريمة : فى قوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» (سورة المائدة ، آية ٢) .

ويطيب لنا ان نشير فى هذا المقام الى تلك الظاهرة السارة ، وهى انه فى السنوات العشر الاخيرة اخذت روح الفهم المتبادل والتعاون بين الاديان فى العمل من اجل السلام ، تجذب جماهير غفيرة من المؤمنين . وان اشتراك ممثلى الاديان المختلفة فى المبادرات السلمية المتعددة التى طرحها مجلس السلام العالمى ، ليعد مثالا للتعاون بين الاديان فى خدمة العمل من اجل السلام . كذلك يؤكد نشاط تلك المنظمات مثل المؤتمر البوذى الاسيوى من اجل السلام ، ومجلس الكنائس العالمى ومؤتمر السلام المسيحى ، فاعلية تعاون المؤمنين من اجل السلام . وغنى عن البيان تجربة تعاون منظمة «الدين والسلام» ومؤتمر الاديان فى مانيلا وغيرها .

لقد بادرت الشخصيات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى فى الاعوام الاخيرة ، الى عقد عدة مؤتمرات مكرسة لحل عدد من المشاكل الدولية التى تقلق اتباع كل الاديان والبشرية كلها على حد سواء : ففى عام ١٩٧٠ ، عقد مؤتمر دولى لدعم السلام فى العالم كله ، وتسوية أزمة الشرق الاوسط ، وفى عام ١٩٧٣ عقد مؤتمر دولى فى مدينة طشقند ، خاص بمشاكل التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط ، وضرورة الانسحاب العاجل للقوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة ، وفى عام ١٩٧٤ عقد مؤتمر علمى احتفالا بمرور اثنى عشر قرنا على ميلاد المحدث العظيم ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، جامع احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، تحت شعار «الامام البخارى والعصر الحديث» . وفى عام ١٩٧٦ عقد بطشقند ايضا مؤتمر دولى مكرس للذكرى الثلاثين لتأسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، وقد حظيت خلاله مسألة توطيد السلام ودعم الصداقة بين الشعوب بمكانة هامة .

وأود على وجه الخصوص ان أؤكد على ترسخ تقاليد التعاون بين كل الكنائس والهيئات الدينية فى الاتحاد السوفيتى فى العمل الدينى المشترك من اجل السلام بين الشعوب .

ولقد كانت اول تجربة ضخمة فى هذا الاتجاه ، فى مؤتمر الكنائس والهيئات الدينية بالاتحاد السوفيتى ، الذى كرس لمسائل الدفاع عن السلام عقد ، فى شهر ايار (مايو) عام ١٩٥٢ فى دير القديس

سيرغيوس والثالوث المقدس . وقد تم تعميق وتطوير هذه التجربة فى صيف عام ١٩٦٢ ، عندما عقد هناك ايضا لقاء الشخصيات الدينية المشاركة فى المؤتمر العالمى ، الذى كان منعقدا آنذاك فى موسكو من اجل السلام ونزع السلاح . وفى شهر يوليو عام ١٩٦٩ عقد فى الدير المؤتمر الثانى لممثلى كافة الاديان فى الاتحاد السوفيتى وكان موضوعه الرئيسى «المسئولية الدينية تجاه السلام وتعاون الشعوب» . وفى شهر اكتوبر عام ١٩٧٣ ، عقد ايضا فى الدير ، لقاء بين اكثر من ثلاثمائة من الشخصيات الدينية المشاركين فى المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام ، الذى كان منعقدا فى موسكو آنذاك . ولقد ظهر أن هذا اللقاء كان مثمرا للغاية ، من اجل توحيد جهود ممثلى مختلف اديان العالم فى العمل من اجل السلام . وفى هذا اللقاء بالذات ، تم الافصاح عن افكار استمرار مثل هذا التعاون بين الاديان ، التى ادت الى عقد المؤتمر العالمى الحالى لرجال الدين ، للعمل من اجل السلام . اننا نعلم جميعا الصدى العميق الذى لقيته فكرة عقد هذا المؤتمر بين رجال الدين فى العالم كله ، ومدى نجاح اللجنة التحضيرية الدولية فى تنظيمه .

اعتقد انه لا توجد ضرورة لكى اتوقف بالتفصيل عند عملية الاعداد لمؤتمرنا العالمى ، الذى يعقد اليوم هنا والحمد لله فى موعده المحدد ، ويشارك فيه عدد ضخم من اكابر رجال الاديان المختلفة من اكثر بلدان العالم . وعلى ذلك فان مؤتمرنا هذا ، يعد خطوة غاية فى الضخامة فى التطوير المقبل للتعاون بين الاديان من اجل السلام . انه يدل على توسيع ذلك التعاون الى ابعاد هائلة .

لقد اجتمع المسيحيون والمسلمون والبوذيون والهندوس واليهود والسنتو واتباع الديانات الاخرى من العالم كله فى موسكو الآن ، لكى يبحثوا فى مناقشات اخوية ، اكثر مشاكل حفظ ودعم السلام فى العالم حدة ، والوسائل العملية لزيادة دور التعاون بين الاديان فى حلها . وسيكون الجزء الاول من شعار مؤتمرنا «فى سبيل سلم وطيد» موضوعا هاما لمناقشاتنا . وستكرس مناقشات لجنة العمل الاولى لبحث مجموعة من المسائل التى تنطوى تحت هذا الموضوع .

ان تنسيق عملية تخفيف حدة التوتر الدولى هو بلاشك اخطر مهمة على الطريق نحو سلم وطيد .

وواضح فى الوقت الحالى ، انه نادرا ما نجد بين ذوى التفكير السليم ، من يشك فى ان تخفيف حدة التوتر الدولى هو العامل الرئيسى

فى الموقف الدولى المعاصر . ان السبعينات من هذا القرن ستدخل التاريخ كعصر التخلص التدريجى من الاثار الثقيلة «للحرب الباردة» مثل : عدم الثقة ، والتباعد ، والعداوة ، والتكتلات . ان ثمار السياسة الخصبة للانفراج معروفة ، مثل عقد اتفاق بين الدول الاربع الكبرى بشأن برلين الغربية ، وسلسلة المباحثات والمعاهدات والاتفاقيات الهامة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة التى عقدت فى اعوام ١٩٧٢-١٩٧٤ ، بشأن التعاون فى مختلف المجالات ، والمباحثات بين دول حلف شمال الاطلنطى ودول معاهدة وارسو بشأن الحد من التسلح والقوات المسلحة فى وسط اوروبا ، وانهاء الحرب فى جنوب شرقى آسيا ، وتوحيد فيتنام وانتصار القوى التقدمية فى لاوس وكامبوديا ، وغير ذلك من الاحداث نتيجة لذلك . ونذكر على وجه الخصوص الانجاز الناجح لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبى فى هلسنكى عام ١٩٧٥ ، الذى اعلن باسم ثلاثة وثلاثين دولة اوروبية وكذلك الولايات المتحدة وكندا ، ان مبادىء التعايش السلمى هى المبادىء الوحيدة المقبولة المنظمة للعلاقات الدولية .

ومن ذلك ، يجب ان لا نغفل عن الهجوم الضارى الذى تتعرض له سياسة الانفراج فى الفترة الاخيرة ، حيث تجرى المحاولات للتشهير ، بمختلف الحجج ، بمبادىء التعايش السلمى واثارة التنابذ بين الشعوب . ان هذه الحملة المنافقة لم تكن لتستحق هذا الاهتمام الكبير ، لم يكن من الواضح ان قوى مؤثرة معينة تقف خلفها . ان واجبنا ان نشير اليها ، وان نكشف عن الدوافع والحقيقة لنشاطها التخريبى للعمل السلمى .

ان مناطق التوتر فى مختلف انحاء العالم ، التى تحمل تهديدا حقيقيا للسلام العالمى ، يجب ان تكون موضع مناقشات لجنة العمل الاولى لان الموقف فى الشرق الاوسط مازال متوترا . والوضع هنا معقد للغاية . ان الموقف فى كل المنطقة ملتهب الى اقصى حد ، مع انه تم ايقاف الحرب بين الاشقاء فى لبنان ، وان كان ذلك بصعوبة كبرى . والاحداث الدموية فى لبنان لمن الشواهد الساطعة على عواقب سياسة المغامرة ، التى تتبعها العسكرية الاسرائيلية ، وفى اعتقادنا ان حل ازمة الشرق الاوسط لا يمكن ان يتم ، الا فى حالة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وفى حالة اقرار حق الشعب العربى الفلسطينى فى الحياة المستقلة ، بما فى ذلك تأسيس

دولته الخاصة . ودون ذلك فـــان تحقيق سلام حقيقى عادل ، أمـــر مستحيل فى هذه المنطقة من العالـــم . وليس هناك جدال فى ان هذا الموقف المتأزم ، يمكن بل ويجب حلـــه بالطرق السياسيـة . وترتبط التدابير المحددة فى هذا الصدد ، بضرورة الاستئناف الفورى العاجـل لمؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط ، مع ضرورة اشتراك ممثلى كافـة الاطراف المعنية فيه ، بما فى ذلك الفلسطينيون . وبالنسبة الينا نحن رجال الدين ، فان التسوية السياسية العاجلة ، مرتبطة كذلك بضرورة القضاء على التفسيرات السيئة النية لاسباب النزاع فى الشرق الاوسط ، مثل ارجاعها للخلاف بين المسلمين والمسيحيين واليهود . وعلينا بلاشك ان نظهر بطلان وخداع مثـــل تلك المحاولات ، وان نوضـــح الجذور الاجتماعية والسياسية الحقيقية لهذه الازمـــــة التى استمرت سنوات طويلة .

لقد التهب الموقف بحدة فى الاشهر الاخيرة فى جنـوب افريقيا . وعلينا ان نناقش العناصر التى تخلق التوتر فـــى هذه المنطقة . ان السياسة العنصرية لحكم روديسيا وجمهورية جنوب افريقيا ، الذيـــن يحولون بكل الوسائل دون تسليم السلطـــة لشعبى زيمبابوى وناميبى تستوجب ادانة حاسمة .

لقد عانت امريكا اللاتينية من سلسلـــة الانقلابات العسكريـــة اليمينية . وان سكان عدد من بلدان قارة امريكا الجنوبية وخصوصـــا شيلى وباراجواى واوراجواى ونيكاراجوا وسلفادور ، يعيشون فى ظروف تنتهك فيها الحقوق الاقتصاديـــــة والاجتماعية والثقافية والمدنيـــة والسياسية . وبلا شك فاننا لا نستطيع ان نقـــف مكتوفى الايدى ازاء هذه الظاهرة المأسوية . ويجب علينا ان نناقش ما الذى يمكننا عمله من اجل التخفيف عن اخواننا فى امريكا اللاتينية .

ان الموقف المتأزم فى قبرص ، وايرلندا الشماليـــة ، وكوريا الجنوبية وغير ذلك من المشاكل المشابهة ، يتطلب اهتمامنا ايضا .

وسيكون من واجبنا بلا شك ، ان نتوقف عند نشاط منظمة الامم المتحدة فى العمل من اجل السلام ، تلك المنظمة التى تعتبر بحق المنظمة الدولية العالمية الوحيدة ، التى تقوم بتأييد ودعم السلام الشامل ، والتى تتوجه اليها شعوب كوكبنا جميعا بالامل ، والتى تستحق كـــل تأييدنا . علينا ان نعمل كل ما فى وسعنا ، لكى تصبح منظمـــة الامم المتحدة وهيئاتها اداة اكثر فاعلية فى خدمة السلام الشامل .

يوجد فى عالمنا ارتباط مباشر بين نشاط منظمة الامم المحدة فى العمل من اجل السلام ، وبين مكاتب المنظمات غير الحكومية . ولقد زادت اهمية هذه المنظمات فى خدمة السلام للغاية فى الوقت الحالى . اذ ان نجاح العمل السلمى فى الاعوام الاخيرة ، يتوقف الى حد كبير ، على التأثير القوى للاوساط الاجتماعية المحبة للسلام .

ولمجلس السلام العالمى مآثر عظيمة فى هذا المجال ، فهو الحركة الاجتماعية الكبرى من اجل السلام فى عصرنا ، التى تضم فى صفوفها العديد من انصار السلام ، من مختلف العقائد الدينية والاتجاهات السياسية والايديولوجية .

ان نجاح نشاط المنظمات غير الحكومية يتوقف قبل كل شىء ، على مقدرتها فى اظهار تأثيرها فى الجماهير الشعبية ، وتوحيدها من اجل الدعم المستمر للسلام وتحقيق الانفراج ، وقدرتها على التأثير الايجابى فى الاجهزة الحكومية والدولية ، وكفاءتها فى المعاونة على حل المشاكل السياسية ، وازالة الخلاقات الدولية ، وخلق نظام للامن الجماعى ، وحل مشاكل نزع السلاح ، والنضال ضد الاستعمار والعنصرية ، وحماية البيئة ، وغير ذلك من المسائل الهامة .

ولذا يسعدنا ان المنظمات غير الحكومية ، قد اخذت تنجذب على نحو متزايد الى المشاركة فى عمل الامم المتحدة ، وبعض المنظمات الحكومية الدولية . ان ذلك يسمح للقوى الاجتماعية المنظمة ، بأن تبدى تأثيرا ايجابيا كبيرا فى عمل تلك المنظمات . وفى الوقت نفسه فانه لا يمكن اعتبار ان امكانيات المنظمات غير الحكومية تنتهى عند هذا الحد ، بل هى بحاجة الى تطوير مستمر . وعلينا نحن رجال الدين ، ان ندرس فى مؤتمرنا ، مسألة العلاقات المتبادلة بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية ، فى عملها المشترك لدعم السلام العادل ، وحل مشاكل الحياة الهامة للبشرية .

ان المنظمات والحركات الدينية الاقليمية والعالمية ، لذات اهمية كبرى فى العمل لخدمة السلام . حيث ان كل هيئة دينية تعتبر نوعا من المنظمات غير الحكومية ، التى من واجباتها الاساسية خدمة السلام بين الناس وبين الشعوب . وانه لدعم كبير لنشاط المنظمات غير الحكومية فى العمل من اجل السلام ، ان نؤيد تلك الجهود ، ونساعد فى توسيع تعاون المؤمنين مع كل ذوى النوايا الطيبة . وبالاضافة الى الجهد المستمر للنشاط المشترك للاديان فى الدفاع عن السلام ، فان هذا بلا

شك سيخدم فى دعم العمل الشامل للسلام بين شعوب العالم اجمع .

ومن المسائل البالغة الاهمية ، المطروحة علينا للبحث ، مشكلة «التربية من اجل السلام» . ان الاديان مدعوة فى الواقع الى تحقيق هذا العمل النبيل ، حيث ان «التربية من اجل السلام» ، تعد من التعبيرات العملية الاساسية لكل مذهب دينى فى العالم اجمع .

٢ – رجال الدين المناضلون فى سبيل نزع السلاح

ان الجزء الثانى من شعار مؤتمرنا «فى سبيل نزع السلاح» سيكون موضوع مناقشات لجنة العمل الثانية ، التى ستضطلع بواحدة من اهم نواحى خدمة السلام ، الا وهى مسائل وقف سباق التسلح ، ونزع السلاح ، والنضال ضد النزعة العسكرية .

ان الاديان تجمع على السعى الى الامن كشرط اساسى لحياة كل انسان ، وكل شعب ، وعلى تأكيد مفاهيم الحب والرحمة كقانون وحيد لتنظيم العلاقات بين البشر . ولقد جاء فى القرآن الكريم فى أمن البلاد عن قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وان الامن طريق للاستغناء عن السلاح «**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا**» (ابراهيم ٣٨) ان الله سبحانه وتعالى قدربط الاستمرار الامن للحياة بالقيم الاخلاقية للبشر انفسهم . ان مستقبل المجتمع البشرى يتوقف على تقوى المسلمين وبهذا الصدد جاء فى القرآن الكريم : «**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون**» (الانبياء ٢٠٥) وقال عليه السلام : «**المهاجر من هجر ما نهى عنه والمؤمن من آمن الناس من شره**» . وفى نصوص العهد القديم التى تعد ملكا مشتركا للمسيحيين واليهود فان مسألة السلام الحقيقى مرتبطة بالقضاء على الاسلحة : «والقوس والسيف والحرب سأمحوها من وجه الارض – يقول الرب – وساعطى الناس الحياة فى أمان» (أوس ٢ , ١٨) ويعطى وعدا بأن الناس فى المستقبل «سيصنعون من السيوف المحراث ومن الرماح المنجل : ولن يرفع شعب السيف ، ولن يعودوا يتعلمون الحرب» (ايس ٢ , ٤) . ان الديانة المسيحية تشهد بأن الحب وليس العنف هو الطريق الحقيقى لتحقيق السلام ولذلك : «ان كل من يحب آت من الرب ويعرف الرب» (اين ٤ , ٧) . ان من لا يعترف بقانون الحب ، ذلك لا يعرف الرب لان الرب هو الحب» (١ اين ٤ , ٨) .

وقد وردت فى التلمود قاعدة الحياة الاجتماعية التى تنفى العنف : «لا تصنع بالغير ما لا تود ان يفعله الغير بك» .

ان العقيدة البوذية تعترف بالرحمة الشاملة كقانون عام للحياة . فالمؤمن المشبع بالحب ، يدرك اعلى درجات الحكمة البشرية . لقد كانت آخر كلمات بوذا رجاء الى تلاميذه بأن يحب بعضهم البعض .

ان تأليه الطبيعة لدى السنتو يتعارض مع مبدأ العنف . اننا نعلم ان الاديان الاخرى أيضا ، تحتوى على تقدير كبير لاهمية المحافظة على الشروط التى خلقها سبحانه وتعالى من اجل التطور الكامل للحياة على الارض ، ومن هنا يأتى السعى الى منع اهلاك البشر بعضهم البعض . ان السعى الى الوصول الى وقف زيادة التسلح ، وتحقيق نزع السلاح الكامل والشامل ، هو اهم جوانب هدف الاديان فى العمل من اجل تحقيق السلام بين الشعوب .

ان استمرار تراكم الاسلحة فى الوقت الحالى ، يعد فى رأينا اكبر خطر حقيقى على السلام الشامل . ان الحرب التى كانت فى ما مضى احدى وسائل سياسة الدولة ، قد فقدت معناها فى عصر الصواريخ النووية ، لان حجم الافناء المتبادل للاطراف المتحاربة لا يمكن تبريره بأى حجة . ان سباق التسلح لا يعتبر فقط خطرا محتملا على السلام ، بل انه الآن وفى وقت السلم يجلب الحرمان لملايين البشر ، ويسبب القلق والفقر ويبتلع موارد مادية لا تحصى . وان اخذنا فى الحسبان ، أن كل طائرة حربية حديثة تتكلف ما يساوى وزنها ذهبا ، بل وأكثر فى بعض الاحيان فيمكننا ان نتخيل المبالغ الفلكية التى تنفق على التسليح . وبالاضافة الى ذلك يعمل ملايين من اكثر اعضاء المجتمع صحة وتأهيلا فى الخدمة العسكرية ، وفى العمل فى الصناعات الحربية ، فلو وجهنا كل هذه القوى والثروات الى مضاعفة البناء السلمى ، لكان من الممكن حل العديد من المشاكل الاجتماعية الحالية . ففى الوقت الراهن يعانى حوالى مليار شخص من الجوع ، بل على حافة الموت ، وهناك مليار امى . ولكن الله امرنا أن نحيط بعنايتنا ورعايتنا كل روح وكل انسان . قال الرسول عليه السلام : «**الخلق كلهم عيال الله فاحبهم الى الله انفعهم لعياله**» .

واذا استمر سباق التسلح ، فلن يكون هناك مفر من تعاظم الازمات المختلفة فى كثير من انحاء العالم ، ولذلك فليس من حق اى شخصية سياسية او اجتماعية ، ولاسيما رجال الدين ، ان تنسى الخطر المحتوم لهلاك البشرية ، فى حالة عدم اتخاذ الاجراءات الضرورية العاجلة لكبح

جماح سباق التسلح . وليس هناك الان امام البشرية خيار فى وقف التسلح بحسم ، والانتقال الى تحقيق النزع التدريجى للسلاح تحت رقابة دولية صارمة .

ويجب علينا فى الوقت نفسه ان لا نغفل عن الصعوبات الكبيرة التى تنتظرنا فى هذا الطريق . وللاسف ، فالسير عليه بنجاح يعترضه الى درجة كبيرة الاعداء العلنيون والمستترون لنزع السلاح ، الذين لا يرضيهم الانفراج الدولى ، الذى بدأ ثمنا للجهود الضخمة للقوى المحبة للسلام . من هم أعداء السلام ؟ انهم قبل كل شىء المؤسسة الحربية الصناعية التى تكسب مليارات الدولارات من سباق التسلح ، أنهم تلك القوى الرجعية التى تتنافى اخلاقهم مع التعايش السلمى بين الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة . ان هدف اعداء الانفراج الدولى واضح كل الوضوح : وهو تحطيم الانفراج ومعه نزع السلاح . ولذا فليس من المستغرب أنهم يهاجمون التعاون بين الشرق والغرب . وفيما يخص الشعب السوفيتى فانه يسعى عن وعى الى التعايش السلمى مع كل الدول ، مقتنعا بان فى هذا كسب لكل من يسعى اليه ، لبناء حياته على التعاون الطيب والتجارة ذات النفع المتبادل والعمل المشترك لتطوير الاقتصاد .

وفى موقف الدول المختلفة من مشكلة نزع السلاح ، يظهر تأثير الخصائص المميزة لتلك البلاد ، التى غالبا ما تكون فى مراحل مختلفة من التطور الاقتصادى ، كما تؤثر ايضا اهتمامات وخصائص سياستها ، عندما يكون لديها صناعات حربية متطورة . وتوجد كذلك فى بعض الدول ، دوائر تخشى نتائج نزع السلاح ، اذ ترى فيها احتمالات قد تؤدى الى انخفاض النشاط الاقتصادى . ولكن الدراسة الجديدة لهذه المسألة ، تدل على أن تحويل الانتاج الحربى الى النواحى المدنية السلمية ، سوف يكون اكثر نفعا وربحا للاقتصاد . ويمكن تغطية الارباح المتحصلة من الانتاج الحربى فى وقت قصير . ونتيجة لتحويل الموارد التى ستدخر عند نزع السلاح الى الاغراض الانتاجية ، سيكون من الممكن النهوض باقتصاد الدول النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الى مستوى الدول المتقدمة صناعيا . ولامكن فى تلك البلاد تحقيق التصنيع والقضاء على الجوع والامية . ان الموارد التى ستوفر عند نزع السلاح من الضخامة بحيث يمكن بواسطتها حل العديد من المشاكل الاقتصادية ، ومشاكل البيئة على المستوى العالمى ، التى لم تحل حتى

الان ، واشباع الحاجة الماسة لسكان الكرة الارضية . ان نـزع السلاح يمكن ان يحول الصناعة الى تكنولوجيا «نظيفة» ، وبدلا من تلوث الجـو سيصبح من الممكن صنع محطات كهرذرية «نظيفة» على اساس استخدام علم الطاقة للاغراض السلمية . ان اعادة توزيع الموارد المادية الهائلة التى تصرف على الحرب ، والمجالات غيـر الانتاجية وتحويلها الى فروع الصناعات المدنية ، من شأنه ان يجلب نفعا عظيما للبشرية كلها ، وان يساعد على التقدم الاقتصادى والتطور الثقافى . ان نزع السلاح من شأنه تخليص الشعوب من الحروب المدمرة وخلق ظروف حقيقيـة للتطور الدائم للحضارة العالمية .

ومن اجل ذلك بالذات ، فعلينا نحن رجال الدين ، ان نبذل قصارى جهدنا لكى يمكن تحقيق نزع السلاح على المستوى العالمى .

ولكن ما هى الطرق المؤدية الى نزع السلاح ؟

كما سبق وذكرنا ، فان مشكلة نزع السلاح معقدة بشكل غيـر عادى ، لانها تمس أمن الدول . ولكن بواسطة المباحثات المتتالية بين الدول وعن طريق السياسة الشريفة ، يمكن بلا شك تحقيق التفاهـم المشترك بينها فى هذه المسألة أيضا .

يجب أن نتعامل مع سباق التسلح ، واضعين فى عين الاعتبار أنه قد اكتسب طابعا عالميا ، وأن نتائجه الضارة تؤثر فى حياة جميـع الشعوب ، وان حلها يجب ان يكون على اساس عالمى ، اى مـع حساب موقف كل البلاد . ولذا فاننا نحن رجال الدين ، نتطلع بأمل الى الدورة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة التى ستنعقد فـى عام ١٩٧٨ ، والمكرسة لمشكلـة نزع السلاح . وفى الوقت نفسه فاننا نعبر عن تأييدنا لاقتراح حكومة الاتحاد السوفيتى بعقد مؤتمـر عالمى لنزع السلاح . وفى مثل هذا المؤتمر نمكن أن تتاح الفرصة لكـل الدول ، لعرض وجهات نظرها بصراحة ، مما يؤدى بلا شك الى تقدم ملحوظ الى الامام ، حيث تتضح موضوعيا فى عالم اليوم صورة عدم جدوى نتائـج سباق التسلح . ان كل الشعوب ، كبيرة كانـت أم صغيرة ، ومهما ضؤلت مقدرتها الحربية ، يمكن أن تؤدى دورها فى تحقيق هذا الهدف . ولكن لا شك فى ان مشكلة نزع السلاح تمس الدول النووية على نحـو خاص . وبهذه المناسبة فاننا نلاحظ أن الاتحاد السوفيتى قـد اقترح غير مرة عقد مؤتمرات خاصة للدول التى تملك اسلحة نووية .

وطوال سنوات عديدة ، يجرى الاتحاد السوفيتى مباحثات ثنائية مع

الولايات المتحدة الامريكية بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية . ومن الشواهد الدالة على مسئولية الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بالنسبة لمشكلة نزع السلاح ، حقيقة ان ممثلى هاتين الدولتين يرأسون معا لجنة جنيف لنزع السلاح . وبهذه المناسبة فاننا نحن رجال الدين ، نعبر عن أملنا فى ان يتم فى هذا العام توقيع اتفاق جديد للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وبذلك تستمر بالتدريج الحركة نحو التخفيض المتبادل والمتوازن للاسلحة .

وبالاضافة الى ذلك ، فاننا نلحظ برضا أنه امكن فى الاعوام الاخيرة وبفضل جهود القوى المحبة للسلام ، التوصل الى عقد مجموعة من الاتفاقيات الهامة فى مجال وقف سباق التسلح ونزع السلاح ، مثل معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، واتفاقية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بشأن منع الحرب النووية ، ومعاهدة تحريم وتصفية الاسلحة البكتريولوجية ، واتفاقية لتحريم وضع الاسلحة النووية وغيرها من انواع اسلحة التدمير الشامل فى قاع البحار والمحيطات ، واتفاقية موسكو لتحريم التجارب النووية فى البر والبحر والجو . وتم اخيرا توقيع اتفاقية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، بشأن التعاون فى ابحاث واستخدامات الفضاء الكونى للاغراض السلمية ، وكذلك توقيع ثلاثة وثلاثين دولة على معاهدة لتحريم استعمال الوسائل الحربية او العدوانية فى الاضرار بالبيئة ، وعدد من المعاهدات والاتفاقيات الاخرى .

وليس هناك جدال فى ان حل مشكلة نزع السلاح يعد مهمة صعبة . ولكن تأجيل هذه المسألة سيجعل نزع السلاح اكثر تعقيدا . ان الشواهد بهذا الصدد موجودة ، فعلى سبيل المثال سينمو خطر الحرب النووية بلا حدود ، لو اخذت الدول التى لا تمتلك الاسلحة النووية فى الوقت الحالى ، فى صناعتها وتخزينها . ان معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، والتى يبلغ عدد المشاركين فيها حوالى مائة دولة ، قد صنعت الكثير ، ومع ذلك يجب علينا نحن رجال الدين ، العمل على ان تنضم كل الدول النووية الى هذه المعاهدة . اننا نؤيد عقد معاهدة للتحريم الشامل والكامل لاجراء تجارب الاسلحة النووية ، وان يكون ذلك باشتراك كل الدول النووية . اننا نعتبر أن معاهدة عدم البدء باستعمال الاسلحة النووية مفيدة لكل الدول المشاركة فى المؤتمر الاوروبى العام .

وانطلاقا من المفاهيم الانسانية التى تمليها علينا اديانا ، يجب علينا ان نعزز النضال من اجل التحريم الكامل للاسلحة الكيميائية والقضاء عليها .

يجب علينا ان نعارض استعمال القوة فى العلاقات الدولية حيث ان استعمال القوة فى العلاقات الدولية يستمر فى تعقيد الموقف الدولى ، ويعوق حركة الدول على طريق نزع السلاح . ومن الشخصيات السياسية والعسكرية يؤمنون بفائدة هذه الوسيلة . ان وجود دول قوية واخرى ضعيفة من ناحية القدرة العسكرية فى العالم ، يضفى اهمية خاصة على مبدأ رفض استعمال القوة . ان الاديان تدين اى ظلم مرتبط بالعنف . يجب ان نعمل من اجل تقليل ، ثم الغاء الاحلاف والتكتلات العسكرية ، حتى توجه الموارد المادية الهائلة ، التى تبتلعها هذه الاحلاف الى رفاهية الشعوب ، والى القضاء على التخلف الاقتصادى لبعض مناطق العالم . اننا نؤيد تحويل البحار والمحيطات الى حلبة للتعاون بين الدول . وعلينا ان نسعى لتحويل المحيط الهندى الى منطقة سلام .

وهكذا نصل خطوة خطوة الى الانجاز الحقيقى لنزع السلاح على كل المستويات ، وسوف يجزينا الله واياكم خيرا عن هذه الجهود يوم الدين انشاء الله .

٣ – رجال الدين المناضلون فى سبيل علاقات عادلة بين الشعوب

ان شعار مؤتمرنا «فى سبيل علاقات عادلة بين الشعوب» سيكون موضوع بحث لجنة العمل الثالثة .

ان مبادئ العدالة تشغل فى تعاليم كل الاديان اهم اهداف الديانات كلها . ان الله يأمر بالعدل والاحسان وينذر المؤمنين فى معاملة غير المؤمنين بغير العدالة فيقول فى القرآن الكريم : «**ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا . . .**» والعمل بالعدل قد يكون بين المسلمين وبين غير المسلمين لان الاسلام لا يعرف تفريقا فى العدل ولا يحابى مسلما لاسلامه ولاشريفا لشرفه . والشريف والوضيع والغنى والفقير والمسلم وغير المسلم كل هؤلاء فى نظر الاسلام سواء ، «**ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**» (النحل ، اية ٨٥) والانجيل يحث المسيحيين على الاعمال العادلة (الطيبة) .

اذ ان كل شجرة لا تأتى بثمرة طيبة تقطع وتلقى فى النار (لوقا ٣-٩) وأيضا : «أعطوا يعط لكم . . . فبالكيل الذى تكيلون به يكال لكم» ، (لوقا ٦-٣٨) وبالنسبة لاتباع الديانة اليهودية ، فان تحقيق السلام مشروط مباشرة بالعدالة : «بعمل الحق يجئ السلام وثمرة العدالة الهدؤ والامن الابديين» (ايس ٣٢-١٧) .

وعقائد الديانات الاخرى تحتوى كذلك على افكار مماثلة . وهكذا فان كل الاديان تحث كل شخص مهما كان لونه ومهما كانت قوميته ، أن يكون حاملا للواء العدالة . ان لدى البشر جميعا امكانيات متساوية فى هذا الشأن ، وقد خلقهم سبحانه وتعالى على قدم المساواة لحمل الرسالة الانسانية العامة للعدالة .

ومن المعروف أن كل الاديان تقترح اتباع العلاقات العادلة بين الشعوب ، كضمان مأمون للوفاق والسلام بينها . ان اختفاء مثل تلك العدالة يعد امرا غير طبيعى من وجهة نظر الاديان . ان لكل شعب من شعوب الارض حق متساو فى الحياة والتمتع بخيراتها ، يقول الله : «**هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا**» ، وفى استغلال خيراتها وفى اكتساب المعرفة وفى الوجود المستقل وتقرير مصيرها .

ان العدالة كمفهوم معيارى للاخلاق ، وكمبدأ يعتبر جزءا لا يتجزأ من السلام . وفى المجال الدولى وبوجود مختلف النظم السياسية والاجتماعية ، والدول الكبيرة والصغيرة ، والصناعية والتى تخطو نحو تطورها الصناعى ، وذات الخبرة الكبيرة فى الوجود المستقل ، والمستقلة حديثا من التبعية الاستعمارية ، فان مبدأ العدالة يفترض فى المقام الاول اقامة علاقات متساوية الحقوق بين جميع البلدان ، والاحترام الصارم للسيادة المتساوية لكل الدول ، صغيرها وكبيرها ، قديمها وحديثها .

عندما نتحدث عن العدالة فى العلاقات بين الشعوب والدول وعن التعاون بينها ، فاننا نعنى ضرورة تطويره فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والثقافية والتكنولوجية وغيرها . فهذا التعاون قد اصبح ضرورة لحياة البلاد ، عاملا جبارا لتطوير العلم والتعجيل بالتقدم التكنولوجى والنمو الاقتصادى وتغلغل القيم الثقافية الثمينة فى الجماهير الشعبية العريضة .

وبالاضافة الى ميثاق الامم المتحدة ، فقد لقيت مبادئ العدالة فى العلاقات الدولية انعكاسا تاما ومفصلا فى الوثيقة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبى . وفى هذه الوثيقة حظى بمكانة خاصة «اعلان المبادئ»

والتى التزمت الدول المشاركة بالاهتداء بها فى العلاقات المتبادلـــة ، ونسمح لانفسنا بان نذكركم بهذه المبادئ :

١ – السيادة المتساوية واحترام الحقوق الخاصة بالسيادة .
٢ – عدم استعمال القوة أو التهديد بها .
٣ – ثبات الحدود الدولية .
٤ – الوحدة الاقليمية للدول .
٥ – الحل السلمى للمنازعات .
٦ – عدم التدخل فى الشئون الداخلية .
٧ – احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية بما فى ذلك حرية الفكر والضمير والدين والعقيدة .
٨ – المساواة فى الحقوق وحق الشعوب فى تقرير المصير .
٩ – التعاون بين الدول .
١٠ – الاخلاص فى اداء الالتزامات الخاصة بالحقوق الدولية .

وبصرف النظر عن ان الوثيقة الختامية للمؤتمر الاوروبى لا يعتبر معاهدة معتمدة ، الا انه بصفته اتفاقية دولية موقع عليها من قبل رؤساء خمسة وثلاثين دولة ، ويعتبر الان مصدرا لمعايير الحقوق الدولية ، يفرض على البلاد الموقعة عليه التزامات قانونية . واهميتها عظيمة بدرجة كبيرة ، ونحن مقتنعون بأنها تتجاوز حدود القارة الاوروبية بكثير .

ان المبادئ العشرة التى عددناها تكون عن حق «قانون العدالة» فى العلاقات الدولية المعاصرة ، واننى اعتقد انه سيكون ضروريا وهاما ان يناقش مؤتمرنا ، امكانية نشر هذه التجربة فى القارات والبلاد الاخرى .

حقوق الانسان

ان كل الاديان مكلفة بالاهتمام بالعدالة الاجتماعية وتربية اتباعها على احترام حقوق الانسان .

وعند النظر فى مشكلة حقوق الانسان ، من الضرورى الالتزام بامانة عقلية صارمة . ان تحقيق الحقوق المدنية والسياسية فى المجتمع الغصرى ، يحظى بنفس اهمية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المسجلة فى المواثيق الدولية لحقوق الانسان . ولكن فى الظروف التاريخية الواقعية ، عندما تنتهك الحقوق الاساسية للانسان فى اجزاء عديدة من الارض لتصل الى حد الحرمان من حق الكرامة البشرية ، بل ومن الحياة نفسها ، يصبح

من الضرورى فى المقام الاول التوصل الى تحقيق اهم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

وفى واقع الامر ، فطالما أن المشاكل الاجتماعية الرئيسية ، لم تحل بعد فى كثير من البلدان ، سيستمر الانسان فى معاناة العديد من الحرمانات بصرف النظر من المستوى العالى للحضارة المعاصرة . وحسب اكثر الاحصائيات تواضعا فان ٥٠٪ من سكان العالم اليوم ، يعانون من نقص التغذية ، والجزء الاكبر منهم على حافة الجوع ، واكثر من ١٠٠ مليون شخص بدون عمل دائم ، ومن المقدر أنه فى عام ١٩٨٠ سيكون فى العالم اكثر من ٨٠٠ مليون أمى . وبدون الحديث عن الدول النامية ، فان فى كثير من الدول المتقدمة ، توجد مشكلة اسكان حادة ، بينما يعيش ثلث السكان فى بلاد «العالم الثالث» فى اكواخ قذرة . والعمال فى كثير من البلاد ، محرومون من الحقوق السياسية والثقافية والاقتصادية . وفى عدد من البلاد يولى اهتمام غير كاف بالاطفال وكبار السن والعجزة ، وكذلك بتوفير المستقبل الطبيعى للشباب . ان المرأة فى كثير من البلاد فى وضع مهين . ان انتهاك الحقوق الاجتماعية والسياسية للانسان ، ينتشر على نطاق واسع وخصوصا فى اوقات النزاعات المسلحة ، عندما تحطم مبادئ الانسانية والحقوق الدولية بفظاظة ، ومن هنا ، فان الدفاع المستمر عن حقوق الانسان وضمانها ، يجب ان يظل مجالا هاما لنشاط أديانتنا من اجل السلام .

العنصرية

تعد العنصرية اكثر المظاهر خزيا للقسوة الانسانية فى معاملة الشعوب الاخرى . لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «**ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على ابيض ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى**» . والديانة المسيحية تقر بأن الله قد خلق الجنس البشرى كله من دم واحد لكى يعمر وجه الارض كله .

ليس هناك دين واحد يبارك تقسيم البشر الى طبقات وفق الخصائص العرقية .

ولكن لازال فى العالم آناس وحكومات ترفع العنصرية الى درجة السياسة الحكومية ، التى يعانى الملونون فى ظلها من اضطهادات بوليسية

متزايدة . ففى زيمبابوى حيث اغتصب العنصرى ايان سميث السلطة ، ادخلت القوانين العنصرية المماثلة لاوضاع الاحتلال ، وتطبق سياسة ارهاب سكان البلاد الاصليين ، ان ناميبيا تعد بلدا مستعمرا ، ويتعرض سكانها الاصليون للنهب والاستغلال المزدوج ، من جانب الاقلية المحلية البيضاء من جهة ، ومن جانب جمهورية جنوب افريقيا المستعمرة من جهة أخرى . ان السياسة العنصرية التى تنتهجها حكومة جنوب افريقيا ، التى تجد فى الوقت الحالى مظهرا جديدا فى اقامة ما يسمى «باندوستانات» ، تكتسب خطرا خاصا على مصير السلام الان ، بينما تتلقى تأييدا متعدد النواحى من عدد من الدول الغربية ، ومن اسرائيل الصهيونية ، اذ يمدونها بأحدث انواع الاسلحة ويزيدون من خطر صنعها لاسلحة نووية .

ومن المعروف أن قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر فى عام ١٩٧٥ قد اعتبر الصهيونية «احد اشكال العنصرية» . وفى واقع الامر ، فانه عند بداية الاحتلال اليهودى لفلسطين فى نهاية القرن التاسع عشر ، اتخذت الصهيونية شكلا عنصريا بان غرست فى المهاجرين الاحتقار والكراهية لسكان فلسطين العرب .

اننا نحن المشاركون فى هذا الاجتماع الجليل ، مطالبون بان ندين العنصرية كظاهرة تسير ضد ارادة الله سبحانه وتعالى ولا تتفق مع أى دين .

وانطلاقا من مفاهيمنا الدينية ، يجب علينا أن نركز الاهتمام على تقوية التعاون الدولى فى الصراع ضد العنصرية ، لان استمرار وجود الخرافات العنصرية والتفرقة العنصرية ، يؤثر تأثيرا ضارا فى سير التطور التاريخى ، ويضعف التضامن الدولى من اجل السلام والعدالة والتقدم .

الشركات المتعددة الجنسيات

من الظواهر المميزة لعصرنا ، ظهور ما يسمى بالشركات المتعددة الجنسيات فى البلاد الرأسمالية فى سير التطور العصرى للعلاقات الاقتصادية ، وهى تسيطر فى الوقت الحالى على ٧٥ فى المائة من ممتلكات الدول الغربية ، برغم انها تشكل حوالى ثلاثة فى المائة فقط من اجمالى الشركات الغربية .

وفى الوقت الراهن تنفذ الشركات المتعددة الجنسيات الجزء الاساسى من الاستثمارات الاجنبية فى اقتصاد الدول النامية . ويوجه جزءا

من رأسمالها الى الانتاج الزراعى والصناعات التحويلية ، ويتركز نحو نصف استثماراتها فى استخراج الموارد الطبيعية . وللوهلة الاولى ، يخلق ذلك انطباعا بان هذه المؤسسات تقدم العون للدول النامية فى القضاء على تخلفها الاقتصادى ، اما فى الواقع فان هذه المؤسسات لاتهتم باعداد الكوادر القومية ، ولا بالاستعمال المتعقل والحريص للموارد الطبيعية لهذه البلاد . وورد فى تقرير خبراء الامم المتحدة عن نشاط الشركات المتعددة الجنسيات المنشور فى عام ١٩٧٤ «انه مما يسبب قلقا جديا لكثير من البلاد ، ان مفاتيح اقتصادها توجد تحت سيطرة رأس المال الاجنبى وهذا ينطبق فى المقام الاول على الدول النامية ، حيث تسيطر الشركات المتعددة الجنسيات على استخراج المعادن والصناعات التحويليـــة . وفى ظروف التقدم العلمى والتكنيكى ، تزداد حاجة الدول الناميـــة الى معونة الدول المتقدمة ولكن هذه الحاجة بطبيعة الحال يجب الا تستغل فى اهداف ادخال الاستعمار الجديد الى تلك البلاد ، التى يجب الا تفرض عليها المؤسسات المتعددة القوميات شروطها الخاصة للتعاون ، والتى لا تهدف الى شىء سوى استغلال مواردها الطبيعية والبشرية على أسس غير عادلة . ان مساعدة الدول النامية يمكن اعتبارها مساعدة فقط عندما تكون على أسس عادلة ، ولا يجب ان ننسى فى هذا المقام أن شعوب الدول النامية تعتبر ضحايا الماضى الاستعمارى ، والمسئول عنه الدول المستعمرة وليس كل الدول الصناعية .

وللاسف فان استغلال كثير من الشعوب التى كانت مستعمرة ، لم يتوقف حتى الان ، بالرغم من اعلان استقلال هذه البلاد واتخاذها الخطوات الاولى لاقامة اقتصاد قومى ، ويستمر هذا الاستقلال بواسطة الاستعمار الجديد ، تحت غطاء من العبارات المنمقة . ان كل هذا لا يسمح لنا نحن رجال الدين ، بأن نقف ساكتين امام مـــا يحدث من تطور فى العلاقات الدولية .

ان احد العناصر الهامة لاقامة علاقات اقتصادية عادلة بين جميـــع الدول ، هو ولاشك ان نحقق فى الحياة ما يسمى بالنظام الاقتصادى الدولى الجديد ، الذى صدر قرار بانشائه فى الدورة الخاصة السادسة للجمعية العامة للامم المتحدة فى شهر ايار مايو عام ١٩٧٤ . اننى امل أن تلقى هذه المشكلة ما تستحقه من اهتمام خلال مناقشات لجنة العمل الثالثة .

حماية البيئة

ان حالة البيئة المحيطة التى يعيش فيها الانسان ، كانت تشكل دائما أحد أهم الموضوعات التى تشغل اهتمام الاديان . ان مسائل نظافة البيئة المحيطة كانت تشغل رجال الدين حتى فى تلك الاوقات ، التى ما لم يكن فيها فى العالم مخلفات المصانع التى تلوث الجو . فالاديان منذ القدم تدين الاخلال بالتوازن فى البيئة الطبيعية ، آمرة الناس بأن يحافظوا على نظافة بيئة الحياة .

ويذكرهم سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : «**ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج**» (سورة ق آيات ٩-١١) . لقد خلقت الارض لكى تكون صالحة للحياة أبدا ، وقد خصصها الله لتكون مأوى للجنس البشرى ولكل حى ، وجاء بهذا الصدد فى القرآن الكريم : «**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**» (سورة الاعراف آية ٢٥) .

وتعتبر الديانة المسيحية ان معاملة الطبيعة بحرص بوصفها من خلق الرب ، هى وصية الخالق للانسان . وعن هذا تتحدث الفصول الاولى من كتاب حياة الرسل .

وفى الاديان الاخرى تحمل العلاقة بالطبيعة طابعا مقدسا . ويجب على رجال الدين ان يكونوا نشيطين فى حل واجبات المحافظة على البيئة المحيطة . لقد اصبح الاهتمام بالمحافظة على البيئة المحيطة فى عصرنا من أهم المشاكل ، وهذا الاهتمام يوحد الناس من كل الاجناس والقوميات والاديان والعقائد السياسية والايديولوجية .

ولكن لا يمكن تحقيق حماية تامة مأمونة للبيئة المحيطة طالما أن المصانع التى تنتج الاسلحة ، بما فيها النووية والكيميائية ، مستمرة فى العمل ، محتلة المركز المزرى الاول فى تلويث الجو . ان افظع شىء بالنسبة لامكانيات احتضار الحياة على الارض ، يعتبر الخطر الكامن للحرب النووية .

ان الكتب المقدسة تنص على ان كل ما هو موجود على الارض مخلوق بكم وحجم محددين ، وكل الثروات تحت الارض وفوقها ، لها حدودها ، واذا استعملت بغير معرفة يمكن ان تنضب «**قل أرأيتم ان اصبح ماءكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**» .

ونظرا لجدية هذه المسألة بالنسبة الى حياة البشر وكل الموجودات

على الارض ، يجب على كل دولة ان تتعامل باحترام مع حقوق الدول الاخرى ، وعلى الخصوص ، مع حق سيادة كل شعب فى التصرف فى موارده الطبيعية . وباختصار ، فان الاهتمام بالمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية ، يجب أن يؤدى الى التنظيم المثالى للعلاقة المتبادلة بين الانسان والطبيعة ، ويجب ان يكون حافزا اضافيا للتقوية المستمرة لمبادئ التعايش السلمى والاستبعاد الكامل للحرب عن حياة البشر .

ازدياد عدد النسائم

انطلاقا من الزعم القائل ان تدهور البيئة الطبيعية لا يمكن تجنبه ، وان استنفاد الموارد الطبيعية أمر حتمى ، يقترح البعض فى العالم تعطيل النمو الطبيعى للسكان ، ووقف التقدم التكنيكى والتصنيع وخاصة فى الدول النامية . ان هذه التأكيدات تتعارض جذريا مع تعاليم الاديان ، فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : «**وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم**» ... «**استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء**» وقال ايضا : «**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**» . . .» **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .**

لقد تلقى نبى العهد القديم الصالح نوح عليه السلام بعد الفيضان العظيم الامر التالى من الله : «وبارك الله نوحا وأبناءه . وقال لهم : تناسلوا وتكاثروا واملؤوا الارض» (حياة الرسل ٩ ، ١) . كما جاء ايضا فى الكتاب المقدس : ان كل الموجودات على الارض ملك للانسان (حياة الرسل ٩ ، ٢٢-٣) وهكذا لا يمكن ان نرى مأساة العالم فى نمو عدد السكان . ان البشرية يجب أن تسعى الى خلق امكانيات مادية كافية لتوفير حياة كريمة لكل سكان الارض .

ويجب ان نعترف بان الجنس البشرى لم يضع بعد حلا لهذه المشكلة . فلكل بلد من بلدان العالم ظروفه بالنسبة لهذه المسألة . ففى الدول النامية على سبيل المثال يتطلب الامر جهدا خاصا لخلق قاعدة مادية ، حتى يمكن النجاح فى انتاج سلع ومنتجات الاستهلاك الشعبى وتوفير العمل للعدد المتزايد من الناس . وتمس هذه المسألة دول الغرب المتقدمة حيث ادى احتكار وسائل الانتاج وتطور وسائل التحكم الاولى الى ظهور طبقة كبيرة من العاطلين جزئيا او كليا . وعلى ضوء ذلك فمن الواضح أن مشكلة النمو

السكانى مرتبطة بشكل مباشر بالتقدم الاجتماعى الذى يتوقف بدوره على مدى تخفيض الميزانية العسكرية ومقدار الموارد التى ستوجه الى احتياجات التطور الاجتماعى ، ولذا فان الاصوات التى تعتب على وجود وسيلة فعالة للتحكم فى المواليد تعتبر فى رأيى ، غير قائمة على اساس ، وبعيدة عن الفهم الدينى للحياة ، ويجب علينا نحن رجال الدين ، ان نقضى على هذه الاراء وان نثبت خطأها العميق .

الهجرة

ان هذه المشكلة مرتبطة بمشكلة النمو السكانى وهى فى الدول الاقل تقدما ، تنجم عن عدم وجود ظروف ملائمة لتشغيل الناس ، وكذلك عن سعى الاحتكارات الضخمة والشركات المتعددة القوميات الى الحصول على اقصى عائد بأقل انفاق للموارد المادية . وبرغم ان الاحتكارات تتظاهر بانها ، باستقبالها للعمال المهاجرين تخفف الوضع فى الدول النامية ، الا ان فائض القوى العاملة المتزايد فى تلك البلاد ، يصبح فى الواقع مجرد مصدر رخيص للجهد ، يخدم اثراء ملاك العالم الرأسمالى . ونتيجة لذلك تحرم الدول النامية من القوى العاملة المؤهلة ، والاخصائيين المتعلمين ، الذين كان من الممكن ان يخدموا قضية التقدم القومى والاجتماعى فى دولهم . ويعتبر بعض المراقبين ان الهجرة بحجمها الحالى ، بمثابة اعادة استيطان للشعوب . ان تيارا بشريا من افريقيا وجنوبى أوروبا ، يتجه الى الشمال بأعداد ضخمة حقا . وحسب الاحصائيات المتواضعة فان حوالى ١٠ مليون عامل اجنبى ، يعيشون هناك غرباء بصفة دائمة بعيدا عن مواطنهم الاصلية . هذه عدا ٢-٣ مليون مهاجر قادمين الى استراليا للبحث عن عمل . ان هذه الظروف كما سبق ان ذكرنا ، تؤدى الى تباعد المثقفين والعمال فى البلاد النامية عن مواطنهم الاصلية وعن مشاكل شعوبهم . وبالاضافة الى ذلك ، فان اولئك الناس وعائلاتهم فى مكان معيشتهم الجديد ، لا يملكون فى الواقع ظروف الحياة اللائقة بالانسان . انهم عمليا محرومون من الحقوق الاساسية للانسان . وبالرغم من انه فى تلك البلاد التى تتجه اليها الهجرة ، عادة ما يكثر الحديث عن الديموقراطية للجميع ، فانها لا تعتبر ملكا للعمال الاجانب ، ولذا يجب علينا نحن رجال الدين . ان نسعى لكى يتمتع المهاجرون بكل الحقوق الانسانية العامة ، التى يتمتع بها السكان الاصليون للبلاد .

واجبات الاديان فى التوصل الى علاقات عادلة بين الشعوب

جاء فى القرآن الكريم : «**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما**» .

قال النبى محمد صلّى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف : «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان**» وفى الانجيل ، كتاب المسيحيين المقدس ، ان الرب يطلب من الانسان ان يتصرف بعدل ، وان يحب اعمال الرحمة (ميخ ٦ ، ٨) وكل الاديان الاخرى كذلك تدعو الى العدالة كمبدأ اساسى لتنظيم حياة المجتمع البشرى .

اننا نحن رجال الدين مخلصون بعمق لافكار أديانا عن تأكيد العدالة بين البشر وفى العلاقات الدولية ، ولذا يجب أن نوجه اهتماما خاصا الى المشاكل التى كانت موضوعا لتفكيرنا ، لكى نصل الى اقامة عدالة حقيقية فى العلاقات بين الشعوب . ان طبيعة أيماننا الدينى تتطلب منا الا نغلق اعيننا عن الظلم . يجب ان نضافر من اجل هذا ليس فقط جهد كل الاديان بل وجهد كل ديانة على حدة . يجب ان نتوجه الى الحكومات والاجهزة الحكومية والناس ذوى النوايا الطيبة ، مبرهنين لهم على نوايانا الطيبة ، وساعين الى اقامة علاقات عادلة حقا بين جميع الشعوب .

خاتمة

ايها الاخوة والاخوات المحترمون ! ان هذا الملخص المبسط المقدم للمسائل المطروحة لمناقشاتنا المشتركـــــة فى المؤتمر العالمى ، يعانى بالطبع من بعض النقص وعدم وجود الدراسة الضرورية ، وآمل ان يملأ هذا النقص بالتقارير الخاصة بموضوعات لجان العمل . فاننى اقترح ان يكون ما قلته موضوعا للتطوير الخلاق للمشاركين فى ندوتنا ، ولكن لا اعد ذلك اطارآ محددا ومقيدا لمحتوى مناقشاتنا المقبلة . اننى أومن بان تقاريرنا ومناقشاتنا فى لجان العمل ، والتى سيشترك فيها بدون شك كثير منكم ، سوف تفتح امامنا حقا بانوراما عالمية لحياة البشرية المعاصرة

بالامها ومعاناتها ، او بأملها وايمانها ، وسوف تساعدنـــا فى توضيح واجباتنا فى خدمة مصالح المجتمع البشرى ، وستكون مصدرا لحفز اديان العالم الى عمل مشترك اكثر نشاطا ، لصالح السلام الوطيد ، ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب .

اننى ادعو الله ان يباركنا بوحدة الروح ، وحدة الكلمة والتفاهم الاخوى ، وان يملأ بالصبر صدورنا ، ويرزق الحب لبعضنا البعض . وكونى متوجها الى النتائج المقبلة لعملنا اود ان الاحظ انه مهما كانت درجـــة التمثيل وعدد اعضاء مؤتمرنا ، فاننا وحدنا لن نستطيع بالطبع ان نحقق قراراته مهما كانت درجة كمالها . اننا بحاجة الى تأييـــد وتعاون الجماهير العريضة من اصدقاء العلماء من المسلمين والمؤمنين وكـــل الناس ذوى النوايا الطيبة . وسنكون بالطبع متفتحين لمثل هذا التعاون .

وختاما ، اتجه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى لكى يرفع لواء مؤتمرنا هذا ، مرفرفا فى انحاء العالم اجمع ، ويبارك مؤتمرنا الرفيع ويوجهه الى الطريق المثمر ، لخدمة العمل العظيم للسلام العادل ، آمين . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

كلمـــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى الدورة الثالثة للمجلس الاعلى العالمى للمساجـــــد

مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

٢٤-٢٩ آذار (مارس) عام ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم
ايها العلماء الافاضل !
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

نحن مندوبى رجال الدين الاسلامى من مختلف البلدان الاسلامية ، اجتمعنا اليوم هنا لنتبادل الآراء فى قضية رسالة المسجد . واود فى هذا الصدد ان اعبر بالدرجة الاولى من على هذا المنبر العالى ، عن مشاعر الشكر الخالص للامين العام لرابطة العالم الاسلامى شخصيا ، وكذلك لجميـــع الاعضاء الآخرين فى اللجنة التنظيمية ، على العمل الكبير والدائب الذى قاموا به استعدادا لهذه الدورة . واننا نشكرهم على جهودهم المحمودة الرامية الى ان يتطابق نشاط المجلس الاعلى العالمى للمساجد باستمرار ، مع مستوى تلك الرسالة السامية المناطة به .

ايها العلماء الاكارم !

اعتقد بان علينا ان نلقى نظرة تفحص الى جميـــع مراحل النشوء والتطور ، التى شهدها المسجد طول الزمان ، كى نحدد بصورة افضل واكمل ، رسالة المسجد فى عصرنا ، ونرسم خطط عملنا المقبل بثقة اكبر . لاننا بدون دراسة تأريخية واعية لن نستطيع ، كما يبدو لى ، ان نحدد بدقة الاتجاهات الاساسية لنشاطنا ، فى الاشراف على رسالة المسجد عموما ، وفيما يخص الظروف الاقليمية المعينـــة لبعض البلدان . واتصور هذه النقطة هامة بخاصة لان علينا ان نوفق بين نشاطنا العملى كله ، والظروف

المحلية لحياة هذا الشعب المسلم او ذاك . ولن نحقق الا على هذا الاساسى النجاح الفعلى فى كل نشاطنا المتنوع والمعقد .

اذا القينا نظرة متفحصة الى تاريخ نشوء المسجد ، والى طريق تطوره ، فاننا لابد ان نرى الخاصية الاساسية لدور العبادة ، التى ضمنت لها الاستقرار الدائم والسمعة والنفوذ ، وهى ان رسالتها كانت تتحقق فى اشكال تتجاوب مع العصر التاريخى المعين ، وظروف التكوينات الاجتماعية والاقتصادية التى عاش فيها هذا او ذاك من الشعوب التى اعتنقت الاسلام .

رسالة المسجد فى فجر الاسلام

ان المسجد بمثابة بيت الله ، كان فى كل الفترات التاريخية دون استثناء ، المكان الذى يجتمع فيه المؤمنون ، لاداء الصلوات الخمس ، وصلوات الجمعة والاعياد ، التى امر بها الاسلام . وقد ذكر فى القرآن الكريم ببلاغة ووضوح ، الهدف الاساسى الذى انشىء المسجد من اجله . قال تعالى : «**وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا**» (سورة الجن الآية ١٨) .

ان المسجد مخصص فقط للعبادة ، ولاستيعاب التعاليم الالهية . واننا نجد امثلة جلية على استخدام المسجد لهذا الغرض فى المرحلة الاولى للاسلام . فان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، انما استخدم لهذه الاغراض مسجده ، الذى بناه فور هجرته الى المدينة ، والمعروف باسم «المسجد النبوى» .

لقد بدأ من هذا المسجد ينتشر شعاع نور الاسلام الالهى فى كل انحاء المعمورة . والتف فى هذا المسجد اوائل المسلمين حول تعاليم القرآن الكريم ، وبدأت الشريعة الاسلامية تتكون فيه ، فى اثناء حياة الرسول .

وقد اقتدى به الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون من بعده . وكان بناء الجوامع الواجب الاول فى كل العواصم التى دخلها الاسلام . فمثلا ، فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب القائد الاسلامى الكبير عمرو بن العاص بعد دخول الاسلام الى مصر فى عام ٢١ للهجرة اول مسجد فى هذا البلد لايزال يحمل اسمه حتى الآن . اما القائد العربى المعروف فى كل العالم الاسلامى قتيبة بن مسلم الذى فتح مدن آسيا الوسطى وما وراء النهر فى عام ٩٥ للهجرة ، فقد بنى فى مدينة بخارى جامعا شيد فى مكانه فيما بعد اكبر مسجد فى آسيا الوسطى وهو «مسجد كلان» . وشيد فى

بغداد فى عام ١٤٥ للهجرة اكبر جامـــع فى البلاد ، وهو جامع المنصور والكثير من الجوامع الاخرى التى بنيت لترسيخ ديننـــا الحنيف فى افئدة المسلمين .

المسجد مركز الثقافة الاسلامية

استخدم المسجـــد ايضا فى المرحلة الاولى للاسلام الى جانب اداء وظيفته الاساسية بمثابة مركز لنشر الثقافة الاسلامية . ولئن تابعنا تاريخ الحضارة الاسلامية ، فان من السهل الاقتناع بانها ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ المسجد . ويعترف بهذا كل العلماء الباحثين ، الذين درسوا تاريخ الحضارة الاسلامية . ولم يكن المسجد فى المرحلـــــة المبكرة للاسلام يستخدم لاداء الشعائر الدينية فحسب ، بل كان يؤدى كذلك دور مدرسة فريدة . والمعروف ان التدريس فى المساجد كان يجرى عن طريـــق الحلقات ، وكانت كل حلقة تحمل اسم الشيخ او المدرس .

لقد تعلم فى المسجد مثلا مؤسس النحو العربى خليل بن احمد المتوفى عام ١٧٤ للهجرة) وتلميذه صاحب مدرسة القواعد والنحو البصرية الشهير سيبويه (توفى عام ١٨٠ للهجرة) والفقيه اللغوى الاكبر ابو عثمان الجاحظ (توفى عام ٢٥٥ للهجرة) والكثير غيرهم من الفقهاء واللغويين والفلكيين والاطباء والمحدثين والمفسرين . واسست اغلبيتهم فيمـــا بعد ، حلقات استقطبت اجيال العلماء الجديدة . واصبح عدد مثل هذه الحلقات كبيرا جدا بمرور الزمن . وحسبنا ان نذكر مثلا ان مسجد عمرو بن العاص ضم فى القرن العاشر اكثر من ١٢٠ حلقة ، وكانت بالمناسبة تزداد لا من حيث العدد فحسب ، بل كذلك مستوى المضمون وكمال الشكل . ولئن كانت المساجد تفسر فيها عند فجر الاسلام مبادئ الشريعة الاسلامية فقط ، فانه درست فيها مع حلول القرن العاشر والثانى عشر اوسع طائفة من العلوم سواء الاجتماعية او الطبيعية ، وتعلم فى المساجد اعلام الحضارة العربية الاسلامية المشهورون فى العالم اجمع . واشتهر بخاصة فى هذا المجال مسجد الازهر الذى ازدهر فيه ، الى جانب الفقه الدينى ، الطب والرياضيات والمنطق والفلك والفلسفة وغير ذلك من العلوم الطبيعية والدينية .

وكانت الجوامع كذلك فى مختلف مناطـــق العالم الاسلامى مراكز لنشاط البلدان الثقافى ، ومحطا لعلماء الدين الذين كانوا يتوقون الى هناك لاكتساب معارف جديدة ومشاطرة الآخرين معارفهم . وكان جذاب بشكل خاص ، الى جانب المراكز العلمية المذكورة ، جامع المنصور فى

بغداد وعدد آخر من المساجد التى لا تقل شهرة فى دمشق والكوفة والبصرة وسمرقند والمدن الكبيرة الاخرى .

يروى ان احد جامعى احاديث الرسول البارزين ، وهـــو الخطيب البغدادى ، دعا الله اثناء اداء فريضة الحج ، عندما يدعو الحجاج الله عادة ، ان يحقق اعز امانيهم ، ان يتسنى له احاديث الرسول فى مسجد «المنصور» .

واشتهر مسجد «كلان» فى بخارى كذلك بالحلقات التى ضمت العديد من الناس . وكان كبار علماء آسيا الوسطى وخراسان يتشرفون فى مختلف العصور بالزيارة الى بخارى ، اكبر المراكز الثقافية منزلة فى العالم الاسلامى بأسره ، وبالتمتع بفرصة ترأس احدى الحلقات فى جوامعها . وعندما عاد العالم العظيم امام المحدثين ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الى وطنه فى اواخر حياته ، اخذ يدرس فى مسجد «كلان» احاديث الرسول من كتابه «الجامع الصحيح» . وكان يجتمع فى حلقته عدد كبير جدا من الناس الى درجة ان محاضراته كانت تنقل الى المستمعين الجالسين فى الصفوف الخلفية من خلال المرددين .

وكان العالم الدينى واللغوى الكبير سعد الدين التفتازانى يلقـــى محاضراته فى البلاغة فى مسجد «بيبى خانم» فى سمرقند . ويعرف عمله كل العالم الاسلامى باسم «شرح التفتازانى» ، ويعتبر من ابسط واحسن الكتب فى علم البلاغة والمنطق .

وكانت مثل هذه الحلقات التى تدرس فيها مختلف العلوم الدينية والاجتماعية والطبيعية ، منتشرة فى المراكز الثقافية الاخرى فى آسيـــا الوسطى : اوركنج وحيوه ومرو وشاش وغيرها . وقد كتب سعد الدين التفتازانى فى شرحـــه المشهور على «تلخيص المفتـــاح» يقـــول : «ان توقى الشديد الى تكميل معارفى ورغبتى العارمـــة فى الحصـــول عليها من المصادر الحقيقية ، قادانى الى مدينة اوركنج فى خوارزم التى كانت فى ذلك الزمان مهد العلوم العظيمة وملاذ ابرز العلماء» .

كانت المحاضرات فى الحلقات تلقى فى كثير من المساجد وفق نظام دقيق : كانت تلقى فى وقت واحد فى اليوم وفى المكان ذاته ، مما علم المستمعين الانضباط وعودهم على عمل العالم الدؤوب والمنتظم . وهكذا مهدت التربة لظهور المدارس الخاصة فى المستقبل .

نشوء المدارس الدينية

اضحى المسجد بمرور الزمن ضيقـــا لاجراء الدروس . وتحسن التدريس ، واتسع نطاقه ، وازداد عدد المواد التى تدرس فى المسجد ، وظهرت مواد تتطلب مشاركة المستمعين النشيطة فى النقاش . واخـــذ يبرز بين رجال الدين علماء كرسوا انفسهم كلية للتدريس ، الامر الذى رفع بشكل ملحوظ المستوى العام للتعليم ، وساعد على اعداد وتكميل طرائق التدريس بذاتها .

وتطور العلم وتطور المجتمع نفسه ايضا . وتطلب تطور العلوم وتعقدها ، ان يتركز تدريسها فى مدارس متخصصـــة ومزودة بالكتب الضرورية .

المساجد فى آسيا الوسطى ورسالتها

ان المسجد لم يفقد بتاتا فى ظل النظام الاجتماعى الجديد فى بلادنا اية من سماته الرائعة او وظائفه . وهو ما برح مكانا مقدسا لكل مسلم ، ومصدرا لحضور قلبه واطمئنانه . انه يأتى الى المسجد فى الايام العادية ، وفى ايام الاعياد ، كى يعبد مع اخوانه فى العقيدة خالقه العظيم . ويجدون هنا الاجوبة عن الاسئلة التى تتعلق بحياتهم الدينية . ويؤدى ائمة وخطباء المساجد فى اوساط المسلمين ، دور المرشدين ، ويعتبرون مسؤولين عن كل جوانب حياة المؤمنين الدينية . وهم على صلة وثيقة بالادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، ويتلقون دوما المساعدة والتعليمات والتوصيا تالضرورية لنشاطهم . ويراجع الائمة الخطباء فى بعض المسائل الهامة جدا ، شأنهم شأن بعض رجال الدين والمؤمنين العاديين ، الادارة الدينية مباشرة ويحصلون على اجوبة قائمة على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

اما فيما يخص مبانى المساجد فانها فى احسن حال . انالمساجد ، بيوت الله ، ترمم باستمرار ويحافظ على طهاراتها ونظافتها . وتتحسن كل عام ظروف خدمة المصلين . وتجهز المساجد بالتدفئة الغازية والمجارى ، وهذا لم يكن فى آسيا الوسطى من قبل . وفرشت المساجد باجمل السجاد من الصناعة المحلية . ومما له دلالته ان المؤمنين ومنطقتنا يعتبرون اهداء السجاد للمساجد من اعمال الخير . وهم لا يضنون بشىء من اجل المسجد ، لانه بالنسبة اليهم مكان الاجتماع ، ومركز دينى وثقافى حيث يمكنهم ان يلبوا حاجاتهم الروحية الى الحد الاقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمـــــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
فى الدورة الرابعة للمجلس الاعلى العالمى
للمساجـــــد

مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية
١٣-٢٠ آذار (مارس) عام ١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الرئيس الموقر !
اعضاء المجلس الاعلى العالمى للمساجد المحترمين !
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

الحمدلله على اتاحته لنا هذه الفرصة الرائعة ، للالتقاء مجددا على ارض الاسلام المقدسة ، لنجمل نتائج العمل الذى قمنا به خلال سنة ، منذ الدورة الثالثة السابقة ، ونرسم خطط العمل للسنة المقبلة .

ان المسلمين السوفيت ، كسائر المسلمين من البلدان الاخرى ، استقبلوا بسرور ، قرارات دورتنا الثالثة الماضية ، الرامية الى تحسين عمل المساجد وتنشيطها واعداد الكوادر اللائقة للقائمين عليها .

اننا تحقيقا لهذه القرارات الهامة اجرينا فى اواخر شباط (فبراير) هذا العام ، ندوة خاصة لائمـــة وخطباء المساجد فى آسيا الوسطـــى وقازاخستان . وساهم مساهمة نشيطة جدا فى عملها الى جانبهم ، كثير من ائمة الدين والعلماء البارزين فى منطقتنا . وقد تليت فى اثناء الندوة بعض المحاضرات عن واجبات القائمين على المساجد تجاه الله وتجـــاه المسلمين على هدى تعاليم ومتطلبات ديننا الحنيف ، مع اخـذ خصائص العصر الراهن بنظر الاعتبار . واكد فى تلك المحاضرات ان على الائمـة والخطباء ان يراعوا باستقامة ودقة ، الشريعة الاسلامية ، وان يحرصوا على ألا يخرق المؤمنون اى جزء منها ، وألا يسمحوا بدخول اية بدعة او

خرافة منافية للاسلام الى حياة المسلمين ، وان يحافظوا على نقاء ديننا بشكله الاول .

لقد اقيم فى موسكو ، استنادا الى توصيات الدورة السابقة فيما يخص تأليف مجالس اقليمية للمساجد ، لقاء لممثلى جميع الادارات الدينية الاربع لمسلمى الاتحاد السوفيتى . وقد اطلعت المشتركين فيها بالتفصيل على القرارات والتوصيات التى اقرت فى تلك الدورة . وقبلت بارتياح كبير التوصية باستحداث مجالس اقليمية للمساجد . واعرب زملائى فى هذا الصدد عن الثقة بان مثل هذه المجالس ، ستساعد دون شك ، على تحسين عمل المساجد . وقرر رؤساء الادارات الدينية مناقشة هذه المسألة فى جلسات هيئات رئاسة منظماتهم ، واتخاذ التدابير المناسبة لتحقيق هذه التوصية .

وعقدت فى مقر مركزنا الاسلامى فى طشقند فى بداية العام الدراسى ، جلسة لمدرسى مدرستينا الدينيتين اللتين تعتبران القاعدتين الرئيستين لاعداد الائمة والخطباء عندما . واطلع المدرسون فى تلك الجلسة على قرار دورتنا فيما يخص العمل التربوى فى المدارس الدينية ، بغية اعداد الملاكات الاسلامية اللائقة . وحللت بالتفصيل النواقص فى العمل التربوى ، ورسمت سبل التغلب عليها .

وافتتحت فى منطقتنا ، فى آسيا الوسطى وقازاخستان ، خلال العام المنصرم تلبية لطلبات المؤمنين عشرات الجوامع فى عدد من مدن قازاخستان واوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا .

اسمحوا لى الآن ان اطلعكم على نشاط ادارتنا الدينية فى اقامة وتطوير علاقات الصداقة مع الاشقاء فى الدين من البلدان الاخرى . لقد حل ضيوف على المسلمين السوفيت ، تلبية لدعوة ادارتنا الدينية ، ممثلو المسلمين من سورية وفرنسا وتشاد وتركيا والباكستان والاردن وبنغلاديش . وقد قدم الينا من هذه البلدان رجال الدين والدولة البارزون ، وزارنا على سبيل المثال صديقنا القديم عضو المجلس الاعلى العالمى للمساجد رئيس المسلمين فى جمهورية تشاد الشيخ موسى ابراهيم ، وشقيقنا العزيز الدكتور انعام الله خان ، والمناضل الهمام فى سبيل قضية الاسلام ، الامين العام للمؤتمر الاسلامى العالمى الدكتور لطفى دوغان ، ورجل الدين والدولة البارز فى تركيا وزير الدولة لشؤون الدين الدكتور احمد الطراونة ، ورجل الدولة والسياسى المعروف نائب رئيس مجلس الشورى الوطنى فى الاردن وغيرهم . وتعرف الضيوف فى

اثناء مكوثهم فى بلادنا على الوضع الحقيقى للمسلمين وحياتهم فى الاتحاد السوفيتى .

وزار ممثلو مسلمى الاتحاد السوفيتى ، تلبية لدعوة من اصدقائنا الاجانب ، تشاد والنمسا والنيجر ومالى والسنغال . واشترك رؤساء ادارتنا الدينية فى غضون العام الماضى فى عدة مؤتمرات اسلامية دولية ، فى المؤتمر المكرس لمولد الرسول فى تونس ، وفى المؤتمر الخاص بقضايا حقوق وواجبات الانسان فى الاسلام فى سريلانكا ، وفى المؤتمر الاسلامى الأسيوى الاول فى الباكستان ، وفى الملتقى الثانى عشر «الفكر الاسلامى» فى الجزائر ، وفى المؤتمر الدولى فى تركيا حول قضية تحديد بداية الاشهر القمرية .

اسمحوا لى الآن ، ايها الزملاء الاعزاء ، ان اقول بضع كلمات واعبر عن تصوراتى حول مجلسنا ، والاقتراحات بشأن تنفيذ قرارات دورته بأكمل فعالية .

١ – لقد عرفنا فى لقائنا الماضى بارتياح كبير عن تأسيس مركز دائم لرفع كفاءة الأئمة والخطباء والواعظين ، وكذلك عن ان هذا المركز خرج الدفعة الاولى . وكان لنا امل فى ان يدعى للقبول فى الدفعة القادمة فى المركز ممثلو مسلمى الاتحاد السوفيتى ايضا . لكن توقعاتنا كانت سدى ، ويا للأسف واننى ارجو المجلس ان يراعى كذلك احتياجاتنا لرفع كفاءة علماء الدين .

٢ – اعلن فى الدورة السابقة ارسال مجلة «رسالة المساجد» . لكن الادارة الدينية لم تتسلم خلال السنة اى عدد ، ويالاسف . واننى اعتقد بان منظمتنا الكبيرة والهامة ، يجب ان تتلقى هذه المجلة باستمرار ، لكى تطلع فى الوقت المناسب على نشاط مجلس شؤون المساجد .

٣ – اتخذت الدورة الثالثة لمجلسنا قرارا حول ايفاد وفود المجلس الى البلدان التى تعيش فيها اقليات مسلمة . واعتقد بان مسلمى بلادنا ، يليق بهم تماما استقبال مثل هذا الوفد فى الاتحاد السوفيتى . ولكن لم يأت الينا حتى الآن اى وفد من المجلس الاعلى العالمى للمساجد .

ارجوكم ، ايها الزملاء الاعزاء ، ان تراعوا ما ذكرته ، وتتخذوا التدابير المناسبة بشأن القضايا التى تطرقت اليها .

واريد فى ختام كلمتى ان اطلعكم باختصار على بعض الاجراءات التى رسمناها للمستقبل .

ان مسلمى الاتحاد السوفيتى كسائر مسلمى العالم يستعدون

لاستقبال بداية القرن الخامس عشر الهجرى استقبالا لائقا ، واننا ننوى لهذا الغرض عقد ندوة فى هذا العام ، مكرسة لمرور عشر سنوات على صدور مجلتنا «المسلمون فى الاتحاد السوفيتى» . وسيدعى الى الندوة محررو بعض الصحف والمجلات الاسلامية الاجنبية . وستؤسس فى ذلك اللقاء ، ان شاء الله ، اللجنة التحضيرية لاجراء الاحتفالات بمناسبة دخول العالم الاسلامى القرن الخامس عشر الهجرى .

لهذا ارجو رجاء ملحا المجلس الاعلى العالمى لشؤون المساجد ورابطة العالم الاسلامى ، الاشتراك فى ندوتنا بنشاط وايفاد محررى مجلة «رسالة المساجد» و«رابطة العالم الاسلامى» وصحيفة «اخبار العالم الاسلامى» للمساهمة فيها .

واشكركم على انتباهكم .

23--1730

كلمـــــــــة

سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى احتفالات افتتاح مسجد جديد فى جمهورية تشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

اما بعد : باسم اخوتكـــم المسلمين فى مختلف بقاع الاتحـــاد السوفيتى ، وباسمى شخصيا ، اريد أن ابلغكم تحية اسلامية ، واتمنى لكم من صميم القلب التوفيق والسعادة والرفاهية ، واهنئكم تهنئة خالصة بمناسبة تدشين المسجد الجامع المبارك ، الذى جعله الله تعالى مقـــرا للاشعاع الروحى والقلبى ومقاما للتقوى والهدى والرشاد والعمل الصالح ، وجمع كلمة المسلمين . ومازالت المساجد الى يومنا هذا ، محتفظة بمظهر من مظاهر العلم فى تدريس علوم القرآن والحديث ، يجتمع فيها القـراء فيتبادلون فيها قراءته وتجويده والاستماع اليه . واهل الحديث يحدثون العلماء والمسلمين من الكتب الصحاح الستة وموطاء الامام مالك وغيرها . وكما اهنىء من صميم القلب جميع المهندسين والقائمين عليها من العلماء الافاضل والمسئولين فى الدولة التشادية الذين بذلوا قصارى جهودهـم فى بناء هذا المسجد المبارك ، لكى يدخل فى حيز العمل فـــى موعده المقرر ، كما اشكر المسئولين فى رابطة العالم الاسلامى ، الذين لـــم يألوا جهودهم المبروكة فى تقديم كافة المعونات اللازمة فى تشييد هـذا المسجد المبارك ، ولم يبخلوا بالمال والمادة فـــى انشائه وعلى رأسهم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز (حفظه الله) فجزاهم الله تعالى احسن الجزاء عنا وعن المسلمين فى العالم .

ان ذكر المسجد كموضع للعبادات جاء فى القرآن الكريم ، فـــى

اماكن شتى حيث نوه الله سبحانه وتعالى بموقفه ومرتبته العالية فقال سبحانه وتعالى : «**وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**» ، «**سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**» . وكما أشـــاد بعمارة المسجد فقال عز شأنه : «**انمـــا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا اللـــه فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين**» (صدق الله العلى العظيم) . وان هتين الآيتيـــن الكريمتين لتشير بكل وضوح الى ان المسجد هو أقدس مكان عند الله ، وانه موضع سجود كل مسلم وهو محور الحياة الاسلامية ، وان الخضوع لله عز شأنه هو اساس الدين الاسلامى الحنيف ، ولذلك يعتبر الاسلام المساجد مراكز للاشعاع الروحى لهم ، وان صلاة الجماعة هى اســـاس لجمع كلمتهم ، وجمع شملهم ، وتوحيد آرائهم ، والتوفيق بينهم ، كما ان المسيحيين فى حاجة الى الكنائس فى كافة شئونهم وفى جميع عصورهم . فان وحدة الصفوف والتوفيق بين المسلمين هو الهدف الاساسى فى انشاء المساجد فكل مسجد ينبغى ان ينشأ لهذا الهدف السامى ، وكم يحتاج المسلمون والمسيحيون فى عصرنا الحاضر الى وحدة الصف وكم قـوى شيطانية تفرق شملهم وتوسع الشقة بينهم رغما عما دعاه الله تعالى اليه فى كتابه المبين» «**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات**» وقوله تعالى «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**» وفى ثورة تشاد ، ١٣ نيسان – ابريل ، سنة الف وتسع مائة وخمس وسبعين ، كرس المواطنون – المسلمون والمسيحيون – على حدسواء جهودهم فى الدفاع عن الوطن والشعب وعن الديمقراطية والاخوة والتضامن بعضهم مع بعض ، كذلك يتعاونون جنبا الى جنب فى محاربة الشيطان واستغـــلال الانسان لاخيه الانسان وفـــى محاربة القبلية والعنصرية – ان وحـــدة الاهداف بين الشعب التشادى والثورة ، تولد بينهما تضامنا وثيقـــا ، وهذا التضامن بين الشعب فى الوقت نفسه بمثابة سلاح قوى ، بـــل انتصار باهر لهم فى كفاحهم ضد الامبريالية وعملائها ، وضد جميع قوى الشر والبغى والطغيان . ولأجل تحقيق هذا الهدف السامى الذى اراده الله تعالى . نتمنى لجميع القائمين بامور هذه المساجد المباركة ، ان يكون الائمة أقوياء فى ارشاد المسلمين للعمل الصالح والكفاح عن الوطن ، ولان من طبيعة البشر ان لا يخضعوا الا للقوى شأنا وعلما وتقوى وزهدا فى الدنيا وصبرا ومعاملة مع الجميع ! ومن حق الداعى ان يكون ملمـــا

بالاحكام الدينية والدنياوية كما قال الله تعالى «**ولا تنس نصيبك من الدنيا**» مطلعا على الكتاب والسنة واحكام الشريعة الغراء التى فيها لكل داء دواء ، ولكل علة شفاء ، ولكل ضال هدى ، ولكل هالك نجاة . واننا نحن العلماء المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، جعلنا هذه المبادىء السامية اسسا فى ادارة شئون مساجدنا ، وتدبير امور المسلمين فى كافة بقاع الدولة . والاسلام والمساجد بهذا المعنى صالحان لكل زمان ومكان . ولعل احسن دليل على ذلك وجود مئات المساجد فى مختلف مدن الاتحاد السوفيتى ابتداء من الاماكن اللافحة بقيظ الصيف فى الجنوب ، الى الاماكن الشديدة البرودة فى اقصى الشمال ، الذى يعتبر من اقصى ما وصل اليه الاسلام من المناطق الشمالية فى الاتحاد السوفيتى المترامى الاطراف ، ومن الشرق من عند حدود اليابان الى حدود فنلاندا . ويعيش المسلمون فى هذه الاماكن ويعبدون الله العلى القدير كما امرهم به فى كتابه العزيز ، وهم يتمتعون بكافة الحقوق الطبيعية كأى فرد من افراد المجتمع السوفيتى وحياتهم مليئة بالتوفيق والنجاح ، فى كافة مجالات الحياة لاخلاصهم لله والعيش بالعمل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف**» وقال حكيم : «ليس البطال من لا يعمل انما البطال من له قدرة على ان يعمل احسن ولكن لا يفعل» . وهذا يدل فى اعتقادى ان عمارة المساجد وقوتها تكمن فى قوة المسلمين انفسهم فى الاعمال الصالحة وتوحيد كلمتهم وصفوفهم . ويدل على ما ذكرناه حديث النبى عليه السلام «**اطيب الكسب عمل الرجل بيده ، فان داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**» .

يسرنى بهذه المناسبة الكريمة ان اقدم لكم بعض الاخبار عن حياة اخوتكم المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ومساجدهم التى تقع فى كل مدينة وقرية كبيرة ، ولكن تختلف سعة المساجد من مدينة الى مدينة ، ففى مدينة طشقند تقع ١٢ مسجدا جامعا ومئات من المساجد الصغيرة التابعة لمحلة الاهالى ، واما الجوامع فانها تابعة للادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان التى تعتبر احدى الادارات الاسلامية الاربع فى الاتحاد السوفيتى .والمساجد الواقعة فى مدن روسيا الفيدرالية تابعة للادارة الدينية لمسلمى سيبريا والقسم الاوروبى ، والمساجد الواقعة فى شمال القفقاس تابعة للادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس ، والمساجد فى جنوب القفقاس تابعة للادارة الدينية لمسلمى القفقاس . وان الائمة والخطباء تنصب من قبل هذه الادارات الاربعة .

اعيد فى السنوات الاخيرة ، بناء عشرات المساجد والجوامع كما تمت توسعتها نظرا لازدياد عدد المسلمين سنة بعد اخرى ، واهتمت الادارات الدينية بأمور ارشاد هؤلاء المسلمين وفقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة السنية ، وذلك بفضل القوانين السوفيتية التى قدمت للمتدينين كافة الحقوق فى اقامة شعائرهم الدينية ، وأخصها بالذكر على سبيل المثال عددا منها ، فقد تمت توسعة عدة مساجد وجوامع فى طشقند ، عاصمة الجمهورية الاوزبكية منها جامع «طلا شيخ» حيث أضيف اليه فى العام المنصرم بمقدار ضعفين ، وهذا على حساب الادارة الدينية والاهالى الذين تسارعوا وتبادروا فى تمويل عمارة هذا المسجد بحيث صار الآن من اكبر مساجد طشقند ، كما تمت توسعة مسجد «يكه سراى» فى المدينة نفسها ، وصار يسع لعدة آلاف من المصلين ، ونفس الحركة التعميرية والتوسيعية تجرى الآن فى عدة مواضع فى قرى مختلفة ، منها قرية «توى تيفه» وقرية «آق قورغان» التى زارها وصلى فيها بعض الوفود المدعوة الى مؤتمر جميع الاديان بموسكو ، وتم بناء مساجد من جديد فى «خواص» «وجيزخ» ، وأخذ يسع كل منها آلاف المصلين كما خصص فى بعض المساجد اماكن للنساء اللاتى لهن مزيد من الاخلاص للمساجد ، وبذلن مالهن لاجلها – ويزداد باستمرار عدد المصلين ببركة تحسين اسلوب الوعظ والارشاد . وبذلك تحولت المساجد بدلا من مستهلكى المال الى مواضع لاقبال المسلمين والمسلمات الذين يبدون الاحترام والحب تجاه الائمة والخطباء . والجدير بالذكر ايضا اننا نجحنا فى جعل عقد النكاح فى المساجد وذلك عملا بالحديث النبوى الشريف : «**اعلنوا النكاح بالدفوف واجعلوه فى المساجد**» . كما جعلنا صلوات الجنائز كلها تقريبا فى المساجد .

ايها الاخوة ، الى جانب حركة عمارة المساجد القديمة اتسعت الآن كذلك حركة انشاء مساجد جدد وتدشينها . ففى العام الماضى فقط ، انشئت عدة مساجد جديدة فى شمال القفقاس حيث افتتحت مساجد فى جمهورية شيشين وجمهورية قراتشاى ، كما افتتحت فى عدة مدن روسيا كغوركى وساراتوف وأومسك وكراسنويارسك وروستوف ونوفوسبرسك كغوركى وساراتوف وأومسك وكراسنويارسك وروستوف ونوفوسبرسك ، واما المسجد الذى تم بناؤه فى غوركى فى العام الماضى ، فان مبناه عبارة عن طابقين ، ويسع عدة آلاف من المصلين ، والجدير بالافتخار ان هذه المدينة تقع بجنوب شرقى موسكو واشتهرت

بانتاج السيارات الضخمة ، والصناعات الثقيلة وكثير من المسلمين يقطنون هذه الاماكن منذ عدة عصور . وفى العهد السوفيتى تحسنت اوضاعهم الدينية والمالية ، واما مدينة سراتوف فهى تقع على ضفاف نهر فولغا ، والمسجد الذى انشىء فيها حديثا يتكون من ثلاثة طوابق ويسع كذلك لعدة آلاف من المصلين ، وعينت الادارة الدينية لمسلمى سيبريا والقسم الاوروبى من الاتحاد السوفيتى ائمة وخطباء من اصحاب الكفاءة العالية ، فى نشر الوعى الاسلامى فى تلك المناطق . وتخرج معظمهم من المدرسة الدينية فى بخارى ، والمدرسة العالية فى طشقند ، الحاملة اسم امام المحدثين ابى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ، ونحن الآن فى صدد افتتاح وتدشين عدة مساجد جدد فى بلاد بشكيريا والقفقاس وجمهوريات آسيا الوسطى وقازاخستان نظرا لارتباط حياة المسلمين بها سواء كان فى مجال العبادات او فى مجال اقامة مراسيمهم وشعائرهم الدينية من عقد النكاح واقامة الجنائز والوعظ والارشاد والفتاوى والمسائل الدينية . وعلى ذلك فان مهمة المساجد فى بلاد الاتحاد السوفيتى صارت اوسع مما هى فى البلدان الكثيرة الاخرى ، فهى ملاذ المسلمين فى حل مشاكل الارث ، ومسائل الطلاق ، والمسائل الفقهية المختلفة الجوانب .

ايها الاخوة !

هذه نبذة يسيرة من اوضاع اخوتكم المسلمين فى بلاد الاتحاد السوفيتى ، وندعو الله القدير ، ان يجعل مسجدكم المبارك هذا موضع الاشعاع الروحى والتقوى ، وان يثبت اقدامكم ويجعلكم عزا وذخرا للامة الاسلامية جمعاء ، وان يزيدكم اخوة ومودة مع اخوتكم المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، فان الانسان كثير باخيه والله ولى التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحديث الصحفى
الذى ادلى به المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» ونشر فى عددها الاول

فى يناير ١٩٨٠

القرن الخامس عشر الهجرى هو قرن السلام والصداقة بين الشعوب

فى هذا العام الذى يحتفل به العالم الاسلامى بحلول القرن الخامس عشر الهجرى (فى نوفمبر ١٩٧٩) وكل المؤمنين بالاسلام ، وبخاصة اناس العمل ، يفكرون بعمق ، كيف سيكون هذا القرن ؟ هل يحمل السلام والسعادة والتقدم للبشرية ام سيتعرض الى محنة حربية واجتياح ؟

ولمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى ، توجهت هيئة تحرير المجلة الى رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان برجاء ان يعرب عن آرائه حول مختلف جوانب هذا الموضوع . واليكم اجوبته .

– ما هى العلاقة – حسب رأيكم بين المسلمات الاسلامية وافكار السلام والاخوة الانسانية ؟ وكيف تودون رؤية العالم فى القرن الهجرى الجديد ؟

– ان الاطلاع السطحى على المبادىء الاساسية الاجتماعية والاخلاقية للاسلام ومقارنتها بمثل الانسانية والسلام والاخوة ، وبافكار الاشتراكية العلمية ، يقنعنا بوجود نقاط تماس فيما بينها .

فقبل ان تتحقق ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، كان علماء الدين فى بلادنا يرون عناصر تشابه بين المبادىء الاجتماعية للاسلام والاشتراكية . فقد كتبت جريدة «وقت» الاسلامية سنة ١٩٠٦ تقول : «اننا نحن المسلمين اذ نتمسك بايماننا ، نعرف جيدا ان المساواة

والاخوة والشرف والرأفة ، هـــى من اسس الاسلام ، وموجودة فـــى الاشتراكية . . .» وعبر عن ذات الافكار المندوبون الى المؤتمر الثالث لـ«اتفاق المسلمين» الذى عقد سنة ١٩٠٦ فى مدينة نيجنى نوفغورود .

يدعو القرآن والاحاديث النبوية الى العمل بضمير نقى ، والى احترام الانسان الكادح . فقد جاء فى الحديث النبـــوى : «**خير الناس من ينفع الناس**» .

ان المسلمين السوفيت اذ يتبعون تعاليم القرآن والسنة ، فانهم يسعون الى الادلاء بقسطهم من اجل ازدهار الوطن ، فبعملهم ذى الانتاجية العالية ، يساعدون على زيادة رفاهية الشعب كله . ففى بلادنا يشعر كل انسان – بغض النظر عن لـــون بشرته وقوميته ومعتقداته واصلـــه الاجتماعى – انه جزء لا يتجزأ من المجتمع ، وهو انسان حر ومتســـاو بالحقوق ، ويصب عمله فى جهود الشعب العامة ، بغية اقامة الرفاه العام والحياة السعيدة لجميع افراد المجتمع . ان كل عمل فى الاتحاد السوفيتى محترم ومشرف ، اما الطفيلية فهى محتقرة بكافة مظاهرها . وقد ضمـن مجتمعنا لكل قادر على العمل ، حق العمل المدفوع الاجر فعلا ، ويدفـع راتب التقاعد لغير القادرين على العمل . ويرفض ويحرم القانون ان يعيش الانسان على حساب غيره . كل ذلك يخلق جوا من الصداقة والاخـــوة والتعاون والمساعدة المتبادلة والرغبة بالعمل بشكل افضل .

ومما هو مهم جدا لجماهيرنا ، ان يستتب السلم فى العالم . يدعو المسلمون السوفيت مسلمى العالم كافة لتعزيز النضال من اجل جعـــل القرن الخامس عشر الهجرى ، قرن السلام والتفاهم والصداقة بيـــن الشعوب .

– ما هو الدور الذى يلعبه المسلمون السوفيت فى النضال مـن اجل السلام ، وتقوية التفاهم والصداقة بين الشعوب ، وايـــن تكمن ، حسب رأيكم ، الاهداف المستقبلية ومهام هذا النضال ؟

– يعلمنا ديننا الحنيف ان الانسان هو جزء من المجتمع ، ولا يجب عليه ان يكون اصم ازاء معاناة الآخرين . ان المسلم الحقيقى هو الذى يقف بحزم ضد العدوان الامبريـــالى ويشجب جميع مظاهره ويساعـــد ضحاياه . وهذا احد اشكال النضال من اجل السلام . ان المسلميـــن السوفيت كانوا دائما وسيبقون فى صفوف المناضلين من اجل السلام وتمتين التفاهم وصداقة الشعوب ، وهـــم يقفون بحزم ضد الدسائس العدوانية للامبريالية .

ان خطر الحرب العالمية الجديدة ، هو اعقد مشكلات العصر واكثرها شؤما وخطرا ، يواجه البشرية . فمن شأن النزاع العالمى اذا حدث فى الظروف المعاصرة ، ان يسفر عن هلاك مئات الملايين من الناس ، ويحول الوف المدن والقرى الى اطلال ورماد ، ويقضى على ثروات روحية ومادية لا تقدر بثمن ، كدستها عشرات الاجيال . ومن الطبيعى ان المسلم الحقيقى يدعم تلك القوة التى تناضل من اجل تقدم البشرية ، وتحسين التفاهم بين الشعوب ، وانبعاث العلاقات الاجتماعية على اسس السلم والصداقة والعدالة الاجتماعية . ان التناقضات الدينية والايديولوجية ، لا يجب ان تسفر عن حـــرب ، فعلى الناس الذين يعتنقـــون مختلف الاديـــان والايديولوجيات ان يعيشوا فى سلم ووفاق .

يدرك المسلمون السوفيت بعمق ، ان الوضع الدولى الـــراهن ، يتطلب بالحاح تنشيط كل القوى المحبة للسلام والتعاون الفعال بيـن المسلمين واصحاب الاديان الاخرى ، بين جميع ذوى الارادة الخيرة ، فى النضال من اجل وقف سباق التسلح وتعميق الانفراج ، وضد المساعى العدوانية للاوساط الامبريالية واعوانهم .

واذ يدرك ائمـة المسلمين السوفيت التزاماتهم ازاء الاســـلام ، يشاركون بنشاط فى النضال من اجل السلام والصداقة بين الشعـوب والتقدم الاجتماعى . ففى الاعوام الاخيرة فقط نظمت المنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى اربعة لقاءات دولية كبرى ، وكان موضوع حماية السلام وتقوية الصداقة بين الشعوب واحدا من اهم المواضيع فيهـا ، وقد شارك فيها – بالاضافة الى رجال الدين السوفيت – شخصيـــات اسلامية لاكثر من اربعين بلدا . ونذكر من بين هذه اللقاءات نـــدوة دوشانبه فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ حيث شارك فيها مسلمون من خمسـة وعشرين بلدا . وسيناقش المؤتمر الاسلامى الثامن الذى سيعقد فـى سبتمبر سنة ١٩٨٠ فى طشقند مسائل مواصلة النضال لتأكيد مثـــل السلام والاخوة .

ويشارك المسلمون السوفيت بنشاط فى المنظمات الـــدولية ، ويشاركون ايضا فى حركة السلام العالمية ، تعلمنا الخبرة التاريخية ، ان الشخصيات الدينية التى تأتمر بالقرآن وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تدافع بالضرورة عن مثل السلام والصداقة ، وتساعد بشتـى السبل الشعوب فى بلوغ تقدمها وازدهارها ، من اجل ان يعيش الناس بسلام وبحبوحة وحياة سعيدة ، قائمة على مبادىء الخير والعدالة . ولغرض

تحقيق هذه الاهداف النيرة والرفيعة ، يجب النضال بلا كلل ، ضد اولئك الذين يزرعون العداء والحقد بين الناس .

اننا نعتبر ان احدى المهمات الرئيسية من اجل السلام هى توحيد جهود جميع ذوى الارادة الخيرة ، بغض النظر عن موقفهم من الـــدين ، ومضاعفة قسط رجال الدين فى هذه القضية النبيلة . ويحق لنا ان ننظر الى المستقبل بأمل كبير . ويؤيد مسلمو مختلف البلدان بحزم ، اكثـر المبادرات النبيلة ، التى تتقدم بها الدول التقدمية والمنظمات الدوليـة والاجتماعية ، لترسيخ السلام والامن الدوليين ، واقامة علاقات اقتصادية دولية جديدة . ويزداد الاقتناع فى صفوف المؤمنين بفائـدة وضرورة التعاون المتنوع بين الناس ذوى الارادة الخيرة ، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية والدينية ، وكل قوى السلم فى النضال من اجل السلم ، والتقدم الاجتماعى ، وضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية . ومما لا شك فيه ان قسط المسلمين فى تعزيز المجتمع الدولى لتطوير الانفراج وتنقية الوضع الدولى سينمو باطراد .

– ما هو دور المسلمين فى تأكيد المثل المناوئة للامبريالية ، ودعم القيم الوطنية والقومية فى حركات التحرر الوطنى لشعوب القارتين الآسيوية والافريقية ؟

– ان المسلمين يستطيعون ، ويجب عليهم ان يلعبوا دورا بارزا فى تأكيد القيم الوطنية والقومية ومعاداة الامبريالية . ويدعو الاسلام الى علاقات عادلة بين الشعوب ، ويرفض كل محاولات اضطهاد واستغـــلال شعب للشعوب الاخرى ، من هنا تنبع وتتعزز مساعى المسلميـــن الى النضال ضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية ، ومن اجل حق الشعوب فى التصرف بمقدراتها .

يدرك المسلمون اكثر ، بضرورة الاعمال المشتركة لجميـع ذوى الارادة الخيرة فى مواجهة الاجتياح اللاأخلاقى وثقافة الغرب الاستعمارى المنحطة . اننا نقف بحزم من اجل حماية وتطوير الثقافات الوطنية والقيم الاخلاقية لشعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

ثمة افكار تزعم ان المسلم الذى عاش قبل خمسة قرون ، وفـى القرن الماضى ، والمسلم الحالى لا يختلفون عن بعضهم البعض . ان هذا غير صحيح . لقد تغير المسلم كثيرا وهذا التغير نحو الاحسن ، لقد وسع الوقت دائرة معارف المسلم واغناها . فقد اكتسب خبرة ومعارف الاجيال السابقة ، ودرس الخبرة المفيدة الاخرى للشعوب . ان المسلـم الحالى

يتمسك اكثر بتعاليم القرآن حول ضرورة الاختلاط الواسع مع ممثلي مختلف القوميات والاديان ، وبذلك يساعد على مواصلة تقوية العلاقات وتوسيع التعاون باسم السلام ورفاهية الشعوب ، باسم تأكيد المثل المناهضة للامبريالية .

يرى المسلم السوفيتي واجبه الوطني ازاء الوطن ، وواجب التضامن مع حركات التحرر الوطني لشعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، قبل كل شيء في تمتين الجبروت الاقتصادي والعلمي والثقافي لوطننا ونمو سمعته .

ان المسلمين السوفيت لا يعزلون انفسهم عن سياسة السلم وحسن الجوار ، التي تتبعها بلادنا ، ولا عن مساندة الشعوب المناضلة من اجل التحرر الوطني ، ولا عن تقديم المساعدة للبلدان النامية في بناء اقتصادها الوطني المستقبل ، ولا عن الاعمال الاخرى ومبادرات الدولة السوفيتية . ان كثيرا من المثل التي تتماشى مع الاسلام ، وآمال ملايين المؤمنين ، تجد اعترافا ودعما من قبل العالم الاسلامي .

والواقع يقنعنا ان الوحدة الوثيقة لجميع القوى المحبة للسلام ، هي وحدها التي تساعد على النضال الظافر ضد الامبريالية والرجعية ، وبلوغ تحقيق القيم الوطنية والقومية . .

– بمناسبة اتساع الدعاية الامبريالية وغيرها حول ما يسمى بـ«اضطهاد المؤمنين في الاتحاد السوفيتي ، هلا حدثتمونا عن واقع المسلمين في الاتحاد السوفيتي ومكانهم في المجتمع ودورهم في العمل البناء ؟

– يعلمنا الاسلام ان تشويه احوال شعب امام الشعوب الاخرى هو خروج على الدين . وتصدر في الغرب الامبريالي وبخاصة في الاعوام الاخيرة وعلى نطاق واسع مختلف الكراسات والكتب وتنشر المقالات وتبث الاذاعات ، وتهدف كلها الى تشويه الاسلام واوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي . ويرمي هذا النشر ، الافتراء على الناس وزرع بذور عدم الثقة بشعبنا . ومن المؤسف ان بعض المنشورات الاسلامية تنشر معلومات غير موضوعية واحيانا معادية لحياتنا .

ان الواقع السوفيتي يدحض الافكار الشريرة ضدنا . اذ ان دستور الاتحاد السوفيتي ، ودساتير الجمهوريات الاتحادية تضمن حرية اقامة الشعائر الدينية ، وتكفل حق كل انسان في اقامة شعائره الدينية .

ان المسلمين السوفيت واصحاب الاديان الاخرى في الاتحاد

السوفيتى يتمتعون ، بلا اية عوائق ، بحقوقهم الدستورية . فقد اسس المسلمون السوفيت بانفسهم اداراتهم الدينية الاربع ، ومنهـــا الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، التى يشرفنى ان اقودها زهاء عقدين من الزمن .

تشرف ادارتنا الدينية على اكثر من مائتى مسجد جامع ، ومائـــة مسجد صغير ، وكلها تعمل فى آسيا الوسطى وقازاخستان ، كمـــا ان مدرسة «مير عرب» فى بخارى والمعهد الاسلامى العالى فى طشقنـــد ، يعدان الكوادر الدينية . ولغرض اعداد الكوادر ذات التأهيل العـــالى ، نستفيد من امكانيات الجامعات الاسلامية فى سوريا والمغرب وليبيـــا والاردن ومصر .

ولدى الادارة الدينية مكتبة اسلامية ضخمة . وتصدر الادارة مجلة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» والتقويم القمرى ونعيد طبع القـرآن الكريم بين فترة واخرى ، واحاديث الرسول ، وغير ذلك مـــن الكتب الاسلامية ، والتى تنشر بلا اية عوائق بين المسلمين .

ويؤم فريق من المسلمين سنويا مكة والمدينة لتأدية فريضـــة الحج .

تقيم الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان علاقـات واسعة مع الاشقاء المسلمين فى اكثر من سبعين بلدا ، وبناء على دعوتنا تزور الاتحاد السوفيتى كل عام عشرات الوفود الاسلامية مـــن مختلف الدول ، وذلك للتعرف عن كثب بحياة المسلمين ونشاط المنظمـــات الدينية . ويشترك رجال الديـــن السوفيت فى العديد من المؤتمـــرات الاسلامية الدولية والندوات . ويتمتع المسلمون فى نشاطهم الاجتماعى والعملى ، وكذلك فى قضايا التعليم والثقافة ، بحقوق متساوية تماما مع سائر مواطنى الاتحاد السوفيتى . وهم يعملون بضمير نقى لخير وطنهم ، ويسهمون بقسطهم اللائق فى قضية التطور الاقتصادى والثقافى للبلاد ، وان عشرات الالوف منهم قد حازوا على اوسمة حكومية .

واود فى آخر الحديث ، ان اعبر عن الامل بان يكون القرن الخامس عشر الهجرى ، قرن السلام والصداقة بين الشعوب ، قرن الازدهـــار والتقدم الاجتماعى .

كلمـــــــة
القاها سماحة المفتى ضياء الدين حان بن ايشان باباخان فى اثناء افتتاح مؤتمر مسلمى الاتحاد السوفيتى فى مدينة طشقند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الديـــن إياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

والصلاة والسلام على رسوله الذى قام بهجرة تاريخية عظيمة مـن مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، راسيا بذلك صرح الامم الاسلامية وعلى آله واصحابه ، الذين هاجروا معه والذين آووا ونصروا فى سبيل قضية المسلمين السديدة والشهداء والصالحين .

ايها الاخوة فى الدين المحترمون !

ايها الضيوف الاجانب الكرام !

ايها الاصدقاء الاعزاء !

فى هذه الايام العظيمة المجيدة ، حيث يقف العالم الاسلامى باسره على عتبة القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ، وقـــد استجاب مسلمو الاتحاد السوفيتى بحرارة لدعوة رابطة العالم الاسلامى الى الاحتفال بهذه المناسبة التاريخية احتفالا لائقا ، بل وهم يحتفلون فعلا بها فى جـــو مهيب ، يسرنى كل السرور ان اؤدى رسالة مشرفة للغاية . اننى من على هذا المنبر السامى باسم مسلمى بلادنا وباسم علماء الدين الاسلامـــى الحنيف وباسمى شخصيا ، ارحب من صميم قلبى بجميع الحاضرين هنا ، واهنئكم بالمناسبة العظيمة ، الا وهى مضى ١٤ قرنا من يوم وطئت قدم نبينا عليه الصلاة والسلام ارض المدينة المنورة .

عند تحليل تاريخ السبيل الذى قطـع اثناء ١٤ قرنا ، بوسعنا ان نشير الى ان الاسلام ، يرمز الى حضارة وخبرة وحكمة شاملـة للشعوب

الاسلامية . وشهد هذا السبيل الافراح والاتراح . ونحن ممثلي علماء الدين الاسلامي الحنيف ، ينبغي علينا السعي لتغادى ارتكاب الاخطاء التي اقترفت سابقا ، حيث كان البعض يسيئون استعمال تعاليم الاسلام ، ويفسرونه لاجل مصالحهم المغرضة .

ويجب ان نفسر الموضوعات الحكيمة لتعاليمنا الكريمة حول اهم جوانب حياة الانسان ، تفسيرا عميقا ، بل ونفسر كل موضوعة من هذه الموضوعات على حدة ، لكي نطبقها بوجه صحيح في الحياة الاجتماعية والحياة الخاصة .

لقد اجتمعنا هنا اليوم ، لمناقشة اكثر قضايا العلاقات الدولية حيوية ، الا وهي قضية صيانة السلام والطمأنينة في كوكبنا الارضي ومساهمة المسلمين في هذه القضية . اننا نعرف تمام المعرفة ان التعاليم الاسلامية تشجب بحزم اراقة دماء الابرياء . ويكتسب موقف الاسلام هذا ، اهمية خاصة ، ويحمل معنى خاصا في المرحلة الراهنة من تطور تاريخ البشرية ، حيث بلغ تطور العلم والتكنيك ابعادا لا مثيل لها ، وحيث تحاول الدوائر الامبريالية في الولايات المتحدة الامريكية وفي غيرها من البلدان الغربية ، استعمال منجزاتهما على نحو يضر بشعوب العالم ، وبهدف التدمير والابادة .

وليس من قبيل الصدف ان نختار قضية السلام موضوعا لندوتنا الواسعة النطاق . كما ان شعارها «القرن الخامس عشر الهجري يجب ان يصبح قرن السلام والصداقة بين الشعوب» ليس من باب الصدفة هو الآخر ، لان الله سبحانه وتعالى اذ انزل رسالة الاسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قد قدر كل ما كان موجودا آنذاك ، وكل ما سوف يستجد في القرون اللاحقة . وفي ذلك بالذات تكمن شمولية الدين الاسلامي الحنيف ، وواقع انه صالح لكل زمان ولاي كيان للمجتمع الانساني . ونحن رجال الدين نضطلع برسالة عظيمة ، اي اظهار انسانية وتقدمية تعاليم الاسلام امام العالم كله .

ويجب علينا نحن رجال الدين الاسلامي الحنيف ، الا ننشغل بانفسنا ، بل يجب كذلك ان نضع في الحسبان الاجيال المقبلة ، اطفالنا . ويجب ان نبذل كل ما في وسعنا لكي يعيش اخلافنا في كنف السلم والصداقة ، والا يخبروا اهوال الحرب النووية الحرارية المدمرة . قال نبينا صلى الله عليه وسلم : «ان الوالدين هما اولياء امور اولادهما ويحملان المسئولية عنهم امام الله تعالى» . ولذلك يجب ان تغرس في

نفوس الاطفال مشاعر الحب والاحترام حيال السلام والصداقة وتربيتهم تربية صالحة ليتمتعوا بثمار اسلافهم .

ونجد معلومات ضافية وافية حول جميع هذه القضايا فى سيرة حياة نبينا صلى الله عليه وسلم وابان حكم خلفائه الراشدين الاربعة لان الله سبحانه وتعالى قال : فى القرآن الكريم : «لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» (سورة الاحزاب –٢١) .

وليس ثمة ادنى شك فى اننا جميعا نسعى باخلاص الى السلم والطمأنينة فى العالم ، ويجب ان نتداول اليوم حول كيفية بلوغ هذا الهدف باحسن وجه ، وحول كيفية جعل قسطنا فى هذه القضية النبيلة ، اكثر وزنا وموضوعية وتحديدا .

نحن ندعو الله سبحانه وتعالى ، ونستعينه ان يهدينا الصراط المستقيم ، لكى يصبح مؤتمرنا قسطا كبيرا آخر يساهم به مسلمو الاتحاد السوفيتى ، وكذلك اصدقاؤنا واخوتنا فى الدين الاسلامى الحنيف ، من سائر بلدان العالم ، فى قضية السلام وتوطيد الصداقة بين الشعوب فى العالم اجمع .

اننى أعلن افتتاح المؤتمر الاسلامى حول موضوع : «القرن الخامس عشر الهجرى يجب ان يصبح قرن السلام والصداقة بين الشعوب» (الحضور يكبرون : «الله اكبر .» «الله اكبر .») آمين .

تقريـــــر
سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان «القرن الخامس عشر الهجرى هو قرن السلام والصداقة بين الشعوب»

مدينة طشقند ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالميـــن والصلاة والسلام على خاتـــم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين .

«يا ايهـــا النبى انـــا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيـــا الى الله باذنه وسراجا منيرا» (سورة الاحزاب -٤٥ و٤٦) .

«. . . ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقـون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، والذين يتبعـــون الرسول النبى الامى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهـــم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهـــم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعـــوا النور الذى انزل معه ، اولائك هـــم المفلحون . قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميـــت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكـــم تهتدون» (سورة الاعراف -١٥٦-١٥٨) .

ايها المشتركون فى المؤتمر الموقرون !

ايها الضيوف الكرام المبجلون من مختلـــف انحاء العالم العربى والاسلامى !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

ايها الاخوة المحترمون !

لئن حفلت الشعوب بتخليد المناسبات الطيبـــة ، وعنيت الامم

بالذكريات الخالدة ، والتى هى مشرق سعادتها واساس عزتها – فانه لجدير بالمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ان يحتفلوا بمهابة بحلول القرن الخامس عشر لهجرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم .

لقد منّ الله تعالى علينا بالنعمة العظمى ان شرفنا باجراء هذه الاحتفالات الكريمة التى يحضرها علماء الدين الاسلامى الافاضل فى بلادنا العظيمة ومن سائر بلدان العالم الاسلامى للمشاركة فى اعمال هذا المؤتمر الموقر .

فى هذه الايام المباركة يحتفل المسلمون فى الاتحاد السوفيتى بالعام الهجرى الجديد مع اخوتهم فى الدين مودعين اربعة عشر قرنا مضت من هجرة سيدنا محمد بن عبد الله القرشى الهاشمى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ويضعون خطاهم بمشيئة الله تعالى فى القرن الخامس عشر للهجرة .

انه لمن دواعى السرور والغبطة ان اهنئكم جميعا باسم المسلمين كافة فى بلادنا ، وباسمى شخصيا بهذه الذكرى العظمى التى فيها من العظمة والعبرة والاسوة ما لا يكاد يدخل تحت حصر الانسان ، والتى ترمز الى فترة كبيرة جدا من تطور حضارة كاملة ، والى خبرة وحكمة اجيال من المسلمين .

ايها الاخوان الاعزاء !

من المعروف ان التوراة التى انزلها سبحانه الى النبى موسى تضمنت ، الى جانب القواعد الشرعية التى اتفقت وحاجات ومتطلبات الناس فى ذلك الزمن ، اسماء عديد من الانبياء الذين تبعوا النبى موسى . مثلا ، انبأ فيها الله تعالى عن نبينا محمد فقال : «وسوف اقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شىء آمره به ، ومن لم يطع كلامه ، الذى يتكلم به باسمى فانا الذى انتقم منه ، فاما النبى الذى يجترئ على بالكبرياء ويتكلم باسمى بما لم آمره به او باسم آلهة اخرى فليقتل . واذا احببت ان تميز بين النبى الصادق والكاذب فهذه علامتك : ان ما قال النبى باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشه» .

وكتب القاضى عياض فى كتابه «الشفاء» ان عطاء بن ياسر سأل فى يوم من الايام عبد الله بن عمرو بن العاص ، (كلاهما من انصار النبى محمد) عن صفات رسول الله عليه السلام فقال : «اجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا ايها النبى انا ارسلناك

شاهدا ومبشرا ونذيرا . . .» : «وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الاسواق ، ولا الذى يرد على السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا» .

ويروى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى بعض احاديثه عن صفاته التى ذكرتها التوراة . فكان يقول : «اسدده لكل جميل ، واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والاسلام ملته ، واحمد اسمه ، اهدى به بعد الضلالة ، واعلم به بعد الجهالة ، وارفع به بعد الخمالة ، واسمى به بعد النكرة ، واكثر به بعد القلة ، واغنى به بعد العيلة ، واجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، والهواء مشتكة واوهام متفرقة ، واجعل امته خير امة اخرجت للناس» .

وفى الانجيل بشر النبى عيسى (عليه السلام) قومه ايضا بظهور النبى فرقليت (الذى هو قريب من محمد او احمد حسب مكانته) . ويدل على ذلك ما قاله الله تعالى فى القرآن الكريم : «**اذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد**» (سورة الصف -٦) .

ووصف النبى عيسى صفات الفرقليت بحيث لا تتطابق الا مع صفات نبينا وقال ان الرسول سيدين العالم المحيط عن الضلال وسيعلمهم الحقيقة . وبهذه المناسبة قد جاء فى القرآن الكريم : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى» (سورة النجم -٣-٤) . اما انجيل برنابه (برنابه مؤلف واحدة من خمس مجموعات من الانجيل) فيذكر بوضوح اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان الرسول تقيا وقد تأدب على الاخلاق الانسانية الرفيعة . هذا ما تدل عليه حياته كلها وطفولته ويفاعته ورشده قبل خروجه ببعثته .

ويشهد المؤرخون والمحدثون فى مشارق الارض ومغاربها ان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم ، كان يتصف بصدقه واخلاصه وتعلقه بالعمل بالخير ، ونهيه عن المنكر ، بحيث ان الناس صاروا يسمونه «الامين» .

لقد كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة بداية الفتوح

والنجاحات والانتصارات ، واصبحت قاعدة متينة لتأسيس الدولة الاسلامية . ان الهجرة لم تكن خطوة عرضية خطاها رسول الله بدون هدف فى تلك اللحظات المدلهمة التى شعر فيها ، مثلا ، بان غير المؤمنين يحيكون مؤامرات ويدبرون هجمات عليه . ولم تكن تقصد تجنب الاذى المحتمل وانقاذ حياته عن طريق الهجرة الى المدينة .

اجل ، لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام بحكمته والموعظة الحسنة . ولكن خلال ثلاث عشرة سنة لم يؤمن به الا القليل منهم واما سادتهم واولى الامر منهم فتوغلوا باكثريتهم فى الكفر والتعنت وتبعهم سواد القبائل العربية وعامتها .

وهكذا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعارضوا لطافته بفظاظة ، وخيره بشر ، بل اخذوا يؤذونه ويعرضون اصحابه للتعذيب ويصدون عن سواء السبيل كل من يسعى اليه . حتى وصل الامر الى ان كثرة من المؤمنين اضطروا للهجرة الى الحبشة والطائف .

لقد كان عليه ان يختار بين طريقين ، اولهما هو ترك رسالته دون ان يتمها واتخاذ موقف استسلام ، غير ان انتهاج النبى صلى الله عليه وسلم هذا الطريق كان مستحيلا . وثانيهما هو اتخاذ موقف ثابت ومشرف لا مجال فيه للتنازلات والتساهلات ، وبذلك الوفاء لامانة الله سبحانه وتعالى .

فى ذلك الوقت لم يكن امام النبى صلى الله عليه وسلم مخرج غير الهجرة الى ذلك البلد ، الذى سبق له وتعارف مع كثير من اهله فى مواسم الحج ، وبعض مواسم الاسواق . وكان كثيرون منهم مسلمين وبايعوه على التمسك بدين الله ، وطلبوا منه ان يحل بينهم اخا كريما ، ورسولا امينا ، واقسموا بان يكونوا انصارا امناء مخلصين .

لقد خرج المؤمنون ولم يبق منهم الا المتخاذلون ومن حبسته حاجة . وبقى ايضا ابو بكر رضى الله عنه باشارة من النبى صلى الله عليه وسلم . وحاول القرشيون بكل ما عندهم من قوة وحيلة ، ان يمنعوا النبى من الالتحاق بالمؤمنين فى المدينة . وبعد ان اجتمع الشيوخ وقلبوا وجوه الرأى ، قرروا قتله ، وذلك بان ينتخبوا فتيانا اشداء من مختلف القبائل ، يرصدون له امام بيته ليلا فيضربونه بالسيوف ضربة رجل واحد وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقوى اهله ان يأخذوا ثأره . ولكن الله تعالى اغشى ابصار اولئك الفسقة الفجرة فى تلك الليلة فلم يره احد منهم . ولما عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

قد افلت من ايديهم بدأوا يقتفون الآثار . فلما بلغوا الغار الذى اختبأ فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، مع ابى بكر رضى الله عنه ، صرفهم الله عنه بما اكرم به رسوله من معجزات ، فوجدوا فى مدخل الغار حماما تبيض وعناكب تشابكت خيوطها حتى حلف احدهم ان هذه الخيوط لاقدم من ميلاد محمد .

وبعد الوصول الى المدينة ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكل ما بوسعه لكى يعزز العلاقات الاخوية بين المهاجرين والانصار .

وهكذا وحد النبى صلى الله عليه وسلم حوله وجند المؤمنين لليقظة والصمود فى مواجهة التجمعات والتحالفات الشريرة ، بين جميع قوى البغى ، التى تتمثل فى المنافقين والمشركين واليهود والضالين كافة .

وكان ذلك بمثابة تمهيد الطريق للدين الجديد الحنيف ، لكى يسود ولشريعة الله لكى تقود ، تلك الشريعة التى لا تقتصر على امة ما ، او على بلاد ما ، والتى تظل اهدافها قائمة مافتئت البشرية على وجه البسيطة .

وذلك لامرين : اولهما ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، لم يجئ بدعوة مخصوصة ، بامة من الامم بخلاف الرسل الذين سبقوه فانهم ارسلوا الى اهمهم فقط .

وجاء فى القرآن الكريم : «**انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم**» (سورة نوح –١) وقوله : «**والى عاد اخاهم هودا**» (سورة الاعراف –٦٥) وقوله : «**والى ثمود اخاهم صالحا**» (سورة الاعراف –٧٣) وقوله : «**ولقد ارسلنا موسى بايانتا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور**» (سورة ابراهيم –٥) وقوله : «**انى قد جئتكم بآية من ربكم**» (سورة آل عمران –٤٩) .

ويتضح من آيات القرآن الكريم الواردة ، ان كل هؤلاء الرسل انما ارسلوا الى اقوامهم ، ولم تكن دعوتهم عامة وان محمدا وحده صلى الله عليه وسلم ، ارسل عامة لجميع البشرية .

وقال تعالى : «**وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون**» (سورة سبا –٢٨) ثم قال سبحانه : «**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**» (سورة الفرقان – ١) . «**ان هو الا ذكر للعالمين**» (سورة التكوير –٢٧) .

ويدل كل ذلك مرة اخرى ، على ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل ، لا ليأكل القوى منهم الضعيف ، وليسخر الابيض منهم بالاسود ، لانه اسود والعكس بالعكس ، بل ليتعارفوا وليتعاونوا فى شئون دنياهم ، بغض النظر عن لون البشرة والسمات العرقية واللغوية للناس .

اما الموضوعة الثانية فتتلخص فى ان الشريعة الاسلامية لم تبق شيئا من ما يحتاج اليه البشر فى دنياهم وآخرتهم جميعا الا واحاطت به ووضعت له اساسا وقاعدة وهى تعالج جميع جوانب الحياة الانسانية .

ان هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت بداية لبناء مجتمع اسلامى ، يكمن هدفه الاساسى فى تطبيق هذه التعاليم السمحاء ، والقضاء على شريعة الغاب التى كانت سائدة قبل الاسلام .

فجاء الاسلام بالرحمة والامن والسلام والعدل لاتباعه ، فاقر ان لا فضل لاحد على احد كائنا من كان الا بالتقوى . – فقال تعالى : «**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**» (سورة الحجرات –١٣) .

لقد دعا الاسلام البشرية الى طاعة الله عز وجل وحده ، ونشر المحبة والالفة بينهم ونبذ الفرقة . قال تعالى : «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**» (سورة آل عمران – ١٠٣) .

ايها الاخوان الاعزاء !

بودى ان الفت انظاركم الى تلك الخطوات التى خطاها الاسلام منذ فجره والى دور هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى نشر الدين الاسلامى الحنيف فى جميع البلدان بما فيها بلاد ما وراء النهر .

ووفقا للمصادر الموثوقة بهاء اصبح يوم ١٦ تموز (يوليو) عام ٦٢٢ م بداية للتقويم الجديد الذى يبدأ من شهر محرم للسنة الاولى لهجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كان اختيار الهجرة بداية للتقويم الجديد موفقا ، فهى فى الحق استهلال للتاريخ الجديد ، الذى يبرز بصورة وواقعية وملموسة ، الطبيعة الفكرية للدعوة الاسلامية . ومن هذه الوجهة تعتبر الهجرة اوفق من بدء الدعوة او نزول الوحى ، فان الدعوة بدأت بين الاقربين ، ولم يتسع اطارها تدريجيا الا بعد وقت . اما الهجرة فمثلت بداية رسوخ الاسلام والدولة الاسلامية فى المدينة اولا ، ثم فى مكة . وبعدها

تأسست الدولة التى عمت اخبارها جميع بلدان العرب والعجم .

لقد جاء عون الله فانتقلت مكة الى ايدى المسلمين ، وعاد رسول الله الى وطنه فاتحا منتصرا .

فها هو رسول الله قائم فى المسجد الحرام ، والناس حوله والعيون شاخصة اليه ، ينظرون ما هو فاعل بالقرشيين الذين آذوه واجبروه على ترك بلده وقاتلوه .

ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق ، التى يلزم ان يتعلمها المسلم : ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس . فقال عليه السلام «يا معشر قريش اتظنون انى ما فاعل بكم . قالوا خير اخ كريم . افقال عليه السلام : انى اقول لكم ما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء» .

وتدل هذه الحقيقة من حياة نبينا صلى الله عليه وسلم الوعظية والارشادية ، على ان الدين الاسلامى يتميز بحب السلام ، اذ ان الاسلام يعتبر بلوغ السلام والامن خيرا على البشرية .

وبما ان الاسلام يسعى الى الالفة والسلام ، فانه جعل كلمة السلام شعارا له ، اذ ان مئات الملايين من المسلمين يتبادلونها عند كل لقاء قائلين : «السلام عليكم» ومجيبين «وعليكم السلام» . وليس عبثا ان يرد ذكر السلام عدة مرات فى القرآن الكريم ، لان كلمة الاسلام يرجع اصلها الى كلمة السلام . والسلام هو الحرية والامن ونزع السلاح والعدل . ان السلام بوصفه نظاما مثاليا وربانيا ، يعتبر أمل المؤمنين وهدف جهودهم الاخلاقية . ان العقبة التى تحول دون الوصول الى نظام متسق واخلاقى فى الحياة الخاصة والعامة ، انما هى الشر فى مظاهره العديدة ، والذى يبعث التنافر فى التنظيم الاجتماعى للحياة فى الارض . ان الشر يشوه افكار السلام ، ويحل الكذب محل الحقيقة ، والعبودية محل الحرية ، والرعب محل الأمن ، والظلم محل العدالة .

منذ فجر الاسلام ترتب على المسلمين ان يكونوا حاملين للافكار الانسانية الرفيعة ، الا وهى الثقافة الاصيلة والحرية الحقيقة والرحمة العامة . ولكن اذا كان المؤمنون فى الماضى يوجهون جهودهم الى نشر وترسيخ المثل الاسلامية السامية بين امهم وبلدانهم واقاليمهم ، فان مسؤولية علماء الاسلام عن مصائر السلام فى الارض ، تزداد فى الوقت الراهن زيادة بالغة ، نظرا لان وسائل الاتصالات والعلاقات الدولية قد تطورت على نحو لم يسبق له مثيل . والمعيار الاساسى لهذه المسؤولية ،

يتمثل فى مستوى الجهود التى يبذلها علماء الاسلام بغية توطيد السلام والعدل بين البشر كافة فى كوكبنا . ولن نصبح حريين برحمة الله الا بتنفيذ واجباتنا : «**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم**» (سورة المائدة -٩) .

ان البشرية جمعاء بحاجة الى السلام لكى تعيش بثقة اكبر ، وتكدح كدحا مثمرا ، وتربى الناشئة دون خوف على مستقبلهم . وهذه الرغبة توحد جميع الناس الطيبين ، وتدفعهم الى النضال فى سبيل صيانة السلام ، اذ ان انجازات العبقرية البشرية والامكانيات غير المحدودة للتقدم العلمى والتقنى ، من شأنها ان تضمن لكل شعب ، الظروف والشروط اللازمة من اجل حياة طبيعية . ويجب على كل انسان فى الارض وعلى البشرية كافة الاضطلاع بالذود عن السلم وصيانته .

ويشكل النضال ضد خطر الحرب ، والنضال فى سبيل السلام ، اكثر الحركات شعبية فى عصرنا هذا ، اذ يتحد فيه مئات الملايين من الناس الشرفاء المحبين للسلام على اختلاف آرائهم واقتناعاتهم السياسية وعقائدهم ، والذين يتكلمون مختلف اللغات ويقطنون جميع القارات . ان كلهم يهمهم مصير كوكبنا ، فكلهم يريدون ان يعيشوا فى الارض بدون حروب ، فى كنف السلام والامن .

ان السلام والعدل هما مقياسا العلاقات بين الشعوب ، ويجب ان يميزا ايضا العلاقات المتبادلة بين الدول . ومفهوما السلام والعدل ، مرتبطان فيما بينهما بصورة وثقى . والسلام هو ثمرة العدل . ونحن رجال الاسلام اوفياء لافكار ديننا حول ترسيخ العدل بين الناس وفى العلاقات الدولية ، ولذلك ينبغى ان نعير مزيدا من الاهتمام للقضايا التى هى موضع تفكيرنا وتأملاتنا ، لكى نتوصل الى العدالة الحقيقية فى العلاقات بين الشعوب . ان عقيدتنا الدينية تتطلب بالحاح الا نغمض عيوننا عن الظلم ، وان نساهم بقسط لائق فى هذه القضية النبيلة لعصرنا هذا .

ايها الاخوان الاعزاء !

عندما يدور الحديث عن العدالة الاجتماعية ، فان الاسلام يعنى بها تهيئة امكانيات متكافئة امكانيات متكافئة للجميع ، مثلا ، فى التحصيل والاسعاف الطبى والحصول على العمل الخ . . وقد ارتسمت ملامح عهد الخلفاء الراشدين بالاساس بهذه الصفات بالذات . وكان الخليفة عمر بن الخطاب ينفذ بصورة دقيقة للغاية قواعد الشريعة الاسلامية ، فكان لا

يكف عن حماية الضعفاء من الاغنياء اذا اصابهم ظلم . واتبع النهج ذاته جميع انصار النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ان هذه الاعمال بالذات قد مجدها الله تعالى فى كتابه الكريم : «**والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**» (سورة الشورى — ٣٨) .

غير ان هذه المبادىء قد طواها نسيان بعد عهد الخلفاء الراشدين ، اى بعد اقامة الشكل المتسلط من الحكم .

الا ان هذا الامر لا يقلل ابدا من اهمية التراث الغنى ، الذى تركه لنا الخلفاء الراشدون ، اذ اننا نرى فيه قاعدة لنشاطنا فى مجال تقوية اركان ديننا الحنيف ومبادئنا الاخلاقية . اذا فان ديننا الاسلامى الحنيف يدعو الى العدالة الاجتماعية بوصفها جزءا من المساواة . وقال الله تعالى فى القرآن الكريم : «**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين**» (سورة النساء —١٣٥) . وان الاسلام يدعو الناس الى التعاون والمساندة المتبادلة والتوزيع العادل للقيم المادية .

لقد حدد الاسلام بصورة دقيقة ، طرق الحصول على القيم المادية ، ويضبط فى نفس الوقت طرائق انفاقها ، ويطالب بالامتناع عن التبذير والترف من جهة ، ويحذر الناس من البخل والشح من الجهة الاخرى . ويشير تعالى الى ذلك بقوله : «**واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**» (سورة الاسراء —١٦) .

وبالتالى فان نشوء هوة فى الحالة المادية للناس يعتبر فى الاسلام ظاهرة غير طبيعية . اما موقف الاسلام من التقدم العلمى والتقنى ، فاننا نستطيع ان نقول بكل تأكيد ، ان الاسلام كان دائما يدعو الناس الى محو الامية والقضاء على الظلم والوثنية . وفرض الاسلام على كل المتعلمين واجب نشر نور المعرفة والعلم بلا كلل . وقد جاء فى القرآن الكريم : «**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**» (سورة الزمر —٩) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» و«اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

ايها الاخوان الاعزاء !

اننا بوصفنا مسلمين نؤمن بالله وباليوم الآخر ، نتجه وجدانيا قبل كل شىء ، لدى حل جميع المسائل التى تهمنا ، الى آيات القرآن الكريم :

«هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهـــادة هو الرحمن الرحيم» (سورة الحشر ٢٢) .

ان العناية بالعائلة وبالاطفال كانت قضية النبى محمد صلى اللـــه عليه وسلم اليومية . ويروى انس بن مالك : «كـــان النبى صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالعيال . وكان له ابن مسترضع ناحية المدينة وكان ظئره قينا . وكنا نأتيه وقد دخن البيت باذخر . فيقبلـه ويشمه» (الامام البخارى . الاد بالمفرد ، الحديث ٣٧٦ ، ص ١٠٢ ، طشقند ، ١٩٧٠) .

وتستحوذ على انتباهنا كلمات حجـة الاسلام الامام الغزالى الذى اشار الى ان تنشئة الاطفال ، انما تعنى الحرص على الاجيـال الصاعدة ، وان الاطفال والزوجة كرعية الدولـــة بحاجة الى الحماية والدفاع عـــن حقوقهم . كما اشار الى ان خدمة العائلة والاولاد ، انما هـــى على صعيد واحد مع ابداء آيات البطولة فى سوح الوغى .

وكلنا يدرك كل الادراك ان الاطفال هبة من الله لا تقدر بثمـــن ومستقبل للبشرية . فاذا كان عدد سكان المعمورة يفوق ٤ مليارات نسمة فان ٥ و١ مليار منهم هم الاطفال ، الذين يحتاجون الى العناية والاهتمام بهم من قبل الراشدين . بينما ليس فـــى العالم كله يستطيع الكبار ان يقدموا للاطفال كل ما يحق لهم . ففى مختلف انحاء العالم تنشب بيـــن فينة واخرى ، حروب محلية تنعكس آثارها قبل كـــل شىء على الاطفال والمسنين . كما ان هناك بلدانـــا عديدة قدرتها الاقتصادية ضعيفة ، وقاعدتها الانتاجية بدائية ، مما يحول دون تحسين اوضاع الاطفـــال فيها ، فضلا عن عرقلة شمول جميع الاطفال بالتعليم المدرسى .

وكل سنة يموت جوعا حوالى ١,٥ مليون طفل . لذلك بالذات يجب علينا ان نزيد اهتمامنا بالاطفال من اجل الحياة السعيدة لهم ، ومن اجل مستقبلهم ، علينا ان نعزز النضال فـــى سبيل السلام ، ولكى يحيـــا اطفالنا فى ظل سماء صافية . كما ويجب ان نسعى الى ان يتذكرنـــا اطفالنا ، ان يتذكروا اجدادهم وآباءهم ، وان يذكروا بالعرفان تلـــك الخيرات المادية التى ننشئها لهم فى ظـــل السلام الدائم والوطيد على الارض .

ايها الاخوان المحترمون !

عشية حلول القرن الخامس عشر الهجرى ، نشعر بصورة اعمـــق بضرورة تعزيز العلاقات الاخوية بين مسلمى العالم ، كضمان لمواصلـة

ترسيخ اركان ديننا الحنيف . وان دور الصحافة الاسلامية فى هذه الامر لعظيم . اذ ان من شأنها ان تقوم بتعزيز هذه العلاقات والتبشير على نطاق واسع بالمثل الاسلامية السامية طبقا لمتطلبات الزمن ، وعلى اساس تعاليم القرآن الكريم واحاديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وضمن واجبات الصحافة كذلك النشر الواسع للتراث الغنى للمسلمين ، وتراث العلماء المفكرين ، الذين اسهموا بقسط ضخم فى تطوير الفكر الاسلامى .

لقد تحققت فى العالم تحولات سياسية واجتماعية هامة . وان العالم الاسلامى ، بعد ان تحرر من نير الاستعمار ، بدأ يبنى مستقبله . واذا كان المسلمون فى القرن الرابع عشر يقومون بصورة رئيسية ، باكتناز خبرة تاريخية معينة ، فانه فى القرن الجديد ، القرن الخامس عشر ، يجب عليهم ان يطبقوا هذه الخبرة . ويتمثل دور الصحافة الاسلامية فى نشر المعلومات الصحيحة بين المسلمين ، ولا توجد مهمة اكثر مسئولية وشرفا من النشر الواسع للمعلومات الصادقة عن طقوس وعادات المسلمين وحياتهم الواقعية ، هؤلاء المسلمين الذين ينتمون الى مجموعات قومية واتنوغرافية مختلفة . وبما ان القرآن الكريم وضع امام المسلمين مهمة اختلاط بعضهم بالبعض ، والتعاون الحنيف ، فان دور الصحافة بوصفها وسيلة للعلاقات بين الناس المنتمين الى عقيدة دينية واحدة ، يكتسب اهمية خاصة . ان هذا الواقع بالذات يلزم العاملين فى الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام ، بان يكونوا صادقين تمام الصدق ، فى اظهار حياة هذه الامة او تلك ، متجنبين التعصب الملازم لوسائل الاعلام الجماهيرى للامبريالية والصهيونية .

ايها الاخوان الاعزاء !

فى الوضع الدولى الناشىء برزت بحدة خاصة ، مسألة الحرب والسلام . ان اوساط الامبريالية العالمية والرجعية الاكثر عدوانية ، قامت بمحاولات ترمى الى الغاء كل شىء ايجابى تم بلوغه بالجهود المشتركة للشعوب فى الطريق الى السلام الوطيد والعادل ، وتحولت الى الهجوم المضاد على الانفراج الدولى ، وعلى مبادىء التعايش السلمى للدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية ، واخذت تؤدى بالامر بصورة مكشوفة الى بعث «الحرب الباردة» والمواجهة بين بلدان الشرق والغرب .

وترمى الى ذلك ايضا ، الخطوات الجديدة التى اتخذتها بلدان اعضاء الحلف الاطلنطى العدوانى ، تحت ضغط ادارة الولايات المتحدة الامريكية

العدوانية . ومن بين هذه الخطوات ، القرار بصـــدد الزيادة المستمرة للميزانيات الحربية ، للدول الاعضاء فى هذا الحلف ، واقامة الصواريخ ذات المدى المتوسط فى اوروبا الخ . . وبذلك توجه الضربة الرئيسية الى المبادىء الاساسية للامن الجماعى والسلام والانفراج ، والتى صيغت واقرت فى مؤتمـــر هلسنكى للامن والتعاون فى اوروبا منـــذ عدة سنوات .

اننا نحن رجال الاسلام ، شأننا شأن جميع الناس الاخيار ، لا يمكن الا نهتم بمصائر السلام والانفراج فى اوروبا ، اذ اننا واياكم نفهم جيدا ان التحولات الايجابية فـــى اوروبا لها اهمية كبيرة للغاية بالنسبـــة لمصائر العالم كله . ولذلك ، ينبغى ان نكافح جنبا الى جنب مع جميع القوى المحبة للسلام ، من اجل احباط جميع هجمات القوى الامبرياليـــة على مبادىء السلام ، وان نساهم فى صيانة التوجه نحو السلام وامـــن الشعوب ومواصلة تطويره .

وينبغى ان يخدم هذه الاهداف ، نجاح مؤتمر مدريد واتخاذ قرار حول مسألة عقد مؤتمر بصدد الإنفراج العسكرى ، ونزع السلاح فـــى اوروبا . ان مهمة كل من يعز عليه مستقبل كوكبنا ، تتمثل فى حمايـــة السلام فى اوروبا ، ونشر مبادىء الامن الجماعى فى كل قارات واقاليـــم الكرة الارضية .

فى الوقت الراهن تقلق العالم كله الوتائر السريعة للغاية لسباق التسلح ، الذى تحاول الاوساط الامبريالية فى الولايات المتحدة ان تجر اليه لا الدول الحليفة لها فى الكتل العدوانية وقبل كل شىء بلدان الناتو فحسب ، بل وكثيرا من غيرها . وتعتبر دليلا جديدا على مجازفة الولايات المتحدة بالاسلحة النووية ، التعليمات رقـــم ٥٩ التى اقرتها الادارة الامريكية ، والتى تفترض امكانية شـــن ما يسمى بالحرب النوويـــة المحدودة . وكلنا يفهم ان الحرب النوويـــة المحدودة ستؤدى حتما الى كارثة نووية حرارية شاملة .

ان توسيع الوجود العسكرى الاميركى بشكل لم يسبق له مثيل فى مناطق الخليج العربى والمحيط الهندى والشرق الاوسط ، وزيادة التوسع العسكرى والسياسى والاقتصادى للولايات المتحدة فى جنوب شرقـــى آسيا والشرق الاقصى وافريقيا وغيرها من مناطق العالم ، ان كل ذلك لا يمكن الا ان يقلقنا نحن رجال الدين المسلمين كافة ، شأننا شأن جميع الناس الشرفاء فى الارض .

وهناك دليل آخر على المخططات المشؤومة التى تدبرها الامبريالية ، الا وهو التدخل السافر للولايات المتحدة فى الشئون الداخلية للبلدان والشعوب الاخرى ، وخاصة محاولات تصدير الثورة المضادة الى ايران وافغانستان .

ووفقا للسيناريو الذى اعده البيت الابيض ، شنت وسائل الاعلام الجماهيرى البرجوازية حملة هستيرية معادية للاتحاد السوفيتى ، بصدد الاحداث الجارية فى افغانستان وايران . اذ ان الاوساط الامبريالية تريد ان تفرض على هذين البلدين عاداتها ونظمها وترغمهما على الرجوع الى الماضى ، وتخنق الثورة ، وتقيم رأس جسر مواليا للامبريالية ، لشن العدوان العسكرى ضد جميع البلدان والشعوب المحبة للسلام .

ان ساسة واشنطن ، بالتعاون مع المعتدين الاسرائيليين والاستسلاميين المصريين ، يحاولون تصوير صفقة كامب ديفيد على انها معاهدة سلمية ، وتصوير مشروع الحكم الذاتى المزيف ، وكأنه حل لقضية الفلسطينية برمتها .

لقد اشارت هيئة الامم المتحدة غير مرة الى ان اسرائيل تتبع نهجا غير مشروع ، ومنافيا للقانون الدولى حيال الاراضى العربية وخاصة القدس . كما ويطالب الرأى العام العالمى وشعوب جميع البلدان الاسلامية باعادة الوضع الشرعى للقدس . ومن على مختلف المنابر العالمية ، تم مرات عديدة التأكيد على ان مواصلة احتلال القدس من قبل اسرائيل ، تؤدى الى تعقيد عملية التسوية فى الشرق الاوسط . الا ان اسرائيل ترفض ان تصغى الى صوت الحكمة . ومما يدل على ذلك ، المغامرة الجديدة للاوساط الحاكمة فى اسرائيل والمتمثلة فى اقرار البرلمان الاسرائيلى «قانونا اساسيا» يعلن المدينة المقدسة لمسلمى العالم بأسره «عاصمة ابدية ووحيدة وغير قابلة للتقسيم» لاسرائيل . وليس هذا الافتزاز الوقح الا تحديا سافرا للعالم الاسلامى كله .

ولقد ادانت الدورة الطارئة السابعة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، وكذلك مجلس الامن تصرفات اسرائيل هذه ، واعتبرا قرارات البرلمان الاسرائيلى باطلة ، وطالبا اسرائيل بالانسحاب فورا من جميع الاراضى العربية المحتلة ، منذ عام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس الشرقية . الا ان المعتدين الاسرائيليين الذين يتمتعون بالحماية من قبل الولايات المتحدة ما زالوا يتجاهلون هذه القرارات ويعتبرونها «حبرا على ورق» .

باسم الله عز وجل ندعو المسلمين كافة الى توحيد جهودهم من

اجل ردع المعتدين الاسرائيليين ، مدنسى ديننا الحنيف ، الذين يسعون الى انتهاك حرمة مقدساتنا .

ويسرنى ان ابلغكم ، بان حكومة بلادى تناضل بالحاح وثبات فى سبيل التسوية السلمية الحقة فى الشرق الاوسط ، من اجل الوصول الى تحرير جميع الاراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ حتى يضمن للشعب الفلسطينى الحق فى تأسيس دولته على ارضه . انها تقف الى جانب الحل السلمى لاى نزاع ينشب بين الدول . هكذا بالذات كانت ولاتزال تبنى علاقاتها مع الدول الاسلامية المجاورة على طول تاريخ وجودها . ونحن على يقين من ان الوضع الدولى لا ينبغى تعقيده بتدخل عسكرى من شأنه ان يجر العالم الى كارثة . وقد جاء فى القرآن الكريم : «**والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم**» (سورة يونس – ٢٥) .

وتسهم منظمات المسلمين العاملة فى بلادنا بقسط لائق فى هذه القضية المقدسة . وهى تشارك بنشاط فى النضـــال من اجل السلام والصداقة بين الشعوب ، وتقيم اتصالات مع اخوتها فى العقيدة ، فى حوالى ثمانين بلدا ، وتدعو سنويا الى الاتحاد السوفيتى عشرات من وفود رجال الدين المسلمين من الخارج ، ويسافر ممثلوهـــا فى زيارات الى مختلف البلدان ، ويشاركون فى اعمال المحافل الاسلامية ، وكذلك فى الاجراءات التى يتم تنفيذها عن طريق المنظمات العالمية للسلام وتضامن الشعوب .

لقد عقد مسلمو الاتحاد السوفيتى فى السنوات الاخيرة ، ست ندوات عالمية كبيرة جدا ، اشترك فيهـــا ابرز رجال الدين ومسؤولو الصحف والمجلات الاسلامية من كثير من بلدان آسيا وافريقيا واوروبا .

ولم يناقش المشتركون فى هذه الندوات قضايا ذات طابع دينى بحت ، بل انهم تباحثوا ايضا فى المسائل المتعلقـــة بتعزيز السلام ، وتقوية عرى الصداقة بين الشعوب ، وباحوال اخوانهم فى العقيدة فى البلدان الاخرى .

وقد كان كل مؤتمر حدثا هاما فى حياة مسلمى بلادنا ، كمـــا واصبحت هذه الندوات عاملا كبير الوزن فى قضيـــــة رص صفوف المسلمين ، ورفع مستوى معارفهم ، وساعدت المسلمين على ان يتفهموا بصورة افضل واجبهم ، الذى يفرضه عليهم دينهم الحنيف .

وسعيا منها للاسهام باكبر قسط فى قضية النضـــال فى سبيل السلام والصداقة بين الشعوب ، فان الادارات الدينية الاربع لمسلمى

الاتحاد السوفيتى تنسق دائما نشاطها ونشاط جميع منظمات المسلمين فى الاتحاد السوفيتى . ومن اجل هذا الغرض بالذات ، تم تأسيس قسم للعلاقات الخارجية لمنظمات مسلمى بلادنا .

ان خبرتنا التاريخية كلها ، تعلمنا انه يجب علينا نحن علماء الدين ، اهتداء بالقرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ان ننشر افكار السلام والصداقة بين الشعوب ، ونساعد بكل طاقاتنا على بلوغ التقدم والازدهار ، بحيث يعيش الناس حياة سلمية ومرفهة وسعيدة ، قوامها مبادئ الخير والعدالة . وينذر القرآن الكريم الظالمين بقوله تعالى : «**واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون**» (سورة النحل – ٨٥) . «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**» (سورة المائدة – ٢) .

ويدرك المسلمون فى الاتحاد السوفيتى وفى العالم كله ، ان النضال فى سبيل السلام والعدالة الاجتماعية ، يتمخض عن ثمار اكبر ، كلما ازدادت تلاحما ووحدة اعمال اولئك الساعين الى بلوغ هذه الاهداف ، وكلما فضحوا ، بمزيد من العزم والحسم ، الامبريالية والشوفينية ونزعة الزعامة ، اى الخصوم الاساسيين للانفراج والتحويلات الاجتماعية والصداقة بين الشعوب .

ايها الاخوان الاعزاء !

ايها الضيوف الموقرون ، المشاركون المبجلون فى ندوتنا الرفيعة !

لا شك فى ان الاسلام دين ذو طابع شامل . انه صالح لكل زمان ومكان ، ولذلك يعيش وسيعيش ابدا . «**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**» (سورة الحجر – ٩) .

ولذلك فان المسلمين السوفيتيين ينظرون الى مستقبل الاسلام بتفاؤل . ويعتمد اقتناعنا ، قبل كل شىء ، على ما ورد فى القرآن الكريم وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، والتى هى منارة تهدى الى طريق الحق والعدالة والسمو الروحى . ومما يوطد قناعتنا ، هو الادراك ان تمسك مسلمى بلادنا بمثل الاسلام السامية العظمى لهو شديد وراسخ .

واليوم ، عندما تسعى الامبريالية العالمية الى تحقيق اهدافها المغرضة ، وتحاول اثارة الشقاق بين الشيعة واهل السنة ، وتسعير التناقضات القومية والطائفية فى العالم الاسلامى ، المهم بصورة خاصة الا تنطلى علينا خدع وحيل هذا العدو اللدود للشعوب الاسلامية .

ويجب ان نوطد وحدة مسلمى العالم فى النضال ضد الطغيان الامبريالى ، وفى سبيل السلام والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . كما ويجب ان نعزز تضامن المسلمين مع شعوب البلدان العربية فى نضالها العادل ضد المعتدى الصهيونى ، وان نؤيد التحويلات التى تحققها الشعوب الاسلامية فى كل من ايران وافغانستان ، فى سبيل تقدمها الاجتماعى والاقتصادى ، فى خضم مجابهة حاسمة مع الامبرياليين والتزعميين الساعين الى التدخل فى شئونها الداخلية .

ان المسلمين السوفيتيين ، وهم يستقبلون هذا القرن الهجرى المجيد ، يدركون بصورة عميقة ان الوضع الدولى الراهن ، يتطلب بالحاح ، تنشيط جميع القوى المحبة للسلام ، والتعاون الفعال فيما بين المسلمين وغيرهم من الناس الاخيار ، فى النضال من اجل وقف سباق التسلح وتعميق الانفراج ، وضد المساعى العدوانية للاوساط الامبريالية واعوانها .

اننى ادعوكم ايها الاخوة الاعزاء ، وادعو كافة الناس الاخيار فى جميع القارات الى اليقظة ، لكى نمنع المهووسين بالسلاح النووى ، من اضرام النيران فى العالم ، وتحويله الى صحراء مقفرة . ولنفعل كل ما بوسعنا لكى تكون السماء فوق رؤوس اطفالنا واحفادنا صافية مشرقة .

«ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم» (سورة الحشر – ١٠) .

ايها الاخوة الاعزاء ! اننى اريد ان اثق باخلاص ، ان تقاريرنا وكلماتنا ومناقشاتنا التى سيشترك فيها ، بدون شك ، كثير منكم ، ستفتح امام عيوننا مشهدا عالميا لحياة البشرية المعاصرة ، بآلامها ومحنها ، بل بآمالها وثقتها ، وستساعدنا على تفهم واجباتنا فى القرن القادم من الهجرة ، فيما يخص خدمة حاجات المجتمع البشرى ، وستصبح مصدرا للحث الروحى الى اعمال انشط فانشط فى سبيل السلام الوطيد ، ونزع السلاح والعلاقات العادلة بين الشعوب .

اننى استغل فرصة وقوفى على هذا المنبر الرفيع فادعوكم جميعا ، ايها المشاركون فى المؤتمر ، وضيوفه ومن خلالكم . ادعو كافة المسلمين فى المعمورة الى بلوغ التفاهم العميق والصداقة المخلصة بين الشعوب .

«وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحيـــــــة
المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
الى المشتركين فى المؤتمر العالمى
«رجال الدين من اجل انقاذ الهبة المقدسة الحياة من الكارثة النووية»

موسكو ، ١٠-١٤ مايو ١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد ،

السيد الرئيس ، اصحاب السماحة والسعادة ، السادة الكرام !

يشرفنى ويطيب لى ان اتوجه بتحياتى المخلصة ، واطيب تمنياتى الى المشتركين فى المؤتمر ، برئاسة غبطـــة البطريك بيمن بطريرك موسكو وسائر روسيا ، المبادر الى عقد هذا المؤتمر الواسع التمثيل ، لرجال مختلف الاديان من شتى اصقاع العالم ، الذين تنبض قلوبهم معا عندما يشمل الحديث مسألة انقاذ هبة الحياة المقدسة من الكارثـــة النووية .

اننى مفعم بالامل فى ان يغدو هذا المؤتمر راية للسلام ، ومعلما فى طريق انقاذ البشرية من شبح حرب نووية .

لقد تعاون الناس فى كل العصور من اجل السلام . وان الحاجة الى السلام الآن ، قد تعاظمت اكثر من اى وقت مضى ، لأن الكارثة النووية هى خطر مميت وماحق للبشرية جمعاء . ان الحرب هى تناقض صارخ مع ارادة الخالق ، الذى وهب الناس فى العالم اجمع ، كل ما هو ضرورى لحياة شريفة ولائقة ، ومنحهم والهمهم السلام ، وباركهم فى الحيـــاة السلمية ، ان كل ما هو موجود فى الارض ، مما خلقه الله الخالق ، يجب ان يخدم الجنس البشرى ، لكى يواصل ويتواصل . وعلى الناس ان يوجهوا غضبهم ويعرضون عن كل ما يخرق وصايا الله حول السلام . لقد جاء فى القرآن الكريم : **«ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيـــاة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى**

فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد» . (سورة البقرة ، الاية ٣٠٤) .

ويروى انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله قائلا : «هل ينتصر الشر على الخير ؟» اجاب النبى صلى الله عليه وسلم بانه لن ينتصر الشر على الخير والحق يعلو ولا يعلى عليه .

ان هذا المؤتمر هو تأكيد على ان الله قد دعا الناس جميعا لخدمة الخير ، واعطى الانسان الامكانات والرغبة لخدمة الخير والايمان بالله الخالق . اما من يمسك بوسائل الدمار البشرى ، فسوف لا يجنى الا الدمار ، الامر الذى يؤكده التاريخ . ان السلام ضرورى لمواصلة تقدم البشرية . فبالوسائل السلمية فقط ، يمكن حل المسائل المختلف عليها . ففى الظروف الراهنة ، يمكن ان يتحول اى نزاع محلى الى كارثة عالمية . ففى الفترة التى اعقبت الحرب فقط ، نشبت ١٥٢ حربا محليه وقارية ، واودت بحياة عدة ملايين من الناس . ومن الواضح ان ايا من النزاعات العسكرية الحاليـــــة ، واينما حدث ، يمكن ان يحول ، فى الظروف المتشابكة بقوة ، الارض الى رماد . وينمو عدد الناس الذين يدركون بوضوح ما ستسفر عنه الحرب النووية من اثار فظيعة ، ويفهمون ان المسألة الاكثر الحاحا لعصرنا هى مسألة نزع السلاح . اذ ان خزانات الاسلحة المهلكة هى خطر على حياة كل ما هو موجود فى الكوكب . واننا اذ نعترف بذلك كله ، يجب علينا ان ندرك عمق رسالتنا ، ان ممثلى جميع الاديان مدعوون لحماية هبة الحياة المقدســـة ، وبذل كل الجهد لابعاد خطر الكارثة النووية .

ايها الاخوان الاعزاء . ان مؤتمرنا هو حدث تاريخى ، لانه يناقش مسائل فى غاية الاهمية ، مصائر البشرية . اننا نعتبر فأل خير ان يعقد المؤتمر فى موسكو عاصمة الاتحاد السوفيتى .

ان جميع شعوب العالم تعرف ان الاتحاد السوفيتى قد عانا كثيرا من الحرب . والكنيسة الارثوذوكسية الروسية تملك خبرة كبيرة فى النشاط الصالح . اسمحوا لى ان احيى غبطة البطريرك بيمن بطريرك موسكو وسائر روسيا وكذلك جميع المشتركين فى المؤتمر واشكركم على حسن الاستماع .

نتمنى للمؤتمر ان يبلغ نتائج مثمرة ، والتى من شأنها ان تضاعف من جهودنا وتساعد على درء خطر الحرب المخيم على البشرية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ملحق الكتاب

تراجـــــم
اعلام الاسلام فى آسيا الوسطى (باختصار)

١ – ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى البخارى (١٩٤–٢٥٦ هـ) .

ولد الامام البخارى فى بخارى سنة ١٩٤ هـ فى شهـر شوال ، يوم الجمعة . توفى والده مبكرا ، عندما كان صغيرا جدا ووقعت مهمة العناية به وتربيته بالكامل على عاتق والدته . كانت امرأة رشيدة ، وصمدت امـام ضربات القدر ، وكرست كل حياتهـــا لتربية وليدها ، الذى احبته بكل جوارحها . وقد انفقت الارث الذى خلفه اسماعيل بسخاء ، لكى تكفل التعليم للبخارى ، الذى تميز منذ الصغر بالموهبة والقدرة العلمية .

سافر الامام البخارى كثيرا ، وكانت سفراته مثمرة . فقد زار كل بلدان العالم الاسلامى فى عصره تقريبا ، وزار العديد من هذه البلدان غير مرة ، وتشهد على ذلك كتاباته : «كنت فى الشام ومصر مرتين وكنت فى الجزيرة والبصرة ، وست مرات فى الحجاز وكنت مرات لا احصى بها فى الكوفة وبغداد» .

لقد اشتهر الامام البخارى بانه كان فى دوامة بحث متواصل ، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، عن احاديث الرسول والمعرفة . فاينما حل ، كان نشاطه خاضعا كليا لهذه المهمة الكبرى والنبيلة معا . وقد كتب كل مؤلفاته وكل المواد التحضيرية بيده ، ولم يثق بالناسخين او غيرهم . ففى اى وقت من اوقات الليل ، على الفراش او فى اليقظة ، كان ينهض غير متكاسل ليسجل ما خطر بباله من افكار ويعلق عليها . وحدث ان كان يشعل ويطفىء سراجه فى ليلة واحدة اكثر من عشرين مرة . وفى كل مرة كان هذا الشخص او ذاك من العابرين ، يشاهد هذه الحالـــة الفريدة : وفى سكون الليـل العميق ، ينكب البخارى العظيم على نصوصه وهو مشغف بالهام نافح سعيد فى تأملاته .

بعد ان طرد الامام البخارى من موطنه ، دعاه اهل سمرقند . واذ تأثر

بعمق بعنايتهم واهتمامهم ، قبل دعوتهم بلا تردد ، وذهب اليهم يحدوه الامل . بيد ان انفعال البخارى كان كبيرا ، بسبب ملاحقة وعسف الامير بحقه . واستطاع البخارى ، ان يصل ، فى طريقه الى سمرقند الى قرية خرتنك ، التى تبعد عن سمرقند ١٨ كم ، ونزل عند اقربائه فى هذه القرية ، واصيب فجأة بمرض عضال ، وبعد فترة قصيرة توفى فى مساء يوم من ايام عيد الاضحى سنة ٢٥٦ هـ . وقد ناهز الثانية والستين من العمر . اسكنه فسيح جناته . غير ان ذكراه بقيت وستعيش خالدة فى قلوب تلاميذه وتلاميذ تلاميذه . . .

كان عدد تلاميذ البخارى كبيرا جدا . وحسب المعطيات التاريخية درس كتابه الرئيسى «الجامع الصحيح» باشرافه المباشر ، زهاء تسعين الف شخص ، كان من بينهم كبار المحدثين المعروفين ، مثل ، مسلم بن الحجاج ، والامام الترمذى ، والامام النسائى ، وابن حذيمة ، وابن ابى داود ، ومحمد بن يوسف الفربرى ، وابراهيم بن معقل النسفى ، وحماد بن شاكر النسفى ، ومنصور بن محمد اليزدانى وكثير غيرهم .

ان التراث المبدع للامام البخارى ، يذهل سواء بحجمه او المامه فى الواقع ، بكل العلوم الدينية والاجتماعية فى عصره . ان كتبه ومؤلفاته المعروفة على نطاق العالم فقط لا تقل عن ١٥ مؤلفا ، وهى : الجامع الصحيح ، الادب المفرد ، التأريخ الصغير ، التاريخ الكبير ، التاريخ الاوسط ، التفسير الكبير ، المسند الكبير ، كتاب العلل ، رفع اليدين فى الصلاة ، بر الوالدين ، كتاب الاشربة ، القراءة خلف الامام ، كتاب الضعفاء ، اسامى الصحابة ، كتاب الكنى ، وغيرها .

٢ – ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الترمذى (٢٠٩–٢٧٩ هـ) ، وهو واحد من كبار المحدثين ومؤلف العديد من الكتب الرائعة .

ولد الترمذى سنة ٢٠٩ هـ . والده من مرو . اظهر الترمذى منذ الصغر حب اطلاع واسع ، وكان ميالا الى العلم . وبغية استكمال وتحسين معارفه ، سافر كثيرا الى بلدان العالم الاسلامى ، وزار الحجاز والعراق وخراسان وغيرها من البلدان ، حيث تعرف بكبار المحدثين وتعلم عليهم . وكان يكتب بانتظام ودقة ، كل ما هو جديد وغير معلوم بالنسبة اليه ، وكان يسجل ذلك فى دفتره ، وكان مستعدا للسفر الى ابعد الاصقاع ، لسبر غور المسائل التى كانت تهمه ، غير هياب بالمتاعب .

فقد الترمذى بصره فى آخر اعوام حياته ، وكان ذلك بتأثير من التوتر

الشديد ، الذى كان يعيشه ، وانكبابه المستمر على العمل ، وكرس كل حياته للبحث عن المعارف الحقيقية ، لخدمة الاسلام والمسلمين العظمى ، وفى سنة ٢٧٩ توفى فى مدينته ترمذ .

٣ – **شيخ الاسلام ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمى السمرقندى الدارمى** (١٨١–٢٥٥ هـ) ولد الدارمى سنة ١٨١ فى سمرقند ، جمع منذ الصغر فى ذاته وبشكل عجيب ، حيوية خارقة من الذكاء والطبع والشرف الرفيع والاخلاص والنزاهة والتقوى والتواضع . كان ولعه منذ الصغر بالعلم قد ايقظه ، ومثل غيره من ابرز المحدثين ، سافر كثيرا وكانت سفراته ذات اهداف ، ورأى العديد من بلدان العالم الاسلامى المعاصر آنذاك . زار مصر والشام (سوريا) والعراق والسعودية . وقد ساعده ولعه الشديد بالعلم وعمله الدؤوب الذى احبه ، على كشف موهبة الدرامى الساطعة فى اعمال البحث . وسرعان ما اضحى محدثا ومفسرا وفقيها ، وفى غير ذلك من العلوم الاسلامية ، وحظى باعتراف الجميع بوصفه حجة الاسلام .

تعود الى قلم الدارمى تفسير القرآن و«المجامع» و«المسند» فى الحديث .

وقد شهد الشيخ عبد الحق الدهلوى قائلا ، ان البعض يعتبر الدارمى من مجموعة الستة ، لان مؤلفاته المصدرية تتضمن اسماء الناقلين الاكثر صدقا ، والاحاديث الضعيفة نادرة فى سننه ، وثلاثياته اكثر من ثلاثيات البخارى .

٤ – **ابو على بن سينا** (٩٨٠–١٠٣٧ م) من اكبر العلماء الموسوعيين فى القرون الوسطى والمعروف على اوسع نطاق . ولد سنة ٩٨٠ م فى قرية افشنه القريبة من بخارى ، وعاش فيها ايام الصبا . وحينما بلغ ١٦–١٧ عاما من العمر ، جمع من المعارف وبخاصة فى الطب ، ما مكنه من معالجة الحاكم السامانى ، نوح بن منصور ، الذى كان يعانى من مرض عضال . ولقاء ذلك منح حق ارتياد المكتبة الملكية المعروفة ، والتى كانت الثانية بعد مكتبة شيراز من حيث عدد كتبها واهميتها . وقد تعرف فيها على كتب لم يسمع بها من قبل . وساعدته المكتبة على تعميق معارفه فى ميادين الطب والفلسفة .

عاصر ابن سينا علماء بارزين من امثال ابو الريحان البيرونى ، وابو الخير الخمار وغيرهما ، من الذين اقام معهم علاقات وثقى عبر ١٢ عاما ، عندما عاش فى اوركنج عاصمة خوارزم وهناك بالذات شرع بالعمل على

مؤلفه المعروف «القانون فى الطلب» وغيره من اعماله ، وقد اصبح الكثير منها مؤلفات كلاسيكية من القرون الوسطى ، والتى لا زالت تحتفظ باهميتها حتى اليوم . ونورد على سبيل المثال «كتاب الشفاء» و«كتاب لسان العرب» و«كتاب الانصاف» و«ارجوزة فى الطب» وغيرها .

٥ – **ابو نصر الفارابى** . ولد سنة ٢٥٦ او ٢٥٧ هـ فى مدينة فاراب (اوترار) الواقعة فى محافظة تشيمكينت فى قازاخستان السوفيتية . كان والده قائدا عسكريا . درس كثيرا فى الصغر ، واتقن اللغة العربية اتقانا كاملا ، وكذلك الفارسية والسنسكريتيـــة . وترجم مع ابى بشير متى المشهور فى ترجمة اعمال ارسطوطاليس ، وضمنهـــا بتعليقات عبقرية ، ولذلك لقب بلقب المعلم الثانى وارسطوطاليس الشرق . وتفتيشـــا عن المعرفة ، سافر الفارابى الى سمرقند وبخارى وهراة ومرو وكابول وغزنة وحران والشام وغيرها . توفى سنة ٣٣٦ هـ فى قريـــة صغيرة بضواحى دمشق .

الف ابو نصر الفارابى اكثر من ١٦٠ عملا واليكم بعضها : «رسالة فى اعضاء الانسان» ، «رسالـــة فى اعضاء الحيوان» ، «رسالة فى الرد على جالينوس فيما ناقض فيه ارسطوطاليس» ، «كتاب فى آراء اهل المدينـــة الفاضلة» «تعليقات» ، «رسالة فى تحصيل السعادة» ، «رسالـــة عيون المسائل» ، «رسالة المفرقات» ، «رسالة فى معانى العقل» .

وقد مضى اكثر من الف عام على مؤلفات هذا الانسان العبقرى ، التى امتحنها الزمن ، ولم تفقد اهميتها حتى الآن . كما ان تعاليمه الكريمة وحكمه تلهم حتى يومنا هذا مسلمى العالم ، فى النضال من اجل اخوة الناس وتقدم العلـــم .

٦ – **ابو الريحان البيرونى** (٩٧٣–١٠٤٨ م) عالم عظيـم وموسوعى فى القرون الوسطى . وقد امتلك بالتمام ناصية علوم الفلك والفيزيـــاء والرياضيات والجيوديسيا والجيولوجيا والمعادن .

ولد فى الرابع من سبتمبر سنة ٩٧٣ م ٣٦٢ هـ) فى عاصمة خوارزم القديمة ، وكان تلميذا لدى ابى نصر بن العراقى المنصور .

من اعماله : «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ، «الهند» ، «القانون المسعودى» ، «كتاب الجماهير فى معرفة الجواهر » ، «الصيدنة» .

يعار فى بلادنا اشد الاهتمـــام لدراسة التراث العلمى للبيرونى . وبغية تخليد ذكراه استحدثت فى اوزبكستان جائزة الدولة باسم البيرونى ، التى تمنح لقاء النجاح الكبير فى تطوير العلم والتكنيك فى الجمهورية .

ويحمل معهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم فى اوزبكستان السوفيتية اسم البيرونى ، وكذلك معهد الهندسة فى طشقند والعديد من المدارس والكولخوزات والسوفخوزات والشوارع والجادات .

٧ – **ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى** (٧٨٣–٨٥٣ هـ) عالم فى الرياضة عظيم وفلكى وجغرافى . لقد عاش الخوارزمى فى الربع الاخير من القرن الثامن والنصف الاول من القرن التاسع ، ولد فى قرية خوارزم . وفى الوقت الحاضر طبعت فى العلوم العصرية عشرة مؤلفات اساسية لمحمد الخوارزمى ، منها : «الجبر والمقابلة» ، «كتاب صورة الارض» ، «حساب الهند» ، «كتاب الرحماء» ، «كتاب التاريخ» وغيرها .

كان الخوارزمى واحدا من مؤسسى علم الجبر . وبلغ الينا من مؤلفاته ثلاث نسخ من كتابه «الجبر والمقابلة» وتحفظ بعناية فائقة فى مكتبات كابول والمدينة وجامعة اوكسفورد . وقد ترجم مؤلفه هذا الى اللغة اللاتينية لاول مرة سنة ١٤٤١ فى اسبانيا روبيرت تشيتيـر . وان مخطوطة هذا الكتاب البارز باللغة العربية ، وترجمته اللاتينية هى مرجع مهم لعلمـاء القرنين التاسع عشر والعشرين . وقد ترجـم الى اللغة الروسية سنة ١٩٦٤ ، وترجمه الى اللغة الاوزبكية اشرف احميدوف ضمن «المؤلفات المختارة» للخوارزمى والصادرة فى طشقند . وقد انتقلت كلمة الجبر الى اللغات الاوروبية بفضل هذا المؤلف .

والمؤلف الثانى الكبير للخوارزمى هو «كتاب صورة الارض» . ولم تترجم الى اللغات الاخرى . ولمناسبة الذكرى المائتين بعد الالف لمولد المؤلف ، ترجم كتاب «صورة الارض» الى اللغتين الروسية والاوزبكية ، وصدر فى طشقند باعداد كبيرة .

٨ – **الامام عبد الله بن مبارك المروزى** ولد سنة ٢١٨ هـ فى عائلة متدينة ورعة شريفة فى مدينة مرو ، وعاش فيها ما يزيد على العشرين عاما ، وتوفى سنة ٢٨١ هـ وترك لنا مؤلفات قيمة جدا . ويعتبر كتابه «المسند» من عداد كتبه المعروفة فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومؤلفاته هى «كتاب الاستئذان ، كتاب البر والصلة ، كتاب التاريخ ، كتاب الزهد والرقائق ، كتاب الدقائق فى الرقائق» كتاب الفتاوى ، كتاب الجهاد ، تفسير القرآن ، كتاب السنن فى الفقه» .

وان بعض هذه المؤلفات بقى تراثا لنا حتى الوقت الحاضر .

٩ – **بهاء الدين النقشبندى سعيد محمد جلال الدين** (٣١٨–١٣٨٤)

شيخ معروف ومؤسس الطريقة النقشبندية ، ولد وتوفى فى قرية قصر غجدوان بالقرب من بخارى .

١٠ – **اسحق بن راهويه المروزى** . ولد هذا العالم المعروف سنة ١٦٣ هـ فى مدينة مرو . وكان يعرف الاحاديث والفقه جيدا ، سافر كثيرا الى الحجاز والعراق والشام ، وعاش آخر اعوامه فى نيسابور ، وتوفى فيها سنة ٢٣٨ هـ ، وكان من تلاميذه علماء كبار ، مثل الامام البخارى ، والامام مسلم ، والامام الترمذى وغيرهم . وله كثير من المؤلفات الاسلامية ، ومن ابرزها كتاب «المسند» .

١١ – **ابو القاسم محمد بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشرى** ، ولد سنة ٤٦٧ هـ فى قرية زمخشر ، على مبعدة ١٢٥ كم من جنوب شرقى مدينة اورغنج العريقة . وكانت خوارزم آنذاك فى اوج ازدهارها .

درس الزمخشرى فى اوركنج على علماء كبار فى عصرهم ، واتقن العديد من العلوم اتقانا تاما . وقد لعب العالم الرائع والطبيب واللغوى الاديب ابو مضر الدابى والذى قدم الى اوركنج من اصفهان ، دورا كبيرا فى رسم طريق الزمخشرى الى الاسلام . وقد حمل ابو مضر معه الى خوارزم مفاهيم المعتزلة ، التى كانت حركة منتشرة فى الاسلام . وكان الزمخشرى من جملة تلاميذه الكبار . وسرعان ما اصبح الزمخشرى واحدا من كبار اعلام المعتزلة . وبغية مواصلة وتعميق معارفه الدينية سافر الزمخشرى الى مكة ، واذ اختلى مع افكاره فى جوار بيت الله ، الف اثمن الكتب ، منها مؤلفه الرائع بلا شك فى التفسير «الكشاف» . وبسبب اعتكافه مدة طويلة فى بيت الله سمى بـ«جار الله» . وفضلا عن مكة ، زار الزمخشرى ايضا المراكز الدينية الكبرى فى العالم الاسلامى ، مثل مرو وبخارى ونيسابور واصفهان وبغداد ودمشق وغيرها . ولم يتعب فى بحثه وتفتيشه عن المعارف . وقد اعترف فى اواخر حياته قائلا : «لقد شيبتنى قراءة الكتب والرحلات» .

ترك الزمخشرى وراءه اكثر من خمسين مؤلفا فى شتى مناحى العلم . ولكن من المؤسف ان اعماله لم تبق كلها الى يومنا هذا . فالزمن والحروب وغزوات كثير من المحتلين قد فعلت فعلها . ونعرف الآن نصف مؤلفاته تقريبا . كتب الزمخشرى مؤلفات كثيرة فى التفسير والحديث والصرف والنحو واللغة والبلاغة ، التى تقدر عاليا فى عالم العلم ، نذكر منها : تفسير الكشاف ، الفائق ، اساس البلاغة ، مقامات ، اطواق الذهب ، المفصل ، نصائح الكبار ، الآمالى ، ربيع الابرار ، ديوان التمثيل ، معجم الحدود وغيرها . ان تفسير «الكشاف» للزمخشرى ، كان منذ قرون ولايزال

من اهم الكتب التعليمية فى كثير من المؤسسات التعليمية الاسلامية العليا فى العالم الاسلامى . وقد ترك الكثير من كتب اللغة والشعر والفولكلور والجغرافيا وغير ذلك ايضا .

١٢ – **الامام ابـــو منصور بن محمد بن محمـد بن محمود الحنفـــى الماتريدى السمرقندى** . ولد فى قرية ماتريد بمحافظة سمرقند . وكان تلميذ محمود بن فاضل الذى عاش فى سمرقند ايضا . وقد شارك العالم مع ابى الحسن على الاشعرى فى ترتيب فقه الحنفية ، وتعاليمه معروفة على نطاق واسع فى الهند وآسيا الوسطى وتركيـــا . ولا يوجد تناقض بين الاشعرى والماتريدى ، مثلما هو موجود بين الشيعة والحنفية . وجلبت له مؤلفاته شهرة كبرى : «كتاب الاصول» و«تأويلات اهل السنة» ، «وتاويلات القرآن» ، «وكتاب التوحيد» ، «وكتاب المقالات» ، «والعقائد» . – توفى فى عام ٣٣٣ هـ .

١٣ – **نجم الدين ابو حفص السمرقندى** (١٠٦٨/٤٦٠–١١٤٢/٥٣٧) وهو مؤرخ وجغرافى ولغوى وفقيه . واسمه الكامل نجم الدين ابو حفص عمر بن محمد بن احمد بن احمد بن لقمان النسفى الماتريدى السمرقندى ، وقد ترك لنا المؤلفات التالية : «منزلة النسفية فى الخلافات» ، و«عقائد النسفى» ، و«اليواقيت فى المواقيت» ، و«زلة القارىء» .

وقد انتشر كتاب هذا العالم «عقائد النسفى» بين كثير من العلماء . وفى سنة ٧٦٨ كتب العالم المشهور التفتازانى شرحا على كتاب النسفى بعنوان «شرح عقائد النسفى» .

١٤ – **ابو الليث السمرقندى** (ابو الليث نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم السمرقندى) توفى سنة ١٠٠٣ وهو فقيه حنفى مشهور ، وعالم وشيخ الاسلام فى سمرقند .

كتب تفسير القرآن باربعة مجلدات ، وهو احسن التفاسير . وقد كتب شرحا ايضا على كتاب ابى حنيفـــة (مؤسس مذهب الحنفية) بعنوان «كتاب الفقه الاكبر» . واذ كان السمرقندى آنذاك شخصية اسلامية كبيرة ، ادلى بقسط كبير فى تطوير العلوم الدينية والطبيعية ، واعد كوكبة من العلماء المردة ، وغدت اسماء بعضهم معروفـــة على نطاق العالم . ويحمل المكان الذى ولد فيه فى سمرقند حتى الآن اسمه . ومؤلفاته هى : «خزانة الفقه» ، و«بستان العارفين» ، و«تفسير القرآن» .

١٥ – **ابو بكر محمد بن اسماعيل القفال الشاشى** (٢٩١–٣٦٦ هـ) وقد كتب ابن خلكان عن هذا الانسان فى كتابه «وفيات الاعيان» ما يلى : «ان

ابى بكر محمد بن اسماعيل القفال الشاشى ، كان امام جميع علماء عصره . فقد كان فقيها ومحدثا ومشرعا ولغويا . وكان ابرز عالم بين علماء الشافعية فى ما بين النهر . وقد كتب العديد من المؤلفات ، وكان اول من كتب من الفقهاء كتاب «الجدل الحسن» ، وبذلك نشر مذهب الشافعية فى بلاده .

دفن الامام القفال الشاشى فى طشقند فى المنطقة المعروفة باسم «حضرة الامام» بالقرب من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان .

وقد الف الشاشى الكتب التالية : «جوامع الكلم» ، و«ادب القاضى» ، و«علم الجدل» ، و«محاسن الشريعة» .

(وقد عثر المرحوم المغفور له ضياء الدين خان بن ايشان باباخان على كتاب القفال الشاشى «محاسن الشريعة» من مكتبة «الظاهرية» فى دمشق ، وتحتفظ مكتبة الادارة الدينية فى طشقند بنسخة مصورة منه) .

١٦ – **الامام الهيثم بن كليب الشاشى** . ولد وشب فى شاش (طشقند حاليا) . سافر الى بلدان كثيرة بحثا عن الاحاديث النبوية ، لكنه عاش اكثر اوقات عمره فى سمرقند ، وقد استعار الاحاديث من كبار المحدثين ، ومن بينهم الترمذى مؤلف «السنن» المعروف .

وقد عنون الامام الهيثم بن كليب الشاشى كتاب الاحاديث الذى الفه بـ«المسند الكبير» و«توفى سنة ٣٣٥ هـ .

كما ان كثيرا من المحدثين فى آسيا الوسطى ، الفوا كتبا معتمدين على كتاب «المسند» . وهؤلاء هم : ابو بكر احمد بن محمد البركانى الخوارزمى ، وابراهيم بن معقل النسفى ، ونعيمة بن حماد المروزى ، وحافظ الخوارزمى وجمال الدين النسائى .

١٧ – **برهان الدين على بن ابى بكر بن عبد الجلال المرغينانى** (٥١١–٥٩٣ هـ) وهو واحد من اشهر اعلام الاسلام فى آسيا الوسطى . ولد فى قرية ريشتان بمحافظة فرغانة ، ودرس فى مدرسة بمدينة بخارى . وقد الف العديد من الكتب فى موضوع القضاء ، ومن ابرزها كتاب «بداية المبتدى» . وقد كتب فيما بعد تعليقات عليه فى ثمانية مجلدات بعنوان «كفاية المنتهى» ثم كتب تعليقات مختصرة بعنوان «الهداية» . «وقد اشتهر هذا الشرح على نطاق واسع فى آسيا الوسطى والهند وتركيا . وكان هذا الكتاب مرجعا اساسيا فى الفقه ، فى كثير من بلدان الشرق . وقد ترجم الى اللغات الفارسية والانجليزية والروسية . ومن مؤلفاته الاخرى :

«المنتقى» ، و«نشر المذهب» ، و«التجنيس والمزيد» ، و«مختارات النازل» ، و«كتاب فى الفرائض» .

١٨ – **محمد طاراغاى مرزا اولوغ بك** (٧٩٥/١٣٩٤-٨٥٣/١٤٤٩) عالم فلكى كبير ، اسس فى سمرقند مرصدا فلكيا معروفا على نطاق العالم ، ووضع جدول النجوم المعروف «زج اولوغ بك» ، وعين فيه اماكن تواجد ١٠١٨ نجمة . وقد صدر جدول اولوغ بك سنة ١٦٦٥ فى اوكسفورد وفى عامى ١٧٦٧ و١٨٤٣ فى لندن وفى سنة ١٨٥٣ فى باريس .وفى سنة ١٩١٧ فى اميركا .

وآلف مرزا اولوغ بك ، كتابا معروفا فى تاريخ آسيا الوسطى بعنوان «اولوس اربعاء جنغيزى» وقد ترجم هذا الكتاب المدعو ميلس الى اللغة الانجليزية سنة ١٨٣٨ وصدر فى العام ذاته فى لندن بعنوان «شجرة الترك» .

١٩ – **مولانا علاء الدين على بن محمد قوشجى السمرقندى** (٨٠٤-١٤٧٤ م) عالم فلكى معروف وعالم جليل ومفكر . ولد سنة ١٤٠٤ فى سمرقند . درس فى مدرسة اولوغ بك ، على علماء اجلاء ، مثل قاضى زاده رومى ، وغياث الدين جمشيد ، ومحمد حفافى ، ومرزا اولوغ بك . الف زهاء ثلاثين كتابا علميا ، بما فى ذلك «رسالة فى حل اشكال القمر» و«رسالة فى علم الهيئة» ، و«رسالة الفتح» وغيرها .

فى سنة ١٤٧٢ ، وبناء على دعوة من السلطان محمد الفاتح سافر العالم الى تركيا (اسطمبول) ، حيث عمل استاذا فى مدرسة «آيه صوفية» وتوفى فى اسطمبول سنة ١٤٧٤ بعمر ناهز الحادية والسبعين .

وقد ترجم المستشرقون الكثير من مؤلفات العالم فى بلادنا ، الى اللغات الاوزبكية والروسية ونشرت على شكل مختارات .

٢٠ – **احمد يسوى** (توفى سنة ١١٦٦ م فى يسى – تركستان) وقد حظى كتابه «ديوان حكمت» بشهرة واسعة . وقد درس هذا العالم الصوفى الكبير ، فى مدينة بخارى على يوسف الهمذانى . وهو معروف بين الجماهير كشاعر مرموق . وان مؤلفاته الشعرية ، هى مصدر تاريخى كبير فى دراسة اللغة والادب الاوزبكيين .

يقع ضريحه فى مدينة تركستان بمحافظة تشيمكينت (قازاخستان السوفيتية) وهو اثر معمارى كبير للقرنين الرابع عشر والخامس عشر .

٢١ – **الامام احمد بن حنبل المروزى** . ولد هذا الامام الجليل سنة ١٦٤ هـ ودرس فى بغداد وسافر كثيرا ، وهو عالم كبير فى تفسير آثار

صحابة الرسول . ومن كتبه : «كتاب العلل» ، و«كتاب الزهد» ، و«التفسير» ، و«الناسخ والمنسوخ» ، و«كتاب فضائل الصحابة» وغيرها . ومن اشهر كتبه «المسند» ويحتوى تفصيلات اكثر من اى كتاب آخر . ويتضمن ايضا الاحاديث النبوية الصحيحة ، والتى لا توجد فى المجلدات الستة المعروفة . توفى الامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ .

٢٢ – **الامام ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى** . ولد فى مدينة نسف (حاليا قارشى) وتوفى سنة ٧٠١ هـ . واشتهر بكتابه «المدارك» ، وهو تفسير يضم تعليقات عميقة متعددة الجوانب على القرآن الكريم .

٢٣ – **موسى بن مولانا محمد بن قاضى** (١٣٦٠–١٤٣٧ م) واشتهر باسمه المستعار قاضى زاده الرومى . وكان المدرس الاكبر فى مدرسة اولوغ بك ، الذى اعتبر الرومى مدرسه ومربيه . الف كتبا فى الرياضيات «رسالة فى الحساب» و«الشرح الملخص فى الهيئة» ، و«رسالة الجيب» ، و«شرح مفتاح العلوم للتفتازانى» .

٢٤ – **احمد ابو العباس بن محمد بن كثير الفرغانى** (توفى سنة ٨٦١ هـ) عالم فلكى معروف وجغرافى وعالم رياضيات . وعرف فى العالم باسم الفرغانى . ومعروف فى الشرق باسم الحسيب (من الحساب) .

عاش ردحا من الزمن فى بغداد ، وبمشاركة مباشرة منه شيد فى العراق (فى منطقة الشماسية) مرصد فلكى وآخر فى سوريا (فى منطقة قاسيون) . وقد ساعدت مؤلفات الفرغانى فى علم الفلك والجغرافيا والرياضيات على تطوير هذه العلوم فيما بعد ، وكانت مصدرا غنيا لكثير من علماء الشرق . ومنذ القرن الحادى عشر ، شرع لاول مرة بترجمة مؤلفاته الى اللغة اللاتينية فى اسبانيا .

٢٥ – **يوسف بن محمد بن ابى يعقوب سراج الدين الخوارزمى السكاكى** (١١٦٠–١٢٢٩) ، كان من اكبر اللغويين . وكان يلم الماما واسعا بنظم الشعر والعروض .

الف السكاكى كتاب «مفتاح العلوم» وتضمن الكثير من المصادر العلمية القيمة فى حقول المعرفة المشار اليها .

لخص محمد بن عبد الرحمن القزوينى كتاب السكاكى المذكور ووضع له تسمية «التلخيص» . وانتفعت منه المدارس فى مواضيع اللغة .

٢٦ – **ابو عبد الله محمد بن يوسف الخوارزمى** . عاش هذا العالم فى القرن العاشر الميلادى . واشتهر فى الشرق كله بكتابه «مفاتيح العلوم»

ويتكون من فصلين . يتناول الفصل الاول شؤون الفقه والعقيدة والنحو والعروض والشعر والتاريخ . ويتناول الفصل الثانى الفلسفة والمنطق والطب والحساب والهندسة وعلم الفلك والموسيقى والميكانيكا والكيمياء .

٢٧ – **سعد الدين مسعود بن عمر** (٧٢٢/١٣٢٢–٧٩٢/١٣٩٠) . غدا معروفا باسم التفتازانى وكان من ابرز علماء عصره فى ميادين المنطق والبلاغة والتشريع والتفسير وغير ذلك من العلوم .

وكرس مؤلفاته لهذه العلوم وحظيت بشهرة واسعة ، واضحت فيما بعد كتبا مدرسية فى المدارس الدينية . وحظى بشهرة واسعة جدا بين العلماء ، وباعتراف كبير ، لدرجة ان علماء الدين الاسلامى وزعوا العلماء الى قسمين ، فسموا العلماء الذين عاشوا قبله «بالمتقدمين» وفيما بعده «بالمتأخرين» .

الف التفتازانى الكتب التالية : «تهذيب المنطق والكلام» ، و«ارشاد الهادى» ، و«التركيب الجميل» ، و«تركيب غريب وترتيب عجيب» ، و«شرح تلخيص المفتاح» ، و«البحث المشترك» و«مقاعد الطالبين فى اصول الدين» ، و«شرح عقائد النسفى» ، و«شرح الكشاف» ، و«التلويح فى كشف حقائق التنقيح» و«كتاب الاربعين» ، و«كتاب الفتاوى الحنفية» وغيرها .

٢٨ – **المعى مير جلال اوغلى ملا فضل الله** (١٨٥٠–١٨٩٥ م) شاعر ومترجم ومستعرب وخطاط معروف . تلقى معارفه الاولية فى مدرسة محلية ، ثم درس فى مدرسة «موى مبارك» فى طشقند ، وفيما بعد طور معارفه فى مدرسة مدينة بخارى . كتب الكثير من مؤلفاته فى نهاية القرن التاسع عشر . كتب باللغة الاوزبكية والفارسية والعربية . وترجم من اللغة الفارسية الى اللغة الاوزبكية المؤلف الهندى المعروف «كليلة ودمنه» .

٢٩ – **عبد الخالق بن عبد الجميل غجدوانى** (توفى سنة ١١٧٩ م) . كان واحدا من مؤسسى ومنظرى طائفة الدرويش باسم «خواجه كان» . وقد درس على يوسف الهمذانى . من اعماله : «مناقب خواجه يوسف الهمذانى» ، «رسالة شيخ الشيوخ حضرة ابى يوسف الهمذانى» .

يحتفظ معهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم الاوزبكية بنسخة من كتاب مؤلف مجهول بعنوان «ذكر وقائع خواجه عبد الخالق غجوانى» .

٣٠ – **ابو عبد الله محمد بن على الترمذى** (توفى سنة ٨٦٨ هـ) . واحد من ابرز العلماء فى التاريخ والفقه والفلسفة والتصوف . وكان معروفا باسم الفيلسوف الحكيم . من مؤلفاته «كتاب النهج» و«كتاب الفروق» و«ختم الولاية» وغيرها .

٣١ – سلطان محمد بن كمال الدين حافظ كوهكى (١٣٩٤-١٤٤٩ م) .

حفيد العالم الاوزبكى الشهير على قوشجى السمرقندى .

كان كوهكى ملما بالتاريخ وقواعد اللغة العربية والمنطق والقضاء الاسلامى ، وكتب عن هذه المواضيع عدة مؤلفات . وثمة اخبار قبلنا ، اكدت ان كوهكى التقى بظهير الدين محمد بابر ، وكانت العلاقات بينهما قوية . وكان واحدا من اكبر ادباء زمانه . وقد كتب تعليقات على مؤلف عبد الرحمن جامى «شرح ملا جامى» المعروف فى العالم الاسلامى كله . ومعروفة ايضا مؤلفات هذا العالم الاخرى ، بما فى ذلك «تاريخ طشقند» ، و«تاريخ آل جنكيز» ، و«رسالة فى فن التفسير والاصول والفروع والمنطق والكلام» وكذلك كتب فى اصول الفقه والبلاغة والعقيدة .

٣٢ – ابو العباس جعفر بن ابى على محمد بن ابى بكر المستغفرى النسفى السمرقندى . (توفى سنة ٤٣٢ هـ) ولد وعاش فى نسف (حاليا مدينة قارشى ، اوزبكستان السوفيتية) وهو معروف على نطاق واسع كمؤرخ واديب ومحدث وباحث اسلامى . حصل على تعليمه الاولى فى مرو وسراخس وبخارى . وقد الف العديد من الكتب ، كانت لمدة طويلة تدرس فى المدارس والمؤسسات التعليمية الاسلامية .

الفهرس

المقدمة ٣

الفصل الاول

حياة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان واعماله

المدخـــل ١٢

الباب الاول

النشاة ١٨

بيت الاسلاف الامجاد – الشيخ ايشان باباخان بن عبد المجيد خان ١٩

الفقيه الشاب ٢٤

الباب الثانى

تاسيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . . . ٢٨

كل شىء من اجل الجبهة ، كل شىء من اجل النصر ٣٢

الباب الثالث

العودة الى الحياة السلمية ٣٨

الشيخ ضياء الدين – قاضى اوزبكستان ٣٩

تاسيس مكاتب القاضى الشرعى – ممثليات الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى الجمهوريات ٤٠

رسالة المسجد واستكمال نشاطه ٤٧

اصدار المصحف الشريـــف ٥٠

اعداد خدمة الدين الاسلامى ٥٣

الباب الرابع

تطور العلاقات مع الاخوان فى العقيدة خارج الاتحاد السوفيتى . . ٦١

المسلمون السوفييت يستانفون اداء فريضة الحج ٦١

اللقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود ٦٢

الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ٦٥

الشيخ ضياء الدين خان ، مفتى ورئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ٦٩

ضيوف مسلمى الاتحاد السوفيتى من البلدان العربية والدول الاخرى ٧٢

الباب الخامس

التضامن مع نضال الشعوب العربية ضد العدوان الامبريالى والصهيونى ٩٣

تأييد نضال الشعب المصرى ضد العدوان الاسرائيلى ٩٣
مؤتمرات طشقند للتضامن ٩٤
جريمة حرق المسجد الاقصى ٩٦
القضية الفلسطينية ومسألة ازالة الازمة فى الشرق الاوسط . . . ٩٩

الباب السادس

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى – منظمو المؤتمرات واللقاءات الاسلامية والمشتركون فيها ١٠١
مؤتمر «الامام البخارى والعصر» ١٠٢
المشاركة فى المؤتمرات واللقاءات الدولية ١١٧
المفتى ضياء الدين خان عضو المجلس الاعلى العالمى للمساجد . . ١٢١

الباب السابع

القرن الخامس عشر الهجرى ، ينبغى ان يكون قرن السلام والصداقة بين الشعوب ١٢٨
المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عشية الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى ، ١٢٨
مؤتمر طشقند عام ١٩٨٠ . . . . . ١٣١
احاديث المشتركين فى المؤتمر وضيوفه ١٤١

الباب الثامن

مسلمو الاتحاد السوفيتى فى النضال العالمى من اجل السلام . . ١٤٤
الاسلام دين السلام ١٤٥
مؤتمر زاغورسك عام ١٩٥٢ . . . . . ١٤٧
المفتى ضياء الدين خان عضو مجلس السلام العالمى ١٤٨
اليوبيل الستينى للمفتى ١٤٩
مؤتمر زاغورسك عام ١٩٦٩ . . . . . ١٥١
مؤتمر طشقند عام ١٩٧٠ . . . . . ١٥٨
مؤتمر موسكو لرجال الاديان العالمى عام ١٩٧٧ . . . . . ١٦١
مؤتمر موسكو العالمى عام ١٩٨٢ . . . . . ١٧٠

الباب التاسع

اليوبيل المجيد ١٧٢
الاحتفالات المهيبة ١٧٢

الباب العاشر

بدل الخاتمة ١٩٥

في ذكرى سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس
الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ١٩٦
ذكريات المفتى احمد زباره ١٩٩
الدكتور محمد محمد الخطيب ٢٠٣
الدكتور انعام الله خان ٢٠٥
الدكتور عبد الهادى التازى ٢٠٧
الشيخ حسن خالد وحديثه عن المفتى ضياء الدين خان ٢٠٨
معلمى ٢١٠
حياة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ونشاطه ، مثال رائع
لتلاميذه وخلفائه ٢١٢
المطران يوفينالى – ذكرى انسان صالح ٢١٤

القسم الثانى

فتاوى ومواعظ المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان وتلامذته .
فتوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول شرعية المهر
وعدم السماح بدفع بدل الزواج لعقد القران – النكاح ٢٢١
فتوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشـــان باباخـان حول البدع
والخرافات فى المآتم ٢٢٥
فتوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول بطلان اقامة
الولائم لمناسبة طقوس الختان ٢٢٩
فتوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول مكروهية
الجمع بين صلاة الجمعة والظهر ٢٣٢
فتوى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول عدم شرعية
اداء صلاة الجنازة بغير وضوء ٢٣٤
فتوى رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان
سماحة المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
حول زيارة القبور والضرائح وما يقترن بذلك من مبتدعات ٢٣٦
فتوى المفتى شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن ايشان باباخان
حول العقاقير الباطلة والاطباء الجهلة والعرافين والمنجمين والتعاويذ وموقف
الشريعة من كل هذا ٢٤٠
فتوى المفتى محمود حقى بصدد تحريم الخمر وكافة المواد المسكرة
والمخـــدرة ٢٤٧

مواعظ المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان موعظة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول كفارة ذنوب الانسان الذى ابتلى بشتى المصائب ٢٥٥
خطبة الجمعة للمفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول الحق والباطل ٢٥٨
خطبة المفتى ضياء الدين خان بن ايشـــان باباخـان فى موضوع رمضان المبارك ٢٦٢
خطبة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بصدد الحج الى الاماكن المقدسة ٢٦٨
خطبة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان بصدد الرحلة الى تركيا وتفسير بعض الآيات الكريمة ٢٧٣
خطبة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان حول مولد النبى صلى الله عليه وسلم وترجمة الامام القفال الشاشي وقصة عام الفيل . . . ٢٧٧

القسم الثالث

تقارير وخطب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان تقرير المفتى المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى مؤتمر ممثلى جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى «مشكلة الشرق الاوسط» ٢٨٨
خطاب المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى المؤتمـــر الخامس لمنظمة التضامن الافرو – آسيوى ٢٩٥
تقرير المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى مؤتمر المسلمين السوفيت فى طشقند لدعم النضال العادل لشعوب البلدان العربية من اجل تحرير اراضيها ونيل استقلالها الوطنى وتقدمها الاجتماعى ٢٩٨
نداء المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى مسلمى الاتحاد السوفيتى كافة لمناسبة الذكرى الثلاثين للانتصار على الفاشية . . . ٣١٢
تقرير المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى مؤتمر المسلمين السوفيت والمكرس للذكرى الثلاثين لتاسيس الادارة الدينيـــة لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ٣١٦
كلمة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى الاجتماع الموسع للجنة التحضيرية للمؤتمر الدولى لممثلى مختلف الاديان ٣٢٩

خطاب سماحة المفتى الشيخ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ، فى المؤتمر العالمى «رجال الدين المناضلون فى سبيل سلم وطيد ونزع السلاح وعلاقات عادلة بيـــن الشعوب ٣٣٥
١ ــ رجال الدين المناضلون فى سبيل سلم وطيد ٣٣٦
٢ ــ رجال الدين المناضلون فى سبيل نزع السلاح ٣٤٤
٣ ــ رجال الدين المناضلون فى سبيل علاقات عادلة بين الشعوب ٣٤٩
حقوق الانسان ٣٥١
العنصرية ٣٥٢
الشركات المتعددة الجنسيات ٣٥٣
حماية البيئـــة ٣٥٥
ازدياد عدد النسائم ٣٥٦
الهجـــرة ٣٥٧
واجبات الاديان فى التوصل الى علاقات عادلة بين الشعوب . . . ٣٥٨
خاتمة ٣٥٨
كلمـــة المفتى ضياء الديـــن خان بـــن ايشان باباحـــان فى الدورة الثالثة للمجلس الاعلى العالمى للمساجد ٣٦٠
ــ رسالة المسجد فى فجر الاسلام ٣٦١
ــ المسجد مركز الثقافة الاسلامية ٣٦٢
ــ نشوء المدارس الدينية ٣٦٤
ــ المساجد فى آسيا الوسطى ورسالتها ٣٦٤
كلمة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى الدورة الرابعة للمجلس الاعلى العالمى للمساجد ٣٦٥
كلمة سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخـان رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان فى احتفالات افتتاح مسجد جديد فى جمهورية تشاد ٣٦٩
الحديث الصحفى الذى ادلى به المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» ونشر فى عددها الاول عام ١٩٨٠ ٣٧٤
كلمة القاها سماحة المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان فى أثناء افتتاح مؤتمر مسلمى الاتحاد السوفيتى فى مدينة طشقند ٣٨٠
تقرير المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان «القرن الخامس عشر الهجرى هو قرن السلام والصداقة بين الشعوب» ٣٨٣
تحية المفتى ضياء الدين خان بن ايشان باباخان الى المشتركين فى المؤتمر العالمى «رجال الدين من اجل انقاذ الهبة المقدسة الحياة من الكارثـــة النووية» ٣٩٩

ملحق الكتاب

تراجم اعلام الاسلام فى آسيا الوسطى (باختصار) ٤٠٢

Внешторгиздат. Изд. №К 458
(на арабском языке)

العالى فى طشقند ، واعدّ فى تلك الفترة كثيرا من الكوادر الاسلامية المرموقة . وفى تشرين الاول سنة ١٩٨٢ انتخبه مؤتمر مسلمى آسيا الوسطـــى وقازاخستان رئيسا للادارة الدينية ومفتيا لهذه الديار الاسلامية . وفضلا عن ذلك فهو عضو فى المجلس الاعلى العالمى للمساجد فى مكة المكرمـــة وعضو عامل فى المجمع الملكى (مؤسسة آل البيت) للحضارة الاسلامية فى الأردن .

وهو رئيس مجلس ادارة مجلـــة «المسلمون فى الشرق السوفيتى» التى تصدر بست لغات . ورئيس مكتب العلاقات الخارجية للمنظمات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى .

وبالاضافة الى نشاطاته الدينيـــة فهو عضو فى مجلس السلم العالمى وعضو هيئة رئاسة منظمة التضامن الافروآسيوى السوفيتية وعضو لجنة انصار السلم السوفيتيـــة ، ونائب رئيس هيئة رئاسة جمعية الصداقة السوفيتية العربية .

Внешторгиздат. Изд. № К458